

هنري زغيب

## هذا الرَّجُل من لبنان

كتاب بازْبَرَه يونغ  
ووثائقٌ جديدةٌ أميركية ولبنانية



منشورات  
مركز التراث اللبناني





# هذا الرَّجُلُ من لبنان

كتاب بازيّره يونغ  
ووثائق جديدة أميركية ولبنانية

## بطاقة مكتبية

اسم الكتاب: هذا الرجل من لبنان

المؤلف : هنري زغيب

الناشر : «مركز التراث اللبناني» في الجامعة اللبنانية الأمريكية

الموضوع: ترجمة كتاب باربره يونغ «هذا الرجل من لبنان» مع مقالات وصور ووثائق أخرى

اللغة : عربية

عدد الصفحات: ٦٠٠ صفحة

القياس : ٢٤×١٦,٥ سنتم

الرقم الدولي: ٦-٥٤-٦١-٤٦١-٩٩٥٣

الطبعة الأولى : ٢٠٢١

الغلاف : جبران في برونزية لتسييه النحات البوسطني خليل جبران  
(يأذن خاص من زوجته جين جبران لغلاف هذا الكتاب)

© حقوق النشر محفوظة لـ «الجامعة اللبنانية الأمريكية» LAU

مركز التراث اللبناني

هاتف : ٦٤ ٦٤ ٧٨ (١ ٩٦١+)

بريدياً : ص ب: ٥٠٥٣-١٣ شوران ٢٨٠١ ١١٠٢ - بيروت - لبنان

إلكترونيًا : clh@lau.edu.lb

موقعًا : www.lau.edu.lb/centers-institutes/clh

ISBN: 9953-461-54-6

EAN: 978-995346154-0

© 2021 Center for Lebanese Heritage at Lebanese American University

All rights reserved for this edition. No part of it may be reproduced or transmitted – in any means electronic or mechanical including photocopy recording or any information storage and retrieval system – without written permission from the Lebanese American University.

Concept and design: LAU/Stratcom.

Designed by Marianne Gaby Ziadeh.

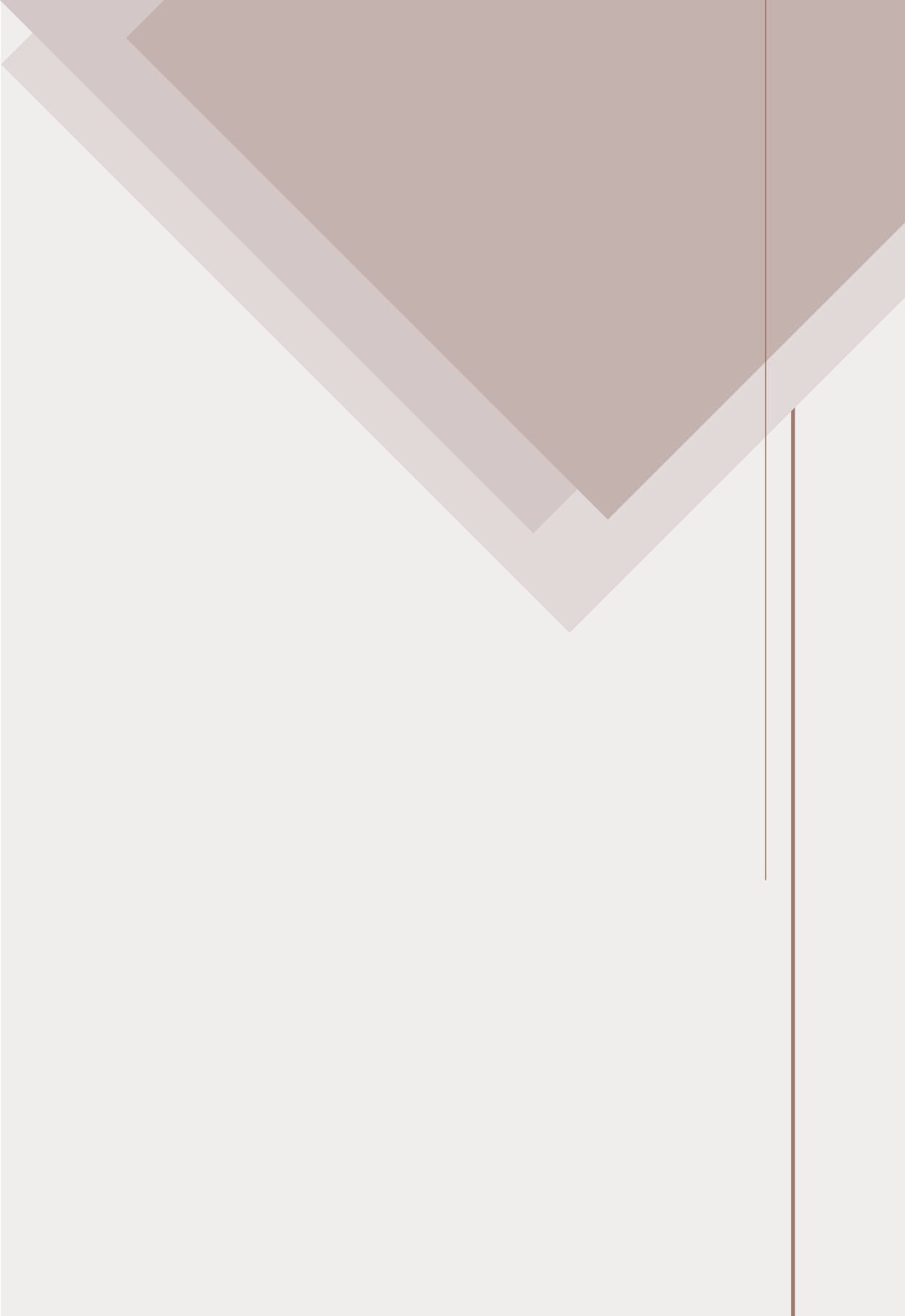


هنري زغيب

# هذا الرَّجُلُ من لبنان

كتاب بازْبَرَه يونغ  
ووثائقُ جديدةٌ أميركيةٌ ولبنانية

منشورات  
مركز التراث اللبناني



## حياتي أرفعها إليك، لا إهدائي

داناي:

لامها كثيرون أن كَتَبْتُ عنه بانبهارِ التقديس

ولا لؤم:

هكذا رَأْتُ هذا الرجلَ من لبنان، عَرَفْتُه، عَاشْتُهُ  
هكذا رَأْتُ إليه أَبْعَدَ من رجلٍ عاديِّ  
أزْفَعُ من كائنٍ بَشَرِيِّ

ولا لؤم:

العاديُّون لا يَعُونُ غيرَ العاديين  
وهكذا أَنَا

منذ فَتَحْتُ لي الحياةُ فردوسَ حُبِّنا فَدَخَلْتُ  
أراكِ أَبْعَدَ من امرأةٍ عاديَّةٍ  
أرى إِلَيْكَ أَزْفَعُ من كائنٍ بَشَرِيِّ

فلا لؤم

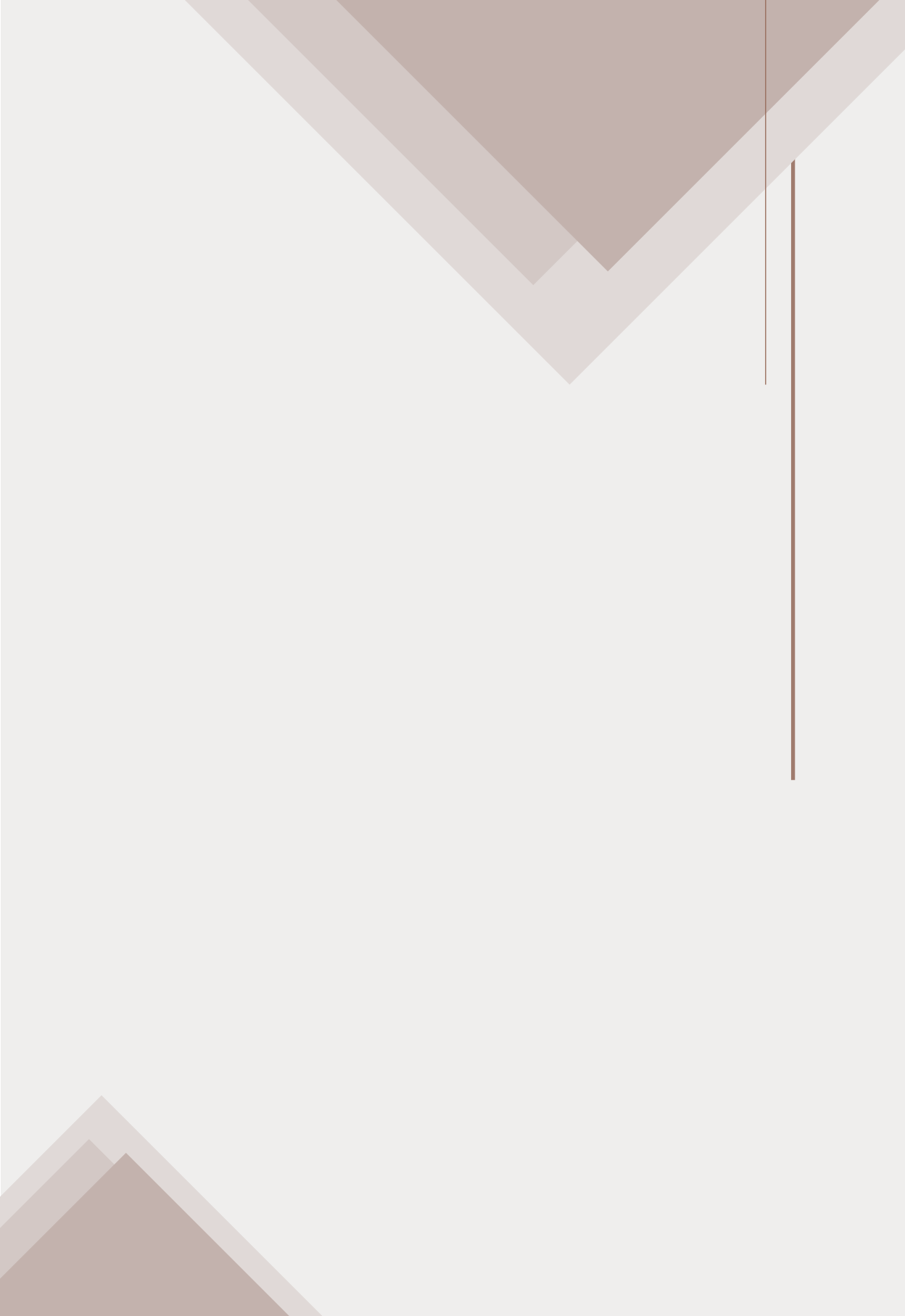
أَنْ أَعِيشَكَ بانبهارِ التقديس  
أَنْ أَرْفَعُ حياتي إلى هَالَتِكَ القُدسيَّةِ  
لتكونَ داناي ولادتي الجديدة  
لتكونَ داناي دنياي الباقية

على اسمِكَ، داناي، أَنْقُشُ يوميًا حياتي ظِلَّ نُورِكَ الإلهيِّ

عزى نقيب

٢٩ أيلول ٢٠٢٠





# المحتويات

## مقدمة هنري زغيب

١١ ..... مدخل إليه وإليها

## القسم الأول: هذا الرجل من لبنان - ترجمة كاملة لكتاب باربره يونغ

٢٣ ..... استهلال

٢٥ ..... مقدمة المؤلفة: قصة هذا الكتاب... كيف؟ لماذا؟

٣٥ ..... (١) بركاناً صغيراً كُنْتُ

٤٥ ..... (٢) «خَطِرٌ، ثورِيٌّ، مُسَمِّ عَقُولِ الناشئة»

٥٩ ..... (٣) سَخَّرْنَا هذا الكوكب

٧٣ ..... (٤) سحرُ اللغة العربية

٨٩ ..... (٥) لِمَ أَنَا هنا؟

١٠١ ..... (٦) ها هُنَا الحقيقة

١١٩ ..... (٧) ضبابٌ منحوتة في صورة

١٣١ ..... (٨) «أَهْوَى صوتُ الشعبِ العربي؟»

١٣٩ ..... (٩) لا عُمَرَ للكلمات

١٥٥ ..... (١٠) الحياةُ دوراتٌ متَّصلةٌ متعاقبة

١٦٥ ..... (١١) «صديقنا وأخونا»

١٨٣ ..... (١٢) حين حَلَّتْ ليلَةُ العُمُرِ الثاني عشر

١٩٣ ..... (١٣) يا تَعَسَّهَا أُمَّةٌ...

٢٠١ ..... (١٤) ... بل أَنَا ذاتي مشكلة

٢١٣ ..... (١٥) ناشطٌ مُمتلئٌ قوَّةً نابضة

٢٢٥ ..... (١٦) «مرَّةٌ أُخرى... عَبَرْتُ»

٢٣٧ ..... (١٧) جاهزٌ أَنَا للرحيل

٢٤٧ ..... (١٨) سلامٌ لَكُمْ

٢٦٧ ..... (١٩) لنا الخلود

٢٨٣ ..... سيرة في تواريخ

٢٨٩ ..... فهرس الأسماء

القسم الثاني: عنه بأقلامهم - ترجمة نصوص إنكليزية متفرقة عن جبران

- ٢٩٩ ..... ١) الـ «هاجيوغرافيا»
- ٣٠٢ ..... ٢) مَنْ هي؟
- ٣١٨ ..... ٣) باربره يونغ في تكريم جبران
- ٣٢٠ ..... ٤) باربره يونغ في تأبين جبران
- ٣٢٤ ..... ٥) نشاطها بعد غيابها
- ٣٣٢ ..... ٦) باربره يونغ: سَنَّةٌ على غيابها
- ٣٤٤ ..... ٧) باربره يونغ في لبنان
- ٣٩٢ ..... ٨) شاعرة أميركية قرَّرت العيش في لبنان
- ٣٩٧ ..... ٩) باربره يونغ وإنْدرو عَرِيب
- ٤٠٨ ..... ١٠) غياب جبران (١): أيامه الأخيرة في نيويورك
- ٤١٣ ..... ١٠) غياب جبران (٢): ساعاته الأخيرة كما عاينتها باربره يونغ
- ٤١٥ ..... ١٠) غياب جبران (٣): مأثمه في بوسطن
- ٤٢٠ ..... ١٠) غياب جبران (٤): شاعرٌ يعودُ إلى وطنه
- ٤٣٤ ..... ١١) رفاقه في «الرابطة» ولأه وراثاً
- ٤٤٦ ..... ١٢) «الصومعة»
- ٤٥٣ ..... ١٣) رفيقه يتذكَّر: من حصاد الذكريات
- ٤٦٠ ..... ١٤) «... لاتخذتُ لبنان وطني»: غادرَ وطنه لبنانياً، ولبنانياً عاد إليه
- ٤٦٩ ..... ١٥) ميخائيل نعيمه يقرأ «النبى»
- ٤٧٨ ..... ١٦) عيسى الناعوري: شهادتان ومقارنة
- ٥٠٠ ..... ١٧) كتاب «السنابل»
- ٥٠٦ ..... ١٨) تكريم جبران في ديترويت
- ٥٠٨ ..... ١٩) انكشاف الرسائل وصدمه المرأتين
- ٥١١ ..... ٢٠) ثلاثٌ بخطه غير منشورة
- ٥٢٢ ..... ٢١) مار سركيس: الدير/الضريح/المتحف
- ٥٣٣ ..... ٢٢) ٢٠٢٠: ثلاثٌ مئويات جبرانية
- ٥٣٥ ..... ٢٣) «المجهولة» فرجيننا حلو «كاشفة» رسائل الحب بين جبران وماري هاسكل ...
- ٥٤١ ..... ٢٤) جبران الأعمى بين لعازر وحبيبته
- ٥٥١ ..... فهرس الأسماء

القسم الثالث: وثائق وصور

٥٩٧ ..... وفاء و جبرائوغرافيا

## مدخل إليه وإليها

### بداية

أيُّ داعٍ لترجمتي كتابها بعدَ ما ليس يُحصى من كُتُب بيوغرافية في لغاتٍ كثيرةٍ صدرت ترسم حياة هذا اللبناني الذي بَلَغَ العالمَ حتى بات اسمه، مجردُ اسمه، عنوانًا حضاريًّا آخرَ للبنان؟

في معظم الكتب التي أَعرفها عن جبران، يمر ذكُرها عابرًا هنا أو شاهدًا هناك، وفي الحاليتين استنادًا إلى معلومة عابرة عنه في كتابها «هذا الرجل من لبنان». حتى لدى البحث عن النساء في حياته يردُّ ذكُرها وميضًا كـ«واحدةٍ من تلك اللواتي»، ويذهب الاهتمامُ جُلُّه إلى المَرِيَمات الثلاث: ماري هاسكل (الحب التبادلي)، وماري (مي) زيادة (الحب التراسلي) وماري الخوري (الحب التلاشي)، ويتناثر اهتمام ثانوي على أخريات عَبرنَ حياته، في قصص معظمها منسوجٌ، أو في رسائل يُحدث اكتشافها بعده أيَّما صدى!



بقيتُ على وهجٍ من تلك الحال حتى قرأتُ «هذا الرجل من لبنان»، فعجبتُ أن لم يكن له في كتابات سيرته ما يستحقُّه.

هذه امرأة عاشته في محترفه «الصومعة» ست سنواتٍ متتالية في إيقاع متواصل، لازمته حتى باتت حاجةً له شبه يومية، يُملي عليها فتدوّن، تدوّن ثم تطّبع على ألتها الكاتبة، تطّبع وتُعطيه فيصحّح ويبدّل وينقح قبل أن يُرسل النص إلى الناشر «ألفرد كنوف» ليُصدّره في كتاب. وبقي في حاجةٍ إليها: تُرتّب أوراقه المكدّسة عشوائياً، تجمّع تدويناته السريعة على قصاصات مبعثرة تنسّقها وتسديها إليه فيُطلّقها (كما حصل في مجموعة أقوال «رمل وزبد«)، تسجّل صوته كلماتٍ يبثها وهو يمشي ذارعاً غرفةً المحترف، مراتٍ مرّكزاً وأخرى في شبه غيبوبة انخطافية، مراتٍ هادئاً وأخرى صائحاً، وهي كتومةٌ تدوّن وعند طلبه تُعيد له ما دوّنت من هدوئه أو صياحه (كما حصل أثناء تأليف «يسوع ابن الإنسان«)، وتساعده بتنسيق حِكَمٍ في أقصوصات (كما حصل في «التائه») وتتابع توالي انهمالاته الشعرية (كما عند وضعه «آلهة الأرض«)، وغالبًا ما كانت تدوّن حتى أفكاره وإن لم تكن للكتابة فالنشر.



هذه المُلازمة (أكاد أقول: الحميمة) بلغت بها أن كادت تحصي أنفاسه وترتقب مسبقًا ردود فعله، وأن تعرفَ خصائص طبعه ومزاجه، وسويغاتٍ إبداعه، وفتراتٍ انخطافه، وثنايا طبيعته، وخفايا همومه، وما يُحب من مأكّل، وكيف يمزح، وكيف يَغضب، وكيف يتصرّف أحيانًا في براءةٍ طفولية ساذجة، كما وضع ذات مساءً خطأً وهميًا في قصعة الحساء ليقسمها شطرين، وأحيانًا في أسئلة مفاجئة بيضاء كما سألتها يومًا والهاتف يرن: «أترين أن أُجيب»؟

هكذا، من هيئته أمامها ورهبتها أمامه، رأت فيه متفوقًا أعلى من إنسانٍ عاديٍّ ونبويًا أبعدَ من رجلٍ بشريٍّ، فقاربتُه «هاجيوغرافيًا»: رأت إليه كائنًا ذا هالةٍ رسولية فكتبت عنه لا بـ «بيوغرافيا» السيرة المسطّحة بل بـ «هاجيوغرافيا» القديسين والأنبياء، وهو ما أخذه عليها كُتّابٌ ونُقّادٌ رأوا في «مبالغاتها» نسجًا من خيالها بعيدًا عن حقيقة جبران، ومبالغاتٍ جعلتهم يشكّكون في مصداق ما روت في

الكتاب. الفارق بينها وبين جميع «تلك اللواتي» أن نصّها ثمره ما عاينت لديه مباشرةً فسردته حتى بات مرجعاً مُعاشاً عنه، يضاف توثيقاً إلى ما تكشف لنا من الرسائل بينه وبين ماري هاسكل (٣٢٥ رسالة منه إليها، و٢٩٠ رسالة منها إليه) ومن انطباعاتها عنه في ٤٧ مفكّرة يومية (صفحة الواحدة منها ذاتُ خمسة أسطر) و٢٧ دفترًا سردت فيها ومضاتٍ عن لقاءاتهما (الدائمة في بوسطن والمتقطّعة لاحقًا في نيويورك) ونقلتْ بُدًا من أفكاره في الأدب والفن والفلسفة والدين وتفاصيلٍ أُخرى عن ملابسه وصحته وهمومه الفنية. سوى أن هذه جميعها توقفت عند زواج ماري (الجمعة ٧ أيار ١٩٢٦) وتضاؤل زياراتها إياه في نيويورك وانقطاع متابعتها المباشرة، ما صادف قبيل ذلك دخولَ باربره يونغ إلى حياته واهتمامها به ومتابعتها إياه مباشرةً بإيقاع شبه يومي.



مأخذٌ آخر لفحصها النقاد به: «حديقة النبي». اتهموها - وجبران توفي قبل إتمامه كامل نصوص الكتاب - أنها هي واضعةٌ نصوصًا فيه بأسلوب جبران. لا أناقش في الأمر لكنني أرى أن ملازمتها إياه تلك السنوات الست جعلتها تعيش أسلوبه وشاعريته ونسيج لغته المتفرد الخاص، وتكاد تتماهى به حتى تكون قادرةً على جمع نثار أوراقه وتنسيقها وإصدارها كما لو انه جامعها ومُنسّقها ومُصدِرُها.



شكٌّ آخر يهبُّ عليها من جهة النقاد: «استغلالها» اسم جبران وكتاباتِه ورسومَه لغاية أدبية شخصية، وأكثر: «مادية». وهو شكٌّ يقابله واقِعٌ دامغ: التي أقامت في محترفه، بعد غيابه، معرضًا لأعماله قبل أن تتولّى تدوين جميع محتويات المحترف ووضَعَتْ بُتَّ بها والاهتمامَ المباشر بتوضييبها وشحنها إلى بُشريّ تنفيذًا وصيته وتنسيقًا مع ماري هاسكل كما تمّنى عليها جبران في وصيته، والتي أقامت في مقارٍ أُخرى معارضَ له أُخرى في ولاياتٍ أميركية وفي لندن وباريس، والتي

نظّمت لقاءاتٍ كثيرةً لقراءاتٍ شعريّةٍ ونثريةٍ من كُتبه وكتاباتهِ وسّعت جمهور قارئهِ الأميركيين وعرّفت به مَنْ لم يكونوا عرفوه بعدُ أو عرفوا عنه ولم يقرأوه، والتي اجتازت أمواج الأطلسي إلى لبنان لتحتجّ إلى بُشريّ فتجتو عند ضريحه وتزور معهد «الحكمة» في بيروت، وفي نيّتها البقاء في لبنان سنةً كاملةً نَحَرَ أيامها الأولى اندلاعُ الحرب العالمية الثانية وصدورُ قرار الحكومة الأميركية بمغادرة الأميركيين (غير المقيمين) أرضَ لبنانَ سريعًا، والتي وضعت عنه كتيبًا بعد أشهرٍ من وفاته (١٩٣١) ثم حيّكت، فلذةً فلذةً طيلة ١٤ سنةً، كتابها الثاني عنه (١٩٤٥) بتفاصيلٍ موثقة، لا يمكن التعامل معها بتلك التُّهم ولا بتلك الشكوك.

هذه هي باربره يونغ!



كُلُّ هذا الأعلى تحفّزني من جديد إلى قراءة كتابها بطبعته الإنكليزية (وهي نافذةٌ من زمانٍ حتى في الولايات المتحدة وحتى لدى ناشره كنوف).

اليوم، بسبب هذا الأعلى، وإنصافًا إيّاها وجبران من خلالها، قررتُ وضع صياغةٍ في العربية لهذا الكتاب، رافقتني خلالها مسحةٌ شاعريةٌ في النص وصاحبته شاعرةٌ أميركية مكرّسة، وإطلاقاتٌ شخصيّةٌ جديدةٌ بفضلها على جبران، رجلًا وكتابًا ورسامًا، تفرّدت بها، وأكثر: أخذها عنها كثيرون من واضعي سيرته لأنها لم تردّ في كتب سواها، منهم من أشار إلى كتابها ومنهم من لم يُشر.

ولأن أسلوبها شاعريٌّ أخذُ نَحْتُ ترجمتي بما يحاكي شاعريًّا نصّها الأصلي، فتشدّدتُ في الأمانة التامة لجوهر النص حرفيًّا، وسكبتُ فيه أحيانًا بعضَ شرحٍ (غير مبتعدٍ) للمعنى، إيضاحًا لتركيبيٍّ في الإنكليزية لا تُودّي معناه الحرفيَّ ترجمته الحرفية.

إيضاحًا قلتُ؟ نعم. وأكثر: ليس في كتابها أيُّ هامشٍ أو تعليقٍ في أسفل الصفحة عن اسم أو مكان أو شخص أو حدّث أو تفاصيل قد لا يكون القارئُ

الأميركي في حاجة إليها لأنها في واحة ثقافته، أو هي خارج اهتمامه وهو يقرأ سيرة جبران. لذا، لخدمة قارئ الجديد في العربية، أكثرُ في كل صفحة من إدراج الحواشي والمعلومات، نصوصًا أو صورًا أو وثائق، تقريبًا سياق النص من القارئ، وإيضاحًا - بالكتابة أو الصورة أو الوثيقة أو النقد أو التعليق أو التحليل أو التوضيح - ما يكون قرأ في متن النص.

وزيادة في الإيضاح، أدرجتُ بالحرف اللاتيني ثبّتًا كاملاً بجميع الأسماء الأجنبية، تسهيلًا لفظها وفهمها واستخدامها اللاحق بالتعرّف إليها في لغتها الأم.



في هذا السياق، جعلتُ كتابي هذا من أقسامٍ ثلاثة، فيها:

١. ترجمةٌ حرفيةٌ كتابَ باربره يونغ «هذا الرجل من لبنان».
٢. نقلٌ عن الإنكليزية نصوصًا من باربره يونغ أو أنشطة قامت بها بعد وفاة جبران ولم ترد في كتابها، استقيتها من مجلة «العالم السوري» لسُوم مكرزل.
٣. وثائقٌ وصورٌ جُلّها غير معروف ويصدر في هذا الكتاب للمرة الأولى.



## ختامًا

في مقدّمة كتابي «جبران خليل جبران - شواهدُ الناس والأمكنة» (٢٠١٢) تساءلتُ بعنوانٍ جانبي تكرر عند مطلع كل فقرة: «يلاحقني؟ أم ألاحقه؟» لكثرة ما شغل جبران حياتي الأدبية كتاباتٍ وأبحاثًا وندواتٍ ومؤتمراتٍ عقدتها عنه، بين بيروت وباريس ونيويورك.

وفي نهاية تلك المقدمة كتبتُ: «لعلّي اليوم، بإصداري في هذا الكتاب كتاباتي الكثيرة عنه، أفي تساؤلي إن كنتُ أنا ألاحقه كيفما اتّجهتُ شخصيًا أو كتابيًا؟»



أم هو يلاحقني كلما دار حديثٌ عنه، أو حَلَّت مناسبةٌ، أو انعقد مؤتمرٌ محليٌّ  
أو دُولِيٌّ؟

لكنني، مع إصداري هذا الكتابَ الجديدَ اليوم، أشعر أن لا بُعَادَ عنه، وأن سأظلُّ  
الأحفُوه ويلاحقني طالما لبنانُ جنَّتني الأبديةُ وجبرانُ عنوانُ عالميٍّ لهذه الجنة، هو  
الذي غادر لبنانَ ثلثَ قرنٍ لكنَّ لبنانَ لم يغادرُ عينيه. ظلَّ يحنُّ للعودة كلَّ يوم،  
حتى عاد إليه ذات يومٍ إنما... بدون النور في عينيه.

هنري زغيب



القسم الأوّل

## هذا الرُّجُل من لبنان

ترجمة كاملة لكتاب باربره يونغ

مع تحقيقٍ وهوامشٍ ووثائقٍ  
لأسماء وأماكن ومعلوماتٍ وَرَدَتْ في كتابها

## THE KNOPF DOUBLEDAY GROUP

ALFRED A. KNOPF • ANCHOR • DOUBLEDAY • EVERYMAN'S LIBRARY  
NAN A. TALESE • PANTHEON • SCHOCKEN • VINTAGE • VINTAGE ESPAÑOL

SR Contract #85253

AGREEMENT dated this 6<sup>th</sup> day of July, 2018 by and between THE KNOPF DOUBLEDAY GROUP, a division of Penguin Random House, LLC of 1745 Broadway, New York, New York, 10019, the United States of America ("Proprietor") and LEBANESE AMERICAN UNIVERSITY of P.O. Box 13-5053, Chouran, Beirut 1102 2801, Lebanon ("Publisher").


The parties hereto mutually agree as follows regarding a certain work (the "Work") published by the Proprietor as

**THIS MAN FROM LEBANON**  
by Barbara Young (the "Author")

IN WITNESS WHEREOF, the parties hereto have duly executed this agreement the day and year first above written.

For and on behalf of

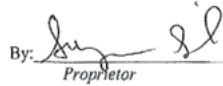
LEBANESE AMERICAN UNIVERSITY

By:   
Publisher

Page 6

For and on behalf of

THE KNOPF DOUBLEDAY GROUP,  
a division of PENGUIN RANDOM HOUSE, LLC

By:   
Proprietor

SRC# 85253

مقدمة وختام العقد بين الجامعة اللبنانية الأميركية (بشخص رئيسها فترتيد الدكتور جوزف جبرا)،  
ومنشورات كنوف في نيويورك.

بعدَ سبعة أشهرٍ على وفاة جبران (الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١)  
صدرت الصيغة الأولى من هذا الكتاب  
بعنوان

**دراسة عن خليل جبران - هذا الرجل من لبنان**

مختصرةً في كُتَيْبٍ من ٤٨ صفحة (تشرين الثاني ١٩٣١)  
على نَفَقَةِ الْمُؤَلِّفَةِ باربره يونغ  
عن «المطبعة السورية الأميركية» (صاحبها سلوم مكرزل)

وبعد زيارتها لبنانَ وأماكنَ جبران سنة ١٩٣٩  
وسَّعَتْ ذاك الكُتَيْبَ إلى هذه الطبعة بين يديك  
وصدر لدى منشورات كنوف Knopf - نيويورك  
طبعةً أولى الإثنين ١٥ كانون الثاني ١٩٤٥  
وتعددت طبعاته متتاليةً مع السنوات

هذه الطبعة العربية  
وهي ترجمةٌ حرفيةٌ للنصِّ الأصليِّ الإنكليزي  
تصدُرُ بمُوجبِ عَقْدٍ خاص (موقع في ٦ تموز ٢٠١٨)  
بين منشورات كنوف في نيويورك، والجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت



مريانا بريشة جبران، وهي واحدة من لوحات عدة رسمها لشقيقته الوحيدة الباقية من أسرته بعد وفاة والدته وأخيه بطرس وشقيقته الصغرى سلطانة. ولمساعدتها، بعدما ساعدته في مطع حياته، خصص لها في وصيته كل تركته المالية بعد وفاته.

## ◆ إلى مريانا جبران

بازيزه (١٩٤٥)

◆ شقيقه جبران الوسطى. وُلِدَتْ فِي بُشْرِي بَعْدَهُ بَسْنَةً وَاحِدَةً (١٨٨٤) وَتَوَفَّيَتْ فِي بوسطن عَنْ ٨٨ سَنَةً (الثلاثاء ٢٨ آذار ١٩٧٢). لَمْ تَتَزَوَّج. كَرَسَتْ حَيَاتَهَا لخدمَةِ جبران والعناية به. نهار الجمعة ١٧ نيسان ١٩٣١، أَيَّ بَعْدَ أُسْبُوعٍ عَلَى وَفَاتِهِ، وافقت مريانا لدى مكتب إدغار سپاير في نيويورك، وبمعرفة محاميه وليام ساكس، على أن تتولى باربره يونغ تدبير شؤون جبران في محترفه، وأن تكون منقّدة وصيِّته الأدبية مخطوطات وكتابات وكتبًا ورسومًا ولوحات.



١ صبغت باربره يونغ جميع مفاصل كتابها هذا، بمسحة من الـ «هاجيوغرافيا»، وهي كتابه سيرة قديس أو مقاربه أعماله. وباتت مع العصور تعني أي كتابه تتناول علمًا بشريًا يرفعه كاتبها إلى هالة عليا من التقديس والتعظيم والتسامي والرفعة، فيصبح أعلى من مستوى البشر وأقرب إلى مستوى القداسة، حتى لتصبح هذه السيرة نوعًا من الـ «هاجيوغرافيا» أكثر منها مجرد «بيوغرافيا»، فينكز عليها مضمونها الغنائي، ولو صادقًا، من يجدون في مبالغاتها التبجيلية ابتعادًا عن الواقع (تفاصيل أوضح عن الـ «هاجيوغرافيا»، وعلاقة باربره يونغ باعتمادها، في فصل خاص من القسم الثاني، ص ٢٩٩ من هذا الكتاب).

## استهلال

على سطح هذا الكوكبِ عِرْقٌ من العابرين الغُرباء، يُقيمون بيننا فترةً ويدعوننا خلالها إخوةً.

لكننا نكتشف أنهم من طينة الوهية<sup>١</sup> أرفع منا بشرياً، حتى أننا - حين نتلقى كلامهم ونفهمه، ونقابل أصواتهم الواثقة بأصواتنا المترعشة المترددة - نرى كم أن تلقينا إياهم ضئيلٌ محدودٌ حيال عطائهم اللامحدود.

لذا علينا، حين نكتب عنهم، أن نغط ريشتنا بالنور لا بالجبر، وأن ننسج كلماتنا بخيوط الحقيقة العارية لا بأنسجة السرد المسطح. والأفضل بعد: أن نجلس خاشعين عند قدمي التذكار، فلا نكتب إلا حين تمسنا أعجوبة قوتهم وحكمتهم، فنضرم النور في أشعة قلبنا الساكنة، حتى تكون كتابتنا عنهم توهجاً يضيء عمّة ليلنا الغامرة.

ب.ي.





من رسوم جبران

١ في كامل هذا النص العربي سأُقي على تسمية «خليل جبران»، الاسم الأميركي الرسمي الذي اعتمده هو في جميع كتاباته بالإنكليزية رسائل ونُصوصًا ومؤلفات.

## قصة هذا الكتاب... كيف؟ لماذا؟

ليست رغبتني أن أكتب مُجرّد نصٍّ، ولو رائعٍ، كسيرة خليل جبران<sup>١</sup>.  
رغبتني أن أكتبَ، بكل بساطة وعفوية، عن جبران الذي عرفته: الرجل بين  
أصدقائه، المُنكَّب في محترفه على العمل المتواصل بالقلم والريشة، الدُّووب بلا  
كلل، الحاضر للضحكة وحتى للغناء أحياناً، السريع الاستيعاب والمقدّر السريع نصّاً  
جيداً من صديقٍ دُووبٍ مثله، المتنبّه الصائب لمن لا يضع «الكلمة المناسبة في  
حيثما لا يصحُّ إلّاها».

الكتابة عنه بهذا الوضوح الشفاف، ليست مجرد استعادة أفقية أحداثاً ومناسباتٍ  
من حياته وإنجازاته، ووضّعها في تسلسل زمنيّ سرديّ. لا الوقائع، ولا تنسيقها، ولا  
روايته أحداثٍ واختباراتٍ، يمكن أن تعطي صورة صادقة عن حقيقة جبران. إنه من  
تلك الإشارات النادرة لقوّة جبارة لا اسم لها. كانت لصوته ولشخصه سلطة لا تقارن  
بما لأيّ بشريّ آخر. لم يكن كُليّاً من كائنات هذا العالم. المعطيات والنظم التي  
تسود بين الناس العاديين لا تصحُّ قطّ على العباقرة. كانت أمُّ جبران تقول عنه في  
صباه: «ابني خارج أيّ تحليلٍ منطقيّ». لا أصدّق من هذه العبارة تختصره. كانت  
أمه، بحُدسها الأمومي ونفسها الفطري، تعرف أنّ لابنها دماغاً لن يكتشفه إلّا مَنْ له  
عمق التعرف لا مجرد المعرفة.

The Rev. Dr. William Norman Guthrie, rector of St. Mark's-in-the-Bouwerie, will preach tomorrow morning on "Shall We Rebuild the Temple on the Third Day?" In the afternoon the memorial presentation of Kahlil Gibran's "Prophet" will be given its fifth annual presentation.

إعلان في الصحافة عن قراءة القس وليام غُثري (بعد الظهر) مقاطع من كتاب «النبى» للسنة الخامسة على التوالي. وهذا يناقض قول ميخائيل نعيمة إن غُثري قرأ من «النبى» مرة واحدة، بحضور جبران، وانقضى الأمر.

٢ عرِفَتْ عنه سنة ١٩٢٣، تعرِفَتْ إليه في محترفه سنة ١٩٢٤، وعرِفَتْهُ منذئذٍ ملازمةً إِيَّاهُ باستمرار حتى اصطحابها إِيَّاهُ إلى المستشفى فانطفأَتْ أَمَامَهَا على سرير الغيبوبة الأخيرة ليلة الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١.



٣ Saint Mark's In-the-Bowery ثاني أقدم كنيسة أسقفية پروتستانتية في مانهاتن، اشتهرت بأنشطتها العلمانية الدينية كذلك. كان قسيسها وليم غُثري يدعو إليها الأميركيين والهنود والبوذيين والبهائيين يقدمون فيها عُرُوضًا ثقافيةً وفنيةً متنوعة، سعيًا منه إلى الإكثار من تقاطر المؤمنين إليها. سنة ١٩١٩ انتُخب جبران عضوًا في لجنتها الثقافية، فكانت تُقرأ فيها، بإيقاع سنوي، مقاطع من كتاباته بالإنكليزية. إذًا قبل سنواتٍ على تلك القراءة الأولى مساءً من «النبى»، كان جبران معتادًا على قراءة نُصوصه في هذه الكنيسة.

٤ Butler Davenport كاتب وممثل مسرحي (١٨٧١-١٩٥٨) أسَّس مسرحًا باسمه في نيويورك سنة ١٩٢٣ وأداره حتى إقفاله سنة ١٩٤٠.

أحيانًا - بعد لحظاتٍ مطَّاطةٍ من الانهماكِ بفكرةٍ هناك، بعيدةٍ حتمًا عن مكاننا وزماننا - كان جبران يبادرُني:

- أعذُرني. معظمُ الوقتِ لستُ في الـ «هنا».

ومن أَمْضى معه، مثلي، ساعاتٍ طويلةً في جلسةٍ واحدة، يومًا بعد يوم، يغدو معتادًا على «غيبوباته» تلك. وأكثر: يعرفها ويحترمها لديه.

خلال فترات الصمت المتكررة تلك، حين كانت تنهمل عليه، كان للجلوس في حضرتَه فيضٌ من سُمُوِّ الروح: يروح جوُّ الغرفة كُلُّه يتعالى، يتسامى، يَمَسُّ هواءَها مناخٌ غيرُ أرضيٍّ، حتى لَيَجِبَسُ الجالسُ نَفْسَهُ خوفَ خَدَشِهِ هالةَ المعبد، وحتى لتُصبحَ جهدًا مُضنيًا عودته إلى الواقعِ الأرضيِّ.

طيلة سنواتٍ سبعٍ مع جبران، وحتى لحظة انطفائه<sup>٢</sup>، كانت لي الفرحةُ والنعمةُ معًا أن أعرفه شاعرًا ورسامًا، وصديقًا حبيبًا غالبًا.

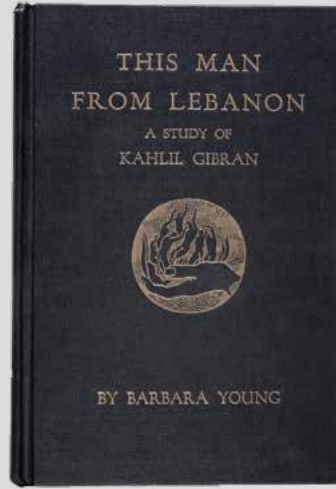
سنواتٌ سبعٌ هي، من الصداقة والعمل كنا خلالها، كما كان هو يقول: «شاعرينَ يعمَلان معًا بِاسْمِ الجمال».

كان جبران يُؤمن عميقًا أن ليس في هذه الحياة الأرضية ما هو صغيرٌ أو مصادفة. كان يسميه «استمرار الحياة»، قاصدًا بذلك هذه الحياة الحالية وجميعَ مراحل الوجودِ الحاضنةِ النفسِ البشرية في الآن كما في الما بعد. كان يرى إلى كل ذلك «قالب» قدَرٍ حتميٍّ لا قدَرَ خارجَه.

من ذاك «القالب» أن لم يَكُنْ مصادفةً وُجودي ذاتَ غروبٍ من خريف ١٩٢٣ جالسةً في كنيسة سانت مارك إن دُ باوري<sup>٣</sup>، في مدينة نيويورك، أُصغي إلى باتلر دافنپورت<sup>٤</sup> يتلو فُصُولًا من كتاب «النبى» في قراءةٍ علنيةٍ كانت تحدث يومها للمرة الأولى.

وما إلاً طويلًا بعدذاك حتى علمتُ بأنَّ مؤلَّف هذا الكتاب المذهل كان جالسًا كذلك في الكنيسة غُروبِيذ<sup>٥</sup>، يصغي إلى كلماته تتناثر على قلوب المئات من المُصغين الصامتين خُشوعًا.

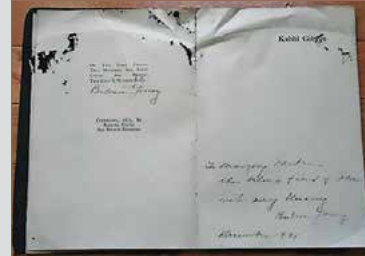
غلافُ هذا الكتاب الأصلي في طبعته الأولى (نيويورك - ١٩٤٥)، وهو ذو غلاف أسود كما صدرت جميع كتب جبران بالغلاف الأسود لدى منشور كُتُوف.



الغلاف الخارجي للطبعة الأولى والوحيدة من من الكُتُيب الأول (تشرين الثاني ١٩٣١)، بعد ٧ أشهر على وفاة جبران. وهي طبعة خاصة على نفقة باربره يونغ، صدرت عن المطبعة السورية الأميركية - صاحبها سلوم مكرزل، مؤسس ورئيس تحرير مجلة «العالم السوري» التي كانت تنشرُ مقطوعات لجبران، وأصبحت باربره يونغ المسؤولة عن الصفحة الشعرية فيها.



الغلاف الداخلي من الكُتُيب



صفحتان داخليتان من هذا الكُتُيب، مع إهداء بخط المؤلفة باربره يونغ (كانون الأول ١٩٣١، أي بُعِدَ صدوره).

٥ كان محترف جبران في الطبقة العليا من المبنى ٥١ في ذاك الشارع العاشر غربًا.

٦ كُتُب جبران لدى منشورات كُتُوف كانت تَصُدُرُ دائِمًا بِحِجْمٍ صَغِيرٍ وَغِلَافٍ أَسْوَد.

كُلُّ ما علمتُهُ في تلك الجلسة، أنني سمعتُ حقيقةً جوهريَّةً ساطعةً تهلُّ عليَّ  
بجمالٍ وسَطوَّةٍ لم أعرفهما أو أقرأ عنهما قبل تلك الأُمسية التي، غداً، كان ضروريًّا  
أن أقتني نسخةً من الكتاب وأن أشاطر بها أصدقاء لي، أصدقاء كثيرين. وكان  
ضروريًّا كذلك، بعد حين، أن أكتب إلى مؤلِّفه الشاعر أُعبر له، ولو بتواضع، عن أيِّ  
مدى عميقٍ رفيعٍ وسيعٍ أضاف «نبيُّه» إلى وعيي. وما هي حتى أشرقت عليَّ دعوتُهُ  
النبيلة أن أزور محترفه «للحديث في الشعر»، وللاطلاع على لوحاته.

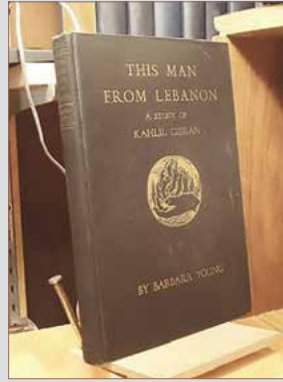
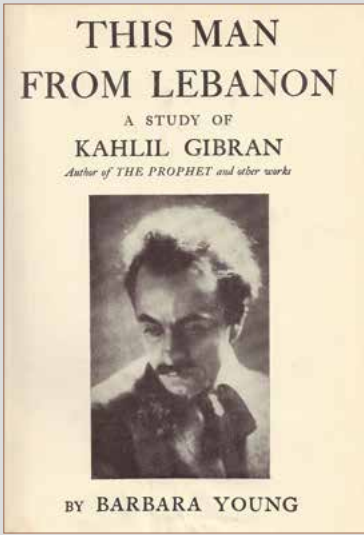
هرعتُ إلى ذاك المبنى القديم<sup>٥</sup> في الشارع العاشر غربًا، قافزةً درجاته اللولبية،  
لألقاه هناك، باسمًا، مُرحبًا بي كما لو اننا على صداقةٍ أليفةٍ قديمةٍ سرعان ما ثبتَّ  
لنا بُعْدِيذٌ أننا فعلاً كنا صديقين قديمين.

في السائد عادةً أن أيَّ تقديرٍ روحٍ فنانٍ وجوهرٍ نتاجه يكونُ في مقارنة  
أعماله بحياديَّةٍ موضوعيَّةٍ لا ذاتيَّة. غير أن هذه الـ«عادة» لا تشكُّل الحقيقة.  
مستحيلٌ عليَّ أن أقاربَ شعر جبران ورسمه بنظرةٍ حياديَّةٍ كُليًّا. أقصى ما أمكنني،  
عبر السنوات، أن أنفصل عن علاقتي الشخصية به كي أتبيِّن بُوعه، عن بعض بُعدٍ،  
فأفهم نسيجَ عبقريته الفريدة وأؤمنَ بها من معرفتي الوثقى ذاته العميقة كما  
خبرتها عن قُرب.

ولأنِّي عرفتُ نتاجه قبل أن أعرفَ شخصه، أتيتُهُ من خلال شعره، ولم آتِ الشعر  
من خلاله. موقفي منه إذاً سابقٌ لِقائيه، ولم يتغيَّر بعده، ساعدني على ذلك موقفه:  
كان يعرف أن هدفي هو الكتابة عنه، ويودُّ ألا تأتي كتابتي تحت تأثير الصداقة.  
وبرغم الاختلاف بيننا في الرؤيَّة والتفكير، وإمكان أن يقول أحدنا للآخر: «لا تكنب  
هذا السطر ولو على جثتي»، كان يرى أن صدقيتي ككاتبة لن تسمح لأيِّ عاطفةٍ،  
مهما دَفِنَتْ، أن تقللَ من تقدير عمله العظيم.

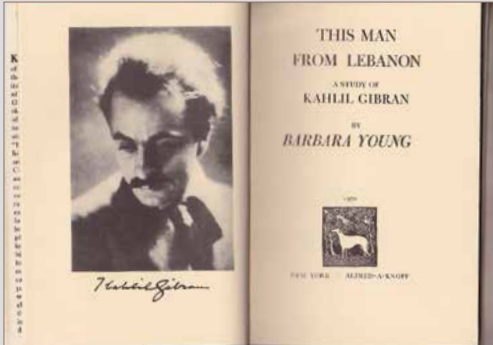
طيلة سنواتي معه، كلما استعددتُ للذهاب إلى مدينةٍ أقرأ فيها من «الكتب  
الصغيرة السوداء»<sup>٦</sup> أو أتحدَّث عن مؤلِّفها، كان ينبهني:

- حين تقفين أمام الحضور، إنسي أنكِ صديقتي.



طبقات لاحقة مختلفة  
من هذا الكتاب لدى كنوف،  
بغلاف ورقي أو كرتون مقوى.

الغلاف الأخير من طبقات كنوف المتتالية:  
فوق الصورة عبارة من الناقد كلود براغدون عن جبران  
تحت الصورة نبذة تعريفية مختصرة عنه.



الصفحتان الداخليتان الأوليان  
من طبقات كنوف المتتالية:  
على الصفحة اليسرى دائماً صورة جبران ذاتها  
وفي أسفل اليمين شعار منشورات كنوف،  
وهو من تصميم جبران ورسمه.

كانت باربره تؤمن، مثل جبران، بعقيدة التناسخ وبأنَّ الإنسان يتقمَّص فينتقل من دورة حياةٍ إلى أخرى.

الصفحة ١٤ من ذلك الكتيِّب الصادر سنة ١٩٣١.

كانت تكتب هذه المقدِّمة سنة ١٩٤٤، وصدر كتابها لدى كنوف سنة ١٩٤٥ في نيويورك.

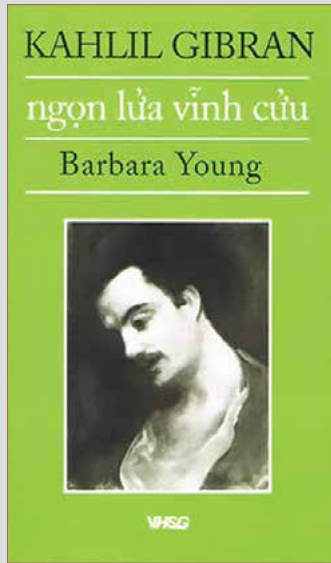
هذا التنبيه راح يعينني تدريجيًا لا على «نسيان» صداقتنا بل على الانفصال عنها والتحدُّث عنه كما قبل لقائنا. ذلك أنَّ داخلَ أغلفة كُتبه كلمات ذاتِ قوَّةٍ وسطوَّةٍ تطغيان دائمًا على كل شعورٍ آخَرَ، وكذا لا تزالان.

سنة ١٩٣١، بعد بضعة أشهر من اختتام جبران دورته في هذه الحياة<sup>٧</sup>، وضعتُ كتيبًا ضئيلًا عن هذا الرجل من لبنان، تلبيةً لأسئلةٍ مئاتٍ: «أين يمكننا أن نقرأ معلوماتٍ عنه؟»، فلم تكن صدّرت بعدُ عنه بالإنكليزية سوى بضع مقالات موجزة. ذاك الكتيب كنتُ وضعتُهُ في حالةٍ حزنٍ موجعةٍ، وانهماكٍ متواصلٍ في جمعٍ دقيقٍ موادٍّ وأغراضًا تركها جبران في المحترف الذي سكّنه ثمانية عشرَ عامًا. كثيرةٌ كانت تلك الموادُّ وغاليةٌ على قلبه وعلى قلوب أصدقائه الكثيرين. وغرباءَ كانوا طيلة السنوات يزورونه فلا يعودون غرباء. كان عليّ أن أجمعها وأرسلها، بناءً على رغبته، إلى بلدته بُشريّ في لبنان.

مئاتُ من الرسوم واللوحات في المحترف، نصفها على الأقلِّ لم أكن رأيتها. كانت مكدّسةً على رفِّ عالٍ، صفًّا فوق صفٍّ، مهملةً يتاكلها الغبارُ والإهمال. ونشطتُ أيدي شابةٍ جاءت تساعدني في الجمع والحزم: لبنانيون وأميريكيون مُخلصون تطوّعوا بدافع الفرح والحزن معًا، شاعرين بخصيصةٍ هذا العمل حتى أعانوني على إتمامه. في ذاك الكتيب الصغير كنتُ كتبتُ: «ما زلنا قرييين جدًّا من جبران مكانًا وزمانًا حتى نكتب سيرة حياته، وما زالت الأرض تستشعر سحر حضوره حين تفتح أبوابها، وما زال صدى صوته يترجّع في أذنيها»<sup>٨</sup>.

بعد ١٣ سنة على كلماتي تلك<sup>٩</sup>، أراني لا أُغيّر فيها كلمةً واحدة. بل أوكدُ أن «سحر حضوره» خَفَّ، ولا «صدى صوته» خَفَّت في أسمع المنصتين. وما زالت تتناهى من أربع جهات الأرض عباراتُ: «جبران ما زال حيًّا بيننا أكثرَ من قبل»، «في هذه الأيام الشاحبة ما زالت كلماته تقوي قلبي كلما اضطرب من حزن»، «كتابه حدّي على منضدة السرير، لا أدلف إلى النوم قبل أن أقرأ منه ما أحمله معي إلى عتمة الليل الرهيبة».





لاقي كتاب باربره يونغ «هذا الرجل  
من لبنان» رواجًا واسعًا لدى صُدوره  
بالإنكليزية، فتلقَّفتهُ ترجمات عدة  
إلى لُغاتٍ أُخرى.

لكل ذلك ولجميع هؤلاء، كان هذا الكتاب الآن بين يديك: ليس سيرة جبران ولا تسلسل أحداث. قال لي يوماً:

- أن أسرد لك ماذا أنجزتُ، لا يعني أنني قلتُ لك من أنا.

لذا ليس كتابي الجديدُ هذا بحثاً في نسبٍ ولا في شجرة عائلة. إنه قصة بسيطة عن رجلٍ عظيمٍ كما عرفته طيلة سنواتٍ سبعٍ سبقت غيابه، كانت خلالها لحظاتٌ وعيه ونتاجه في أرقى عطائها، رجلٍ عظيمٍ كان بسيطاً في ذوقه ورغباته بساطة الأرض ذاتها، رجلٍ كان، وهو في بيته، يسكن العالم الأعلى لا بيته على هذا الكوكب، رجلٍ كان يشتعل بلهب الشغف المضي في حياةٍ إلهيةٍ ظلت تطوق أحزمة جسده حتى قصفتها.

لا حدٌ لما كان يودُ عطاءه في عالم الرسم والأدب، عربياً وإنكليزياً. لكن تلك العطاءات لم تكن القمة التي كان جبران ارتقاها. قمته الرائعة، والأبقى على الزمان، ليست بقلمه على الورقة ولا بريشته على القماش، بل في روحه الخالدة الأسمى من روح الجنس البشري.

كلماته إذ يتكلم، حكمته إذ ينصح، فضاء إيمانه المطلق بالرب الواحد إله جميع البشر، حبه المطلق الشغوف المتفهم جميع الناس أبناء الخالق الأوحده، تلك عطاءته آلاف الناس كي يهتدوا إلى كنوز حياتهم ويورثوها أولادهم وأحفادهم. لو انه لم يكتب قصيدةً ولا رسمَ لوحةً، وحده اسمه على صفحة القدر الأبدي كافٍ فلا يمحوه الزمن.

قوة شعوره الشخصي أوسع من الشعور بالعمر، وروحه المقيمة في الزمان لا زمنٌ يحدُّها ولا يطفئها غياب.

هذا هو جبران.

ب.ي.

مدينة شازن، ولاية كونيتيكت

نيسان ١٩٤٤



في إحدى يوميات ماري هاسكل كلام عن نشأتها.  
 هنا صورة لها (الدائرة حول وجهها) في صباحها مع أسرتها (مدينة كولومبيا -  
 ولاية كارولينا الجنوبية) قبل أن تغادرها إلى بوسطن حيث التقت لاحقاً بجران  
 وكان بينهما ما كان. (الصورة غير منشورة سابقاً، وهي هدية خاصة من إليزابيث  
 ديفيس (نسبية ماري هاسكل) إلى هنري زغيب.

١ هذه «التسمية» ستكرّرها باربره يونغ مراراً في متن الكتاب، كأنما تُردِّدها بإيمان وتقوى.  
 لعلها تأثراً أخذتها عن «رجل من لبنان»، عنوان الفصل الأخير في كتاب «يسوع ابن  
 الإنسان» الذي أمضت ساعات طويلة متتالية في محترف جران يمليه عليها وهي تدونه  
 ثم تعتمد إلى طبعه فصولاً على ألتها الكاتبة كي تعيدها إليه ينقح ويعدّل، قبل إرساله  
 إلى الناشر كنوف.

٢ هذا الشغف رافقه دائماً حتى عَنَوَنَ آخر كتبه العربية: «العواصف»، ووَردَت العاصفة  
 في أكثر من سياق بين كتاباته. وفي دفتر يوميات ماري هاسكل (السبت ١٤ كانون الثاني  
 ١٩٢٢) تذكر أن قال لها يوماً: «أول لحظة كبرى أذكرها من طفولتي: كنت في الثالثة يوم  
 هبت على بُشري عاصفة مجنونة، فمزقت ثيابي وخرجت عارياً أتلقاها. وكررت ذلك  
 مراراً بعدها، ومن تلك الطفولة بدأ تعلقي بالعواصف وانتظاري إيها». وفي رسالة إلى  
 مي زيادة (الأربعاء ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٠) كتبت: «أحبُّ عواصف الثلج محبتي كل أنواع  
 العواصف. وسأخرج في هذه الدقيقة وأمشي تحت هذه العاصفة البيضاء».

٣ لوضع هذا الكتاب (بدأت تكتبه في آذار ١٩٤٤) انعزكت باربره يونغ في «شارن» (ولاية  
 كونيتيكت)، وهي قرية صغيرة من نحو ١٥٠ كلم<sup>٢</sup>، معظم مساحتها من المياه.

٤ ١٩٣١-١٩٤٤: انطفاؤه في مستشفى سانت فنسنت - نيويورك.

٥ ١٨٨٣-١٩٤٤: ولادته في بُشري - لبنان.

## بركانًا صغيرًا كُنْتُ

في الخارج عاصفةً تتقصفُ هائلةً من الفضاء: على الأرض يتدحرج مهيبًا طوفانٌ عظيم، الأشجارُ في دُوارٍ من جنون الريح، وأنا في غرفتي أكتبُ هذه الكلمات عن خليل جبران، هذا الرجل من لبنان<sup>١</sup>. كأنَّ ما يعصف في الخارج حولي فألٌ خير لهذا الكتاب، فمنذ طفولة جبران كان لديه شغفٌ بالعواصف<sup>٢</sup>. وكَم قال لي أنَّ كَلِّما هبَّت عاصفة، كان فيه ما يتفلَّت، يتحرَّر، ينطلق بكُلِّ عظمة.

هذا النهارُ الجامح من آذار، في هذه القرية الصغيرة النائية<sup>٣</sup>، مناسبٌ جدًّا هذه السيرة التي أنا إليها.

نحن في سنة ١٩٤٤، أي بعد ١٣ سنة<sup>٤</sup> على مغادرة جبران عواصف هذا العالم الذي أَحَبَّه، وبعد ٦١ سنة<sup>٥</sup> على وُصُوله إليه من باب الولادة. في مقياس الزمن الأرضي قصيرة كانت حياته. لكنه لم يَعِشْها ولا كان يفكِّر بمقياس الزمن الأرضي. كانت على شفَّتيه دائمًا عبارة: «لنا الخلود»، لا اتفاقًا يردُّدها بل إيمانًا وجَّه حياته كَلِّها. كان يقول: «الروح أَوْسَعُ من المكان، أقوى من الزمان، أعمقُ من البحر، أرفعُ من النجوم». طوال حياته كان منشغلًا بالأعماق التي يعرف أن روح الإنسان قادرةٌ على الغوص إليها، وبالقمم المقدر للإنسان أن يرتقيها.

ذات يومٍ كتب: «الخطيئةُ ليست موجودةً إلَّا كما نحن خلقناها. لذا علينا نحن أن ندمرَ شرَّها. إذا اخترنا أن نخلق شيطان الشرِّ، سيبقى موجودًا حتى ندمرَه.

**BORZO**  
BOOKS

*Are you getting your share of this business?*

## THE PROPHET

BY **KHLIL GIBRAN**

has sold, since its publication almost two years ago  
exactly as follows:

1923		1924	
September	282	July	222
October	238	August	129
November	198	September	115
December	441	October	192
		November	287
		December	427
1924			
January	220		
February	158	1925	
March	143	January	318
April	158	February	335
May	180	March	352
June	224	April (to 15th)	130

**KHLIL GIBRAN'S BOOKS**

<b>THE PROPHET</b> \$2.00	<b>THE FORERUNNER</b> \$2.00
<b>THE MADMAN</b> \$1.75	<b>TWENTY DRAWINGS</b> <i>new and cheaper edition \$2.50</i>

are all in steady demand. Gibran makes a unique  
and lasting appeal.

His books are good merchandise whatever the season.  
They belong to the hardy perennial class. You can-  
not afford not to keep them in stock.

**ALFRED A. KNOPF, 730 Fifth Avenue, New York**

In Canada from The Macmillan Co. of Canada, Limited, St. Martin's House, Toronto.

بيان إعلانيّ من منشورات كنوف (سنة ١٩٢٥) يُظهر تتالي طبعات كتاب «النبى» (منذ صدوره في أيلول ١٩٢٣) وعدد النسخ المباعة خلال سنتين من كل طبعة، والإعلان عن ثلاثة كتبٍ أخرى له (مع ثمنها) صادرة كذلك لدى كنوف: «السابق»، «المجنون»، «٢٠ رسماً».

٦ تستعير باربره يونغ هنا هذا التشبيه من طبيعة العلاقة بين فُردريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) وريتشارد فاغنر (١٨١٣-١٨٨٣= سنة ولادة جبران)، وهي كانت نظرة إعجابٍ متسامٍ من الفيلسوف أمام المؤلف الموسيقي العبقري، ظهرت في كتاب «هُودَا الرَّجُل» (سيرة نيتشه الذاتية). أُنجَزها سنة ١٨٨٨ قبل دخوله في الاختلال العقلي، ولم يظهر الكتاب إلّا سنة ١٩٠٨، أي بعد ٨ سنوات على وفاته، وفيه عبارته الشهيرة «أحبُّ فاغنر»، إنَّ حضوره أمسيته الموسيقية في مدينة بايروت الألمانية (بافاريا - أيار ١٨٧٣) وانطلاقٍ مراسلةٍ بينهما ظهرت فيها نظرة نيتشه الإعجابية إلى فاغنر، هي التي استعارتها باربره يونغ فشبهت بها نظرة الغرب إلى جبران.

أما الخير فلا نخلقه نحن لأنه موجودٌ أصلاً في نَفْسِ الكون، وخيارنا أن نتنَفَّسه فنعيّش به ومعه».

هذا هو جبران.

الغربُ يعرفه شاعراً ورسّاماً ومؤلِّف «النبى»: «الكتيّبِ الأسود» الذي قال هو عنه: «فيما كنتُ أكتبُه كان النبيُّ يكتبني».

والغربُ يعرفه رجلاً ذا رؤيا روحيةٍ واسعةٍ وأحلامٍ بعيدة، رجلاً لطيفاً، مُحبّاً ومحبوباً، موهوباً بحسِّ فريدٍ للمرح، وبعطاءٍ سماويٍّ للصدقة.

وفي الغربِ قلائلُ يرون إليه ما كان نيتشه يرى أن فاغنر: «يُحقِّق جميع رغباتنا. إنه روحٌ غنيّةٌ عظيمةٌ عليا، ذو طاقةٍ حيويةٍ كبرى، ومرحٍ نادر، مستحقُّ كلِّ الحب، متوهِّجٌ بالحكمة. لا يعرفه أحدٌ في العالم، ولا يمكن أن يحكّم عليه أحد، لأن مبادئه مغايرةٌ بناءً أسس العالم، ولذا بقيَ ضائعاً في متاهات الدنيا. إنه مؤمنٌ بمثاليةٍ مطلقةٍ وإنسانيةٍ عظمى، حتى أنني في حضرتِه أحسني في حضرةِ إلهيةٍ»<sup>٦</sup>.

أما في الشرق فيعرفون جبران الآخر، أو معظمه. يعرفون الرجل الذي كان فولاداً من مخمل، سيفاً من حرير، الذي كتبه الجريءُ «الأرواح المتمردة» أغضب الكنيسة، وأثار الأمبراطورية العثمانية، والذي - في حياته القصيرة - تمكّن من ابتداع أسلوبٍ مغايرٍ أسس به مدرسةً أدبيةً جديدةً في الأدب العربي، وكان لسنواتٍ لاحقةٍ مثالَ شعراء عربٍ شبابٍ سيرون إليه معلماً وأباهم الروحي.

على الصفحة الأولى من كتابِ قصائد بالعربية، نحيلُ وجدتهُ على طاولته صباح يومٍ في أواخر حياته، قرأتُ هذا الإهداء:

إلى قيامة الشعر الخالد  
إلى الشعلة الروحية التي أيقظت روح الشرق  
إلى جبران خليل جبران، معلمنا  
أهدي كتابي هذا  
وهو صدّي لصدّي صوته.

وفي الشرق من رآوا إلى جبران عقلاً نبيّاً، لا حدودَ لوساعته وعمقه، مُفكراً بلغ مع السنوات ثقافةً معرفيةً شاملة، ومبدعاً تمكّن ذات يوم، للدعابة التسلوية، من أن



من رُسوم جبران



لم أجد مرجعاً عن جبران ذكر هذا الأمر موثقاً، سوى أن تكون باربره يونغ نقلت الحادثة بأمانة عن جبران. ولعل تلك النسخة من الكتاب بلغت أمه كاملة من منشورات إرسالية كرمليّة إيطالية كانت عهدذاك تسكن دير مار سركيس في بُشْرِي.

يُملي في وقتٍ واحدٍ على ثلاثٍ مساعداتٍ، في ثلاثٍ لغاتٍ معًا، ثلاثةَ مواضيعٍ مختلفة، ورجلاً اغتذى من ينابيع أرضه الأم في لبنان الذي كان دومًا يحلم له بمستقبلٍ زاهر، ويخطِّط له في صمته أنظمةَ تحريجٍ وزراعةٍ وحلولًا لصعوباته الاقتصادية والسياسية. وفي ذلك كان يقول: «أكثر ما يحتاجه لبنان: غنيٌّ بنحو خمسة ملايين دولار، وربما أكثر، يعمل بضميره لنموِّ لبنان وتطويره، ولتحقيق ذاته الوطنية».

الأقلُّ شهرةً في العالم، شرقه والغرب، هو جبران الرسام الذي ترك إرثًا رائعًا لا يحلم به سوى بضع مئاتٍ على هذا الكوكب. وفي كتبه الإنكليزية العشرة رسومٌ معبرةٌ وساطعة، هي لمَحُّ جواهرٍ من ميراثه العظيم.

لم يكن يحتاج لتدوين فكرةٍ سوى قصاصةٍ من ورق، وسوى قِرميةٍ من قلم رصاص وبضع لمساتٍ خفيفةٍ وثقَى يغمسها في جوهر الجمال فيُبدع على الورق إبداعه بريشته وألوانه على قطعةٍ من قماش.

وأرى، دون الخشية من تناقضٍ أو مبالغة، أنَّ جبران، حين يصدر حُكم السنين عليه، سيكون في اللأدنى من مرتبةٍ واحدةٍ مع أسياد هذا الفن التشكيلي، بفضل عطيةٍ إلهيةٍ لا نجد تسميةً لها. حين كانت يراعته تَمَسُّ الورقةَ أو ريشته القماشية، تكتسي هاتان قوةً حيويةً نابضةً تنقلهما من مَوَاتِهِما إلى حياةٍ دائمة.

كان يُسأل مراتٍ عن أيِّ يعتبره إبداعه الأحب: شعره أم رسمه، فكان يبتسم عميقًا، حتى أنه يومًا أجاب والدَ توأمين: «أيُّ ولديك تُحسُّه الأقرب إلى قلبك؟».

كلتا الموهبتين حملها منذ طفولته:

كان في الرابعة حين شقَّ يومًا حُفرةً في حديقة البيت، زرع فيها نثارَ ورقةٍ ممزقةٍ أملًا أن تُكوِّن جُذورًا تنمو جُذوعًا فأشجارًا عاليةً يقطف منها أوراقًا بيضا يكتب عليها ويرسم.

وكان في السادسة حين أهدته أمُّه يومًا كتابَ صُورٍ لداقتشي، ما إن قلبَ منه بضعَ صفحاتٍ حتى انفجر في نوبةٍ بكاءٍ وخرج راكضًا من الغرفة كي يبتعدَ وحيدًا. ومنذئذٍ شُغِفَ بليوناردو حتى أنه، حين وبَّخه يومًا والدُه على ذنبٍ اقترفه، صاح في وجه أبيه: «وما شأنك بي؟ أنا إيطالي».<sup>٧</sup>





من رسوم جبران

٨ غريبٌ أَنْ لا مرجع يَذْكُر وجودَ مربيَّةٍ تعيُنُ كاملةً رحمةً على تربية أولادها. ولعلَّ هذه من «شطحات» جبران، مُدرِّكًا أَنَّ باربره ستكتُفُّ سيرته، فكان يخبرها ما يريدُ هو أَنْ تذكُر عن طفولته في تلك السنوات المبكرة.

٩ أوردت يونغ هنا كلمة «نيسان» بلفظها العربي Nisan لا بمرادفها الإنكليزية April، تشبُّهًا باستعمال جبران إيَّاهَا. ففي الكتابة الأولى للصفحة الأولى من مطلع «النبى» كان جبران كتَب: «... وفي السنة الثانية عشرة، في اليوم السابع من نيسان، شهر التجدد...» [وكتَبها بلفظها العربي Nisan]، ثم شطَب العبارة وكتَب: «... وفي اليوم السابع من أيلول، شهر الحصاد» [وكتَبها بلفظها العربي Ielool، لا بمرادفها الإنكليزية September].

١٠ هنا أيضًا أوردت يونغ كلمة «تموز» بلفظها العربي Tammuz للإشارة باللفظ الأصلي إلى تموز إله الخصوبة عند البابليين، وهو عند الفينيقيين الـ«أدون» الذي صرعه الخنزير البرِّي فتخضَّب بدمه مياهُ النهر ونبتت حمراء الشقائق منذئذٍ. وهذه حتمًا من مرويات جبران لباربره عن أساطير بلاده.

وكان يتساءل أمامي أحياناً: «لا أفهم كيف كانا احتملانني. وحدها أُمِّي، دون سائر الناس، كانت تفهم ذاك الولد الغريب. بركاناً صغيراً كنتُ، وزلزلاً فتياً».

أخبرني يوماً عن مطرٍ عاصفٍ راح ينهمر ذات صباح وسمعه يناديه، باسمه يناديه، فخلع ثيابه، حتى الداخلية، وخرج عارياً يلبي نداء المطر، إلى أن لحقت به أُمُّه ومربيته<sup>١</sup>، لاهتتين، وأعادتاها وهو يُعانَد ويرفض الدُخول إلى البيت.

قصائده الأولى لم تكن من كلماتٍ بل تماثيلٍ من ثلجٍ ومحفورات من حجارة. هكذا وُلِدَت بين يديه في حديقة والده شتاءً أشكالٌ غريبة الجمال غير طفولية، يمر بها الجيران مرددين: «أنظروا ماذا صنعت يدا جبران الصغير».

وحين يهَلُّ الربيعُ، نيسانُ الشرق الجميل<sup>٢</sup>، ويزوبُ الثلج وتفتَحُ في لبنان الشقائق الحمر «مصبوغة بدم تموز<sup>٣</sup>»، يحمل الصبي الحجارة ويروح يشدُّبها بانياً بها كئاس وكاتدرائياتٍ في ظلال أشجار الحديقة.

وما هي حتى بات يمكنه أن يكتب، فأشاح فترةً عن تشذيب الحجارة، وجعل يكتب في توترٍ، صفحةً بعد صفحةٍ يكتب، حتى إذا قرأ ما يكون كتب، مزق الورقة نتفاً. وشرح لي أن «لم يكن ذاك أبداً ما كنتُ أريد أن أقول».

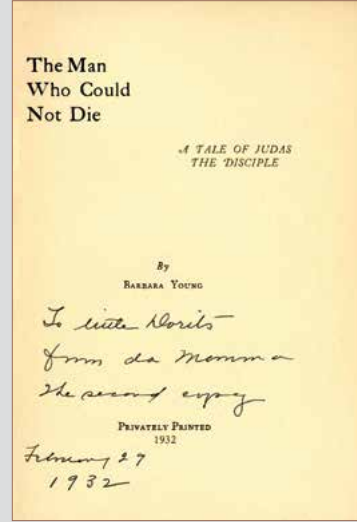
ثم تسنَّت له أقلامٌ رصاصٍ وأقلامٌ تلوين، فأخذ يرسم ويلوّن بشغفٍ غريبٍ لصبيٍّ في سنه، لكنه فور انتهائه من الرسم كان يرتدُّ على الرسوم يُمزّقها «لأنها لم تكن أبداً كالتي كنتُ رأيتها وعيناي مغمضتان».

يذكرني هذا بيومٍ من ١٩٢٩، والمحترفُ - الذي أمضى فيه أكثر من خمس عشرة سنة - غارقٌ في ورشة تجديدٍ ودهانٍ، كيف كان يتأمل في مئات من الرسوم والأوراق والمخططات، ثم راح بكل هدوءٍ يمزّقها بدون تمييزٍ رافضاً أيّ ثنيٍ عن ذلك.

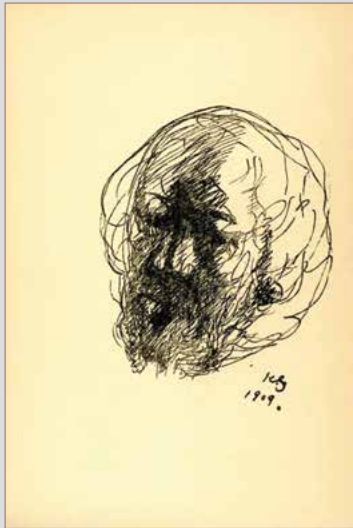
تلك الفترة الباكرة من حياته بقيت ماثلةً في باله فلم يخرج من تذكاراتها حتى عند غروب حياته. كان يتحدث كثيراً عن أُمِّه، ويردّد عن حنانها أحياناً صغيرةً تُثير فيه وفي لحظاتٍ من دموعٍ تعقبها لحظاتٌ من ضحكٍ على أننا بكينا.



غلاف كتاب باربره يونغ «الرجل الذي لم يستطع أن يموت» - حكاية عن الرسول يهوذا (يوضاس، أي رسول من رُسل تلميذ يسوع). وهو صدر سنة ١٩٣٢ (بعد عام على وفاة جبران) في طبعة خاصة على نفقة المؤلفة.



إهداء من باربره يونغ بخطها  
(٢٧ شباط ١٩٣٢)



نشرت باربره يونغ في كتابها هذا رسماً لجبران بتوقيعه (١٩٠٩). الأرجح أنه من مجموعتها الخاصة: كان جبران، خلال جلساتها إليه في محترفه طيلة ست سنوات متتالية، يهديها تباغاً رسوماً له ولوحاتٍ نشرت منها لاحقاً في مؤلفاتها.

١١ توقّيت، دون الخمسين، ليلة الأحد ٢٨ حزيران ١٩٠٣، بعد ١٤ شهراً على وفاة ابنتها الصغرى سلطانة (السبت ١٢ نيسان ١٩٠٢) وثلاثة أشهر على وفاة ابنها البكر بطرس (الخميس ١٢ آذار ١٩٠٣). بعد خمس دقائق من انطفائها وصل جبران وصدمه منظرها ميتة، فأصابه دوارٌ قويٌّ وسقط أرضاً ينزف من فيه وأنفه.

حدّثني يوماً عن لعبةٍ كان يزاولها معها. «أمّي كاملة رحمة» كما يجبُ أن يذكّرها. كان في طفولته يرفعُ كَفَّيه الصغيرتينِ إلى عينيه ويصرخ لها:  
- لن تقدري بعدُ أن تجدي جبران. لا يُمكنك أن تَريَ أينَ هو.  
فتجيبُهُ أمُّه:

- صحيح، لا أراه. أين جبراني الصغير؟ أضعته.

فِيحَسُرُ كَفَّيه عن عينيه ويفتح ذراعيه فرحاً: «ها أنذا هنا. الآن تَريَني». أمُّ ذاك الصبيّ، كاملة رحمة، كان لها من الحكمة ما لم يكن لأمّهاتٍ أخريات. منذ طفولته الأولى حدّست بأنّ في عروقه يسري شغفٌ بالحرية كان بعدُ مكبوتاً. كم أمضى ساعاتٍ، وهو طفلٌ، متأملاً في كتاب ليوناردو، أو سارحاً في البعيد، أو متطلّعاً إلى الشمس بعينين لم يكن يبهرهما نورها الساطع. وكم ساعاتٍ أخرى يُمضي هادئاً كلياً فيما أمُّه تندن له أغنياتٍ جبليةً خفيفةً بـ«صوت كاملة رحمة» الذي «ما زال أسطورةً في لبنان»، أو فيما تروي له من حكايا هارون الرشيد أو من أشعار أبي نواس.

كان يقول عنها: «رَوّت مئات القصائد لكنها لم تكُتّب واحدة». وكان يقول: «الأغنية التي تَسْكُن صامتةً في قلب الأم تزهرُ أنشودةً على شفتي وليدها». وهذا صحيح: حين كان يردّدُ قصائده الكثيرة، كان يُنشُدُ أغانيه وأغانيها معاً. وحين ماتت<sup>11</sup> قال: «ها حياتي تكفّنت. لا لأنّها كانت أمي بل لأنّها كانت صديقتي». وقد تكون تذكاراتُ طفولته هي التي دفعته إلى القول بإيمانٍ إنّ «في كل إنسانٍ بُدورَ فنان... قد يتعلّم الطفل أن يرسم عصفوراً بسهولةٍ أن يكتب الكلمة. قد يصوغُ القوافي فيما يتدرّبُ على صوغِ الجُمَل. وقد يتلقّنُ كيف يُشكّلُ بالطين فيما يتدرّبُ على البنيان بالحجارة الأولى».

وبالفعل، هوّمنا كثيراً حول هذه الفكرة في التربية والتعليم، لكننا لم نتنبّه إلى أهمية ما قد يُنتجُه منهجُ تربويٍّ يُبنى على هذه الفكرة. وما انتبّهنا - حقاً لم نتنبّه؟ - إلى أنّ ليس في الدنيا إلاّ لغةٌ كونيةٌ وحيدة لها تعبيرٌ كونيٌّ واحدٌ: الفن.



من رُسوم جبران



- ١ فردريك أُوغدن ناش (١٩ آب ١٩٠٢ - ١٩ أيار ١٩٧١): شاعرٌ أميركي ساخر اعتمدَ أَلْعَبَانِيَاتِ لَفْظِيَّةً فِي مَقْطُوعَاتٍ هَازِلَةٍ خَارِجَةٍ عَن كُلِّ وَزْنٍ شَعْرِيٍّ وَنُظْمٍ نَمَطِيَّةٍ.
- ٢ صموئيل (سام) هوفنشتاين (٨ تشرين الأول ١٨٩٠ - ٦ تشرين الأول ١٩٤٧) كاتبٌ سيناريو سينمائي اشتهرت أفلامه بالسخرية والهزل والمرح.

## «خَطِرٌ، ثورِيٌّ، مُسَمِّمٌ عقولَ الناشئة»

بين وجوه جبران المتعدّدة، وجهُ طفلٍ يلهو بالحياة. ويمكنني القول، بكل صدق، إن قليلين جدًّا رأوا في ذاك الرجل العظيم وجهًا مُتَغَضَّنًا وساحرًا معًا، لا يتجلّى إلا نادرًا، في ومضاتٍ سراعٍ، وعادةً بعد ساعاتٍ طويلةٍ من العمل الإبداعي، حين يُرهبه صنى عبقريته فينزِعُ ذاك الوجه، ينهض عن كرسيه، أو - إذا كان يذرع الغرفة - يستدير فجأةً، وبتعبيرٍ في وجهه المُتَغَيَّرِ أَقْلُ ما يوصف بأنه عبوس، يبادرني:

- الآن... سأملّي عليك أبياتًا من الشعر الأميركي الحديث.

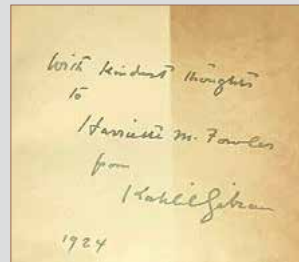
ويروح يرتجل فقرةً مرحةً، أو مقطعًا عبثيًا لا معنى له، في نبرةٍ ساخرةٍ تَبُرُّ أُوغْدِنَ ناش<sup>١</sup> أو صموئيل هوفنشتاين<sup>٢</sup> في أفضل هزلهما.

ونروح نضحك، نضحك في قهقهاتٍ طويلةٍ عميقةٍ مُنفرجةٍ مريحةٍ حتى لتنزلق الدموعُ على وجناتنا. وغالبًا ما كانت تتكرَّرُ محاولاتٌ شبيهةٌ ضاحكةٌ في لحظاتٍ أُخرى من ذاك السياق الساخر. وقد يحلو له الرقص، فيصعّ يده على خصره، ويروح يدور مكانه، كراقصةٍ على المسرح محترفةٍ تتغاوى على رؤوس أصابعها، فيقلدُ بدقّةٍ غوايتها. ومن جديد: نغرق في لحظاتٍ ضحكٍ وقهقهةٍ تريحه أويقاتٍ من الإرهاق والضىنى.

خلف هذا الجبران الذي يكتب ويخاطب الكبار، بكل وعيةٍ قيمته وأهميته نتاجه، يقف جبرانٌ آخرٌ خَجُولٌ، متحفّظٌ، مُنطَوٌّ على ذاته، يتصرّف أحيانًا كالطفل

ميخائيل نعيمة عَرَبَهَا: «أنا نَبأُ كاذب» (فصل «نَبأُ كاذب» من كتابه عن جبران). روى عن عشرة أَيامٍ من حزيران ١٩٢١ أمضاها مع جبران ونسيب عريضة وعبدالمسيح حداد قرب شلالٍ داخلِ غَابِيَةٍ في مزرعة كاهونزي (١٠٠ كلم عن مدينة نيويورك). كَتَبَ نعيمة حرفياً: «... قَطَعْنَا مسافَةً من الطريق على وُقَعِ أفكارنا الصامتة، والأشجارُ عن جانبينا تستقبلنا وتشيعُنَا صامتة. ونحن كذلك، إذا بجُبران يقف فجأةً ويضرب الطريق بعصاه، وينادي: «ميشا»، فأقف مثله وألتفت إليه فأرى بهجةَ الشلالِ فُربَنَا طارت من عينيه وحلَّت مكانها سحابةٌ من الكآبة المريرة. ثم ناداني ثانيةً وقال: «ميشا، أنا نَبأُ كاذب». وأطرق من جديد وعاد إلى الصمت. ومن كل الوِقفات التي وقفْتُها وجبران خلال خمس عشرة سنةً، لسْتُ أذكر وِقفَةً كانت أبعدَ أثرًا في نفسي من تلك اللحظة. ومن كلِّ ما قاله لي، منذ التقيْنَا حتى افترقنا، لم يَهزني شيءٌ مثلما هَزَّنِي تلك الكلماتُ الثلاث» (نعيمة، ص ١٩٥). وفيلكس فارس (في كتابه «رسالة المنبر إلى الشرق العربي») لام نعيمة بقسوةٍ حادَّةٍ على ترجمته عبارة جبران بهذا الشكل.

روى القصةَ كاملةً في رسالةٍ إلى ماري هاسكل (الأربعاء ٢١ أيار ١٩٢٤). هي صَفَقَةٌ تورَّط بها، مع شريكٍ لبناني (فارس معلوف) في شراءِ بنايةٍ مزدوجةٍ رقم ٤٠٩-٤١١ ذات سبع طبقات عند زاوية شارع مارلبورو على جادة ماساشوسٲسٲس، بمبلغ ٢٤,٠٠٠ دولار. ثم اتفقا مع «نادي سيِّدات الأعمال» بإدارة السيِّدتين جوزفين كُوينبي وهارييت فُولر على أن يَشغَلَ «النادي» جميع عُرفِ المبنى (١٥٠ غرفة)، شرطَ أن يَعمَدَ جبران ومعلوف إلى ترميمه وتجديدِ بُنيتهِ التحتيةِ بلوازمِ تَهْيِئَتِهِ لصلاح السكن، ما استوجب أن يَسْتدينا مبلغ ١٢,٠٠٠ دولار بفائدة ٦٪. لكنَّ السيِّدتين كُوينبي وفُولر نَكَّتتا العُقدَ وعدَلتا عن الاستئجار فوَقَعَت الخسارة الكبرى. دفعَت ماري هاسكل للمصرف حصَّةَ جبران من الدين (٦٠٤٥ دولار) مُنفذَةً إِيَّاه من هُمومِ تسديده، فكتب إليها رسالةً (الخميس ٤ أيلول ١٩٢٤) يعلن لها اعتذاره: «... وعيْتُ فداحة غلطتي، وهي غلطَةُ صغار يسعون إلى تحقيق أعمالٍ كبرى. إنها غلطَةُ جَشِعٍ أو غبي، وأنا كنتُهُما معًا. سامحيني». وتنازك السيِّدتان هما اللتان ذكَّرهما جبران لباربره يونغ في هذا المقطع.



إهداء جبران بخطه (سنة ١٩٢٤) نسخة من كتابه «النبى» إلى السيدة هارييت فُولر، بالرغم من الصدمة التي سبَّبَتْها له في تلك العملية التجارية الخاسرة (كما ورد في الحاشية ٤ أعلاه).

المقصود هنا كتابُ «النبى» ذو الغلاف الأسود كأغلفة جميع كُتُب جبران الإنكليزية لدى منشورات «كنوف».

الحيي فيستشيرني: «هل أذهب للتعرف بهؤلاء الناس الجدد؟» أو «هل أفف وأخطب في أولئك؟»، وقد تذهب رهافته الطفولية إلى أن يسألني: «الهاتف يرّ. هل أجيب؟»

كل هذا، تحفظ من يشعر أنه كائن جيء به إلى عالم غريب، كائن ليس فكره وعقله من أنماط هذه الأرض. مرة قال لي: «تمر أيام متتالية أشعر خلالها أنني واصل إلى هنا من كوكب آخر. أنا رجل بدون ماضٍ على حاضر هذه الأرض. أرى حولي غرباء أصواتهم غريبة عني».

مع ذلك كان واعياً تماماً حدود قدراته. اعترف لي مرة لي: «أنا لست إنساناً صالحاً. علي أن أعمل لصالح كل من على هذه الأرض الطيبة. لكنني لا أستطيع». كان يشعر أنه فشل في أن يحقق المتوقع منه إلهياً. وذات لحظة مريّة قال لي يوماً: «أنا منبّه غير مجدٍ. لا أنبّه إلى الحقيقة كما يفترض بي».

كانت العظّمه في رؤياه وطموحه أوسع من إنجازاته البشرية. مع أن حياته مضت خدمه متواصله يهبها باستمرار أصدقاءه في سويعات حزنهم والكآبه. كانت روحه سخية العطاء بلا حدود، كما يشهد مواطنوه، وخصوصاً في أزماتهم الصعبة. كان يشعر أحياناً أنه مخدوع، ويدرك أن لم يخدعه أحد طويلاً، برغم اعتقاد سيئي النية أنهم خدعوه. مرة أملى عليّ: «لدي شكل غريب من المسامحة الذاتية. قد أقع أحياناً ضحية غش أو خداع، فأضحك ممن يظنونني لم أتنبه إلى وقوعي ضحية غشهم وخداعهم».

أندكر فترة كان خلالها ذا مزاج مري من قهر وألم. وسبب ذلك قصة أخبرنيها عن تورطه في عملية عقارية خاسرة راهن فيها بمبلغ كبير من المال. كانت تلك الورطة مع سيدتين. قال لي:

- كان عليّ إما أن أجد تينك المرأتين إلى المحكمة، أو أن أخسر مالي. جاءني إحداهما وهزّت في وجهي الكتيّب الأسود قائلة: «أنت الكاتب هذا الكتاب، ما الذي تنوي أن تقرّر؟»





المبنى ذاته سنة ١٩٤٢



المبنى المزدوج على ناصية شارع مارلبورو (بوسطن) وهو الذي اشتراه جبران سنة ١٩٢٤ مع شريكه فارس معلوف، وكانت العملية خاسرة أوقعته في خسارة فاجعة (الحاشية ٤ صفحة ٤٦).



المبنى ذاته كما يبدو اليوم

٦ فترتئذ كان Brevooft الفندق الأجمَل والأعرق (أسسه هنري بريفورت سنة ١٨٣٤) عند أسفل الجادة الخامسة، وهي الأشهر والأفخم بين الشوارع والجادات في مانهاتن - نيويورك. اشتهر ذاك الفندق شعبياً بنزلائه من رؤساء ونواب وأعضاء مجلس الشيوخ وأعلام فكر وثقافة، وخصوصاً بفُسحات فيه مخصصة للقراءة والندوات والمحاضرات والأنشطة الأدبية. كان عند زاوية الشارع التاسع غرباً، على أمتارٍ من الشارع العاشر غرباً حيث محترف جبران.

وسكتَ جبرانُ برهَةً أمامي ثم أكمل:

- بعد ما كتبتهُ وما بهِ أُوْمِن، أأَذْهَبُ فَأَقْفُ أمامَ القاضي وَأَتَّهَمُ تينَكَ المرأتينِ؟  
أيمكنني الجلوسُ في مقاعدِ الشهودِ حتى إذا سأَلني القاضي أَطالِبُهُ بِإِدانتِهِما؟  
طبعًا لم يكن يمكنه ذلك: كان في وجهه وصوته جوابٌ عن سؤاله. لذا، حين  
اكتفيتُ بقولي له:

- لا. ما كان يمكنكَ أن تفعل ذلك، وَأَنْتَ من أَنْتَ،  
أشرق وجهه، وبادرني:

- جميع أصدقائي قالوا إِنَّ عَلَيَّ تَحْصِيلَ مالي. لكنني، لو حَصَلْتُهُ بِحُكْمِ  
المحكمة، لَمَا عَدْتُ قَادِرًا أَنْ أَعُودَ فَأَفْتَحَ الكِتَابَ الأَسْوَدَ.  
قال هذا ثم أخذَ وُريقَةً وكتبَ بِبُطءٍ: «مَنْ مَسَحَ بِثُوبِكَ يَدِيهِ المُوَحِّلَتَيْنِ، أَعْطَاهِ  
ثُوبَكَ. قد يحتاجُه ثانيَةً، أَمَا أَنْتَ فَلَنْ.»



كتب جبران مرةً: «من قلب الاضطراب والحيرة والقلق السعيد، يولد شعر  
يُهدئُ القلب». وفعلًا، هوذا شعرُهُ، كما هو قال، دارَ في الأرضِ ونُقِلَ إلى لُغاتٍ عدَّةٍ،  
حاملًا نورًا إلى المُتعبين والحيارى في جميع أُمم الأرضِ.

ومن تجربتي الشخصية معه - ولستُ إِلَّا واحدةً من المحظوظين بنشرِ كلمته -  
لديَّ إثباتٌ دامغٌ أَنَّ مضمونَ كُتبهِ الإنكليزية لأمس أفكارَ الكثيرين فأعطاهم نور  
القوة. ويمكنني أن أَمَلًا كِتَابًا كاملاً من كلماتٍ وعباراتٍ فرحٍ وامتنانٍ عميقٍ أَسْرَهَا  
لي لاحقًا كثيرون، أو كتبها إليَّ من الأربَع الجهاتِ في الأرضِ. هنا أمثلُهُ منها:

على الجادة الخامسة، في بهو فندق بريفورت<sup>1</sup>، مكتبةٌ صغيرةٌ كنتُ لفترةٍ  
مسؤولةً عنها. بعد ظهر يومٍ دخلت المكتبةَ سيدهُ عجوزٌ بثوبٍ داكن. كانت على  
وجهها نظرةٌ كئيبةٌ غلُفتها بابتسامةٍ وهي تقترب مني ببعضِ خَفَرٍ:

- أهلاً. كيف أَسَاعِدُكَ؟



لقطات عدّة لفندق بريڤورت،  
 أشهر فندق فترتيد في مانهاتن.  
 عند رُكن من مدخله الفخم أنشأت  
 باربره يونغ مكتبة، جرت فيها الحادثة  
 التي تُذكرها هنا في الصفحة المُقابلة.



٧ مطلع فصل «الألم» من كتاب «النبى».

- الحقيقة... لست أدري... ولكن... أتمنى أن تتمكني من مساعدتي.

انتظرني ثواني بطيئة، ثم أردفت:

- إنني... أبحث عن كتاب... كتاب لا أعرف عنوانه.

- من مؤلفه؟

- ... ولا أعرف حتى اسم مؤلفه.

- من أي نوع هو: شعر؟ رواية؟ بحث؟ سيرة؟

- لست... لا أعرف... لست أدري... لي صديقة كتبت لي رسالة ذكرت لي فيها هذا الكتاب. الرسالة أضعها، وضاع معها اسم الكاتب والكتاب. لكنني أذكر في رسالتها عبارة من ذاك الكتاب هزنتني، جاء فيها: «المكم هو انكسار الصدف التي تحتضن إدراككم»<sup>٧</sup>.

رددتها مرتين بشغف وتأثر.

لم أحتج إلى أكثر. توجهت فوراً إلى رف في المكتبة، أخذت منه نسخة من كتاب «النبى»، فتحتُه على صفحة منه تضم تلك العبارة وأعطيتها إياه. وما زلت أذكر نظرتها كيف شعت من وجهها البريء العجوز. أخذت الكتاب بجمع يديها، قرأت العبارة، قرأت الصفحة، استدارت إلى أقرب مقعد في الصالة، جلست وأخذت تقرأ، غائبة كلياً وعمماً حولها. دخل بعدها كثيرون إلى المكتبة، لكنها لم تنتبه إلى أحد. انشغلت معهم لوقت غير قصير، حتى رأيتها مقلبة نحوي وبأدرتني: «هذا هو الكتاب. إنه الذي كنت أبحث عنه... لكنّه... لكنّه ليس كتاباً. إنه خبزٌ وبيدٌ للمتعبين مثلي».



قصة ثانية: سنة ١٩٣٢، إبّان إقامتي معرضاً لأعمال جبران في محترفه، دخل عليّ رجل فهمت منه أنه في قطاع البحث العلمي. وروى لي قصته كما يلي: ذات يوم، قبل ذلك بسنة أو أكثر، كان يجتاز الجادة الثالثة مسرعاً إلى موعد عمل. مرّ



فارس معلوف، شريك جبران في العملية  
التجارية الخاسرة (الحاشية ٤ صفحة ٤٦)

4560 522 4775 P 7-40	<p>tion Expires Sept. 26, 24-----February 16, 1924 at twelve o'clock M. Received, Entered and Examined-----</p> <p>GIBRAN et al to McCLARY</p> <p>We, Gibran K. Gibran, unmarried, of the City of New York, and Paris S. Malouf, of the City of Boston, County of Suffolk Massachusetts for consideration paid, grant to Grace M. McClary of Boston, Suffolk County with MORTGAGE COVENANTS to secure the payment of Eleven Thousand Eight Hundred Dollars (\$11,800) Dollars in one (1) year with Six (6%) per centum interest per annum payable monthly, principal payable Monthly in installments of \$200, and all in one year from date: as provided in one note of even date: First payment to be made April 15th, 1924 of \$400.00 A certain parcel of land with the buildings thereon situated and now numbered 409 and 411 Marlborough Street, in Boston, Suffolk County, Massachusetts, and bounded and described as follows: SOUTHERLY by Marlborough Street 80 feet; Westerly by Massachusetts Avenue 112 feet; EASTERLY by a passageway 16 feet wide 80 feet; NORTHERLY by land now or formerly of Hammond by a line running through the middle of the brick partition wall 112 feet; Containing 8960 square feet of land, be all of said measurements and area more or less. Said premises are now subject to a first mortgage of \$126,000 held by the Roxbury Institutions for Savings and to a second mortgage of \$38,200, payable \$1500 quarterly on principal with interest at 7%. This mortgage is upon the statutory condition, for any breach of which the mortgagee shall have the statutory power of sale I, Mary F. Malouf, wife of said mortgagor, release to the mortgagee all rights of dower and homestead and other interests in the mortgaged pre- mises. WITNESS our hands and seals this fourteenth day of February 1924 Gibran K. Gibran Paris S. Malouf Mary F. Malouf and each a seal COMMON- WEALTH OF MASSACHUSETTS Suffolk ss. Boston, February 1924. Then personally appeared the above named Gibran K. Gibran and Paris S. Malouf and acknowl- edged the foregoing instrument to be their free act and deed, before me Elise F. Shanon Justice of the Peace My commission expires Jan. 5, 1925-- February 16, 1924 at twelve o'clock M. Received, Entered and Examined-----</p> <p>KNOW ALL MEN BY THESE PRESENTS That the Volunteer Co-operative Bank, of Boston, Mass., the mortgagee named in a certain mortgage given by Michael J. Devine and Catherine T. Devine dated November 15th A.D., 1922, and recorded with Suffolk Deeds, Book 4418, Page 236 hereby acknowl- edges that it has received full payment and satisfaction of the same and in consideration thereof it hereby cancels and Discharges said mortgage. IN WITNESS WHEREOF, the said Volunteer Co-operative Bank has caused its</p> <p>VOLUNTEER CO-OP BANK DISCHARGE</p>
----------------------------	--

صك الملكية العقارية  
(١٦ شباط ١٩٢٤) وفيه التعهد من:  
«نحن جبران خليل جبران، عازب،  
من مدينة نيويورك، وفارس معلوف  
من مدينة بوسطن» بتسديد  
الدفعة الأولى من ثمن المبنى  
(الحاشية ٤ صفحة ٤٦)

بمكتبة صغيرة، رَمَقَ واجهتها بِنِظْرَةٍ ومِيزَةٍ فرأى فيها كتابًا على غلافه صورُهُ وجه. واصل سيره، لكنَّ الوجه على ذاك الغلاف جعلَ يسير معه وبدأ يَتَّضح أكثر في ذهنه مثيرًا فيه شعورًا غريبًا. بعد عبوره ثلاثة شوارع، استدار لاشعوريًا وعاد إلى واجهة تلك المكتبة كي يرى مجددًا ذاك الوجهَ على الغلاف. تأمَّله لحظاتٍ ثم دخل المكتبة واشترى الكتاب. وكان ذلك كتابَ «النبى».

أخبرني قصته هذه، وأردف: «هذا الكتاب كَشَفَ لي حقيقةً أن العلم - بدون النعمة المُحيية بالجمال والحنان - يبقى صَدًّا من دون حياة».

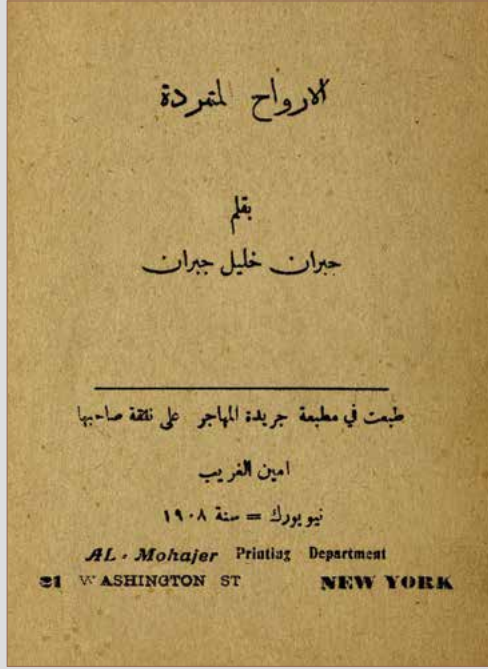


قصة ثالثة: في مكتبة صغيرة من فيلادلفيا، كان محامٍ في مقتبل العمر يُصغي طيلة ساعةٍ إلى قراءةٍ جهورية من «النبى» أمام جمهورٍ يُصغي بكل انتباه. عند المساء جاءني المحامي، كما فعل كثيرون سواه، يروي لي انفعالاته وانفعَالَ السامعين. قال لي: «أنا محامٍ جزائى. لو انني قبل عشرين عامًا قرأتُ فصل «الجريمة والعقاب»، لكنتُ اليوم رجلًا أكثرَ راحةً وسعادةً، ومحاميًا أفضلَ في الدفاع».

هكذا بالفعل كتابُ «النبى»، يحمل إلى كلِّ نفسٍ وحدها ما تتوقُّ إليه: الفيلسوفُ يعتبره كتابَ فلسفة. الشاعرُ يرى فيه شعرًا. الشابُّ يقول: «أجد فيه كلَّ ما في قلبي من مَشاعرٍ وأحاسيس»، والعجوزُ يقول: «بحثتُ طوال عمري عما لم أكن أعرفُ ماذا. اليوم في شتاء عمري وجدتُ ضالتي في هذا الكتاب».



أيًّا يكن ما دار في بال الرجل الذي دَوَّن أقوال المصطفى، المختارِ الحبيب، فالقارئُ الرهيف يكتشف فيه التعبير الأَدَقَّ عن عُمقٍ ما في قلبه وتفكيره. تفسيرُ ذلك جوهرىٌّ: جبران لم يكن مُنظرًا. كان يقول: «إن كان لكم أن تُلقَّبوني، فقولوا إنني ابنُ الحياة». وعبارته هذه ليست مجردَ تنميقٍ لفظيٍّ لطيفٍ بل ترجمةٌ بسيطةٌ مباشرةٌ لحاجات الإنسان الكبرى، وأجوبةٌ ناصعةٌ عن تلك الحاجات.



الطبعة الأولى (١٩٠٨) من كتاب «الأرواح المتمرّدة» الذي كتبه مقدّمته مكتشف نصوص جبران: الصحافي أمين الغريب، وأصدره على نفقته من مطبعة جريدته «المهاجر» في نيويورك.

ولعلّ قصة إحراقه في بيروت (وهي غير صحيحة ومن نسج خيال جبران) أشكّلت على باربره يونغ عند وضعها كتابها بعد ١٣ سنة من وفاة جبران، فسَمّته «قصيدة» ولم تفهم من جبران أنه «كتاب» لا قصيدة.

٨ هذا دليل آخر على إيمان باربره يونغ، مثل جبران، بعقيدة التقمّص.

٩ تستعير باربره يونغ هنا تعبير «الزَيْلُوتِيِّين» من رجال دين ينتمون إلى طائفة يهوديّة عبرانيّة قديمة (القرن الأول للميلاد)، شديدة التعصّب، ظهرت في منطقة اليهوديّة الجبلية (جنوبيّ فلسطين: تشمل القدس والخليل وبئر السبع)، واشتهرت بمقاومتها الاحتلال الرومانيّ أرض فلسطين.

كيف تأتت له هذه الأجوبة؟

في ختام كتاب «يسوع ابن الإنسان» كلامٌ وضعه جبرانُ الشاعرُ على لسان «رجل من لبنان بعد تسعة عشر قرناً» جاء فيه: «سبعَ مرَّاتٍ وُلدتُ، ومُتُّ سبعَ مرَّاتٍ. وها أنا الآن أعيشُ من جديدٍ». قد يكون هذا هو الحلُّ والجواب. جبران لم يقل لنا جديدًا. ليس لديه ولم يكن لديه جديدٌ ليقوله. عبارته تعبيرٌ مكرَّرٌ لجوهر الحقيقة التي بلَّغها عبر الأعمار<sup>٩</sup>. ف«النبى» ليس ابنَ مُخَيَّلَة جبران بل تراكمٌ من الحب والحكمة. من هنا قوله: «سبعَ مرَّاتٍ عِشتُ... وها أنا الآن أعيشُ من جديدٍ». كان جبران أوسعَ من مجرد شاعرٍ خَطَّ تلك الكُتُبَ الجميلة العميقة، وأبعدَ من مجرد رسامٍ لملمٍ نَتَقًا من خلودٍ وخطَّطها على ورقة بيضاء. كان عالمًا نفسيًّا من دون بؤمة المُحلل. كان فيلسوفًا بسَّطَ الفلسفة إلى عناصرها الأولى. كان لُغويًّا غاص على تاريخ الكلمات الذهبية لِمَتعة الغوص لا للغرض اللُّغوي. مع ذلك، مع كل ذلك، كان عالمًا عميقًا، إنما كاتمًا معرفته الوسيعة وحاجبًا، ما أمكنه، إنجازاته الفكرية عبر السنوات.

كان يلقَّب بـ«الروح القوية والجريئة»، وإنه حقًّا كذلك: كانت جرأته بعيدة عما في رغبته ونيتته البشريَّتين، وطبيعته قوةً تسكنه بدون أيِّ ادِّعاء. لم تكن فيه ذرَّة من عدائية.

جرأته تلك تجلَّت منذ شبابه: كانت بلاده، تحت نير الأمبراطورية العثمانية، مكمومة النفس، يائسةً من القدرة على تفلُّتها خارج تلك الشرنقة. فقام جبران يكتب بلُغته العربية الأم قصيدةً أسماها «الأرواح المتمردة»، حين صدرت وانتشرت تم إحراقها سريعًا في ساحة بيروت العامة، بتحريضٍ من زَيْلُوتيين<sup>٩</sup> متعصِّبين اتَّهموا جبران بأنه «خَطِرٌ، ثوريٌّ، مُسمِّمٌ عقولَ الناشئة». وكان ذاك الكتاب أول قبضة حرية فترتد رفَعها الشباب في وجه الأمبراطورية العظمى فهزَّتْها بِقُوَّةٍ صائبة.

ولو أنَّ ذاك الحدث حصل اليوم لكانت وكالات الأنباء تناقلته، واحتلَّ خبرُ الشاعر الشاب مطالعَ نشرات الأخبار العالمية قبل منتصف الليل، وغدا حديثٌ



زيتية بريشة جبران للسيدة زوجة ألكسندر  
مورتن صاحب غالري مونترس التي أقام  
فيها جبران (١٩ كانون الأول ١٩١٤) معرضه  
النيويوركي الأول (الحاشية ١٠ أدناه)



١٠ تنقل باربره يونغ حرفياً هنا ما رواه لها جبران (وكان رواه هكذا أيضاً لماري هاسكل) عن علاقته بالنحات الأشهر عهدئذ أُوغُست رودان (١٨٤٠ - ١٩١٧)، وهي لم تكن «علاقة صداقة» كما ادّعى، بل لحظات عوابر. ففي رسالة من باريس إلى ماري (الجمعة ١٧ نيسان ١٩٠٩) يكتب: «كان سروري عظيمًا بزيارتي محترف رودان أكبر نحاتي العصر الحديث... كان لطيفًا معي وأراني أعمالًا رائعة بالرخام والجفصين... وقبل أيام زار معرض باريس الشهير، ورآني فعرفني، وحدّثني بكلمات قليلة عن نحات روسي. شرف عظيم لكل فنّان أن يُحدّثه رودان». وفي رسالة السبت ١٩ كانون الأول ١٩٠٩ كتب لها أنه وضع رسمًا لرودان بالقلم الرصاص، ليضمّه إلى سلسلة رسوماته «هيكال الفن» التي عرضها لاحقًا، ورسم رودان بينها، في معرضه النيويوركي الأول (افتتحه مساء الاثنين ١٤ كانون الأول ١٩١٤) في غالري مونترس (على الجادة الخامسة). وتورد ماري في دفتر يومياتها (الأحد ٢٠ كانون الأول ١٩١٤) قوله لها: «... إني فنّان فرنسي حديث... أنا تلميذ رودان». ولدى وفاة رودان السبت ١٧ تشرين الثاني، كتب فيه (كانون الأول ١٩١٧) مقطوعة رثاءٍ نفّختها له ماري.

١١ لم يثبت واقعا حدث إحراق بيروت الكتاب في ساحتها العامة، ولا صدور قرار الكنيسة بحرم جبران وقرار الدولة بنفيه. الحاصل أن الأب لويس شيخو اليسوعي هاجم الكتاب بقسوة في مجلة «المشرق» وطالب بمصادرته. والكنيسة لم تحرمه، بدليل أن مأتمه جرى بجميع الطقوس الجنائزية الكنسية في بوسطن وبيروت. وواضح أن باربره يونغ، لإيمانها بجبران مطلقًا لامحدودًا، تنقل الأحداث بحرفيتها كما رواها لها جبران، منها أن «الأرواح المتمردة» هي «قصيدة» (وهي ليست كذلك بل أربعة نصوص قصصية)، ومنها تتلمذته على رودان في باريس وصادقته (وهو ما لم يحدث)، ومنها الحرم والنفي. وهو روى بعضًا من ذلك أيضًا لماري هاسكل شفويًا فدوّنته في يومياتها ولم يذكر لها أيًا منه خطيًا في رسائله إليها. لذا يمكن تسجيل كل ذلك في سياق الـ «أسطرة» التي كان جبران يتعمدها في إبراز شخصيته، وفي سياق الـ «هاجيوغرافيا» التي، بهالتها التقديسية المُنْبَهرة، وضعت باربره يونغ كامل كتابها.

الناس عند تناولهم فطورَ الصباح. لكن الحاصل أن شرارات تلك الحرائق اندلعت فيما صاحب هذا الكتاب «المُسَمَّم»، ابن العشرين «الخطِرُ والثورِيُّ»، كان روحًا صامتةً هادئةً يدرس بدقَّةٍ أصولَ الرسم في باريس، تلميذًا لرودان وصديقه<sup>١</sup>.

ولو أحاط به الصحفيون، وهذا ما لم يحصل، وكان له أن يعبرَ يومئذٍ عما جرى، لكان قال بتعبيرنا المعاصر إنَّ إحراق «الأرواح المتمرّدة» في شبابه لم يعن له شيئًا. ولكان أضاف أنه «سببٌ ممتازٌ يُصار فورًا إلى إصدار طبعة جديدة من الكتاب».

غير أن إحراقَ الكتاب لم ينته هنا. ففي باريس بلغَ جبرانَ خبرُ أن الكنيسة عاقبتَه على كتابه ذاك بالحُرْمِ الكَنَسِيِّ، والدولة أصدرت أمرًا بتفقيه من البلاد عقابًا على اقترافه هذا الجرم غير المسبوق: تحريضه الشبيبة من أبناء أرضه الأم على أن يُشرفوا إرثهم العريق فيحيوه بالجرأة والقوة والمجد على خطى آبائهم المتميزين المفردين، المتحدّرين من جدودهم الفينيقيين الكلدانيين.

على أن قرارَ النفي ذلك، سقط تلقائيًا سنة ١٩٠٨ مع تشكيل حكومةٍ جديدةٍ في تركيا. واليوم، في بيروت وأنطاكية، كما في القاهرة والإسكندرية، ها هو الكتاب الذي تمَّ إحراقه<sup>١</sup>، أصبح من تراث الأدب الكلاسيكي، وبهذه الجلالة يتناوله الطلاب الشباب في دروس الأدب العربي.

Whereas in times not so far past it was almost impossible for an artist to make his entree into a dealer's gallery, it is now so easy that the New York dealers fairly clamor for artists to come and use their space. One-man shows follow each other at intervals of two weeks at all the leading galleries. Kahlil Gibran, an Armenian artist, will open an exhibition of paintings and drawings at the Montross Galleries tomorrow, to run to December 30. Mr. Gibran returned from Paris some years ago and established himself in Boston. After his exhibition closes pictures by Bryson Burroughs, of the Metropolitan Museum, will occupy the Montross Galleries for another two weeks, January 2 to 16.

خبر صحفي عن معرض رسوم  
ولوحات لجبران في غالري  
مونتروس (لغاية ٣٠ كانون الأول  
١٩١٤)، ورد فيه أن «السيد  
جبران عاد قبل سنوات  
من باريس وكان يسكن  
في بوسطن». (الحاشية ١٠  
في الصفحة ٥٦).

١ بعد تَخْرُجُ باربره يونغ من المدرسة الرسمية في مدينتها الأُمَّ أَلْبَانِي (عاصمة ولاية نيويورك) دَرَسَت اللُّغَةَ الإنكليزية في مدارس خاصة، قبل أن تنتقل لتَعِيشَ في مانهاتن وتُزاولَ حياتها الأدبية.

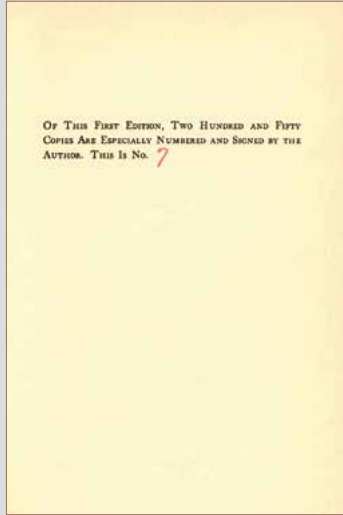
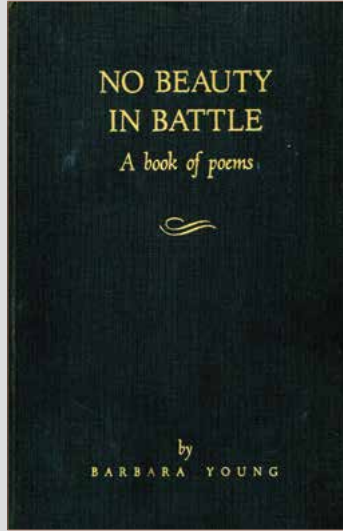
## سَخَّرْنَا هَذَا الْكُوكَبَ

في رأيي أن القيمة الأساسية لتأثير فناني جمهور متلقّيه، ليست محدودةً عند ما يَسْكَبُ في عمله من إدراكه الذاتي، بل تتوسَّع من نتاج حبه وعمله إلى ما يعكسُ نتاجه على جمهوره من توعية وإدراك.

واتضح لي أن لِمئاتٍ من بحثوا عن فرصةٍ لمُشاهدتهم أو سَماعهم نتاج جبران حيثما وعندما أُتيح لهم، إدراكًا أعلى مستوى مما كنتُ توقَّعت. ويسود اليوم أن معدّل الذكاء، في هذه الحقبة من تطوّر العالم، يبلغ ما لدى فتى في الثانية عشرة. وهو مستوى جديرٌ بالاعتبار. فبعدما تعاملتُ تربويًا سنواتٍ عدَّةً مع تلامذة في تلك السن، وجدتُ أن معدّل الذكاء لدى فتى أو فتاة في الثانية عشرة، عدا تعادلهما في أمور أخرى، أفضل مما لدى شخصٍ في ضعف سنهما قد يكون معدّل ذكائه مثيرًا للشفقة أو مُعيبًا.

وهنا تأكَّدت لي حقيقة أن الذين جاؤوا وشاهدوا واستمعوا، من عجوزٍ أو يافعٍ، أبيض البشرة أو أسمرها، متعلِّمٍ أو أمي، يهوديٍّ أو مسيحيٍّ أو وثنيٍّ، لم أرَ بينهم أكثر من نصفٍ في المئة فقط لم يتأثَّر عمقُ طبيعتهم ولم يُعجَب لُبُّ كيانهم ممَّا شاهدوا أو سمعوا، ما يُؤكِّد لي أن إسهام جبران في الأدب والفن العالميين ليس مساهمةً فيهما وحسب بل يتوسَّع تأثيره الساطع حتى ليؤدِّي إلى شفاء الأمم.

غلاف مجموعة  
شعرية لباربره يونغ:  
«لا جمال في الصراع»



For  
Harold M. Miller  
with gratitude for such  
lines of fine feeling  
and essential poetry  
as these:  
"Accession to have the feel of cool  
smooth grass  
Beneath my body; the keen con-  
sciousness  
that I am part and parcel  
of it all"  
with sincere regard -  
Barbara Young  
Humboldt - 1937

إهداء بخط باربره يونغ على نسخة من  
مجموعتها الشعرية، «إلى وُورن ميلر» -  
كانون الأول ١٩٣٧.

صدرت من هذه الطبعة  
الأولى ٢٥٠ نسخة مرقّمة  
وتحمل توقيع المؤلّفة.  
هذه النسخة رقم ٧.

٢ شاعرٌ ورسامٌ إنكليزيّ (١٧٥٧/١١/٢٨ - ١٨٢٧/٨/١٢). وجهٌ بارزٌ شعراً ورسماً من الفترة الرومنطيقية في عصره. تميّزت أعمالُ قلمه وريشته بتعابيرٍ إبداعيةٍ بين الفلسفي والروحاني. يجد باحثون تشابهاً بين لوحاته ولوحات جبران في غرابات الأشكال والمواضيع.

٣ لم يرد هذا التشبيهُ كتابَةً في مصدرٍ أو مرجعٍ بل شفاهةً منقولاً عن جبران ذاته في حديثه إلى باربره يونغ عن فترة دراسته في باريس، وفي يوميات ماري هاسكل (لا في رسائله إليها)، ما يرجّح أن هذا القول لم يصدر عن رودان بل عن جبران نسَبَهُ إلى رودان.

قلتها مراراً لجمهورٍ ضئيلٍ أو حاشدٍ، وأكرّرها الآن هنا: يكفي البدءُ مع خمسين شخصاً لديهم النيّة والقدرة أن يعيشوا مضمون كلمات «المصطفى»، حتى نكون فعلاً عند فجرِ ألفيةٍ جديدة.

يزورني أحياناً طلابٌ وطالباتٌ من جامعاتنا الأميركية يكتبون عن جبران في رسائل اختصاصهم الأكاديمي، ويطلبون توسّعاً عنه، بكثير من الإعجاب والتساؤلات عن شخصه. وهذه لي إشارةٌ أنّ إرثه الروحيّ ضالّع في وعي شبيبتنا، وواعدٌ بثمارٍ تبشّرُ - عند جنى موسمها - بحصادٍ وفير.

من تلك الأسئلة المتكرّرة غالباً: «ألا تجدان تشابهاً في النتاج بين جبران ووليم بلايك<sup>٢</sup>؟»

مصدر هذا السؤال: مقولةٌ ساريةٌ كثيراً، نيّتها المديحُ، منقولةٌ عن لسان رودان أنّ «جبران هو وليم بلايك القرن العشرين»<sup>٣</sup>.

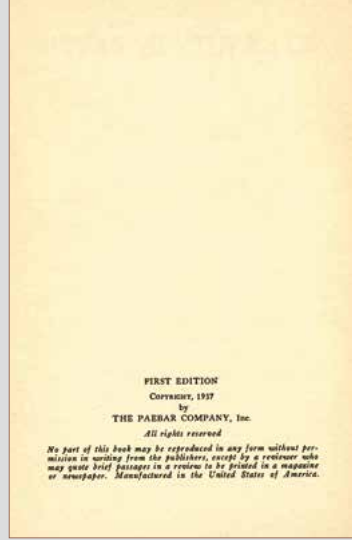
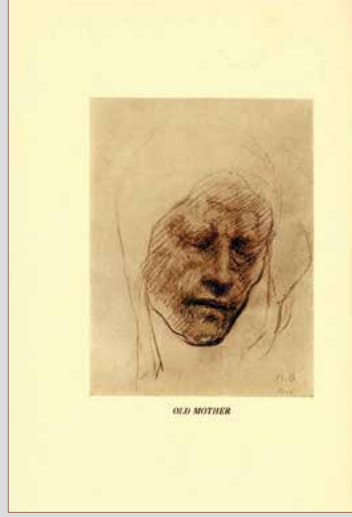
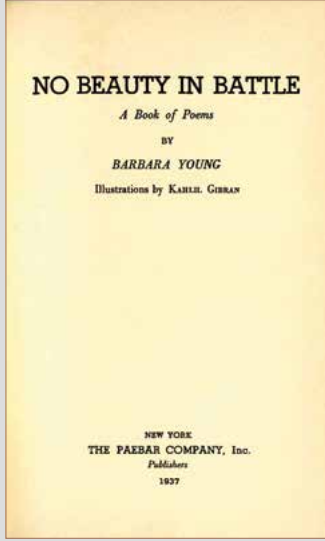
أمّا جوابي فحاسم: لا أعرف فتّانين متباعدي الشبه تماماً في نتاجهما، لا جامعٍ قطّ بينهما سوى أنّهما شاعران ورسامان وصوفيّان.

جبران رسم الإنسان إلهياً مُرهَفَ الجمال، جسداً غيرَ شهواني، جسماً مفرّغاً من جسمانيته الأرضية، روحاً شفيفةً الحجاب. وهذا ما لا نراه لدى الإنكليزي بلايك. أشخاص جبران لم يكونوا قديسين، ولا ملائكةً، ولا شياطينَ من الأساطير والخرافات بل كائناتٍ من الحُلم بالكمال، لا عيوبَ فيها ولا شوائب.

في أعمال بلايك جوٌّ من النشوة، لذةٌ في التهنّك، جموحٌ تخيُّلاتٍ لروحٍ تكتنفها الألغاز. الجوٌّ في أعمال جبران مختلفٌ تماماً: إنه رفرقةُ الروح نحو خيالاتٍ تيّاهةٍ في أحلام اللانهاية، لكنها صافيةٌ، متناغمةٌ، أليفةٌ غيرٌ عنيفة.

صحيح أنّهما فنانون واسعَا الرُؤيا، لكنّ في أسلوبٍ كلٌّ منهما افتراقاً واسعاً عن الآخر في التعبير عن الجموح البشريّ وغموضه. لكلّ منهما إنسانُه الخاص وطابعُه الشخصي.

«الأم الكبرى»  
من رسوم جبران في الكتاب



الغلاف الداخلي للكتاب.  
منشورات پيبار - نيويورك - ١٩٣٧  
وعليه أنّ «الرسوم لخليل جبران»  
ما يُشير إلى استخدامها رسومهُ  
في مؤلفاتها بعد غيابه.

الصفحة ٣ من الكتاب:  
الطبعة الأولى - ١٩٣٧  
الحقوق محفوظة لمنشورات پيبار  
إذّأ هي لم تنشره على نفقتها الخاصة  
كما بعض كتبها السابقة.

٤  
قوله هذا يشير بوضوح إلى أنه كان يعيش في نيويورك لكنّ أحلامه كانت باقيةً في لبنان، وكان دومًا يفكر بالعودة إليه ولو جسدًا بدون روح، وهو ما حصل، تلبيةً وصيته الأخيرة. وهذا يؤكّد أنّ جبران غادر لبنان ذات يوم لكنّ لبنان لم يغادره أيّ يوم، فظلت ملامحه ومناظره ومشاهدُه ووجوهُ منه تنبّض في كتاباته وفي خلفيات لوحاته.

في أيّ من أعمال جبران وُضوحُ إيمانه بالإنسان الطبيعة وبالطبيعة الإنسان. كان لا يعترف إلاّ بأصل واحد، بقانون واحد، بحُبّ لانهائيّ واحد، ويترجم ذلك دائماً بأبسط التعابير سُطوراً وألواناً.

في كثيرٍ من رسومه ميزةٌ استثارت تعليقات. في تذكارات الوجوه شعورٌ بالحياة والتنفس، رَفُهُ جفن، رعشةُ شَفَةِ، شُرُوقُ نَهْدٍ يتنهد، لُهاثٌ نسيماً على وجهٍ مُحجَّب، مَنْ يتأملها يسبح فيها بعيداً، حتى أنّ زائراً محترّفه قال يوماً: «هذه ليست تذكاراتِ وُجوهٍ بل ذكرياتُ أرواحٍ حية».

قلتُ مراراً إنّ جبران كان واعياً تماماً قيمة عمله. وأمام رسومٍ له لم يوقّعها، كان بين أصدقائه مَنْ يسأله عن السبب، فيبتسم لحظةً ويُجيب: «ولم أوقّعها؟ سيُعرف أنها من جبران، ولو طويلاً بعدما أُمسي مُمدّداً في عتمة الأرض الطيبة تحت أشجار الأرز».

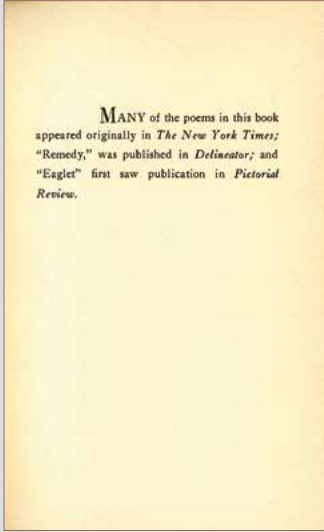
«عتمة الأرض الطيبة!» غالباً ما تردّدت هذه العبارة على شفّتيه. كان يحب التراب الحسّيّ وكلّ ما يَنبُت فيه، من هنا شعوره حيال الأشجار بالاحترام والتقدير، وقوله: «لو لم تكن في الأرض إلاّ شجرةٌ واحدة، لوجَبَ على شعوب جميع الأمم أن تَحجَّ إليها وتركعَ أمامها وتَتعبَدَ لها».

كان يحب أن يلمس الخشب في الطبيعة. وكم مرّة لم غصناً مكسوراً في بستانٍ أو غابةٍ وحافظَ عليه كَنزاً عنده، وقد يَنحُته إلى شكل جميل. وفي المحترف أيضاً مجموعة حصى صغيرة جمَعها «عن كل شاطئٍ عند كل بحر من الكوكب»، ويدلُّ عليها بشغفٍ يفوق لذة من يعتزُّ بمجموعاته النادرة من الذهب اللّماع.

اهتمامه بتشكيل الحجارة بادٍ في معظم أعماله. ففي لوحته «الصمت»، وجهُ امرأةٍ أبيض، كأنها من مرمر، إصبعها على شفّتيها، وخلفها في عمق اللوحة مشهدٌ صخورٍ عند التدقيق به عن قُرْبٍ تظهر في الحجارة الصغيرة وجوهُ ناسٍ متلازّة.

اتّحد الإنسان بالطبيعة، بالصخرة، بالغيمة، بالشجرة، بالنهر، بالشلال، ظاهرةً تتكرّر في أعماله، بالقلم الرصاص أو بالريشة. وسعادتُه، حين يُنهي رسمَ إحدى هذه

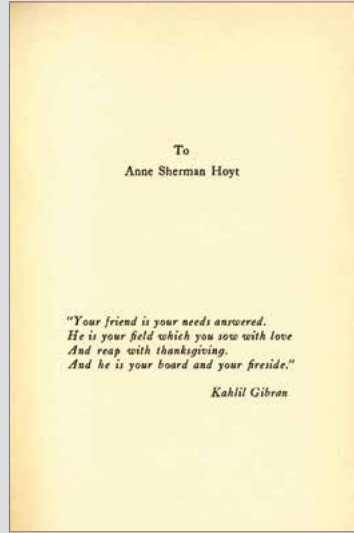




إشارة إلى أنّ عددًا من قصائد هذا الكتاب صدرت قبلاً في جريدة «نيويورك تايمز» والمجلة النسائية «ديلينياتور»، و«المجلة المصوّرة» (وهي أيضاً مجلة نسائية).

إهداء الكتاب «إلى آنا شيرمان هُويث» (١٨٧٥-١٩٥١). وهي صديقة باربره، وكانت تسكن في مدينة شارن (ولاية كونيتيكت) حيث كتبت باربره كتابها عن جبران.

على الصفحة ذاتها عبارة لجبران من فصل «الصدقة» في كتابه «النبى». والعبارة هي: «صديقك هو جواب حاجتك. هو حقلك الذي تزرعه بحُب، وتحصده بشكران. وهو جنبك وجانبك». خليل جبران.



كان وسّع الفكرة في فصل «الجمال» من كتابه «النبى»: «أين تبحثون عن الجمال، وكيف تجدونه إن لم يكن هو ذاته طريقكم ودليلكم إليه؟ يا أبناء أورفليس: الجمال نبض الحياة حين تكشف عن وجهها المقدس. أنتم الحياة وأنتم الحجاب. الجمال هو الخلود معكوساً في مرآة. وأنتم الخلود وأنتم المرأة».

الروائع الصغيرة ويقارنها مع رفيقاتها السابقات، تفوق سعادةً وكدِّ أمام اكتشافه كنزاً. كانت شهقته تشعُّ ساطعةً كأنه أمام عملٍ لسواه ولا يد له فيه.

وجبران، كسائر العباقرة الكبار، لا يفكر في متلقِّيه إبانَ لحظاتِ إبداعه. كان يكره أن يرى عمله غيرُ أصدقاء من حلقته الأقرب. في سنواته الناضجة، كان يمانع في عرض أعماله، ويصدُّ محاولاتِ إقناعه بإقامة معرض، صارخاً: «أبدًا. لن أعرض رسومي لناسٍ يريدون أن يشتروها».

عملية الشراء والبيع لم تكن في حسبانهِ. كانت نظرته تغوص إلى أبعد، فيرى عالمًا فيه نزاعاتٌ وإرهابٌ وتمزُّقٌ ودمار. كان يعي، كما جميع الرجال الرائيين، أن الحرب التي اصطرعت بها قوى العالم العظمى لم تؤل إلى الخير ولم تحقّق السلام. كان يقول: «لا تندلع حرب لمزيد من الحرية بل لمزيد من الوعي». وفعلاً: هذا الـ«مزيد من الوعي» هو الذي يعطي الأمم إرادةً عنيدةً لتحقيق نصرٍ سيعطي عالم اليوم مزيداً من الحرية.

هكذا كان هذا الرجل من لبنان يسنُّ على طريقته سلاحًا يحقق سلامًا موعودًا. إنه «خَلقُ الجمال» كما كان يسمِّيه. ويضيف: «كل ما عداه فليُنسحق إلى الجحيم». وطبَّقَ حرفيّة عبارته، مؤمنًا بأنَّ خَلقَ الجمال في العالم وتبَّتِي البشر إياه في أهدافهم ونتائجهم، يُؤسسان لنهضةً عظيمة من العدالة والشغف والعبادة. عندها تصبح الأرض الخضراء الطيبة واقعًا سماويًا.

لم يكن واهمًا بل مُدرِّكًا أنَّ دون تحقُّق ذلك مرحلةً طويلةً من النزاع والصراع والانتظار. كان يعرف - أفضل من كل الناس - أنَّ هذا القرن هو الفجر الذي يسبق الفجر. كان يعلم ذلك، ولم يكن يتردّد في القول إنَّ التطوُّر فكرةٌ خاطئةٌ هائلة يجب وقْفُ دروبها الشريرة حتى تبلغَ العقولُ والنفوسُ إرثها الذي تستحقُّه.

كان يقول: «لا دين ولا علم فوق الجمال». وكان يثور بنقمةٍ صارخة على سخافاتٍ خفية يمارسها كثيرون باسم الدين وباسم العلم. لذا كتب قبل وفاته بأيام: «سَخَّرنا كوكبنا الأرضي لِجِيادِ العلمِ النارية، وها هي تصهل بنا جارفةً كوكبنا إلى جحيم الآلات».

٦ هي الحرب العالمية الأولى التي عاش جبران، ولو عن بُعد، ويلاتِها على شعبه في لبنان وكتب لهم وعنهم، ونشط في لجانٍ عملت على المساعدة والتحرير، منها «لجنة إغاثة منكوبي سورية ولبنان» (حزيران ١٩١٦) برئاسة نجيب شاهين معلوف، وأمّين الريحاني نائب الرئيس وجبران أمين السر، ثم «لجنة تحرير سورية ولبنان» (تشرين الثاني ١٩١٨) وكان جبران من مؤسسيها.

٧ في بال جبران هنا «تمثال الحرية» المُنْتَصَب على جزيرة صغيرة قُبالة ميناء نيويورك في أسفل مانهاتن. وهو «هدية من الشعب الفرنسي إلى شعب الولايات المتحدة»، صمّمه سنة ١٨٨٦ المهندسُ الفرنسيُّ غوستافِيّ إيفل صاحب البرج الشهير باسمه «برج إيفل» (پاريس ١٨٨٩).



رَسْم «الأعمى» (١٩١٥) وفيه يرمي جبران، وفق باربره، إلى أنّ «الأعمى هو أعمى القلب لا العينين».

إِبَانَ الحرب الأخيرة<sup>١</sup> تَكُونَت لجبران فكرة مُرَّة مَقِيْتة عن رُؤيا تشكَّلت لديه  
عما سيكون لغزو الفضاء من أَدَى للعالم ولأُمم الأرض. قال مرَّة في حلقة أصدقاء:  
«لو كان لي لحطَّمتُ كل طائِرة فوق الأرض، ونزعتُ من بال البشر كلَّ ذكْر لهذا  
الشيطان المخلِّق». وإذ استغرَبَ أَحدهم كيف يتلفَّظ بهذا الكلام أجابه بعُنف: «لأنَّ  
الإنسان لم يُخلِّق كائناً للفضاء بل للأرض. الأرض بيته ومملكته، ومع ذلك لم يتوصل  
بعد إلى السيطرة على هذه المملكة فكيف على الفضاء. إن جميع الملائكة ورؤساء  
الملائكة وسكَّان العالم العلوي سينتقمون من الإنسان إن لم يَتَخَلَّ عن إزعاجه  
الشَّريرِ أَثيرهم الحُرِّ النقيِّ. وحدَّها روحُ الإنسان المَجَنَّحةُ فَلَْتَطِرُ إلى العَلَوَاتِ  
غير المرئية».

لم يكن يمكنه التحدُّثُ في هذا الموضوع إلاَّ بحُزنٍ ونقمة. من هنا قوله:  
«سَيُصِيبُ مدَنَ الأرض دمارٌ كثيرٌ ويتساقط الشباب والعدارى حياله كما براعمُ  
مقصوفةٌ تسقطُ من شجرة لوز أو زيتون، ولا ثمارَ عليها».

هكذا حَدَسَ بانهيار مدُنٍ، واستشهد مرَّةً بكلام من «النبى»: «أَسْلَافُكُمْ ضَمُّوكُمْ  
في خوفهم إلى بعضكم بعضاً. وهذا الخوف سيطول حتى تَنشُبَ أسوارُ مدينتكم  
فتفصل بيوتكم عن حقولكم».

وأكمل: «سوف يطلُّ فجرٌ بيومٍ جديد فنعود مجدِّداً وإذا كلُّ شيءٍ تغيَّر، والأرضُ  
أصبحت أرضَ الرب، ويكون خيرٌ كثير».

كانت له رُؤيا أُخرى في حلْمٍ وصفه لي كما يلي: «سأبني مدينةً ذاتَ ميناء،  
وعلى جزيرةٍ قُبالة الميناء سأقيم تمثالاً، لا للحرية<sup>٢</sup> بل للجمال. تمثال الحرية يقام  
لمن أقدامهم سَعَت دوماً إلى التقاتل والصراع، وتمثال الجمال لمن أمام وجهه  
تتكاتف أياديهم كالإخوة».

كان جبران واعياً جداً ما يعانیه معظم الناس في العالم من فُقر مادِّيٍّ وروحيٍّ  
وعقليٍّ. كان يعرف عَمَاهُمْ. من هنا رسْمُه لوحه «الأعمى» رامياً بها لا عميانَ العيون  
بل عميانَ القلوب.



من رُسوم جبران

كان محترف جبران في الطبقة العليا من المبنى، يُرقى إليه بدرج خشبي عتيق طويل شهِه مظلم. <sup>△</sup>

كانت أحزان الإنسانية وآثامها تستحوذ كثيراً على تفكيره بحرقةٍ بالغة. كان يعرفها جيداً وكان له من حياته ما يجعله يعرفها.

مضت سنواته في المُحترف سلسلةً خدَماتٍ ومساعداتٍ واستشاراتٍ متواصلة يُسديها إلى مَنْ يشكون من الكربة والاضطرابات. يوماً بعد يوم، كان مُعانون من الحيرة والقلق يرتقون خطوات الدرج الطويل ليلبغوا المحترف<sup>أ</sup> ويلقوا همومهم أمام هذا الرجل الذي من بلادٍ أُخرى، من عالمٍ آخر، وقد يبدو لهم أحياناً من زمنٍ آخر. استيعابه السريع همومهم لم يُخطئُ مرةً، ولا قصّر يوماً عن إيجاد حلٍّ فوريٍّ لمشاكلهم، أو أقلّه لتحفيز صبرهم وشجاعتهم. كان حلّه بسيطاً: تذكيرٌ بحقيقةٍ لازمنيةٍ ولأرضيةٍ، بقانونٍ حياةٍ، ليس لها من شفّته عقيدةٌ ولا مذهبٌ بل شفاءٌ سحريٌّ لجرحٍ غير مرئيٍّ.

البساطة... هذه هي الكلمة التي تعكس حقيقةً هذا الرجل الكامل الشخصية والنتاج، وصلابة تفكيره وعمق أفكاره. وهذه الكلمة ذاتها تنطبق على قلّةٍ من عظماءٍ عبر العصور بينهم أربعةٌ كتَبَ جبران عنهم: «سقراط، يسوع، جاندارك، لنكولن... أبهى أربعةٍ عرفهم العالم ودفعَ بهم إلى الموت فيما تتردّدُ وسعَ الفضاء ضحكةً هازئةً».

هذه البساطة كان يزاؤها في حياته اليومية وعمله اليومي. وذات حُبةٍ من حياته، حين كان يُكرّمُ بعشاءٍ غالباً في مطعمٍ، أو يحتفي به أصدقاؤه بفرح، كان يلتزم بما يسمّيها «فسحة صيام، كي أقوى على احتمال عاطفتهم الصادقة وما عملوه من أجلي».

في المحترف، كان يحبُّ حساءً بسيطاً متقشّفاً يُرفّقه بمزحة طريفة كانت إحدى طرقه لتخفيف الضغط لحظاتٍ من عناء عمله المتواصل. مرة قال لي:

- في الشرق تقليدٌ تناول الطعام من قصعةٍ واحدةٍ كبيرة. فلنتناول حساءنا الليلة في قصعةٍ واحدة.

وقام فحضر الحساء (الشوربَاء) ورَتَّبَ الطاولة الصغيرة للعشاء وجاء بقصعةٍ كبيرةٍ نثر فيها فتاتاً من الخبز اليابس المُحمَّص، وكان حساءً مصفّىً ودسمًا. جلسنا للعشاء. ثم أخذَ ملعقةً ورَسَمَ بها خطأً وهمياً في القصعة قائلاً لي بكل وقار:



«اليدُ المباركة»، رَسَمَ كان جبران رَسَمَ مَثيلاً له  
في أسفل رسالته إلى مي زيادة في الإثنين ١٢ كانون  
الثاني ١٩٢٥، وكتب تحتها: «إلى ماري من جبران».

- هنا نصفُك أنتِ من الحساء والخبز المحمَّص، وهنا نصفي أنا من الحساء  
والخبز المحمَّص. فلنحتسِ بدون أن يتناولَ أحدنا من حصة الآخر.

ونروحُ نضحكُ، نضحكُ، وكلُّ منا يتناول من الحساء حصته في نصف القصة  
صوبه. ويكون على الطاولة الصغيرة كأسُ نبيذ، ومعه كسراتُ خبز نغمسها في  
النبيذ. وهذه أيضاً من عاداتٍ له يحبُّها. ثم يختم العشاء بتدخينه سيكارة.

أمام هذا المشهد الطريف، لا يتصوَّر أحدٌ أنَّ الرجل الذي مارس بكل طيبةٍ  
عفويةٍ هذه المزحة، وبكل مرحٍ ضاحك، هو ذاته الذي قال يوماً عن شخصه:  
«يؤسفني أنَّ الناس لن يُشكِّلوا لي إكليلاً إلاَّ يومَ يصبح رأسي أعلى من أن يطالوه  
بأيديهم كي يتوجَّوني به».

كان أحياناً يثير تعقيدات الحياة العصرية، شغوفاً بالإبقاء على كلِّ جميلٍ قديمٍ  
يوائمه مع حياة أبناء العصر وبناته، ويقدمه لهم بسيطاً طبيعياً.

قال لي مرةً:

- الحياة والحب والموت، أعظمُ ثلاثةِ أحداثٍ في الحياة، سواءً في الشرق  
حدوثها يكونُ أو في الغرب.

كان يرى أنَّ هذه الأهمياتِ الثلاثَ خاضعةٌ لمصيرٍ مصطنعٍ بلا معنى.  
وفي يومٍ آخر صرَّخ لي:

- الرمزية؟ ... إخلعي هذه الكلمة. فلنقل بـ«الحقيقة المرئية»، بـ«الجمال  
الملموس»، بالبساطة لا بالرمز.

البساطة...

كان يرى إليها ميزةً إلهيةً، بفقدانها يضيعُ البشر ويضلُّون تائهين في  
الزمان والمكان.





## الرابطة القلمية

شعار «الرابطة القلمية» كما صمّمه جبران بهذا الخط ذي الروايا القائمة.

وفوقه رسمُ كتابٍ مفتوحٍ وراء مصباحٍ في طرفه الأيمن ريشة، وفي طرفه الأيسر شعلة.  
على الصفحة اليمنى عبارة: «لله كنوزٌ تحت العرش»  
على الصفحة اليسرى تنمة العبارة: «مفاتيحها ألسنة الشعراء»  
والعبارة مأخوذة من حديث نَبِي شريف.

- ١ ليس حسابها دقيقاً. فجبران كان في الثانية عشرة (٦ كانون الثاني ١٨٨٣ - ٢٥ حزيران ١٨٩٥) حين وصل إلى نيويورك من بُشْرِي مع عائلته، ثم غادر بوسطن (٨ آب ١٨٩٨) إلى بيروت للدراسة في مدرسة «الحكمة»، ممضياً ثلاث سنوات عاد بعدها (٢٠ نيسان ١٩٠٢) إلى بوسطن. فتكون سنواته في لبنان نحو خمس عشرة سنةً لا أكثر.
- ٢ أُرَجِّحُ أَنْ تكون هي تلك «السيدة الأميركية»، لأنَّ إجابته من هذا النوع شبيهة بما لاقت باربره في لبنان من هالة لجبران لدى مواطنيه.

## سحر اللغة العربية

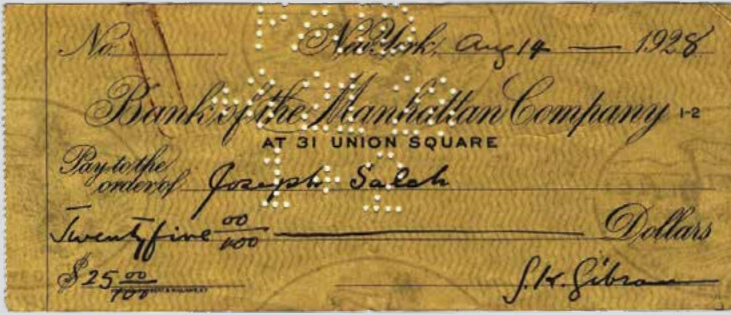
سعدتُ بالتعرُّفِ إلى كثيرين من نخبةِ مواطنينا الأميركيين من أصلٍ لبناني، وبمعرفةٍ ما كانوا يَكُونون لمواطنهم الشاعر من عمقٍ حُبٍّ ورفعةٍ اعتزاز. فجيران أمضى أول عشرين سنة من حياته، إِلَّا اثنتَيْنِ منهما، على الأرض التي أطلعت رائيين وأنبياء<sup>١</sup>. وحتى في تلك السنوات الباكِرة، تَمَكَّنَ جبران، بالجمال والجرأة في حياته وأقواله، من أن يرسم لشخصه وشخصيته هالةً ساميةً في قلوب ١٥٠ مليوناً من الطلَّابِ وعُشاقِ الجمالِ قُرَّاءِ العربية، وأكثر منهم أيضاً بين الناطقين بها ولو لم يكونوا يقرأون بها أو يكتبونها وهُم، يا لدهشتي إذ علمتُ، يشكِّلون ٣٠٠ مليون نسمة على وجه الأرض.

عن سيِّدةٍ أميركية كانت تزور لبنان أنها التَقَّتْ شاعراً شاباً بادرته: «أعرف مواطناً لك في نيويورك اسمه خليل جبران. هل تسمع به؟» فعاَجَلَهَا بالجواب: «هل تسمعين، سيِّدتي، بأن أسألكِ إن كنتِ تسمعين بشكسبير»<sup>٢</sup>؟

كثيفٌ نتاجُ جبران بالعربية كتاباتٍ وكُتُبًا. أوَّلُ هذه الأخيرة كُتِبَ عن «الموسيقى» سرعان ما اجتذب قراء الفن في العالم العربي. وتلتهُ كتبٌ أخرى: «دمعة وابتسامة»، «العواصف»، «عرائس المروج»، «الأجنحة المتكسرة»، «الأرواح المتمردة» أجراها وأشهرها، ثم «البدائع والطرائف» المقتطفُ من كتابات جبران



جوزف صالح وزوجته وأولاده  
وآدناه شيك له من جبران بخطه وتوقيعه  
في ١٤ آب ١٩٢٨، قيمته ٢٥ دولارًا.  
وهو من حساب جبران المصرفي  
في «بنك مانهاتن».



وإنه فعلاً مجموعة نُصوص سابقة. في كتابي «جبران خليل جبران - شواهد الناس  
والأمكنة» (ص ٣٨) وقائع لقائِي الخوراسقف منصور أسطفان (أيلول ١٩٨٣) متقاعدًا  
في بيته (غوسطا - كسروان) وهو روى لي قصة الكتاب كما يلي: «كنتُ في القاهرة  
منذ ١٩٢٤ أُدرّس العربية لدى مدرسة الآباء اليسوعيين في الفجالة، قريبًا من «مكتبة  
العرب» التي تعرّفتُ بصاحبها اللبناني يوسف توما البستاني، ورُحْتُ أتردّدُ عليه فيطلبُ  
مني أحيانًا أن أساعده في التنقيح والإشراف على صدور بعض المؤلفات العربية. ذات  
يومٍ قال لي: «لجبران خليل جبران مقالاتٌ مبعثرةٌ منشورةٌ في مجلاتٍ وصحفٍ متفرقة  
بين مصر ولبنان وأميركا، أنوي جَمْعَ باقيةٍ منها لإصدارها في كتاب. ما رأيك لو تتولّى  
ذلك؟ وافقتُ على الفور، تُعْريني شهره جبران، فانكببتُ أراجع مقالاتٍ له كثيرةً في  
كتابه «دمعة وابتسامة» (نيويورك ١٩١٤) و«العواصف» (آخر كتبه في العربية، صدر  
عن منشورات «الهلal» في القاهرة سنة ١٩٢٠) وفي صحفٍ ومجلاتٍ عدّة، انتخبْتُ  
منها ٣٦ نصًّا بين نثرٍ وشعر، بَوَّبْتُها واخترتُ لها ١٣ رسمًا من جبران، وبقيتُ أفكّرُ  
يوميّن في عنوان لهذه المجموعة، حتى وجدتُ لها اسم «البدائع والطرائف»، وأشرفْتُ  
على طبعتها الأولى في حُلّةٍ لائقةٍ سنة ١٩٢٣ لدى منشورات «مكتبة العرب» ليوسف  
البستاني بعد خلافٍ له على النشر مع إميل جرجي زيدان الذي كان يريد هو إصدارها  
في منشورات «الهلal». وفي تلك السنة ذاتها أصدر جبران في نيويورك كتابه «النبى»  
لدى منشورات «كنوف».

٣

أراءٍ ومقالاتٍ وقصائدٍ منثورةٍ في كُبرياتِ المجلاتِ والصحفِ العربيةِ<sup>٢</sup>. وحين صدر الكتابُ حاملاً تلكَ المنتخباتِ وتسَلَّمه جبران، قال لي مدهوشاً:  
- كنتُ ناسياً كلياً هذه الرسوم. لا أذكرُ أينَ وضعتها، ولا من أينَ حصل عليها الناشر.

وهي رسومٌ كان، وهو في السابعة عشرة، وضعها بالحبر الصيني وبالقلم الرصاص لشعراء عرب، قال لي عنها يوماً:

- لم تكن لِهؤلاءِ العظامِ صورَ فوضعتها لهم من مُخيلتي.

وأراني منها وجهَ ابنِ سينا قائلاً:

- ألا يُشبه ليوناردو دافنتشي؟

كان جبران طوال حياته كريماً متساهلاً في سماحه بنشرِ نُصُوصه ورُسومه. فكتابُهُ «النبِي» بدأ يرفدُه بِمردودٍ، وبدأتِ ترجماته تصدُرُ في نحو عشرين لغةً.  
قال لي يوماً:

- جاءني مبلغُ ٢٤ دولاراً من دار نشرِ هولندية أصدرتِ «النبِي» بالألمانية، مع أنني لم أطلبهم بأيِّ حقوق.

في كنيسة القديس مرقس (الباوري، أسفل مانهاتن)، وهي إحدى أقدم الكنائس في المدينة، تجرِي سنوياً قراءةٌ منتخباتٍ من «النبِي» في طقسٍ تقويٍّ شبه ديني. وهناك، كما ذكرتُ سابقاً [في مطلع هذا الكتاب]، جرتِ للمرة الأولى قراءةٌ عليّةٌ من الكتابِ بُعيدَ ظُهوره.

وفي تلكَ الكنيسة أيضاً احتفالٌ دوريٌّ طقسِيٌّ مسائيٌّ كاملٌ: «أناشيدُ خليل جبران، شاعرٌ نبِيٌّ من لبنان». ومن يُصغي إلى تلكَ التراتيل الساحرة ترافقُها أنغامُ الأرغن، لا يمكنُ أن ينساها كلُّ حياته.

جميعُ هذه الاحتفالات من تنظيمِ الدكتور وليم نورمان عُثري الذي كان راسخُ الإيمان برسالة جبران كـ «نبِيٍّ معاصر». وكان يقول عن كتاب «يسوع ابن الإنسان» إنه «الإنجيل بحسب جبران».



بابره يونغ في محترف جبران، بعد وفاته، وهي بقيت أشهرًا في المحترف، تعمل على تنفيذ قرارٍ أوصت به شقيقته مريانا.

وهي هنا مع ابنتها الوحيدة مارجرى (تزوجت لاحقًا ولها ولدٌ وحيد: كريستوفر، هو الذي اصطحبته باربره معها لاحقًا (تشرين الأول ١٩٣٩) في مجيئها إلى لبنان وزيارة بيته وضيحه في بشري، ومدرسة «الحكمة» في بيروت.

ولاحقًا (سنة ١٩٤٧) أصدرت كتاب قصائد للأطفال بعنوان «يا كريستوفر» أهدته إلى حفيدها.

٤ هكذا باربره يونغ سمّت «الرابطة القلمية». ودكرها أنّ هذه وُلدت بُعيد انتقال جبران إلى نيويورك (١٩١١) يُشير، عن صوابٍ، إلى ما يرى دارسون أنّ «الرابطة» تأسست بصيغتها الأولى في نيسان ١٩١٦، وعاشت فترةً ضئيلةً بسبب اشتداد الحرب العالمية الأولى وانصراف أعضاء تلك «الرابطة» (وفي طليعتهم جبران والريحاني) إلى العمل المّضني في «لجنة تحرير سوريا وجبل لبنان». بعد انحسار الحرب وتردّداتها عادت «الرابطة» إلى التشكّل، بصيغتها المعروفة، إبّان اجتماعٍ أول في جريدة «السائح» مساء الثلاثاء ٢٠ نيسان ١٩٢٠، في ختامه دعا جبران رفاقه المجتمعين إلى اللقاء في محترفه («الصومعة») مساء الأربعاء ٢٨ نيسان. وفي ختام هذا الاجتماع وُلدت الصيغة الجديدة لـ «الرابطة القلمية» كما دَوّن ميخائيل نعيمه مَحضرَ جلستها التأسيسية التي تمّ خلالها بالإجماع انتخابُ جبران عميدًا لها، وميخائيل نعيمه مستشارًا، ووليم كاتسِفليس أمين الصندوق.

٥ هو ميخائيل نعيمه، نظرًا لـ «الوَدِّ المفقود» المُتبادل بينهما.

من حيث الشكل، لا تُشبه «أناشيد» جبران الشعرية إلا ترجمة الملك جيمس الإنكليزية الكتاب المقدس: صفاء في التعبير، بساطة، قوة سحر، عبارات وصورٌ نابعةٌ تلقائياً من الأرومة ذاتها.

الإرث الثمين الذي وسّمه جبران في الشعر العربي يبقى خفياً عن العالم الناطق بالإنكليزية. و«سحر العربية منقولاً إلى سحر الإنكليزية» يلزمه لا أقل من شاعرٍ مبدعٍ بالإنكليزية متمكّنٍ من المضامين في العربية ومهاراتها، وليست المهمة مُجرّد ترجمةٍ مسطّحةٍ سليمةٍ بل يجب أن تكون عمليةً إعادةٍ خلقٍ شغوفةً من لغته العربية الأم إلى الإنكليزية التي اعتنقها.

بعد فترة وجيزةٍ من انتقال جبران إلى السكنى في نيويورك ولدت في محترفه الأكاديمية العربية<sup>٤</sup>. وصدف أن وجدتُ في المحترف قطعةً من ورقة بيضاء عليها هذه الكلمات بخط جبران: «أكاديميتنا مشكّلةٌ من ١٢ شاعراً سورياً معظمهم من الشباب ولن يزيد عددهم عن ذلك. وحدّه الموت يُفسح في انضمام شاعرٍ جديدٍ إلى الحلقة التي هي أم الشعراء في حلب والقاهرة ودمشق وبيروت وطرابلس». كانت الغاية، لدى أولئك الاثني عشر، رفد الشعر العربي بـ«شغفٍ مثلثٍ: الإيمان والحب والعمل حتى تستطيع البذورُ من مطالع الجمال والحقيقة تحقيق نُموها وتفتّحها في أدب الشعب العربي كما في قلوب بنيّه».

منذ تأسيس تلك الأكاديمية حتى اليوم، توفي قائدُها جبران وثلاثةٌ من أعضائها. وبين الباقين واحدٌ لن أذكر اسمه<sup>٥</sup> خرج عن الإيمان بغايتها، فيما يواصل الآخرون ولاءهم للإرث النبيل ووفاءهم لذكرى زميلهم الحبيب ومواطنهم الذي سبقهم إلى العالم العلويّ.

ولا نظنّ لبرهيةٍ بأن ولاء أولئك الرفاق لجبران كان لطفًا إخوانيًا أو إخلاصًا عاطفيًا وحسب. كان كل واحدٍ منهم ذا موهبةٍ مُميّزة، لكنهم كانوا مدركين أيّ عبقرٍ كان بينهم، ويرون إليه ذا قوةٍ عظمى وحكمةٍ عليا، مستقيماً هالته من مصدرٍ صوفيّ علويّ يجهلونه. وكانوا يجتمعون حوله بلذّةٍ ويتحدّثون بفرح، فيقرأون أمامه



الصفحة الأولى من كتاب  
«مجموعة الرابطة القلمية  
لسنة ١٩٢١»، وهي بخط جبران  
زخرفياً مع زخرفة صغيرة منه  
في أسفل الصفحة.



الورقة الرسمية لمراسلات «الرابطة القلمية»، إلى اليمين، «وظائفها» الثلاث: جبران  
عميداً، ميخائيل نعيمة مستشاراً، وليم كاتفليس خازناً.  
وإلى اليسار، الأعضاء: ندره حداد، إيليا أبو ماضي، وديع باحوط، الياس عطالله،  
عبدالمسيح حداد، نسيب عريضة.



جلسة مع «العميد جبران».  
عن يمينه نسيب عريضة، وعن يساره عبدالمسيح حداد وميخائيل نعيمة.

قصائدهم ويصغون إلى قصائد رفاقهم، ويتناقشون ويتحاججون وقد «يتعاركون» - كما كان جبران يقول - لأنهم أقوىاء ولا يحيد واحدٌهم عن موقفه بدون اقتناع. مراتٍ كثيرةً سمعتُ جبران يسميها «أكاديميائي». كان أعضاؤها إخوةً روحه ومواطنيه الأرضيين، يتكلمون لغته، لا عربيّتهم الأمّ بل لغة قلبه، لغة الشاعر، لغة الجمال والحقيقة، لغة كلِّ قديمٍ وجميل، لغة الشرف والعدالة والشغف.

كانوا - وسطاً ضجيج أميركا وصخبها عند مطالع القرن العشرين - يؤمنون بكل أمر خيّر وعنه يدافعون. فلا غرابة أن كان جبران يسميها «أكاديميائي» بحماسةٍ تقربُ من قوله «بلادي». كان عميق الإيمان بآلاف لبنانيين وسوريين باتوا اليوم مواطنين أميركيين يُسهمون في نهضة حياتنا الوطنية الأميركية وفي فنوننا والآداب. ظلَّ جبران حتى آخر حياته يكتب بلغته الأمّ الغالية على قلبها ومشاعره. ومع مرور الأشهر كان يحب أن يقرأ بها جهورياً ويلتذُّ بسماعه رنةً كلماتها.

وكان مُحِبّاً إليه أن يتناول الكتاب المقدّس ويقرأ فيه مقاطع من كتاب راعوث أو إشعيا أو أنبياء آخرين، مترجماً بعض الآيات كي نستطيع مقارنتها بالترجمة الإنكليزية أماناً. ومما آسف له بكل ندَمٍ أنني، إبان عملنا معاً، لم أدون لحظاتيذ ترجمته تلك الآيات من العربية إلى إنكليزية مصقولة، وأحياناً بارعة، كم كنت أودُّ حفظها.

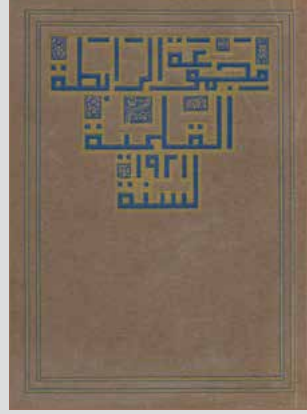
كان له اهتمامٌ خاص بأداء كلمات يسوع، لمعرفته الفروقات في الآرامية التي تكلم بها يسوع، حتى أن ترجمته إيّاها توضحها أكثر، لأن الترجمة الإنكليزية المتوافرة تبتعد أحياناً في بعض معانيها عن مقاصد الناصريّ الشاب. تلك المعاني الأساسية كانت ماثلةً بقوةٍ في باله وهو يؤلّف «يسوع ابن الإنسان». فمراً كان يقولها بالعربية متمتّعاً بأن ليس في الإنكليزية لفظه مرادفةً تعبر بالضبط عن المعنى الذي يريده، فيعلّق:

- في العربية خمسون كلمةً لمشاعر الحب، وليس لها في الإنكليزية سوى كلمة واحدة.





شعار «الرابطه القلمية»  
على الغلاف الداخلي من منشور  
لـ «الرابطه» - نيويورك ١٩٢٠



الغلاف الخارجي لكتاب «مجموعة  
الرابطه القلمية لسنة ١٩٢١»  
كما زخرفه جبران خطاً وإطاراً.

٦ يومية محلية صدرت سنة ١٨٩٦ في مدينة سِپرنغفيلد (ولاية ماساشوسِتس)، واحتجبت سنة ١٩٧٦.

٧ يومية صدرت بهذا الاسم سنة ١٨٢١ في مدينة مانسِستر، حتى تغيّر اسمها سنة ١٩٥٩ إلى «الغارديان» وانتقلت تصدر من لندن.

٨ مهندس و كاتب أميركي (١٨٦٦-١٩٤٦) كان صديقاً مقرباً من جبران، ومؤمناً مثله بالتقمص. في سيرته الذاتية «أكثر من حياة في واحدة» (نيويورك ١٩٣٨) كتب عن جبران أنه «نبي حديث من لبنان». وفي احتفال تابين أقامه الدكتور تشارلز فليشر مساء الأربعاء ٢٩ نيسان في متحف روريتش (نيويورك)، ألقى براغدن مراثيته «جبران ما زال حياً وسيبقى حياً إلى الأبد» (عن مجلة «العالم السوري»، السنة الخامسة، العدد ٨، نيسان ١٩٣١، ص ٢٩ و ٣٠).

٩ ذكر معني شبيهاً في فصل «الدين» من «النبي»: «الدين هو كل ما في الحياة من مآثر وأفكار... مَنْ ذا يستطيع فصل إيمانه عن أعماله؟ حياتكم اليومية هي دينكم، وهي هيكلكم فادخلوه بكل ما فيكم وما لديكم».

كان تزلُّعُهُ الواسعُ بعربيَّتِهِ الأُمِّ دونه في لغته المتبَنِّاة. ولعلَّ هذا ما جعل إنكليزيَّتَهُ بِتَيْنِكَ البساطة والنقاوة.

حين ظهر «يسوع ابن الإنسان» سنة ١٩٢٨ صدر في جريدة «سِپَرِنُغْفِيلِد يونيون»<sup>٦</sup> مقال جاء فيه: «إنكليزيَّةُ جبران تتميزُ بِجَمالِها ونصاعَتِها، وتبلُغُ درجةً من الكمال ذات تأثيرٍ حتى في أبناءِ الإنكليزية الأُمِّ». ولا أشكُّ مطلقًا بفعالية هذا التأثير.

في تلك الفترة ذاتها صدر في جريدة «مانشستر غارديان»<sup>٧</sup> البريطانية مقالٌ عن أشهر الكُتَّاب المعاصرين، ذكَّرَ سَتَّةَ منهم اعتبرهم أهمَّ مَنْ أَدعوا في الإنكليزية، بينهم اثنان ليسا من أبنائها: خليل جبران وجوزف كونراد.

وفي تلك الفترة أيضًا كتب كلود براغدن<sup>٨</sup>: «سرُّ شخصية جبران وعمقُ تأثيره على كل العالم العربي أنه أطل بما يمكن نَعْتُهُ «الأسلوب الجبراني» الذي لا يصعب على قراء الإنكليزية وسَمُّهُ بالرؤيا الصوفية وجمال إيقاعه ومقاربتِهِ «مشاكل» الحياة ببساطةٍ ونضارة، وبِقُوَّةِ فائقةٍ وثقافةٍ عميقةٍ وحُدسٍ ساطعٍ وحياةٍ غنائيةٍ وَتَمَكَّنَ لُغويًّا وجمالٍ يُوشِي كلَّ ما يلمسه».

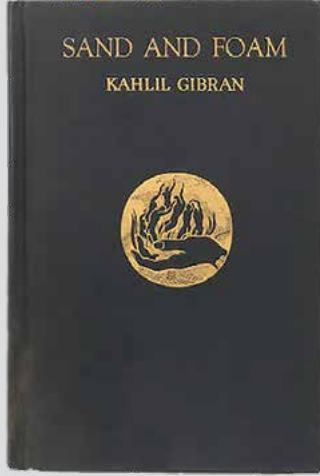
كل هذا فائض من ينبوعِ اختصرَهُ الشاعر، في فصل «العمل» من كتاب «النبى»، بعبارة سامية: «العمل هو الحبُّ مرثيًّا».

أما المتزمتون المحدودو الفكر فكانوا يرون إلى جبران خارجَ التوقُّع. وحيال سؤاله يومًا عن نُظْمٍ وقوانينٍ لحياةٍ منتظمةٍ مُقَوَّنة، أجب:

- أنا لا أسنُّ قوانينَ للسلوك. إفعلوا ما شئتم كيفما شئتم ما دمتم تفعلونه بِجمال.

نسيحُ تفكيره وعيشه كان من البساطة والمباشرة بما يُربك كلَّ رجلٍ وامرأةٍ يبحثان عن نُظْمٍ معقَّدة للأخلاق والفلسفات والمذاهب. وفي جوابٍ له عن معنى الدين قال يومًا:

- ما الدين؟ أنا لا أعرفُ إلا معنى الحياة. وهي تعني الحقل والكرم والنول. الكنيسةُ في داخلكم، وكلُّ منكم كاهنُها»<sup>٩</sup>.



غلاف الطبعة الأولى من كتاب «رمل وزبد»  
وهو أسود كجميع كتب جبران لدى كنوف  
وعليه رسم «اليد المباركة»

١٠ كان جبران ذكّر هذا المعنى ذاته في بيتين عند مطلع المقطع الرابع من قصيدته  
«المواكب»، هما:

والدِينُ فِي النَّاسِ حَقْلٌ لَيْسَ يَزْرَعُهُ      غَيْرُ الْأَلَى... لَهُمْ فِي زَرْعِهِ وَطَرٌ  
مِنْ أَمَلٍ بِنَعِيمِ الْخُلْدِ مُبْتَشِرٍ      وَمِنْ جَهَوْلٍ يَخَافُ النَّارَ تَسْتَعِرُّ

١١ مجموعة نصوص فلسفية (تُعزى إلى الفترة ما بين ٨٠٠ و ٥٠٠ ق.م.) تشكل البنية النظرية  
للديانة الهندوسية التي، بواسطة تلك النصوص، عرّفها أوروبًا مع مطلع القرن التاسع  
عشر. تأثر بها في ألمانيا الفيلسوف آرثر شوپنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠) وفي فرنسا تَرَجَمَ  
فيكتور هوغو (١٨٠٢-١٨٨٥) مقاطع منها في كتابه الملحمي «أسطورة الأجيال» (١٨٨٣).

١٢ دليل آخر على أن لبنان بقي دائم النبض في بال جبران، ليس فقط في كتاباته بالعربية  
الموجّهة إلى أبناء لُغته الأم، بل حتى وهو يكتب إلى قراء الإنكليزية.

١٣ هو الخورأسقف فرنسيس واكيم، راعي أبرشيّة مار يوسف المارونية - نيويورك.

وفي جوابٍ آخَرَ قال:

- الدِّينَ بينَ الناسِ حَقْلٌ يَحْرُثُهُ مَنْ لَهِمْ فِيهِ غَايَةٌ: مِنْهُمْ طَامِحُونَ إِلَى نِعْمَةِ الْخُلُودِ، وَمِنْهُمْ جَهْلَةٌ يَخَافُونَ نَارَ الْمَا بَعْدَ»<sup>١٠</sup>.

وأُضَافُ:

- كُلُّ أَمْرٍ جَدِيدٍ فَكْرٌ حُرٌّ. مَا يَعْنِي وَجُودَ أَفْكَارٍ حُرَّةٍ بَعْدَ أَبْنَاءِ الْبَشَرِ. وَكَانَ بَدِيهِيًّا أَنْ يُثِيرَ مَوْقِفَهُ «الْجَرِيءُ» مِنَ التَّزَمُّتِ اعْتِرَاضًا مَحْمُومًا. وَهَذَا مَا حَصَلَ، وَانْفَلَتَتْ ضَدَّهُ حَمَلَاتٌ قَاسِيَةٌ لَمْ تَوْثُرْ رَفَّةً جَفْنٍ وَاحِدَةً فِي مَوَاقِفِهِ. وَذَاتَ سَأَلَهُ أَحَدُ أَشْرَسِ مَعَارِضِيهِ:

- مَا الَّذِي أَنْتَ مُحَاوِلٌ إِِنْشَاءً؟ طَقَسَ عِبَادَةَ جَدِيدًا؟

بَرَقَتْ عَيْنَا جَبْرَانَ وَارْتَجَّ فِي جَوَابِهِ صَوْتُ مُعَبِّأٍ تَوَجَّسًا وَسُخْرِيَّةً:

- يَا صَدِيقِي، سَأَنْحَتُ صَخْرَةً أُرْكَزُهَا فِي حَقْلٍ حَجَرَ الزَاوِيَةِ فِي هَيْكَلٍ جَدِيدٍ. وَإِذْ أَمُوتُ وَأَكُونُ أَنْجَزْتُ بِسَاطِطَةٍ مَا أَسْتَطِيعُ، سَيَأْتِي طَوِيلًا بَعْدِي مَنْ يُضِيفُ حَجْرًا آخَرَ، وَسَتُؤَلِّدُ أَجْيَالٌ وَتَمُوتُ أَجْيَالٌ، وَفِي كُلِّ جِيلٍ سَيَنْحَتُ أَخٌ لِي صَخْرَةً وَيُضِيفُهَا عَلَى الْبِنَاءِ حَتَّى يَكْتَمَلَ بِنَاءُ الْهَيْكَلِ فَيَكُونُ بَيْتًا لِلْعَلِيِّ الْقَدِيرِ».

لَمْ تَسْتَهْوِ جَبْرَانَ شَرَائِعَ الْأَدْيَانِ وَلَا كَانَ يُنَاقِشُ فِيهَا، وَإِذَا طَائِفِيٌّ تَقْلِيدِيٌّ حَاوَلَ إِقْنَاعَهُ بِقِيَمَةٍ عَالِيَةٍ لِمَذْهَبٍ أَوْ عَقِيدَةٍ كَانَ يَجِيبُ:

- نَعَمْ. كُلُّهُ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ.

وَيُرَدُّ بَعْدَهَا مِنَ «الْأُوپَانِيَشَاد»<sup>١١</sup>: «لَا تُجَادِلُوا مَنْ لَمْ يُولَدْ سِوَى مَرَّةٍ».

فِي كِتَابِهِ «رَمَلٌ وَزَيْدٌ»، الْحَامِلِ كَنُوزًا مِنَ الْحِكْمِ، كَتَبَ: «مَرَّةً كُلُّ مِئَةِ سَنَةٍ يَلْقَى يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ يَسُوعَ الْمَسِيحِيَّ فِي بَسْتَانٍ بَيْنَ تَلَالِ لَبْنَانَ»<sup>١٢</sup>، يَتَحَادَّثَانِ طَوِيلًا، وَكُلَّ مَرَّةٍ يُغَادِرُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ وَهُوَ يَقُولُ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِيَّ: «يَا صَدِيقِي، شُعُورِي أَنَّنَا لَنْ نَتَّفَقَ أَبَدًا».

حِينَ لَفْظَ جَبْرَانَ نَفْسَهُ الْأَخِيرَ سَرَى قَلْقُ فِي شَعْبِهِ. فَجَبْرَانُهُم «الْحَبِيبُ» لَمْ يُجِبْ كَاهِنًا مَارُونِيًّا حَاوَلَ إِيقَاضَهُ مِنْ غَيْبُوبَةِ سَاعَتِهِ الْأَخِيرَةِ كِي يَمْنَحَهُ الْبَرَكَةَ الطَّقْسِيَّةَ<sup>١٣</sup>.



نعوم مكرزل (١٨٦٤-١٩٣٢) صاحب جريدة «الهدى»، وإلى جانبه إهداءً إليه من جبران بخطه: «إلى نعيم مكرزل مع احترام ومودة صديقه جبران خليل جبران - تشرين الأول ١٩٢٥».



صورة عامة للاحتفال باليوبيل الذهبي  
(١٨٩٨-١٩٢٣) لجريدة «الهدى».



صورة مقرّبة للاحتفال ذاته: في أقصى اليمين صاحبها نعيم مكرزل، إلى يمينه ٣ أشخاص ثم جبران وإلى يمينه ميخائيل نعيمة وعبدالمسيح حداد.

١٤ وُلِدَ في الفريكة سنة ١٨٨١ وتُوُفِّيَ في نيويورك سنة ١٩٥٢. أسس مجلة «العالم السوري» (تموز ١٩٢٦) ونشّر في عددها الأوّل مقطوعة جبران الشهيرة «إلى الأميركيين الشبان من أصل سوري» وقصائد له أخرى في أعداد لاحقة. سنة ١٩٣٢ تُوُفِّيَ شقيقه نعيم مؤسس جريدة «الهدى»، فتخلّى عن إدارة مجلّته وتولّى شؤون الجريدة.

١٥ من أشهر الشعراء الصوفيّين (١١٨١-١٢٣٥). معظم شعره في العشق الإلهي. عاش حياة زهدٍ كامل. لُقِّبَ بـ«سلطان العاشقين».

ولأنَّ جبرانَ شاعرهم الكبير ومواطنهم الفريدَ العبقريَّة لم يكن يمارسُ الطقوسَ الكنسيَّة التقليديَّة، تساءلَ البعض عن حقِّه في أن يُدقَّن وفقِ مراسمِ المؤمنين. لكن تساؤلهم لم يطلْ لأنَّ مشاعر الحب والإيمان والاعتزاز الوطني انتصرت على صغائر الطائفيين، ونال هذا الرجل من لبنان، لدى وفاته، كلُّ ما يستحقُّه من الكنيسة المارونية التي كان من أبنائها.

في هذا السياق هنا، أستشهد بما كتبه مواطنٌ صديقٌ قريبٌ من جبران: الناشر والكاتبُ اللبناني سلوم مكرزل<sup>١٤</sup> أحدُ قادة الجاليتين اللبناني والسورية في الولايات المتحدة، وهو من أبناء الكنيسة المارونية. ففي «العالم السوري» - مجلته التي كانت لسنواتٍ طويلةٍ تنبض بقلوب المواطنين الأوفياء لبلادنا - كتب:

«يبدو تناقضًا للكثيرين أنَّ الرجلَ الذي، بنُصوصه المناهضة طائفيَّةً ائبائيَّةً (تحدُّ من نعمة الله وتحتكرها لقلَّة من الطائفيين التقليديين) أثار نَقمة بعض رجال الدين النافذين واستهجانهم أنَّ تقام له مراسمُ الدفن الممتَّعة كنيسيًا. ولكن، واقعًا، ليس في هذا أيُّ تناقض. فجبران، ككبار الصوفيِّين، كان في قلب الدين. ولأنَّه كان كذلك، ثار على جميع القيود والتكبيلات التي تُبعد الروح عن مشاركتها الشرعية والحرَّة حضرة الله. إن الغضبة العارمة التي اضطرت في قلب يسوع حتى انهال طردًا على التجرار والصارفة من الهيكل، هي ذاتها التي جعلت جبران، في أحد نُصوص كتابه «التائه»، يُسقط صاعقةً على رأس مطرانٍ عقابًا له على طرده من الكنيسة امرأةً جاءت تسألُه إن كانت ستخلُص من نار جهنم وهي ليست مسيحية. وكما يسوعُ غفر لعشارٍ تاب إلى الله عن خطاياها، كذلك جبرانُ اعتبر الملايين من جميع الأعراق واللغات والمذاهب مُخلصين ولو لم يعتمدوا بالماء والروح.

وقبل جبران بمئات السنوات كان الصوفي الكبير ابنُ الفارض<sup>١٥</sup>، وكان جبران معجبًا بـ «تأنيته»، أنشد:

«إذا عابدٌ بوذا أنحنى أمام صخرة، فإنني أقربُ بعبادته وأنحني مثله أمامها».

The way seemed long and rough  
 The path lost among hills  
 Loneliness spoke with yearning  
 And silence harked  
 Oh, silence, the eternal voice of the Unknown  
 The birds sang of deep sorrow  
 The brooks murmured painfully as if wounded  
 by the sharp edges of rocks.  
 The breeze passed sighing as the breeze doth  
 All the flowers look but their whirled  
 petals and wet heavy eyelids  
 And I, with my heart sore, pained with  
 heavy limbs.  
 Behind me silence  
 Before me loneliness  
 Within me fear.  
  
 I came to the place where all  
 the roads of life meet.  
 There I fell a wounded prey before  
 the face of despair.  
  
 It was then that I heard unseen great  
 wings moving about me  
 And as I turned my eyes, I saw them  
 standing before me as the orders of God on  
 Lebanon  
 I knew their beacons, the light was in  
 their eyes and the molten sun in their lips  
 You blessed me with a touch and whispered  
 to my soul their words  
 "Follow me, child, I am thy guide."  
 "I shall reveal what sorrow doth hide."  
 I followed them  
 The path before us wide and adorned with  
 countless flowers.  
 Silence, releasing hidden secrets and  
 unveiling dreams of love.  
 The birds singing of joy as if welcoming  
 an eternal spring.  
 The brooks dancing  
 The breeze gently kissing the ends of the  
 branches  
 All the flowers looking upward and  
 greeting the sun with smiles.  
 And I heard them a found shield:  
 Behind me contentment.  
 Before me joy.  
 Within me love.

قصيدة غير منشورة بخط جبران.  
 ترجمتها كاملةً وأوردتها في الفصل ٢٠ من القسم  
 الثاني - صفحة ٥١٩، مع قصيدتين أُخرَيَّين.

١٦ محيي الدين ابن عربي (الأندلس ١١٦٤ - دمشق ١٢٤٠) لعلة أشهر المتصوفين. كان شيخ  
 طريقة «الأكبرية الصوفية». لقبه مُريدوه بـ «الشيخ الأكبر».

وكان ابنُ عربي، ولعلّه أكبرُ شاعر صوفي في كلّ زمان<sup>١٦</sup>، أنشدَ بهالةِ الحب الكوني ذاتها:

لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورةٍ  
وبيتٌ لأوثانٍ، وكعبه طائفٌ  
أدين بدينِ الحب أنى توجّهتُ  
فمرعى لغزلانٍ، وديرٌ لرهبانٍ  
وألواحُ توراةٍ، ومصحفُ قرآنٍ  
رَكائِبه... فالحبُّ ديني وإيماني»



بهاتين القوة والسلطة من تلك المبادئ العليا، اتخذ جبران مكانته في الموكب المتّجه من الأزل إلى الأبد.

اليوم جبران «مات» - كي أستعمل كلمتنا الزوالية - مات لكنه قال: «حين أموت لن أبتعدَ طويلاً عن هذه الأرض الخضراء الطيبة».

وبالفعل لم يكن في قلوب من عرفوه جيّداً أيّ شعورٍ بالخسارة أو بالأسى الكسير. فروحه الوسيعة المحبّة تحيا في كلّ من كلماته، ونعرفها ونحسُّ فعلاً بها. باقٍ منه نفَسٌ على السنوات والعهود في الظلّ المنبسّط تحت أرز الرب، وعظامه ودماغه ومفاصله ستغور أخيراً في ظلمة الأرض الطيبة وتبلغُ أعماقَ جذورها وأعلى أغصانها.

كلُّ ما كان فيه «ترايبياً» - كي أستعملَ تعبيره الدقيق - سيعرف قيامةً دائمةً وجمالاً أبدياً وسعَ فُصولٍ وأمطارٍ وتلّوجٍ، وعبرَ قصفِ رياحٍ وعواصفٍ كان يحبُّها جبران.

إن حُبّياتِ ترابه ستولدُ وتعيشُ وتموت آلافِ المرّات في لبنان. وآلافُ الحجّاج سيأتونَ آلافِ المرّات، يَجثُّون على ترابِ ذلك المرج، ومنه يتباركون.





الناشر ألفرد كنوف وزوجته بلانش

وهو ناشر جميع كتب جبران الإنكليزية وبقيت داره محتفظة بحقوق النشر والترجمة حتى سنة ٢٠١٨ (أي بعد ١٠٠ سنة على إصدارها سنة ١٩١٨ كتاب «المجنون» أول كتاب لجبران بالإنكليزية). ومنذ ٢٠١٨ أصبحت جميع كتب جبران الإنكليزية مُلكًا عامًا مُشاعًا، متاحةً بدون أيِّ حقوق ملكية فكرية لأحدٍ عليها.

١  
 أَلْفَرِدُ أَبْرَهَامُ كَنُوف (Knopf): ناشرٌ أميركي (١٨٩٢/٩/١٢ - ١٩٨٤/٨/١١) أنشأ مع زوجته بلانش (١٨٩٤/٧/٣٠ - ١٩٦٦/٦/٤) دارًا للنشر في نيويورك سنة ١٩١٥. في أيار ١٩١٨ دعاه صديقُه الكاتب جيمس أوپنهايم إلى غداءٍ في مطعم صغير من «غرينووتش فيلديج» ودعا إليه جبران كي يُعرِّفه به. وبعدما كان الناشر ماكميلان رفض مخطوطة «المجنون»، اهتمَّ لها كنوف في ذلك اللقاء ووافق على نشرها. بعد أيام (الأربعاء ٢٩ أيار) كتب جبران فرحًا إلى ماري هاسكل: «اتفقتُ مع كنوف على كلِّ شيء. وقَعْنَا العقد صباحَ أمس، وفي الجلسة ذاتها أرسلَ كنوف رسمَ الغلاف إلى الزنكوغرافي كي يحفرها. وسيكون في الداخل رسمان آخران. يريد كنوف إصدار الكتاب في منتصف تشرين الأول المقبل مع مطلع الموسم. هو شاب لطيف، كلما اجتمعْتُ به أنستُ إليه أكثر. له ذوق دقيق في جمال الطباعة والإخراج». وبالفعل: الثلاثاء ٢٢ تشرين الأول أرسل إليها أولَ نسخة مطبوعة من الكتاب، خطَّ على صفحتها الأولى الإهداء التالي: «إلى م. إ. هـ. هذا أيضًا أدينُ لك به. خ.ج.» وظلَّ تاريخ الكتاب مميِّزًا في ذاكرة جبران لأن ذلك الشهر ذاته أيضًا شهد توقيع الاتفاق على السلم الذي أنهى الحرب العالمية الأولى.

## لِمَ أَنَا هُنَا؟

أولُ الكُتَيْبَاتِ السُّودِ بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ كَانَ «الْمَجْنُونُ». أُصَدِرَهُ سَنَةَ ١٩١٨ أَلْفَرْدُ كَنُوفُ،  
صَاحِبُ دَارِ نَشْرِ حَدِيثَةٍ، ذُو حَدْسٍ صَائِبٍ بِالْقِيَمِ الْأَدْبِيَّةِ.

بَعْضُ هَذَا الْكِتَابِ تَرْجَمَهُ مِنْ كِتَابَاتٍ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَالْآخَرُ كَتَبَهُ رَأْسًا بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ.  
وَهُوَ مِنْ ٧٠ صَفْحَةٍ، حَوَى أَقْوَالَ وَأَمْثَالَ رَمْزِيَّةً وَحِكَايَاتٍ قَصِيرَةً كَتَبَهَا الشَّاعِرُ فِي  
صَبَاهِ وَمَطْلَعِ شَبَابِهِ، وَكَانَتْ مَنذُودٍ وَاعِدَةً بِمَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ كَاتِبُهَا. جَاءَ الْكُتَيْبُ  
شَرْقِيَّ النَّفْسِ، لَا مَلْمَحَ فِيهِ لِفِكْرٍ غَرْبِيٍّ. كَانَ تَعْبِيرًا عَنْ شَغْفٍ بِحَيَاةٍ دَاخِلِيَّةٍ لَمْ  
تَضْبُطْهَا بَعْدُ حَكْمَةٌ حَلِيمَةٌ عَمِيقَةٌ ظَهَرَتْ بِرَاعِمِهَا لِاحِقًا فِي «السَّابِقِ»، وَأَزْهَارُهَا  
فِي «النَّبِيِّ».

فِي نِصُوصِ «الْمَجْنُونِ» سَخْرِيَّةٌ ذَكِيَّةٌ، تَلْمِيحٌ إِلَى كَسْرِ الْوَهْمِ، مَرَارَةٌ سَاخِطَةٌ  
ضِدَّ الْحَيَاةِ، كَمَا فِي الْمَقْطُوعَةِ الْخَتَامِيَّةِ الَّتِي مِنْهَا:

يَا إِلَهَ النَّفُوسِ الضَّالَّةِ، أَيُّهَا الضَّائِعُ بَيْنَ الْآلِهَةِ،

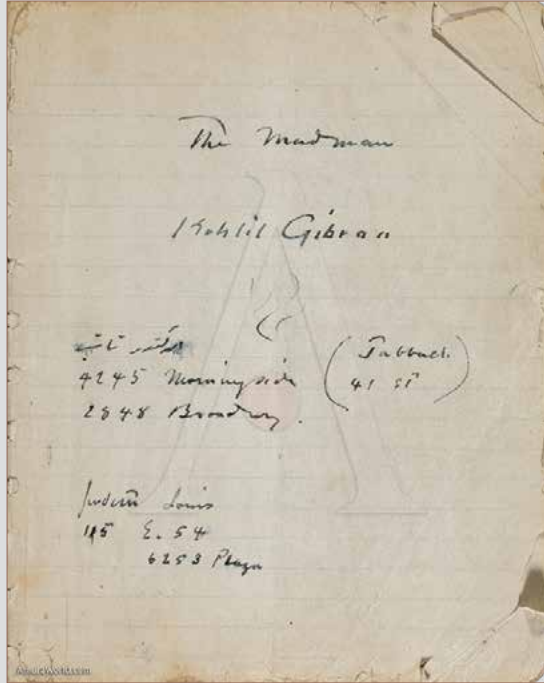
أَضْعُ إِلَيَّ:

أَنَا، أَكْثَرُ النَّاقِصِينَ، أَعِيشُ بَيْنَ أَكْمَلِ النَّاسِ.

أَنَا التَّشَوُّشُ الْبَشْرِي، الْعَشْيُ الْمَضْطَرِبُ الْعِنَاصِرُ،

أَحْيَا وَسَطَ عَوَالِمٍ تَامَةٍ، بَيْنَ شُعُوبٍ لَهَا قَوَانِينُهَا الْمَكْتَمَلَةُ وَنِظَامُهَا الْعَادِلُ...

أَسْرِقُ جَارًا وَأَنَا أَبْتَسِمُ



الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب «المجنون» (١٩١٨)،  
وعليها بخط جبران أسماء وعناوين وأرقام هواتف لأصدقائه.

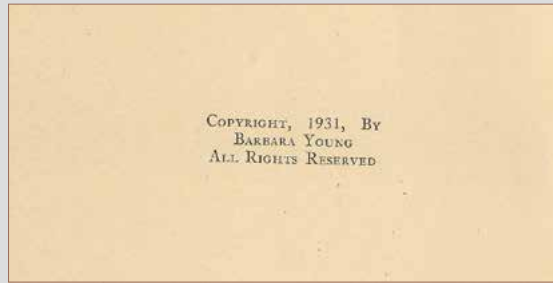
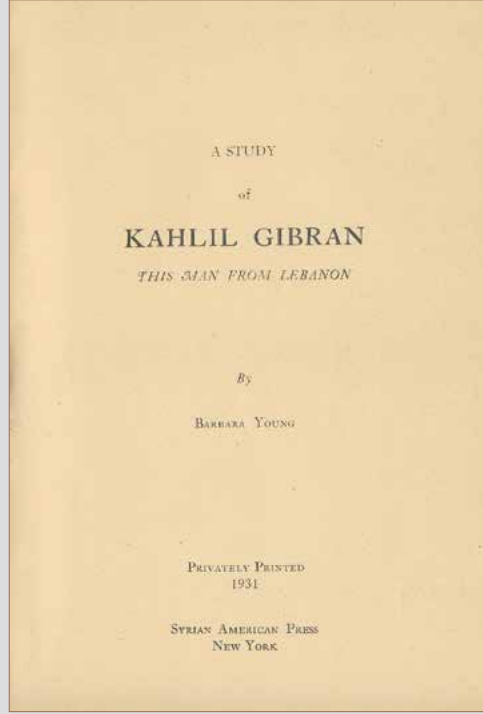
أمتدح بترقُب  
ألوم بِحَدَرٍ  
بكلمةٍ أهدم روحًا  
بنفخةٍ أحرقت جسدًا  
ثم أغسل يديَّ مُنجِزًا عملَ النهار.  
فَلِمَ إِذَا أَنَا هُنَا، يَا إِلَهَ النُّفُوسِ الضَّالَّةِ؟  
ولكنَّ في الكتابِ كذلكِ تعابيرَ ساميةً عن ذاكرةِ الخلود، منها:

... وبعد ألفِ سنةٍ،  
صعدتُ إلى الجبلِ المقدسِ  
وكلمتُ الربَّ:  
«إلهي، يا غاييتي وكمالي،  
أَمْسُكْ أَنَا، وَأَنْتِ عَدِي،  
جذركَ في الترابِ أَنَا، وَأَنْتِ زَهْرَتِي فِي الْفِضَاءِ،  
وكلانا ينمو في وجهِ الشمسِ».  
وها هو الشاعر الشاب يصرخ بصوت المجنون عند سرقة أقنعتة:  
مباركون مباركون لصوِّ سرقوا أقنعتي.

ويفرح، إذ هكذا:  
وجدتُ في الجنونِ الحريةَ والنجاةَ:  
حرיתי في الوحدة، ونجاتي من أن يفهمني أحدٌ،  
لأن من يفهمونا يستعبدون بعض ما فينا.  
وفي هذه الأقوال ثورته على الخبث والعمه والغباء، وأزمته الجوانية مع ذاته  
السباعية التي يكتب عنها.

هنا جبران، للمرة الأولى، يُفصح عن حسه بالوحدة التي طوال حياته ظلَّت  
تُحرقه حتى أطفائه. كان دائم الشعور بأنه غريب عن هذا الكوكب، عن هذا الزمن

الصفحة الداخلية من كُتَيْب باربره يونغ الأوّل:  
«دراسة عن خليل جبران هذا الرجل من لبنان»  
طبعة خاصة - ١٩٣١  
عن المطبعة السورية الأميركيّة - نيويورك  
وهو الكُتَيْب الذي ذكرته في الصفحة ٣١  
من هذا الكتاب.



على الصفحة الداخلية من الكُتَيْب:  
الحقوق جميعها محفوظة لباربره يونغ - ١٩٣١

٢ صدر أيضًا لدى منشورات كنوف، واستمرّت الدار بنشر جميع كُتب جبران اللاحقة، حتى التي صدرت بعد وفاته.

وأحداثه، ومع ذلك بقي يَجْهد في تقصير المسافة بين ذاته وذواتنا، لكنَّ هذا، كما قال هو مرة، «لن يكون».

ما ذكرته آنفًا من نيتشه عن فَاغْنِر، ينطبق حرفيًّا على جبران: «العالم كلُّه مبنيٌّ على أسس لا تعنيه، لذا هو ضائع في أجوائه». هكذا كانت تفيضُ أحيانًا مرارَةً وحدته الرهيبة فتهاجمه بفسوةٍ خانقة، ويتوقَّف صارحًا عند تلك اللحظة من الخلود: «لِمَ أنا هنا يا إله النفوس الضالَّة، أيها الضائع بين الآلهة؟»

فور صدور «المجنون» تُرجم إلى الفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية، وانتشر في دول اللغات اللاتينية، كما في أميركا الجنوبية حيث آلاف أبناء العربية يُجِلُّون اسم جبران وكل كلمة منه وكتاب.

ولجبران ذكريات ملوَّنة عن تلك الحقبة: تعرَّف بكتاب أميركيين شبَّان معاصريه، ونَعِمَ بزمالة متبادلة الفرح والاعتناء. نفَّت في فكرهم جوهرًا عريقًا قدَمَ الزمن، ونفثوا له ما لدى شعراء هذا العالم الغربي من عُمقٍ وجمال.

كان انتشار «المجنون» حافزًا تلقائيًا لِيُتَبَّعَه جبران بـ«السابق» سنة ١٩٢٠، وبعضه أيضًا مترجمٌ عن كتابات له عربية. وهو كتابٌ ذو رؤيا أوسع وحكمةٍ أعمقٍ وشغفٍ أكثرَ دفنًا ونضارةً، تعمَّره مسحةٌ سخريةٍ منضبطة، ثاقبة الرؤية ولو من خلال نقاب الوهم، لا في ظلِّ المرارة بل في مناخٍ من الحب والتوق.

من ذاك المناخ، مقطوعةُ «الحب»: رائعةٌ، ضئيلةُ الأسطر، أحديَّةُ المقاطع، ينضح منها اعترافٌ ساطعٌ بالتوق:

يقال إنَّ ثعلبًا وُخِلدًا يشران من جدولٍ يَرِدُهُ الأسدُ أيضًا  
ويقال إنَّ نسرا وُغرابًا يغرزان منقاديهما في جثةٍ واحدةٍ مُتصالحينَ أمامها  
أيُّها الحب

الذي يدهُ الربانيةُ كَبَّحتْ شَهواتي  
ورفعتْ جوعي وعطشي إلى الكرامة والفَخار  
لا تدعِ القويَّ الراسخَ بي

## Miss Barbara Young Will Talk on Gibran



BARBARA YOUNG

Miss Barbara Young, one of the founders of Poetry House in New York City, and friend and secretary of the late mystic poet and painter, Kahlil Gibran, will tell of his life and his work at 8:30 p. m. tomorrow in the Rochester Club ballroom.

Miss Young, whose lecture will be open to the public, will show many of Gibran's original drawings and wood carvings which he used to illustrate his work. Gibran died two years ago in New York City, after some of his works had been translated into 20 languages. "The Prophet" is perhaps the best known of all his works.

Dr. Ewald Elserhardt, professor of art at the University of Rochester, will preside at the lecture.

عمود من جريدة، فيه خبر عن إحدى قراءات باربره يونغ من كتابات جبران.

العنوان: «باربره يونغ تتحدث عن جبران»

وفي النص أن «السيدة باربره يونغ، من مؤسسي

«بيت الشعر» في مدينة نيويورك، وصديقة الشاعر الصوفي والرسام الراحل خليل جبران وسكرتيرته، ستحدث عن حياته وأعماله غدًا الساعة ٨:٣٠ مساءً في قاعة نادي روتشستر.

اللقاء مفتوح للجميع، وسوف تعرض السيدة يونغ رسومات ومنحوتات خشبية أصلية من جبران صدر بعضها في مؤلفاته. وجبران توفي قبل عامين في مدينة نيويورك، وترجم عدد من مؤلفاته إلى نحو ٢٠ لغة، ولعل أشهر مؤلفاته: «النبى». البروفسور إيوالد آيزرهارد أستاذ الفنون في جامعة روتشستر سيفتتح هذا اللقاء.»

يَأْكُلُ مِنْ خَبِزٍ وَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرٍ كِلَاهِمَا يُغْوِي ذَاتِي الضعيفة  
بل خَلْنِي أَتَجَفَّفُ جَوْعًا، وَقَلْبِي يَتَضَوَّرُ عَطْشًا  
وَلَأُمْتُ وَأَتَحَلَّلُ قَبْلَ أَنْ تَطَالَ يَدِي كَأَسَا لَمْ تَمْلَأْهَا، أَوْ قِصْعَةً لَمْ تَنْلُ بَرَكَتَكَ.

«الهجعة الأخيرة»، آخرُ مقطوعةٍ في الكتاب، تشي بفهمٍ واسعٍ عميقٍ في كيان  
الشاعر يلغي كلَّ ما قبله من شعورٍ أدنى أو فهمٍ أقلِّ. من هنا جاء «السابق» سابقًا  
فعلًا ظُهورَ «النبى» بعد ثلاث سنوات.

جمَعَ «السابق» بسرعةٍ حول هذا الرجل من لبنان أصدقاءً ومُعجِبِينَ كَثْرًا،  
وتتالت ترجماته. وخلال قراءتي المتتالية من كُتُب جبران، وجدتُ حكاياتٍ كثيرةً  
من «السابق» انتشرت وتطلَّبُ مني قراءتها تكرارًا. بينها: «قالت ورقةٌ ثلجٌ بيضاء»،  
«العالم والشاعر»، «من أعماق قلبي»، وكانت مقطوعة «البهلول»، أكثرَ من سائر  
الحكايات الرمزية في الكتاب، تلقي تجاوبًا خاصًا لتأثيرٍ فيها وجمال.

في الكتاب شكلٌ من القصص متميِّزٌ في الشرق، قديمٌ لكنه غيرُ غامض، اعتمده  
جبران أسلوبًا فريدًا صائبًا وسريعًا لإيصال الحقيقة. ولا أعرف كاتبًا معاصرًا عالج هذا  
النمط بهذه البراعة. إنه تحدُّ كلَّ كاتبٍ معاصر.

أثار اهتمامي هذا النمط فاعتمدته في إحدى سنوات جبران الأخيرة، ذات  
قال لي مرة: «أنت، لو رغبت، يمكنكِ نسجَ حكاية رمزية بهذا النمط». ردَّدتُ أن  
لن أستطيع، فعاجلني بحزم: «أتحدِّك». كان يعرف أن تحدِّيه إياي يُجدي، فعزمتُ  
على المحاولة.

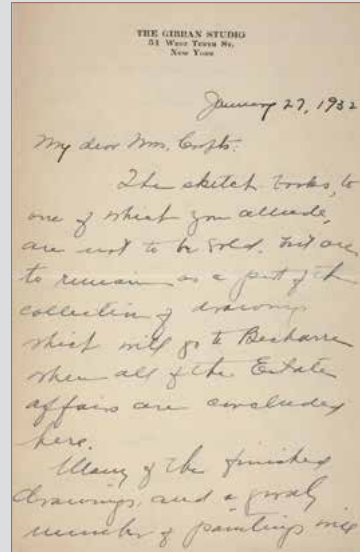
جاء ذلك حين تذكَّرتُ قصة كان جبران رواها لي عن مصادفةٍ حدثت له ذات  
ليلةٍ وهو عائدٌ إلى المحترف من دعوةٍ عشاءٍ، إذ تعطلَّت سيارته التاكسي وأكملَ  
سيرًا فصادف رجلًا خاله بحرًا طالعا من المرسى، دنا منه سائلًا إياه نقودًا يشتري  
بها خمرًا...



ورقة رسائل ذات عنوان «ستوديو جبران - ٥١ الشارع العاشر غرباً - نيويورك».

وهي رسالة من باربره يونغ إلى السيدة كروفْتْس في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٢، تُجيبها فيها بأن «دفاتر رُسوم جبران ليست للبيع، وهي جزء من مجموعة رسوم موضَّبة للإرسال إلى بُسْرِي، بعدما تنتهي معاملات حصر الإرث».

والسيدة مارغريت لي كُروفْتْس كانت، وزوجها فردريك على صداقة مع جبران، ولديها منه رُسوم وزيتيات (تفاصيل عنها في الحاشية ١ - صفحة ٤١٣ من هذا الكتاب).

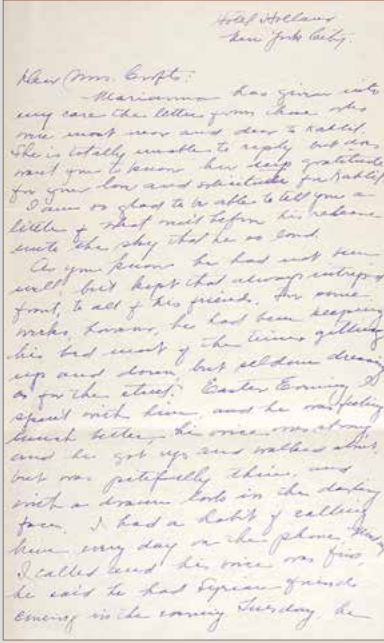


من موجز هذه القصة انطلقت، ورُحِت أنسجُ حكايةً عليها فكتبت ما يلي:

## الأمير والملاح

كان الليل يغلف الطريق الملكي، والأمير في مركبته الملكية عائداً إلى القصر من مأدبة عشاءٍ كبرى على شرفه. عند آخر دُغْلٍ كثيفٍ، ارتطم دولا ب المركبة بصخرةٍ كبيرة فتعطلت. ترجل الحوذي، وإذ وجد أن لم يعد آمناً إِيصالُ الأمير إلى القصر، انهار أمامه على ركبتيه راجياً: «مولاي صاحب السُمُو، ماذا سيحل بي وأنا سببتُ لك هذا الحدث المشؤوم؟» أجاب الأمير بكل شهامة: «الله حي، وهو صانع الليل والصخور في الأدغال. لا تخف. هاك القصر على مرمى حجرٍ خَيْرٍ من هنا. الطقس لطيف وسأمشي تحت هذه النجوم إلى قصر أبي، ولا خطر عليّ أو عليك.»

أكمل الأمير ماشياً، تتردد في قلبه كلمات حوذيّه المُجَب، حتى بلغ الساحة العامّة، فتأمل فيها الذين رأوه ولم يَأْبَهُوا له لأنهم لم ينتبهوا أنه أميرهم. وفيما يقترب من نزل المدينة تقدّم إليه من سألته صدقة. رآه الأمير ملاحاً فتوقّف يصغي، لأنه أميرٌ ولأن في روحه توقفاً إلى البحر. قال: «أراك بحاراً لا متسوِّلاً، فما تبغني من صدقتي؟». أجاب الغريب ببسمة مُرّة: «صدقت. أنا بحار بلا سفينة ولا ميناء. أنام بين أربعة جدران وعلى شفّتي مذاق الموت. أسألك صدقة كي أدخل هذا النزل فأشتري خمراً أحسبها كي أنسى». حنّ عليه الأمير لأنه هو ذاته كان بحاراً ونام يوماً بين جدران أربعة في سبيل مملكته، ويعرف مذاق المرارة التي طعمها الموت. قال: «ما تتوقّع كمية الذهب التي تتمناها تلبّي حاجتك؟» أجاب الغريب بمرارة: «أتوقّعها وفيرة». سأل الأمير: «يعني؟» تفرّس البحار مفاجئاً من موافقة الأمير فأجاب بنهم: «ثلاثمئة قرش». وإذ رأى الأمير أنّ هذا الغريب بدون عباءة، والليل يسحُ برداً، فتح صرة الذهب، سحب منها المبلغ وقدمه إلى الغريب مردفاً: «هاك المبلغ يا صديقي. إذهب واشترِ خمراً كي تنسى. إنما لي طلب واحد: لحظة تقترب من النسيان لا تنس أن تؤوب إلى جدرانك الأربعة. لا أحب أن أراك ثملاً مرمياً في الشارع بعد إقفال باب النزل وغرقه في صمت العتمة». قال البحار: «تقدّم لي ثلاثمئة قرش لأدخل النزل فأخرج ثملاً؟» قال الأمير: «أليست هذه حاجتك؟» ساد صمتٌ قصير قال البحار بعده: «بل حاجتي قصعة»



رسالة ثانية أرسلتها باربره يونغ (من فندق هولند - نيويورك) إلى السيدة مرغريت كروفتس تذكر فيها أنّ مريانا حوّلت إليها الرسائل التي تلقّتها إثر غياب شقيقها جبران. ولأنها لا تستطيع أن تجيب عنها لم تُكن تعرف الإنكليزية) طلبت إلى باربره الكتابة إجابةً إلى أصحاب تلك الرسائل وذكّر تقدير مريانا وشكرانها إياهم.

٣  
The New Orient: علاقةً باربره يونغ بالمجلة تعود إلى علاقة جبران بها: بعد صدور «النبى» ودُيوع شهرة جبران، طلب إليه صديقه سيّود حسين أن ينضمّ إلى عضوية «جمعية الشرق الجديد» في نيويورك، وأن يساهم في تحرير مجلّتها الفصلية. وافق جبران لأن تلك الجمعية ذات أفق دولي كان يسعى إليه فوجد حاجته لديها لأن بلوغه ذلك الأفق يحقق طموحه أن يكون «مواطناً عالمياً». فبين أركان الجمعية أعلام بارزون، منهم الماهاتما غاندي الذي كان جبران يراه «أحد أعظم الأحياء إطلاقاً». وترحباً بجبران، كتب سيّود حسين افتتاحية عدد أيار/حزيران ١٩٢٤ من مجلة «الشرق الجديد»، جاء فيها: «لم نجد مثل خليل جبران أكثر صدقاً وأعمق أصالةً وأرفع موهبةً تمثل الشرق في الغرب». وحين أقام الرسّام المكسيكي خوسيه كليمانته أروزكو في محترفه سهرة مساء الأحد ٦ كانون الثاني ١٩٢٩ احتفاءً بالذكرى ٤٦ لمولد جبران، كان سيّود حسين في طليعة الحاضرين، وألقى كلمة تكميلية في جبران.

٤  
جاءت إلى لبنان سنة ١٩٣٩، فزارت بُشريّ نهار الأحد ٨ تشرين الأول، ومدرسة «الحكمة» نهار الثلاثاء ١٠ تشرين الأول، وغادرت لبنان على عجل نهار الخميس ١٢ تشرين الأول لتبليغها ضرورة مغادرة الرعايا الأميركيين أرض لبنان بسبب اندلاع الحرب.

عدس. أعطني ثلاثة قروش فقط». أصرَّ الأمير: «بل المبلغُ كله لك، اشتر به ما ترغب، خمرًا أو عدسًا».

لم يقتنع البحار، ورافقه الأمير حتى باب النزل وظلَّ غيرَ مقتنع. سحب ثلاثة قروش فقط، دلَّف إلى النزل، وأكمل الأمير ماشيًا إلى القصر. ذلك أن ليس للأمير ولا للبحار خمرٌ اسمه النسيان.

تلك كانت الحكاية الرمزية التي نسجتها ونشرتها لاحقًا في مجلة «الشرق الجديد»<sup>٣</sup>.

أمَّا الحكاية الواقعيَّة التي جرت فعلًا مع جبران ليلتئذٍ على الجادة السادسة، فانتهت هكذا: سأل جبران ذلك الغريب كم يحتاج كي يشتري خمرًا فيسكر، فأجابهُ: «دولارًا واحدًا». وحين أصبح الدولار في يده تنبَّه ضميره فرفض الدولار وقال لجبران: «بل أعطني عشرة سنتات ثمن فنجان قهوة».

حين قرأتُ لجبران نص «حكايتي»، بادرني بكلُّ نُبل: «أرايتِ كم أنتِ لبنانية؟» كانت تلك العبارة تلميحًا إلى دعاية زاولناها أحيانًا لتخفيف ضغطِ كثيفٍ من وطأة العملِ الفكري. وإذ أكونُ مرتديَّة عباءةً طويلةً من حرير، عاجيةً مذهبةً تلتفُّ على كتفي، وأُعطيُّ بعض وجهي بحجاب، وأصبح «لبنانية»، يبادرني: «إخالكِ ستنطقين بالعربية في أيِّ لحظة». هذا اللهو الصبياني كان يُسعدُه ويجعلني أُحسُّ بشعورٍ بعضه نسيٌّ بعضه تدكُّر: لبنان، والأرز، والجبال. والغريبُ فعلًا أنني، حين زرتُ تلك البلاد بعد سنواتٍ، مُصعَّدةً تلك الجبالَ الفائقة الوصف، قاصدةً بُشريِّ والأرز، لم أشعر أنها زيارتي الأولى، بل كأنني غادرتُ العالمَ الغربيَّ المُعاصر وجئتُ إلى العالمِ القديم السحيق، ووصلتُ إلى بيتي محمولةً بغبطةٍ اكتفاءً وفيضٍ سلام. كأنَّ أولئك الناس الطيبين، بأهازيجهم وجمال روحهم وضيافتهم الغامرة، لم يكونوا من هذا العصر، ولا كانوا غرباء عني. كنت بينهم واحدةً منهم.

وهذه، كما يقال، حكايةٌ أخرى لها ظرفٌ آخر.



بلاطة تذكارية وسَط ساحة كوپلي العامة في بوسطن.  
 اللوحة المعدنية بالرسم النافر للنحات البوسطني خليل جبران:  
 جبران أمام ظلال أرزة، والكتابة: «خليل جبران ١٨٨٣-١٩٣١».  
 على صدر البلاطة: «خليل جبران - مولود في بُشْرِي لبنان. نَهَلْ غِذاءه الأدبي والفني  
 من دُنْيُوسْ هَاوس، ومدارس بوسطن الرسمية، ومكتبة بوسطن العامة.  
 وهذه المدينة الوَفِيَّةُ تُقَرُّ بالتناغم الأوسع بين الناس والتماسك في شمولية الفكر  
 كما أُطلقهما جبران إلى شعوب العالم».  
 وفي مقدمة البلاطة عبارة جبران: «في قلبي أن أساعد بالقليل لأنني لقيتُ  
 من المساعدة الكثير» (من رسالة له إلى ماري هاسكل).  
 تمّ تدشين الساحة والبلاطة في احتفال رسمي سنة ١٩٧٧.

١ هذه المعلومة وردت هنا لدى باربره يونغ، وفي يوميات ماري هاسكل، ولم تظهر كتابياً في أيّ وثيقة أخرى، ما يشير إلى أنها شفويّاً من جبران، قالها لهما مدرّكاً أنّهما ستكتبان سيرته.

٢ الأدقُّ أنه كان في الثانية عشرة (كانون الثاني ١٨٨٣ - حزيران ١٨٩٥).

٣ الأدقُّ أنه كان في الخامسة عشرة (كانون الثاني ١٨٨٣ - أيلول ١٨٩٨).

## ها هنا الحقيقة

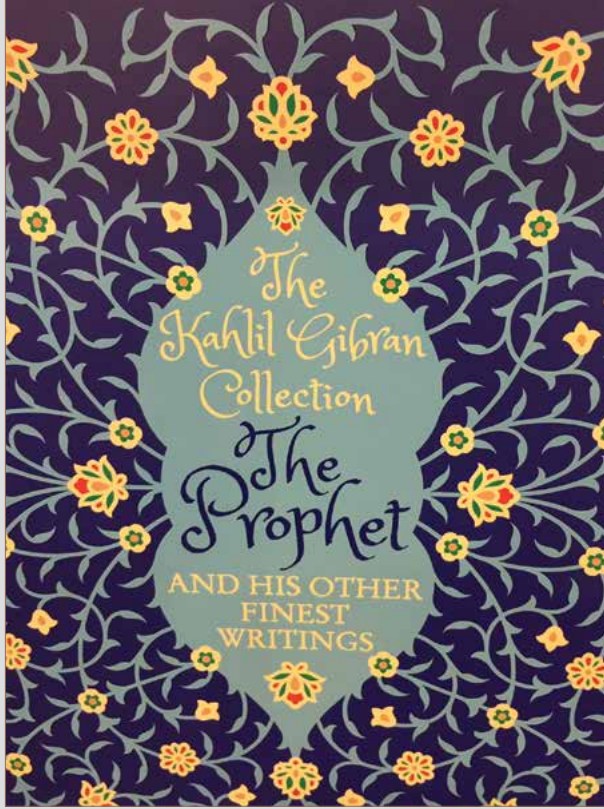
ختامُ كتاب «السابق»، هذا المقطعُ:

«... فجاءَ رَفَعَ رأسه، وكمن يستيقظُ من نومٍ عميق، بسَطَ ذراعيه وقال: «الليلُ ينسحب. ونحن أبناء الليل، حين الفجر يطلُّ علينا واثبًا فوق التلال، علينا أن نموتَ كي يولدَ من رمادنا حبُّ أقوى، سيضحكُ لوجه الشمس ولن يموت».

بعده بسنواتٍ ثلاثٍ وُلِدَ كتابُ «النبِيِّ» شاهدًا على «الحبِّ الأقوى» الذي «يضحك لوجه الشمس». وأيقن الآلاف من قُرَّائه أنه «لن يموت».

فكرةُ الكتاب وُلِدَت حين الشاعرُ في الخامسة عشرة<sup>١</sup>، تلميذُ «مدرسة الحكمة» في بيروت. كان في الحادية عشرةً حين جاء إلى أميركا<sup>٢</sup> وسكنَ في بوسطن مع أمه وأخيه بطرس وشقيقتيه مريانا وسلطانة. وفي سنته الرابعة عشرةً أصرَّ على العودة إلى بلاده<sup>٣</sup> ليصقل العربية أدبًا وثقافة. مع مطلع الخريف أبحر صوب الشرق وحده إلى أرض مولده. لم يقصدها فتى لَعوبًا ينطلق إلى مغامرة مَرِحَةٍ في حياة تلميذ، بل شابًا فتى الروح ناضجها، مُثَقَّل القلب، واعى الفكر على الموت أكثر مما على الحياة، مُدرِكًا أنه زائرٌ غريبٌ جاء يستطلع طاقاته في وُجْهتها النهائية وكامل قدراتها.

مرةً واحدةً، أظنُّها وحيدة، حدَّثني عن تلك الرحلة إلى بيروت، ولن أنسى أبدًا هاتيك المرة.



كثيرةً هي الطبعات التي صدرت من مؤلفات جبران، معظمها بدون إذن من أصحاب الحقوق (منشورات كنوف)، وبعضها مقتطفات من كتبه، كما هذه الطبعة المزخرفة وفيها «النبى» و«كتابات مختارة أخرى».

٤ غامضةً هذه المعلومة. لا هو أوضحها لباربره، ولا تناهى إلينا أن أحداً كتب يُوصي به لدى مدرسة «الحكمة».

قال:

- كنتُ في حُلْمٍ غيرِ واضحٍ وغيرِ مريحٍ، متأرجحًا على اضطراب. في بوسطن:  
أخي بطرس وشقيقتاي وخصوصًا أُمي، أُمي التي روت قصائدَ لا تُحصى ولم تكتب  
واحدة. وفي جبل لبنان: أباي قريبًا من الأرز. وأنا الفتى العنيد المصّر على تحقيقه  
إرادته ضدَّ إرادتهم جميعًا. كنتُ واثقًا أن لن أكونَ ذاتي إلا إذا عدتُ إلى بلادي. كان  
حلمي أن أكونَ شاعرًا ورسامًا.

توقَّف برهةً عن الكلام، ضرب على الطاولة بكفِّ كأن من حديد. نهض وأكمل:  
- وها أنا شاعر ورسام. شاعرٌ مبدعٌ ورسامٌ مجددٌ، وأحبُّ قصائدي ورسومي.  
ولأعلِنَنَّ هذا جهارًا في الشارع لو رغبتُ فيه.

كان يصرخ ذلك في المحترف بصوت فتى يوكِّد براعته في هوايته المفضَّلة.  
فجأة... حانت منه ابتسامة غريبة غَشِيَتْ ضبابَ عيني، وبادرنى: «أنا مغرورٌ  
طاووسي، أم إنك أنتِ أيضًا تحبين قصائدي ورسومي؟».

قبل أن أتَنفَسَ كي أُجيب، وضع إصبعيه على شفثيه وقال: «شش... أعرف أنا،  
أعرف». وعاد يذرع الغرفة مكملاً تذكاراته: «يوم بلغت بيروت وذهبتُ إلى المعهد  
لأتسجل، بادرنى المسؤول: «من أتى بك إلى هنا؟ ومن معك؟». تَمَطَّيْتُ صعدًا،  
وأنا كما تعلمين لست طويلًا، وأجبتُه: «لم يأت بي أحدٌ إلى هنا. وليس معي أحد».   
طبعًا كانوا يعرفون ذلك من الرسائل. بعدها صفا ذهني. لم يعد مشوشًا ولا عدتُ  
متأرجحًا على اضطراب. كنتُ منسجمًا مع ذاتي، وذاك كفاني».

في تلك الحقبة، إذًا، بعد سنتين، كتب الصيغة الأولى من «النبى»، لكنه تركها  
بين أوراقه مدرگا، كما قال لي، أنها ثمرةٌ غيرُ ناضجةٍ بعد، وأن سيجيءُ يومٌ يسحبه  
مجددًا من بين أوراقه ويكون قويا بين يديه. وأردف: «هذا الكائن [المصطفى]  
أظنُّه كان دومًا معي».

وأنا أيضًا أظنُّ، كما كثيرون سواي، أنَّ المصطفى هو جبران ذاته، ومن تطلَّب  
سيرة فكره وجَدَّها في «النبى»، وفي «حديقة النبي» الصادر بعده.



٥ هذا الكلام ليس دقيقًا، لأنه لم «يُقم» في باريس (١٩٠٢) كي «ينطلق منها إلى المغامرة الكبرى في حياته الفنية رسامًا»، بل كان عابرًا مرورًا فيها، استعجَلَهُ لمُغادرتها تَبْلُغُهُ خبرَ وفاة شقيقته سلطانة، فأبحَرَ عائِدًا إلى بوسطن. وما إلَّا بعد سنوات ست (١٩٠٨) حتى أبحر مُجددًا من نيويورك (الأربعاء ١ تموز ١٩٠٨) إلى باريس لسنتين كي يصقل دراسته الفنية.

٦ هذه العبارة قد تكون من جبران لا من أمه. فالحَنَات خليل جبران، وهو الأقرب إليه نسبًا وسيرةً، ذَكَرَ في كتابه «جبران، حياته وعالمه» (الفصل الأول «فُقراء في بُشْرِي») أَنَّ «كاملة كانت فقيرة التعلُّم إنما قديرة التدبير». وهذا «الفقر في التعلُّم» انسحب على ابنتيها مريانا وسلطانة اللتين كانتا كذلك أُمَيَّتَيْن تجهلان القراءة العربية (والإنكليزية طبعًا). ويروي الكاتب، في مقدِّمة كتابه، أَنَّ مريانا نادَتْهُ ذات أُمسية من نيسان ١٩٣١ (وكان يومها فتى في العاشرة)، كي يقرأ لها الأسماء على طُرُوف رسائل وصلتها تعزيةً بموت شقيقها، لعجزها حتى عن قراءة الأسماء، ثم وضعتها كلها في كيس كبير (في تقدير الكاتب: نحو ٢٠٠ رسالة من جميع أنحاء العالم) وطلبت منه أَنْ يُحرقها جميعًا ففعل. وذكر لاحقًا في كتابه أَنَّهُ «نادمٌ بِقَهْرٍ شديدٍ» على فعلته التي كانت «مشاركةً في تدمير ثروة أدبية كبرى عن جبران».

٧ المركيز فيكتور هنري دو روشفور (١٨٣١-١٩١٣) علَّم فرنسيًّا في الصحافة والمسرح والسياسة.

٨ آشيل كلود دوبُسي (١٨٦٢-١٩١٨) مؤلِّف موسيقيٍّ كلاسيكيٍّ فرنسيٍّ.

٩ الكونت موريس مايتزلنك (١٨٦٢-١٩٤٩) علَّم بلجيكيًّا في المسرح والشعر والبحث الأدبي. نال نوبل للأدب سنة ١٩١١.

١٠ إدمون أوجين روستان (١٨٦٨-١٩١٨) علَّم فرنسيًّا في الشعر والمسرح والبحث الأدبي، اشتهر بمسرحيته الخالدة «سيرانو دُبرجراك» (١٨٩٧).

١١ جيوزيبي غاريبالدي الثاني (١٨٧٩-١٩٥٠)، ضابط ثائر معروف بـ«بيبينو»، حفيد غاريبالدي موحدٍ إيطاليا.

١٢ أبحر من باريس السبت ٢٢ تشرين الأول ١٩١٠، بلغ مرفأً نيويورك الإثنين ٣١ تشرين الأول، بقي في بوسطن ستة أشهر، والأربعاء ٢٦ نيسان ١٩١١ انتقل بالمركب إلى نيويورك وبلغها صباح اليوم التالي، وسيعيش فيها عشرين سنةً، حتى وفاته ليلة الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١.

بعد سنواتٍ ثلاثٍ ختم جبران حياة التلمذة بتنويهاتٍ عالية، وأبحرَ إلى باريس كي ينطلقَ منها إلى المغامرة الكبرى في حياته الفنية رسامًا. ومسارُ تلك الفترة نهجٌ انصرافيٌّ إلى هدفٍ لن يتغيّر: العمل ثم العمل ثم العمل. جرت في حياته لاحقًا أحداثٌ شتى، وعرف صداقاتٍ كثيرةً، كان لها جميعها تأثيرٌ على مستقبل حياته، لكنه على أيِّ حال بقي يعيش في جوانيته، «يُقَوْلِدُ» قواه متصدّيًا للسنوات الآتية غير مدركٍ، مع حدسه بالشر، ما كانت تُخبئُ له من صراعاتٍ وآلام تلك السنوات الآتية.

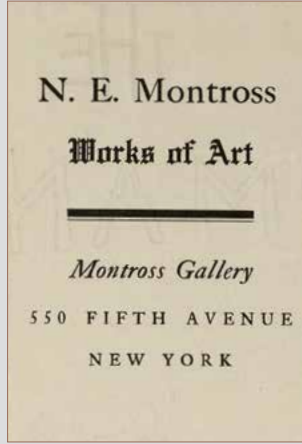
مسيرة كتاب «النبى»، منذ ولادتها، كانت في رأيي فريدة: حمله جبران معه من بيروت إلى باريس فإلى بوسطن حين استدعي، وهو في العشرين، إلى سرب أمه، وقرأ لها ما كتبه عن المصطفى الشاب. لكنها، بالحكمة التي تعالج بها فتاها كما عالجه في طفولته، قالت له: «جيدٌ عملك يا جبران، لكن وقته لم يحنُ بعد. دعه جانبًا»<sup>٦</sup>. وأطاع.

وهنا التفت إليّ: «كانت تعرفني أكثر مني في تلك السن اليافعة».

كان في الخامسة والعشرين حين أعاد كتابة النص بالعربية أيضًا. يومها كان في باريس، وشهرته كرسام شاب بدأت تسطع، وعمله استلفت ملاحظة رودان وصداقته، ومرتين شارك في «معرض باريس». هناك، وأمه لم تعد في الحياة كي تنصحه، قرأه وحده جهازًا ففكر: «جيدٌ عملك يا جبران، ولكن بعد... وقته لم يحنُ بعد. دعه جانبًا».

ومن جديد بقيت جانبًا قصة «المصطفى المختار الحبيب» عشر سنوات أخرى. وأمضى اثنتين من سنوات باريس يعمل، يدرس، يعقد صداقات، ويرسم وجوه كبارٍ من العالم فترتد: هنري دو روشفور<sup>٧</sup>، دُبوسِي<sup>٨</sup>، مايتزلنك<sup>٩</sup>، إدمون روستان<sup>١٠</sup>، غاريبالدي الحفيد<sup>١١</sup>، ورودان.

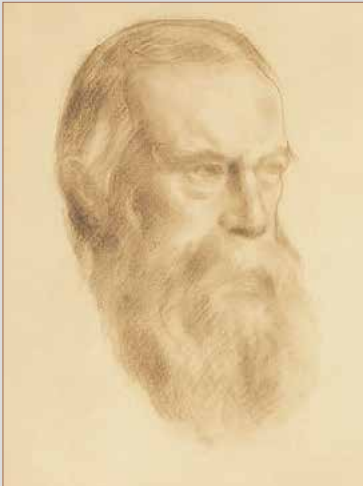
بعد عودة جبران إلى أميركا، لم تطل إقامته في بوسطن فانتقل إلى نيويورك<sup>١٢</sup> شاعرًا أنه فيها يسكن قلب العالم الغربي ويمكنه منها شقُّ طريقه إلى تحقيق



كُتِبَ «غالري مونترس» مع العنوان:  
 ٥٥٩ - الجادة الخامسة - نيويورك  
 وفيها أقام جبران معرضه  
 (١٤ كانون الأول ١٩١٤).

١٣ لم ينتقل إلى هذا المبنى إلا الجمعة ٢٢ أيلول ١٩١١، بعدما أمضى خمسة أشهر متنقلاً في مساكن مؤقتة.

١٤ صمّمه المهندس المعمار الشهير ريتشارد موريس هانط (١٨٢٧ - ١٨٩٥). تمّ بناؤه سنة ١٨٥٧، وتمّ ترميمه مراراً، حتى هدمته بلدية نيويورك سنة ١٩٥٦. أهمية هانط تأثيره في تحديث مدينة نيويورك عمرانياً. من إنجازته الكثيرة: قاعدة تمثال الحرية (١٨٨١)، تصميم واجهة متحف متروبوليتان لكنه توفي قبل إنجازها فنقذ التصميم ابنه سنة ١٩١٢.



١٥ رسام أمريكي (١٨٤٧ - ١٩١٧)، غريب الشخصية، مستوحى، اشتهر بلوحاته الرمزية ومشاهد البحر. تأثر بشخصيته جبران، وكتب فيه قصيدة (كانون الثاني ١٩١٥) ووضع له رسماً بالقلم الرصاص في نيسان من السنة ذاتها. وكان رايدر حاضراً لافتتاح معرض جبران في غالري مونترس الإثنين ١٤ كانون الأول ١٩١٤ وأُعجِبَ برسومه. وحين مرض رايدر وأُدخِلَ المستشفى ظلَّ جبران يَعُوْدُهُ كُلَّ يوم تقريباً حتى وفاته السبت ١٧ آذار ١٩١٧ وحزن عليه جبران عميقاً.

Ryder

رغبته في أن يُدع بالكلمات والصور معنى الجمال والحقيقة وجوهر الحياة. ولكي يعيش حياة الفنان كاملةً، اتخذ محترفه في المبنى القديم رقم ٥١ على الشارع العاشر غرباً<sup>١٣</sup>، وهو أوّل مبنى في الولايات المتحدة مُخصّص بكامله مُحترفاتٍ لسُكنى الرسامين والنحاتين<sup>١٤</sup>.

أحسّ جبران أن هذا الجوّ المحيط يوفر لرغبته الوحدة وحرية العمل. في هذا الجوّ عقّد صداقةً مع ألبرت رايدر<sup>١٥</sup>، شبيهه في الشعور بالوحدة والإحساس الضاغط بحزنٍ في الروح غامض.

في هذه البيئة - وهذا الرجل من لبنان واحدٌ من كوكبة خالدين يزورون هذا الكوكب مرةً كلّ ألف عام حاملين رسالةً من القدرة العليا - كان يتهيأً ليعطي العالم رسالته: شاعراً بكلماته الغنّاءة، ورساماً بريشته خطوطاً وأشكالاً وألواناً.

في هذا المناخ إذًا، كتّب «النبّي» بالإنكليزية في صيغةٍ أولى كانت بدايةً رسالةً هيئاً لها في «المجنون» و«السابق» إشاراتٍ تؤدّن بالولادة. وإذا كانت تلك جداولٍ تتبع نقاطاً أولى مترقرقةً من عمق التربة في روح هذا الكائن الأرضي، ف«النبّي» هو النهر. وهذه المرة جاء تأليفاً بالإنكليزية لا ترجمةً من العربية. كتّبه وهو يذرع محترفه خطواتٍ ساهمة، متوقفاً أحياناً ليُدوّن على ورقةٍ بيضاء، ثم مواصلاً ذرعه، و متمشياً ليالي كاملةً وسط غابات «سترال پارك» في رياح الشمال القارسة، أو صيفاً وسط غابات الشاطئ في منتجع كوهاسيت، مُحوِّلاً سحرَ عربيّة جبران إلى سحرٍ إنكليزيّته. ولم يصدر مطبوعاً هذا الكتابُ المدهش إلا بعدما خطّته يدُ جبران خمس مرات في خمس سنوات.

كتابته نُصوّه مباشرةً بالإنكليزية كانت دائماً شاقّةً عليه. لذا كان ينطلقُ أكثرَ في إبداعه حين يذرع المكان، يفكّر بالعربية، ويُملي فكرته بالإنكليزية شفاهةً من دون أن يقطع تفكيره بجلوسه إلى الطاولة كي يدوّن كلماته. مرةً قال لي: «استغرقتُ سنواتٍ خمساً لكتابة «النبّي» بالإنكليزية. ولكنّك معك أنجزتُه في سنة واحدة».



غلاف أحد أعداد مجلة «بوكمَن»  
الأدبية الشهرية.

١٦ هذا الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة يتجلى واضحاً في رسائله إلى الناشر إميل جرجي زيدان («الهلل» - القاهرة) وألفرد كنوف (نيويورك) عند إرساله المخطوطة إليهما، مُفصلاً لهما حجم الحرف الطباعي، وطريقة إخراج الصفحات، ومكان وضع الرسوم، وكيفية ترتيب المنمنمات الزخرفية في أعلى الصفحات وبين المقاطع.

١٧ مجلة أدبية شهرية صدرت في نيويورك (شباط ١٨٩٥) عن شركة دود و ميد (Dodd & Mead) (إحدى أقدم دور النشر في الولايات المتحدة). ومنذ عددها الأول درجت على نشر لائحة الكتب «الأكثر مبيعاً هذا الشهر»، وكانت تلك فترتئذ فكرة طليعية. توقفت عن الصدور سنة ١٩٣٣. وفي لندن كذلك مجلة بالاسم ذاته صدرت بين ١٨٩١ و ١٩٣٤. ولم تُشر باربره يونغ إلى أيٍّ من المجلتين صدر فيها هذا النص.

١٨ يومية أسسها الناشر جون ولتر في لندن (عددها الأول الجمعة أول كانون الثاني ١٧٨٥). كان فيها قسم للكتب الصادرة حديثاً. لا تزال تصدر حتى اليوم بطبعة ورقية وأخرى إلكترونية.

كان دائماً يكتب على دفاتر ذات ورقٍ أسمر. كتب يوماً: «لَيْتَ مَنْ يُرِيحُنِي مِنْ الاهتمام بالشؤون اليومية. فأنا أنشغل بـ»أمر واحد«، ولا وقت لديّ كي أختار بينه وبين أمرٍ آخر». مع ذلك كان يهتمُّ مدقّقاً بأمورٍ تفصيلية كثيرة<sup>17</sup>.

منذ طفولته كان يكتب على دفاتر سمراء الورق، كتلك التي للتلامذة. قال لي يوماً: «نعلم ما لا يعلمون، أنّ القصائد لا تُكتب إلا على ورقٍ أسمر». وضحك هازئاً من قولته تلك.

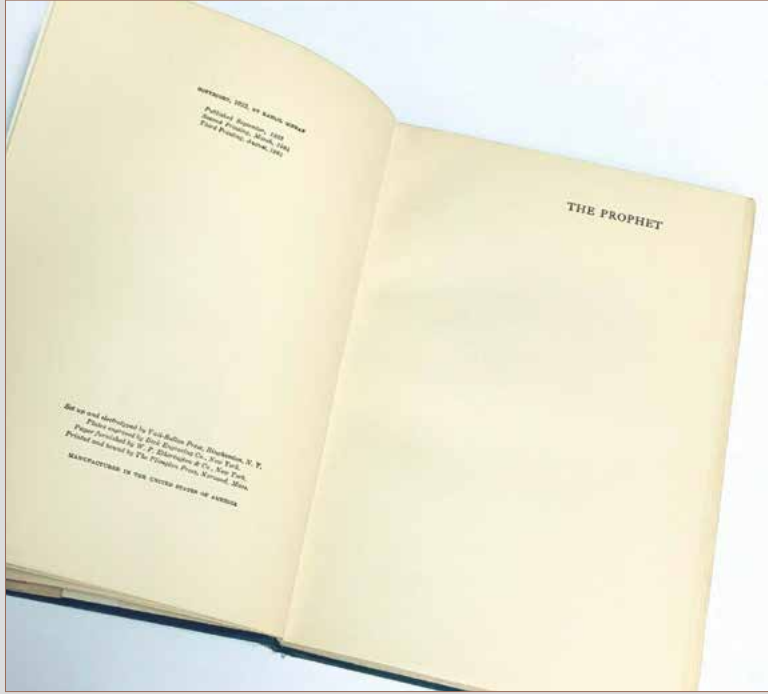
كان في عاداته، أمام دفتر أسمرٍ جديدٍ إلى طاولته، أن يكتب على صفحته الأولى كلماتٍ بعَرَبِيَّتِهِ الحبيبة. وعلى تلك الصفحة من آخر دفترٍ لديه، كتب: «أعناً يا رب أن نكتب على هذا الدفتر حقيقتك ساطعةً بجمالِك». وعلى الصفحة الأولى من دفترٍ قبله كان كتب: «يا أخي، كلُّ مسألةٍ شغلَّتكَ، شغلَّتني أنا أيضاً».

أخيراً أنجزَ «النبى» فصَدَرَ، على غلافه وجهُ المصطفى، وداخله أحدَ عشر رسماً تحمل إلى عيون زماننا وروحه صورةً بيّنةً عن قوةٍ لدى جبران حقيقيةٍ لم يُظهر قبلُ إلاّ بعضاً منها فظهرت في هذا الكتاب كاملةً المقدرّة الشاملة والجمال النقيّ.

نقادُ الصحافة تلقّفوا الكتاب بغير حماسةٍ ولا اندهاش، بل ببعض امتداحاتٍ خجولة. منها ما ظهر في مجلة «بوكمَن»<sup>18</sup>: «في الفلسفة الشرقية سحرٌ على العقل الغربي، تزيّد من وهجه كتابتها بنثرٍ شاعريٍّ بسيطٍ وجميلٍ كما في «نبى» خليل جبران الموشى بلمسة صوفية طرزتها ريشته باثني عشر رسماً لعُراةٍ هادئي البهاء طالعين من الفوضى إلى التصفيّ من الأفكار المعقّدة».

وفي جريدة «تايمز»<sup>19</sup> اللندنية جاء: «خليل جبران شاعر من الشرق الأدنى يجمع في هذا الكتاب أجمل ما لدى الفكرين المسيحي والبوذي في سلسلةٍ أجوبةٍ يُلقِيها نبيُّ مصطفى على سائليه عن شؤون الحياة وسرّ الموت الذي يحسه دانيًا».

ومن الطرافة، بل الإشفاق، مراقبةٌ هؤلاء السادة النقاد كيف، بعد عشاءٍ دسّم مساءً الخميس، يقبلون سريعاً صفحاتٍ كتابٍ جديد، يلتقطون فكرةً من صفحةٍ



صفحة داخلية من كتاب «النبى»  
تظهر فيها ثلاث طبعات في أقل من سنة:  
الأولى: أيلول ١٩٢٣  
الثانية: آذار ١٩٢٤  
الثالثة: آب ١٩٢٤

١٩ جريدة مسائية يومية صدرت في شيكاغو بين الإثنيين أول آذار ١٨٨٦ والسبت ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٢. منذ ١٩١٣ تولّت صفحة الكُتُب فيها الناقدَةُ الأميركيّة مرعريت كارولان أندرسون (١٨٨٦ - ١٩٧٣) قبل أن تُؤسَّس بعد سنة *The little review* (١٩١٤) مجلّتها الأدبية النقدية التي نشرت مطالع أدباء وشعراء كبار مثل ت.س. إليوت، أزرا باوند، إرنست همنغواي، جيمس جويس، ... إلى أن احتجبت سنة ١٩٢٩.

٢٠ صدرت طبعته الأولى في أيلول ١٩٢٣، وتلّتها طبعة ثانية في آذار ١٩٢٤، فثالثة في آب ١٩٢٤.

وغيرها من صفحة أخرى، ثم يصوغون بضعة أسطر يرسلونها إلى الجريدة على أنها «نقدُ كتاب».

غير أن نصًا وجدته بين المقتطفات الصحافية في جريدة إنكليزية لم أجد اسمها، دلّ على أنّ بين أولئك «السادة النقّاد» كاتبًا «ي.و.» (Y.O.) تأتى مليًا في قراءة «النبى». ومما كتب: «لم أر منذ سنواتٍ كتابًا أجملَ منه فكرًا. قرأته ففهمتُ، أفضلَ من قبلُ، قولة سقراط في «المأدبة» عن جمال الفكرِ الأبلغِ تأثيرًا من جمال الشكل. فما أعمق سخرية جبران من عاشقي الحرية الـ «مُعتنقينيها نيرًا وغلًا».

وفي جريدة «شيكاجو إيڤننغ پوست»<sup>١٩</sup> صدرَ نقدٌ جاء فيه: «قد لا يثير ضجةً هذا الكتاب. لكن قيمة الكاتب ليست في صخبٍ ما يُثيره من ضجيج. هي ذي هنا الحقيقة... يصوغها سورّي بأجمل ما لديه من موسيقى وجمال ومثاليّات. كلمات جبران تحمل الى السّماع إيقاعاتٍ جليّةً تذكّر بـ «سفر الجامعة». فخليل جبران لم يخش أن يبدو مثاليًا في عصر الهازئين، وأن يهتمّ بالحقيقة البسيطة وسط من يتناولون كي يبلغوا الذكاء. إن فصولَ هذا الكتاب الثمانية والعشرين تشكّل كتابًا مقدّسًا صغيرًا يقرأه ويحبّه جميع المُهيّئين لاقتبال الحقيقة».

وكان على حقّ كاتبُ هذا النقد. فليس في الكتاب ضجيجٌ بل مطلعُ همسٍ وُلد وتنامى فانتشر بين الناس نسّمًا خفيًا راح ينمو وسط العاصفة: «النبى»... «هل سمعتم بـ «النبى»؟ هل قرأتم «النبى»؟

بُعَيْدَ ظهور الكتاب<sup>٢٠</sup> بقيَ مئآتُ المصغين يتابعون قراءاتٍ منه في كنيسة القديس مرقس في الباورى، كما سبق وذكّرتُ، ومنذئذٍ ورسالة الكتاب تنتشر بين آلاف الناس وتعمُّ العالم. تلقّاه شعراءٌ من بلدانٍ أخرى، وبلغت قلوبَ رجالٍ ونساءٍ رسالته الساطعة فنقلوه إلى لغاتهم ليقراه مواطنوهم في أكثر من ثلاثين لغة ولهجة. كل ذلك بلا ضجيجٍ بل بسقسقةٍ نهرٍ علويٍّ يحمل الانتعاش النفسى والغنى الروحى إلى «المُهيّئين لاقتبال الحقيقة».

سنة ١٩٣٣ سعدتُ بالتوجّه إلى جمعٍ غفير من حضور مؤتمر «جماعة الإيمان العالمية» في شيكاغو: جمَع نساءٍ ورجالٍ من عقائد وطوائف مختلفة عبر الكوكب





«الفندق الكبير» Grand Hotel سنة ١٩١٠...



... وكما هو اليوم بعد ١٠٠ سنة (صورة من ٢٠١٢)

٢١ فندق قديم تأسس سنة ١٨٦٨ وسط مانهاتن في حي حيوي يزخر بالفخم من المسارح والفنادق والمطاعم. سنة ١٩٧٩ دخل هذا الفندق لائحة الأبنية الأثرية في مدينة نيويورك، ومنذ ١٩٨٣ أصبح من المعالم الوطنية التاريخية في الولايات المتحدة. وهو على زاوية الشارعين ٣١ وبرودواي.

جاؤوا يتحاورون في معتقداتهم الروحية. يومها اخترتُ موضوع «التبشير بالثقافة»، ورحتُ طوال نصف الساعة المُعطى لي أستشهدُ بمقاطع من «النبى»، كما أفعل دائماً منذ العشرين سنة الأخيرة كلِّما وأينما أقف خطيباً في حلقة أو مجموعة.

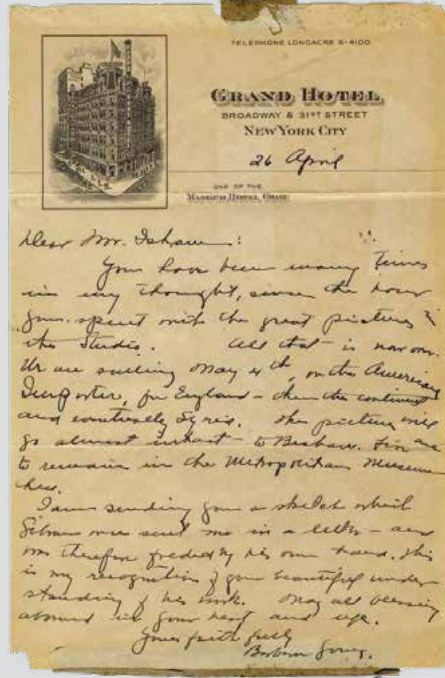
في ختام جلسة بعد الظهر من ذاك المؤتمر، جاءني شابٌ هندوسي حادقُ العينين يسألني عن اسم الكتاب الذي استشهدتُ بمقاطعٍ منه. وكانت من سؤاله وجوابي بدايةً صداقةٍ غاليةٍ امتدَّت سنواتٍ طويلة. ذاك الشاب كان راما مورتى المعاونُ الخاص لمهراجا النيپال، جاءَ يرافقه إلى المؤتمر.

حين عادا إلى الهند، حمل راما معه نسختين من «النبى»، واحدةً له والأخرى لشقيقه الأصغر وهو شاعر هندي شاب يكتب الشعر بإنكليزية رشيقة. بقيتُ سنواتٍ أتلقَّى رسائلَ رائعةً من ذاك الشاب، في الأخيرة منها أخبرني أنه يُدرِّس الإنكليزية تلامذةً يابانيين لدى مدرسةٍ إعدادية في طوكيو. كان ذاك من سنواتٍ أربع، وما عادت وصلَّتني أيُّ رسالةٍ من ذاك الصديق الشاب الرائع. إنما عرفتُ أنَّ كتاب «النبى» فتح له آفاقاً لم يكن عرَفها عن الحقيقة والجمال، وأنَّ مسار حياته فموته بات أغنى وأكبر مما لو لم يعرف «النبى».

في مقدِّمة كتابي هذا، رويتُ لقائي الأول بكلمات جبران. وفيما أكتب الآن هذه الأسطر، تنداعى إلى ذاكرتي قصصٌ أخرى عن أول لقاءٍ لآخرين بكلمات جبران.

ومما أذكر: لقاءً ذاتٍ سادسٍ من كانون الثاني، ذكرى مولد جبران، في غرفتي من «الفندق الكبير»<sup>٢١</sup> في مدينة نيويورك. كانت غرفتي عالية السقف، عريضةً وطويلةً، تطلُّ على زاوية جادةٍ برودواي والشارع ٣١، ذاتٌ خمس نوافذٍ عالية تتدلى عليها ستائر حريرية، وحين نُضاء الشوارع ليلاً وغرفتي في العتمة، تروح الألوان تتمايل على السقف والجدران في منظرٍ أحاذُّ يوحى بالشفق عند المغيب.

ذاك المساء جمعتُ في غرفتي أصدقاءً كي نتذكَّر جبران ونتحدَّث عنه ولا نور في الغرفة. كانوا نحو عشرين أو أكثر، جوُّ الغرفة متوهِّج، ومشاعرنا في ذروةٍ لا يبلغها وصف. وراح كلُّ منهم يروي كيف دخل حياته كتابُ «النبى».



رسالة من باربره يونغ لأحدهم في ٢٦ نيسان  
 كتبها على ورقة «الفندق الكبير»  
 وعليها عنوانه: شارع برودواي  
 والشارع ٣١ - مدينة نيويورك.  
 وتذكر فيها باربره أنها ترسل إليه مخطط رسم  
 كان جبران أرسله لها في رسالة منه إليها.  
 وهي تفعل ذلك تقديراً منها فهمه العميق  
 كتاب جبران (أرجح أنها تقصد كتاب «النبى»  
 لأنها قرأت منه كثيراً في ندوات مختلفة  
 بعد غياب جبران).

٢٢ سلسلة جبال صخرية عالية في الجهة الغربية من أميركا الشمالية، تمتد على ٤٨٠٠ كلم  
 بين كندا ونيو مكسيكو. فيها واحات و غابات ومحميات وفسحات سياحية جميلة للتنزه  
 والتزلج.

كانت بيننا صبيّة روسيّة اسمها ماريًا. روت كيف كانت يومًا تتسلّق مع شلة من شبان وصبايا واحدًا من «الجبال الصخرية»<sup>٢٢</sup>. انتحت بعيدة عنهم قليلًا وجلست تستريح على صخرة رأت أمامها كتيّبًا أسود. فتحتّه. لا اسمَ عليه ولا علامة. كان كتاب «النبى». لم يعن لها شيئًا. قرأت في صفحة، ثم في ثانية ففي الثالثة، ثم نشبت واقفةً وجعلت تنادي رفاقها: «تعالوا جميعًا... تعالوا انظروا إلى ما أمضي حياتي باحثه عنها وما أنا وجدتها: الحقيقة».

وكانت بيننا أيضًا صبيّة مُدرّسة في مدرسة خاصة، وهي شاعرة رهيبة. روت لنا أن الغرفة التي تدرّس فيها قريبة من رواقٍ يؤدّي إلى الباب الخارجي. ذات صباح وهي تدرّس تلامذتها، فتح الباب رجلٌ غريبٌ في يده كتابٌ مفتوحٌ وقال بدون أيّ تمهيد: «لديّ ما أتلوهُ عليكم وهو مهمٌ جدًّا». وقرأ علينا فصل «الأولاد» من «النبى». دُهلت المُدرّسة من فُجأة هذا الرجل ومن كلماتٍ أخاذةٍ قرأها فلم تقاطعه. ثم خرج مغلقًا وراءه الباب. وهكذا عرفتُ كتاب «النبى».

وأعرف في مدينة نيويورك مديرَ مؤسسة عقارية شهيرة، أخبرني أن لدى زوجته في البيت ثلاثٌ نُسخ من كتاب «النبى». ف«كلّما تعرفنا بشخصٍ جديدٍ جديرٍ تهديه نسخة. ومن ردة فعله حيال الكتاب نشكّل رأيًا في جدارته».

صدّقوني: جميعُ هذه القصص واقعةٌ حقيقةً، لا لأن الكتاب شاعريّ، أو لما فيه من سحر وجمال، من إيقاعاتٍ وموسيقى، وإنما لأنه مكتوبٌ بأسلوبٍ سهلٍ بسيطٍ يُمكنُ أيّ فتى ذكي أن يقطف منه بقلبه وعقله أفكارًا هي أعمقُ الحقيقة وأسطعها في وجودنا البشري. إنه كتاب نابضٌ حيٌّ يلامس الروح ويحركها بإصبعٍ من نار، فلا يمكن أن تقرأوا صفحةً منه ولا تُحرّك أعمقَ ما في وعيكم، إن كنتم حقًا من «المُهيّبين لاقتبال الحقيقة».

وهنا منه أنفاس:

- تحابًا إنما لا تنسجنا من الحب وثاقًا بل اتركاه بحرًا يتماوج بين شواطئ روحيكُما.

# LOVE MADE VISIBLE

*Scenes from a  
Mostly Happy Marriage*

**Jean Gibran**

Foreword by  
Charles Giuliano

Afterword by  
Katherine French

عبارة جبران «العمل هو الحُبُّ مرثياً»  
(من فصل «العمل» في كتاب «النبى»)  
أَتَّخَذْتُهَا الكاتبة جين جبران عنوان  
كتابها (٢٠١٤)، وهو مجموع «مشاهد  
من زواج سعيد جداً»، تسرد فيه حياتها  
الهانئة مع زوجها النحات البوسطني  
خليل جبران (توفي سنة ٢٠٠٨).

"Love is winging the  
day through work."  
and "work is love  
made visible."  
P. 21  
To Marie Louisa  
from her devoted friend  
Khalil  
April 1928

... وهو استعمل عبارته  
(من فصل «العمل» في «النبى»)  
إهداءً في نيسان ١٩٢٨  
«الحب هو النهار مجنَّحًا بالعمل  
والعمل هو الحب مرثياً»  
إلى ماري لويز من صديقها المُخلص خليل

- أولادكم ليسوا أبناءكم... من خلالكم يولدون، لا منكم. وليسوا ينتمون إليكم ولو انهم معكم يعيشون.

- لا يمكنكم تفريقُ العادلِ عن الجائر، والصالحِ من الشرير، لأنهما معاً واقفان في وجه الشمس كما الخيطُ الأسودُ والخيطُ الأبيضُ منسوجان معاً، وحين ينقطعُ خيطُ أسودٍ يدقُّ الحائكُ في كامل القماش ويتفحص جميعَ مفاصل النول.

- حياتكم اليومية ديانتكم وهيكلكم.

- ذات يوم ستعرفون الغاياتِ الخفيّةَ في كلِّ شيء، وتباركون العتمةً مثلما تباركون النور.

- العملُ هو الحبُّ مرثياً.



الزوجان السعيدان جين و خليل جبران في صورة لهما  
إبان رحلة إلى لندن (٢٠٠٦).

## HARCOURT STUDIOS DESTROYED

Fire Wrecks Building, Causing Loss of \$200,000

By Associated Press.

BOSTON, Nov. 11.—The Harcourt studios, a two-story brick building in the Back bay, was gutted by fire tonight, causing a loss of \$200,000.

The building was occupied by the Hutchins Votey Organ company, George H. Walker, publisher and lithographer, the Ranchard Machine company, the Pennsylvania Metal company and about thirty artists' studios.

Many artists slept in the building and several who were asleep when the fire broke out were rescued by firemen.

خبر في الصحافة عن احتراق مبنى هاركورت  
(من طابقين) ومعه احترقت (ليلة ١٠-١١  
تشرين الثاني ١٩٠٤) جميع رسوم جبران  
التي كانت هناك في عُهدة فِرْدْ هولند داي.

١ صدر لدى كنوف مطلع كانون الأوّل ١٩١٩ في طبعة فاخرة ملوّنة، وعلى غلافه رَسَمَ جبران «الْبُرْزِيّ» (كلب روسيّ لمطاردة الذئب) واعتمده كنوف، منذئذٍ شعاعًا لدار النشر على أغلفة جميع منشوراته.

٢ ... وكان صدر قبل سنة (١٩١٨).

٣ ... وهو صدر بعد سنة (١٩٢٠).

٤ وهو أول معرض لجبران. أقامه له فِرْدْ هولند داي في محترفه (مبنى هاركورت - شارع إرفنغتون - بوسطن) بين الجمعة ٣٠ نيسان والإثنين ١٠ أيار ١٩٠٤. وفي اليوم الأخير من هذا المعرض (مساء الإثنين ١٠ أيار) جاءت ماري هاسكل والتقت جبران للمرة الأولى التي كانت، منذ ذاك اليوم، منعطفًا رئيسًا في حياته وحياتها وحياتهما معًا.



٥ «بوسطن إيفننغ ترانسكريبّت»: يومية مسائية محافظة. صدر عددها الأول مساء السبت ٢٤ تموز ١٨٣٠. انهار مبناها كليًا في حريق بوسطن الهائل ليلة ٩ تشرين الثاني ١٨٧٢، فأعيد بناؤه وتوسّع وظلّت تصدر منه حتى احتجبت مع عددها الأخير مساء ٣٠ نيسان ١٩٤١. وبلغت من الشهرة أن كتب فيها قصيدة عنوانها «بوسطن إيفننغ ترانسكريبّت» الشاعر الأميركي ت. س. إليوت (١٨٨٨-١٩٦٥) - «نوبل الأدب» (١٩٤٨).

مبنى صحيفة «بوسطن إيفننغ ترانسكريبّت»، التي نشرت أول مقال عن أول معرض لجبران في عددها الثالث ٤ أيار ١٩٠٤.

٦ «بوسطن إيفننغ ترانسكريبّت» - عدد الثلاثاء ٤ أيار ١٩٠٤ - صفحة ١٠.

## ضباة منحوتة في صورة

أول اتصال عام للجمهور الأميركي بفن جبران تم سنة ١٩١٩، عند صدور كتاب «عشرون رسماً»<sup>١</sup>، بعد «المجنون»<sup>٢</sup> وقبل «السابق»<sup>٣</sup>. وهو لم يكن سوى لمحة من عالم إبداع كان جبران يتكلمه.

قبله، أقيمت معارض لرسومه، في بوسطن أولاً ثم في نيويورك. عن معرض بوسطن<sup>٤</sup> صدر مقال في صحيفة «ترانسكريبنت»<sup>٥</sup> أشار باعتراف تقيمي إلى ذاك الفنان الشاب:

«السيد جبران شابٌ سوريٌّ يجسد في رسومه طبيعةً لجزوره شاعريةً وخياليةً، ومسحةً لافتةً لإبداعٍ شخصيٍّ. جميلٌ ولعهُ بالجمال والنبل في رسومه، وعنيفٌ رفضه كل ما عداهما. من هنا تأثيرُ رسومه على مشاهديها وإبداعه، على رغم سنه الباكرة، في فرادةٍ وعمقٍ رمزيين. توفقه إلى التعبير عن أفكار ماورائية جعله يتخطى محدودية التقنيات التقليدية إلى فلواتٍ خيالٍ جمحٍ إلى التعبير تجريدياً عن الفكرة وجمالها الخُلقي»<sup>٦</sup>.

لافتاً كان فهمُ رسومه هكذا في مرحلةٍ كان الفن خلالها بعيداً جداً عن كنه «الجمال الخُلقي» و«العمق الرمزي». من هنا ما تركت رسومه من نجاحٍ هدمته كارثةٌ كانت تنتظر الرسام الشاب بعد ستة أشهر: اندلع في المبنى حريق رمده كلياً ورمّد معه جميع رسوم جبران الجميلة.



٧ مدرسة خاصة ذات محترفات عدّة لتدريس الرسم والنحت أسسها سنة ١٨٦٦ الرسّام الفرنسي رودولف Julian جوليان (١٨٣٩-١٩٠٧). خرّجت كثيرين ممن باتوا لاحقاً أعلاماً كباراً في الرسم والنحت.



٨ مساءً الأربعاء ٢٦ نيسان ١٩١١ أبحر جبران، على متن باخرة الخطوط البحرية «جُوي»، من بوسطن إلى إقامته الدائمة في نيويورك، بلّغها صباح الخميس، وتوجّه إلى المبنى ١٦٤ شارع وإفريقي، في شُقّة صديقتة شارلوت تِلر التي كانت فترتتدّ خارج نيويورك في جولةٍ مسرحية.

٩ انتقل إليها الخميس ١١ أيار، وهي في نَزْلٍ ذي شُقّتي مفروشة يشكّل المبنى ٢٨ من الشارع التاسع غرباً، وفيه أيضاً شُقّة صديقه أمين الريحاني.

Charlotte Teller 1909

١٠ هو المبنى ٥١ من الشارع العاشر غرباً، انتقل إليه الجمعة ٢٢ أيلول، مستأجراً فيه أوّلاً (بـ ٢٠ دولاراً شهرياً) غرفةً ضيّلةً في الطبقة الثانية، بقي فيها حتى الخميس أول أيار ١٩١٣ حين انتقل منها إلى الطبقة الأخيرة (الثالثة) من المبنى ذاته، مستقراً نهائياً في رُدْهةٍ أوسعٍ من تلك بثلاثة أضعاف (٧٠ متراً مربّعاً) ذاتِ فُتحةٍ في السُقّف، وخمس نوافذٍ شمالاً وجنوباً تساعد إضاءةًها على الرسم، إيجارُها الشهريُّ ٤٥ دولاراً، هي التي عاش فيها بقية حياته واضعاً سائر مؤلّفاته ورسومه ولوحاته، وهي التي سمّاها رفاقه «الصومعة».

١١ عباس عبد البهاء (طهران ١٨٤٤ - حيفا ١٩٢١). زعيم الطائفة البهائية من ١٨٩٢ حتى وفاته. بكرٌ مؤسس البهائية الميرزا حسين علي النوري «بهاء الله» (طهران ١٨١٧ - عكّا ١٨٩٢).

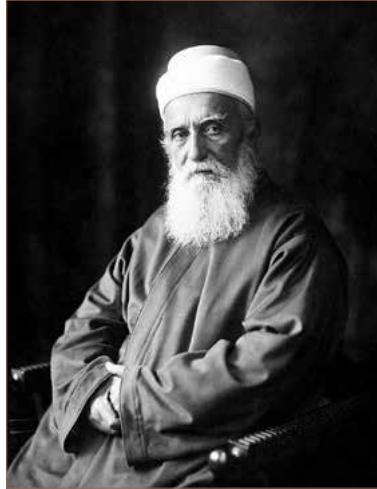
١٢ وليم بَطْلِر بيتس شاعر إيرلندا الكبير (١٨٦٥-١٩٣٩). جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٢٣. رسم وجهه جبران في أقلّ من ساعة صباح الأحد أول تشرين الأول ١٩١١ في غرفة بيتس من فندق تورين - بوسطن. ثم عاد فالتقاه في نيويورك حين زارها بيتس بين شباط ونيسان ١٩١٤.

١٣ جون إدوارد مايسفيلد (١٨٧٨-١٩٦٧)، شاعر وكاتب إنكليزي. زار نيويورك سنة ١٩١٥ بعد عودته سنّتتدّ من معركة غاليبلي (أو الدردانيل) ومآسيها وفواجعها. وضع عنها كتاباً سنة ١٩١٦.

كانت تلك ضربةً قاسيةً أصابت أعماله الأولى لا يُمكن تقديرُ طعنتها على رهافته وطبيعته الرقيقة. غير أنه، بعد سنّتي دراسته الرسم في باريس لدى أكاديمية جوليان<sup>٧</sup> ومزاولته الرسم الزيتي في محترف الفنون الجميلة، صرّح:

«النار التي أحرقت رسومي الأولى كانت نعمةً من الخالق الرحيم. يومها قالوا إنها رُسومٌ جيّدة لكنني اليوم أعرف أنها كانت فجّةً غير ناضجة... فحين كنت في باريس أدركتُ أنّ انقشعت الضبابه التي كانت بيني وبينى».

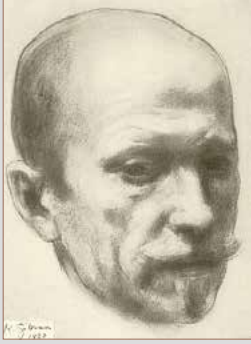
في سنواته اللاحقة كان يحب الحديث عن سنواته السابقة في باريس، عن سنواته الأولى في نيويورك<sup>٨</sup>، عن غرفة محترفه الأول<sup>٩</sup> - وكان يسمّيها «قفصي الضيق» - وأخيراً عن المحترف الأرحب في الطبقة العليا من مبنى آخر<sup>١٠</sup>، قاعته وسيعةٌ منحته كأن حريّةً جديدةً، و«يمكنني فيها أن أبسط على وسعهما جناحيّ» كما قال لي. وكان في المحترف الأول رسم سنة ١٩١٢ وجهَ عبدالبهاء<sup>١١</sup> القُدوسيّ، وهو طلب أن تكون جلّسته إليه في السابعة صباحًا. أذكر أنه قال لي: «بقيتُ سهرانَ طوالَ الليل، ليقيني أن لو نمت طويلاً لن أستطيع السيطرة على عينيّ ويديّ».



Abdul Baha

وفي المحترف الأخير رسم وجهه من زاره من كبار الشعراء: بيثس<sup>١٢</sup>، مايسفيلد<sup>١٣</sup> (العائد حديثاً من معركة غاليبلي «وفي عينيه بقايا أشباحها»)، جورج

١٤ كاتب، شاعر، رسام إيرلندي (١٨٦٧-١٩٣٥)، نشر معظم مؤلفاته بتوقيع AE. زميل جبران في «جمعية الشرق الجديد» (أسسها سيود حسين في نيويورك سنة ١٩٢٤). ولاحقًا (١٩٣٨) قال راسل عن جبران: «لا أظن الشرق تكلم بصوتٍ ساطعٍ نقيٍّ كما تكلم جبران في كتابه «النبى»».



يوهان بوجر كما رسمه جبران  
(نيسان ١٩٢٠)

١٥ كاتب ومؤلف مسرحي إنكليزي (١٨٦٥-١٩٥٩). زار نيويورك في كانون الثاني ١٩١٧.

١٦ روائي وكاتب مسرحي نروجي (١٨٧٢-١٩٥٩). زار نيويورك في نيسان ١٩٢٠. حين انتهى جبران من الرسم التفت إليه بوجر وبادره: «رسمت وجهي كأنك تحته بإزميلك لا بريشتك».

١٧ أحد كبار الشعراء الأميركيين (١٨٥٢-١٩٤٠) كان رسمه جبران في أيار ١٩١١ بعيد وصوله من بوسطن إلى نيويورك.

١٨ پول وايلند بارثلث (١٨٦٥-١٩٢٥) نحات أميركي شهير. صاحب تمثال «لافاييت على ظهر جواده» مقابل متحف اللوفر. رسمه جبران في باريس (كانون الأول ١٩٠٩) إبّان دراسته الرسم فيها. ومن إعجاب بارثلث برسمة، صمّم جبران على رسم سلسلة الوجوه التي شكّلت لاحقًا مجموعته الشهيرة «معبد الفن».

١٩ شاعر ومؤلف مسرحي أميركي (١٨٧٥-١٩٥٦). أُعجب برسم جبران وجهه (١٩١٤) فجعله غلاف الطبعة الخاصة من مسرحيته «سانت لويس».



ويلتر باينر كما رسمه جبران  
سنة ١٩١٩

٢٠ هارولد ويلتر باينر (١٨٨١-١٩٦٨). شاعر أميركي. رسمه جبران سنة ١٩١٩، وهو الذي كان جمعه بالفرد كنوف ناشر جميع مؤلفات جبران.

٢١ كان افتتاحه مساء الاثنين ١٤ كانون الأول ١٩١٤. وكانت تلك من أفخم صالات العرض على الجادة الخامسة. تحمل اسم مؤسسها سنة ١٨٧٨ نيومان إمرسون مُنْتَرَس (١٨٤٩-١٩٣٢). اشتهرت بعلاقاتها القوية مع هُواة جمع اللوحات الفنية، ما أمّن نجاح معارضها لكبار فناني أميركا، ثم توسّعت إلى فناني أوروبا الطليعيين يومها (يُول سيزان، هنري ماتيس،...). ظلّت ناشطة حتى إقبالها سنة ١٩٤٢ (بعد عشر سنوات على وفاة مؤسسها). كان افتتاح معرض جبران ناجحًا. عرّض فيه ٤٤ لوحةً ورسمًا، باع منها في الأسبوع الأول خمس لوحات بقيمة ٦٤٠٠ دولار.

٢٢ مصمّمة رقص أميركية (١٨٧٨-١٩٦٨) رائدة الرقص الحديث فترتّبذ. أسست سنة ١٩١٥ في لوس إنجلس (كاليفورنيا) مدرسة للرقص الحديث كانت بين طالباتها الراقصة الشهيرة لاحقًا مارتا غراهام.

وليم راسل<sup>١٤</sup>، لورنس هيوسمان<sup>١٥</sup>، يوهان بوجر<sup>١٦</sup>، إدوين ماركهام<sup>١٧</sup> عميد شعراء أميركا، پول بارثلث<sup>١٨</sup>، بيرسي ماك كاي<sup>١٩</sup>، ويتر باينر<sup>٢٠</sup>، وكثيرين سواهم من كبار المبدعين.

... وتطول اللائحة، تطول أكثر، مثيرة أعلى الإعجاب بأنه كان طوال الوقت رسامًا وشاعرًا معًا، يكتب بعربيته الحبيبة وبنكليزيته الريبة التي بلغ حدًا أتقناها. أول معرض له في نيويورك كان إبان كانون الأول ١٩١٤ في صالات غالري منترس<sup>٢١</sup>. وأجد ضرورة هنا إعادة نشر النص الكامل لمقال يذكر بوضوح تأثير أعماله فترتد. وهو من محفوظات صحافية، لا يظهر فيه اسم الجريدة المأخوذ منها، لكن مضمونه لافت. أورده بحرفيته:

«رسمه وجوه ناس معروفين يدل على تقنية عالية تعتمد الخط الدقيق المذهل بالقلم الرصاص، في توشحات يتداخل غامقها مع الفاتح في براعة نادرة تبت نورًا لوثيًا متماوجًا، نادرًا ما يعطيه الرسم بالفحم.

بين الرسوم مجموعة للراقصة روث سان دنيس<sup>٢٢</sup> في وضعية الرقص، بضربات سريعة على طريقة رودان، وبنجاح في التقاط جوهر الهنيهة إبان ومضة الرقص في نبضتها الحية. وبين الرسوم أيضًا مخططات في العري تركز على التعبير بالشكل والجسد والحركة. وفي المعرض نحو ٢٤ زيتية كافية لتحملنا إلى عالم الخيال لدى الرسام، وهو عالم إبداع فريد ينبسط أمامنا بفضائه وجباله الضئيلة الخضرة، أحيانًا بجو من الوحدة والانفراد، ودائمًا بإيماءة إلى وساعة كبرى برغم المساحة الضئيلة. وعند التألف مع المناظر تتجلى رموز عالم وسيع من الروح، في بداية التأثير، كما القوى الكبرى تتهيأ في رحم اللانهاية استعدادًا لمخاض الولادة. وهذا رمز عالم الروح، كما قد يبدو لروح بشرية مفردة تتفتح على وحدة الوعي الذاتي عند سر الإيقاع في وحدة الحياة والموت.

إنه، جزئيًا، عالم لا وهم فيه ولا خداع، لا ثرثرة ولا تيهان ولا موارد، عالم عار يسكنه العري، عالم الغرائز الأساسية كما كانت في البدء «حين كان الرجل والمرأة



لقطتان من داخل غالري كُودلر، أهم صالات العرض في زمانها (عَرَضَ جبران فيها سنة ١٩١٧ من ٢٩ كانون الثاني إلى ١٠ شباط). ولاحقاً أصدر أعمال هذا المعرض في كتاب «عشرون رسماً» (١٩١٩).

٢٣ من أَعْرَقَ صالات العرض في مدينة نيويورك، على الجادة الخامسة الشهيرة. تأسست سنة ١٨٤٦ وظلَّت تعمل ١٦٥ سنة حتى إقفالها سنة ٢٠١١، وكانت أهمَّ صالة عرض تجارية للفنون التشكيلية في الولايات المتحدة.

٢٤ امتدَّ من الإثنين ٢٩ كانون الثاني إلى السبت ١٠ شباط ١٩١٧. عَرَضَ فيه جبران ٤٠ مائتةً تمحورت حول ثلاثة مواضيع: الصنثور، الأمهات والأطفال، والراقصات. كان رسَمها خلال صيفين (١٩١٥ و ١٩١٦) أمضاهما في كوهاسيت (قرب بوسطن) وهي مدينة جميلة ذات مناظرٍ أوحى لرسامين كثيرين لوحاتٍ ورُسُومًا عن طبيعتها المميّزة.

٢٥ أليس رافايل إكشتاين (١٨٨٧ - ١٩٧٥) ناقدة فنية أميركية تتلمذت على يونغ في زوريخ، وترجمت «فاوست» غوته. لها مجموعة دراسات سيكولوجية. شغفت بالرسم فدرستهُ في كونيكتيكت، ونشرت عددًا من المقالات النقدية عن معارض زارتها، ومنها معرض جبران.

٢٦ صدرت أولًا مقالًا نقديًا عن المعرض لرافايل بعنوان «فن خليل جبران» في مجلة «الفنون السبعة» (ص ٥٣١-٥٣٤). ثم عاد كنوف أصدرها مقدمةً لكتاب «عشرون رسماً». ومجلة «الفنون السبعة» كانت شهرية متخصصة أسسها في نيويورك الشاعر جيمس أوينهايم (١٨٨٢-١٩٣٢). صدر عددها الأول في تشرين الثاني ١٩١٦ وعددها الأخير في تشرين الأول ١٩١٧. وكان جبران عضوًا في هيئة تحريرها.

عاريين بدون خجل». ذلك أن القوة التي تنام حيناً في سُكّان هذا العالمٍ وحيناً تحركهم، هي الغريزة الجنسية في أنقى الطبيعي من مظاهر إغوائها. وهي لا تُثير الوعي الجنسي بقدر ما تُثير انجذاباً لاواعياً إلى الجسد، إنجذاب الجسد إلى الجسد، جسد الرجل، جسد المرأة، جسد الطفل.

مع ذلك هو عالمٌ تتجاذبه النزاعات: فيه الجسد ضحية شهواتٍ في قبضة ولعٍ مريبٍ العنف، ينسلُّ إليه الإرباك الأخير: الموت. فهذا جسد الأم مُرْتَمٍ بارداً ممتقِعاً على التراب كي يتحلل فيه، وهذا جسد الطفل الطري وهو عبثاً يبكي طالباً الدفء والقوت، لقيطاً هزياً في حواءٍ وحده بلا نبض.

وما إلّا في اللوحة الأخيرة: «ولادة مأساة» حتى يبلغ الفنان بصمته الأعماق، في معرضٍ متميّزٍ بعمق الهدف والإحساس. وهو معرضٌ، برغم العناوين المعلّقة على اللوحات، يتجنّب تفاهة التعبير الإلماحي، ويندهُ أوّلاً جمال الخيال عبر جمال التأليف والألوان ورهافة الحس، وعبر حدسٍ وغريزةٍ يخترقان الوعي الروحي.

لافتٌ أنّ فناً متأثراً بالميل للعودة إلى البدائي والأولي، ذا فُدرةٍ خيالٍ عاليةٍ، يوجّه هذا الميلاً نحو قنواتٍ من أعماق المعاني». [نهاية المقال]

لم أقرأُ كلاماً بهذه الشفافية عن مجمل رسوم جبران ولوحاته. كأنما كاتبُ المقال التقطَ حلم جبران هدفاً وإنجازاً، ودخل منه إلى عالمه الكامل. وإني واثقة أنّ هذا الرأي الصائب السخيّ أدفاً قلب الرسام الشاب المرهف الذي كان يعرض نتاجه للمرة الأولى في حاضرة العالم الغربي. ويؤسفني أن لم أعرف اسم كاتب ذلك المقال.

بعد سنواتٍ ثلاث كان لجبران معرض آخر في صالة كُودلر<sup>٢٣</sup>، لا كرسامٍ جديد هذه المرة، بل كرسامٍ رسّخ حضوره لدى جمهورٍ ولو محدودٍ قياساً على جمهور مدينة نيويورك وضواحيها. كان إقبالاً لافتاً على المعرض<sup>٢٤</sup> نتج عنه صدور كتاب «عشرون رسماً»، قدّمت له أليس رافايل<sup>٢٥</sup> بكلمة نقدية<sup>٢٦</sup>، وهو الكتاب الوحيد الذي صدر لجبران من دون نصوص. هنا بعض ما جاء في المقدمة:



من رُسوم جبران في معرض غالري كُنودلِر

٢٧ أقامته باربره في المحترف شهرًا كاملًا (آذار ١٩٣٢).

«خصائص الشرق والغرب متآلفةٌ لديه بفرادة في التعبير، حتى أنه في آنٍ رمزيٍّ بأعمق معنى الكلمة، وغيرٍ تقليديٍّ التعبير كما قد يكونه لو اتَّبَعَ أسلوب الشرقيين. ومع أنه يسرد المشهد بالأسلوب السابق الرافائليَّة، فهو يفعل بدون بهرجة الظروف التاريخية وبدون عناصر رمزيةٍ تقريرية. ليس في منه أيُّ تضادٍّ بين أن تطغى الفكرة على التعبير، أو أن يطغى الإحساس على الفكرة. العنصران متناغمان لديه حتى فلا طغيانَ لأحدهما على الآخر. وفي انصهار هذين الميكن المتضادَّين يترفَّع فنُّ جبران عن ديماغوجيات المدارس الفنية، ويعلو عن مفاهيم جامدةٍ تُقيِّد الاتِّباع الكلاسيكية أو الرومنطيقية.»

«عشرون رسمًا» فتح لعالم الفن حقيقة قوة الجمال وسلطته ورهافته في موهبة هذا الرجل التصويرية، وللعادين ممَّن عندهم الفنُّ مجرد كلمة ينغلق معناها عليهم، فتح مروحة ألوانٍ وسحرٍ وأشكالٍ تعطيهم اللذة بدون حاجتهم إلى استيعاب التفاصيل.

انشداد أولئك العاديين إلى رسوم جبران، يُؤكِّده ما يحصل أحيانًا في هذا السياق. فعصرَ نهارٍ إبَّان أيام المعرض في محترف جبران<sup>٣٧</sup> بعد سنةٍ على غيابه، إذا بالمرأة الأجنبية القصيرة - التي كانت تساعدني في تنظيف المحترف وتهيئته للمعرض - تدخل عليَّ بثياب الأحد وتبادرني: «جئتُ كي أرى المعرض.»

قالتها بإنكليزيةٍ معوجةٍ متوعكةٍ إنما بلهفةٍ دافئةٍ تائقة. استقبلتها كأبي زائرٍ ضيفٍ فراحت تتنقلُ بثوِّدةٍ في أرجاء الغرفة، متوقفةً هنا، متأملةً هناك، مدققةً هنالك. بعد جولتها عادت إليَّ تسألني:

- هل لي بجولةٍ أُخرى؟

- طبعًا. خُذي وقتك.

- شكرًا. سأقومُ إذنً بجولتين.

وهكذا فعلت. استغرقت جولاتها الثلاثُ نحو ثلاثة أرباع الساعة، ثم دنت

مني ممسكةً يدي:



LIST OF OBJECTS IN SUITCASE TO BE KEPT BY BARBARA YOUNG, Apr. 18, 1931, 51w.10th St, NY

- Leather box, square
  - Alabaster jar, very small
  - Sandalwood(?) inlaid and carved box, with key. Key attached and marked, separate from box
  - 3 painted glass bottles, one larger, one smaller, gay
  - Ebony pedestal in 3 pieces, with black bronze figurines on top
  - Fragment of printed fabric, black, tan and henna, lined with black silk, old and frail
  - Wee sandalwood stampbox, sliding cover, flower-carved top
  - Silver matchbox, repoussee
  - Tiny silver matchbox
  - Gibran carving, crouching woman, face buried in arms, wood
  - Shell, mother of pearl, damaged
  - Crucifix, small, white on old black ebony, broken
  - 2 attar of roses bottles
  - Blue glass bottle with self stopper sapphire dark
  - Antique pottery bust of goddess, crude, on wooden pedestal, conventionalized
  - Coffee cup, white, gilt edged, in silver holder with handle
  - Gibran carving, woman, face turned over left shoulder, small, wood
  - " " " holding child
  - Wee unmade notebook, brown leather, Florentine
  - Small old silver ring, with red stone worn dull like a pebble, in box
  - A small meteorite in blue jewel box
  - " fine unmounted amethysts in box
  - Large silver watch key, old filagree, and Arabic seal, both on black ribbon watch fob
  - String of blue Egyptian beads
  - Several old Egyptian beads, as if speckled with tiny print on yellow ground
  - Crystal seal, gold mounted, with monogram and lion rampant above
  - Uncut seal of white carnelian(?), gold mounted
  - 1 labelled black Babylonish bead, intaglio on one side; 2 red ones similar but not labelled, and a white one, larger but similar
  - 3 old silver buttons, heavy filagree
  - Agate marble, white, with as it were an Eye on one side
  - 6 little pieces of red carved jade, one an ape, the others flowers etc
  - Old silver pencil and seal, bloodstone monogram
  - Silver thumbing with green turquoises
  - Silver Arabic coin, thin, large; brass Chinese coin; copper or bronze Roman coin with S.C. on one side and warrior on obverse; wee reddish cross, hung on gold; 2 scarfpins and 3 old Egyptian beads, all together
  - Fragment of antique tablet, white stone, red color on it, small
  - Chinese embroidered hat tag on red ground, gold etc; fine silver chased matchbox, marked GKC
  - 3 large old coins, various
  - Gilt (or gold) ring and chain
  - Broken bit of heavy chain of large openwork silver beads and woven silver chain, Eastern
  - Silver bead chain like so called "bobby chain", broken
  - Pierced bead like scarab (?) flat side inlaid
  - 2 fine small silver snuffboxes, one with cupid, one with heart; hinged lids
  - 8-12-inch (?) image of royal or priestly mummy, black, fine
  - Grape bunch and leaf of alabaster and onyx, a bottle, stopperless, small
  - Silver peasant link button, set with rose foil underglass
  - Wee green pitcher, wee blue one, tiny doe with 3 fawns, separate, in fine Copenhagen ware, all in carved inlaid sandalwood box above
  - Tiny silver matchbox for watch chain, in tiny sandalwood box with sliding lid above
  - Flemish (?) crucifix, from Bruges, excellent condition, but no cross, rare
  - 2 wee pendants, such as are blessed by pope, and a black pebble, in small blue handkerchief
  - 5 worn notable link buttons, 2 with rose foil underglass, 1 a coin worn smooth, a gold(?) religious pendant with saints and assumption, 2 large agate smoke color beads, wrapped together in pink tissue
- marked brass in this item are the 5 worn notable stones, the 2 arrow points (2 white + one large very broken) - the 2 agate smoke color beads.*

أغراض من محترف جبران، موضّبة في حقيبة كبيرة، وهذه لائحة بها  
 كما نسقّتها باربره يونغ وطبعثها على آلتها الكاتبة (الجمعة ١٨ نيسان  
 ١٩٣١ - أي بعد أسبوع على وفاة جبران)، تمهيداً لإرسالها إلى بشرّي.  
 والمجموعة هي حالياً في متحف جبران، محفوظة بكل دقّة وأمانة وتنظيم.

٢٨ هي العاشرة قبل الخاطرة الأخيرة من خاتمة كتابه «رمل وزبد» (نشره «كنوف» سنة ١٩٢٦).

٢٩ الحادية عشرة قبل الخاطرة الأخيرة من الكتاب ذاته.

- أشكرك... وأريد أن أقول إن هذه... لا أعرف كيف أعبر... وكيف تُسمّى هذه... لكنني أشعر... أنها ليست مجرد صورٍ على جدار.

صحيح. «ليست مجرد صورٍ على جدار». لم تعرف كيف تُسمّيها: كلاسيكية، رومنطيقية، تقليدية، قديمة، مُعاصرة، حديثة... لم تجد لها تسمية. لكنها أَحَسَّت، كما عبّر عنها نورٌ في عينيها، أنّ في هذه الغرفة ما هو أعلى من الغرفة وأبعد، رفعها، خاطبها، حرّكها عميقًا. لم تكن تلك رسومًا بقلمٍ أسودٍ على ورقٍ أبيض، أو لوحاتٍ زيتيةٍ بريشةٍ على قماشة. لم تكن... «مجرد صور».

وإني واثقة أنّ انطباعها كان سيفرح جبران أكثر من جميع النقاشات الفكرية التنظيرية حول الرمزية والصوفية والتيارات الفنية والحقائق والوقائع وما إليها.

ذات يوم قال جبران: «العملُ الفنيُّ ضبايةٌ محفورةٌ في صورة»<sup>٢٨</sup>.

نعم. بهذه البساطة.

وقال أيضًا: «الفنُّ خطوةٌ الطبيعةِ صوب المُطلق»<sup>٢٩</sup>.

وهو خطاها، تلك الخطوة، بثقةٍ وجمالٍ، وبشكرانٍ من اقتبلوا سلال ثماره، حكماء كانوا أو مجانين، علماء أو رُعاة، مع أنّ ميله الفطري كان ينحو إلى المجانين والرُعاة.

١ هي أقدم الصحف اليومية الأميركية التي ما زالت تصدر حتى اليوم باسم «نيويورك بوست». أسسها ألكسندر هاملتون (١٧٥٥-١٨٠٤) أحد الآباء مؤسسي الدولة الأميركية. صدر عددها الأول نهار الاثنين ١٦ تشرين الثاني ١٨٠١. سنة ١٩٣٤ اشتراها الناشر يوليوس ديفيد ستيرن (١٨٨٦-١٩٧١) وجعلها باسمها الحالي.

٢ صحافي وكاتب (١٨٨١-١٩٥٠). نشر مقالاتٍ وتحقيقاتٍ في صحف نيويورك عدة، منها الـ«نيويورك»، و«إيفننغ وورلد». وكان مندوب وكالات أنباء عدة، بينها «أسوشياتد پُرس»، و«يوناييتد پُرس». أجرى مقابلاتٍ مع أعلام كبار، بينهم جورج برنارد شو وأناطول فرانس. وهذا الحوار مع جبران صدر في «إيفننغ پُوست» بعنوان «شاعر عربي في نيويورك» نهار السبت ٢٩ آذار ١٩١٩ في ملحق «الكتب» على الصفحات ١ إلى ١٠.

٣ رسّام ونحات إنكليزيّ (١٨٣٠-١٨٩٦) حمل رسمياً لقب «البارون النبيل». عالج في أعماله مواضيع تاريخية وتوراتية وثقوية وكلاسيكية.

٤ شارع رئيس طويل في مدينة نيويورك (نحو ٢٥ كلم في مانهاتن وحدها) شهير بعدد كبير من المسارح ذات الأعمال الاستعراضية والراقصة والمسرحية والغنائية.

٥ ساحة عامة رئيسة في بوسطن، شهيرة بمعالمها الفنية وروحها الثقافية. كانت تُعرف بـ«ساحة الفنون» حتى ١٨٨٣ حين حملت اسم الرسام الشهير المولود فيها جون سنغلتون كولي (١٧٣٨-١٨١٥).

٦ شارع رئيس في مدينة وستمنستر (لندن) على الضفة الشمالية من نهر التيمس. كان بين القرنين الثاني عشر والسابع عشر مقتصرًا على طبقة النبلاء الإنكليز. عاش فيه، أو قريبًا منه، عددٌ من كبار الأعلام، بينهم تشارلز ديكنز، فيرجينا وولف، رالف والدو إمرسون.

٧ شارع عريض طويل في قلب باريس، يعبر الدائرتين الأولى والثانية. ينطلق من ساحة أندريه مالرو، يمرُّ بمسرح الـ«كوميدى فرنسيّ» وصولاً إلى ساحة مسرح الأوبرا. والشارع شهير بمعالمه الثقافية وحلوه من الشجر كي ينكشف بكامله للنظر من أيّ مكانٍ فيه.

٨ حيّ غربيّ جزيرة مانهاتن (مدينة نيويورك). في مطلع القرن العشرين كان معروفًا بـ«القرية»، وكان ملتقى الفنانين والبوهيميين وعدد كبير من الحركات الراقصة اجتماعيًا ودينيًا. في أسفله بُني سنة ١٩٧٣ «مركز التجارة العالمي» ببرجين كانا أعلى بناء في العالم. دُمرا بعملية انتحارية في ١١ أيلول ٢٠٠١.

## «أهوّ صوت الشعب العربي»؟

في مطلع ١٩١٩، سنة ظهور «عشرون رسمًا»، صدرَ في ملحق «الكتب» من جريدة «إيفننغ پُوست» النيويوركية، مقالٌ مطوّل كتبه جوزف غُولومب<sup>١</sup>، استشهد فيه غير مرة بكلمات حرفيّة من جبران، وهو خلاصة حوار ممتع أجراه مع جبران في أفضل تجلّياته، إذ وجدّه الصحافي في مزاجٍ سائغٍ، وسردَ لنا باستفاضةٍ جَوَّ تلك المجالسة.

بدأً بالمقارنة بين جبران وطاغور:

«كلاهما كتبٌ إنكليزيةٌ يُتقنها كإتقانه لغته الأمّ. وكل منهما فنان في حقلٍ آخر غير الشعر. عدا ذلك، بينهما تناقضات تبدأ خصوصًا من مظهرهما: طاغور طويلٌ، كثيفُ الشعر واللحية، فضفاض العباءة، كما صوفيٌّ زاهدٌ في لوحةٍ دينيةٍ بريشة فُردريك لايتون<sup>٢</sup>. وجبران أنيقُ اللباس مدينه كأيّ مواطنٍ متحرّرٍ في قلب العالم الغربي، كأنه من سُكّان برودواي<sup>٣</sup> أو ساحة كُؤِلي<sup>٤</sup> أو السترندي<sup>٥</sup> أو جادة الأوبرا<sup>٦</sup>. وهو، بسوادِ حاجبيه وشاربيه، وشعره الضئيل المجعد فوق جبينه العريض، وعينيه العسليتين بتعبيرهما البعيد إنما غير الشارد، وثوبه الأنيق البسيط غير المهمّل، يبدو لي متقلّبًا إنما سهل التكيّف. فهو داخلٌ محترفه، في الشارع العاشر غربًا، مواطنٌ رهيّفٌ من «قرية» غرينويتش<sup>٧</sup>. وأنا واثقٌ أنّ لو صادفته في مؤتمرٍ اقتصادي، أو في مقهى من فيينا، أو في بلاده السورية، لكان سيبدو هندامه مطابقًا



رسمان لجبران بالقلم الرصاص.  
لجأ إلى القلم الرصاص (وهو برع جدًّا  
في الرسم به) بعدما أَمست أسعار الألوان  
الزيتية غاليةً وكذلك الأقمشة البيضاء  
الخاصة باللوحات.



٩ لعلَّ جبران هنا، بإسبانيا، يقصد الشكل الذي انتقل إلى الإيطاليين من الشعراء العرب في  
الأندلس.

كُلًّا من هذه الأماكن. وليس هذا انتقاصًا من فردانيته بل هو على العكس حسُّ لديه غيرٌ عاديٍّ ودمائه ذكيَّةٌ يتخطيان الفروقات المكانية ويتيحان له التأقلم في أيِّ محيطٍ فلا يشعر أو يبدو أنه غريب».

بعد تحليلٍ مُطوَّلٍ أَعْمَالِ جبران، يواصلُ غُولُومُوبُ: «مع شعورٍ مسترٍ جبران أنه مواطنٌ عالمي، يشعر أنه سوريٌّ أَوْلًا. ولا يرى تناقضًا في ذلك، فهو يعمل من أجل عالمٍ ليس فيه سوى مواطنةٍ واحدةٍ كبرى من الفهم والألفة. وشرح لي أنَّ الشعب، في هذه المواطنة، لا يتخلَّى عن تراثه الوطني بل يُشرك به الآخرين، والشعب العربي قدَّم الكثير للعالم، وهو مهيبٌ ليقدم بعد أكثر. حين يطَّلَع على أدبه الغربُ قد يجدُه أغنى الآداب في العالم، وتاجُه القرآن. فحتى في الجاهلية السابقة للإسلام كان شعر كثيرٍ، رجوليٍّ، مُحركٌ، ذو رؤيا عظيمة كان لها تأثيرها في العالم الغربي. فسُفِرَ أيوب، مثلاً، نصُّ عربي ترجمه العبرانيون وتبَنَوْه. ذاك الغنى الفائض من الشعر استوجب نشوء أشكال كثيرة لضبطه. وألْفِتُكَ إلى أن الشعر لدى الشعب العربي، كما هو اليوم أيضًا، ليس قصرًا على النخبة المثقفة بل في متناول الجماعات، حتى الأمية منها. بدأ من الغناء والارتجال والرواة وقصص العرب قبل الإسلام أيام الشعر لم يكن يدوَّن. وفي السياق ذاته يمتد أدبنا اليوم في صفوف الناس بفضل قوة الذاكرة الشفوية. ومعظم الشعر الحكمي والهجائي وسائر كنوز الأنماط الشعرية حفظها السامعون عند إنشادها واكتنزوها وراحوا يروونها فأخذت تنتقل من جيلٍ إلى جيل. ولأنَّ الذاكرة، في تجربة الشعوب، يضبطها الشكل، راحت نهاياتُ العبارات تنضبط في نُظْمٍ ونثر، فكانت للشعر القوافي في آخر الأبيات، وفي آخر الجمَلِ الثرية كان السجع الذي أنزَلَ على النبي محمد في آيات كثيرة من القرآن. بعد ذلك ظهرت قواعد الوزن والعروض وبحور الشعر، ثم تنامت أشكالًا تعبيريةً تبنى بعضها العالمُ الغربي، منها شكل القصيدة القصيرة ذات المقاطع، انتقل من العرب إلى الإيطاليين عن طريق إسبانيا».

بعد قرنٍ على غياب النبي محمد، أنشأ العرب أعظمَ أمبراطورية في تاريخ العالم، امتدَّت من نحو ٦٠ ميلًا عن باريس وبلغت قلب الصين، ومعها انتشرت



ماري هاسكل في إحدى رحلاتها الريفية. وكانت هوايتها تسلق الجبال والمشي في الريف وتمضية الأيام والليالي في مخيمات كشفية.

- ١٠ جبران يقصد هنا «بيت الحكمة». أسَّسه في بغداد هارون الرشيد ووسَّعه ابنه المأمون. استقطب المترجمين والمؤلفين والعلماء فكان واحه النهضة العربية في العصر العباسي.
- ١١ بيتر إيليتش تشايكوفسكي (١٨٤٠-١٨٩٣) مؤلف موسيقي روسي أدخل في أعماله نكهة تجديدية أثرت حتى في معاصريه.
- ١٢ جيوزيبي فيردي (١٨١٣-١٩٠١) مؤلف موسيقي إيطالي، وضع أوبرا «عايدة» بناء على طلب الخديوي اسماعيل احتفالاً بالانتهاء من شق قناة السويس سنة ١٨٦٩. وتمَّ عرض الأوبرا عند انتهاء مبنى الأوبرا في القاهرة سنة ١٨٧١.
- ١٣ كلود دوبُسي (١٨٦٢-١٩١٨) مؤلف موسيقي فرنسي. التقاه جبران في باريس سنة ١٩٠٩ ووضع له رسمًا ضمّه لاحقًا إلى سلسلته «معبد الفنون».
- ١٤ موريس مايترنك (١٨٦٢-١٩٤٩) شاعر وكاتب مسرحي بلجيكي كتب بالفرنسية. نال جائزة نوبل للأدب سنة ١٩١١. كان جبران في الرابعة عشرة حين طلب منه فرد هولند داي (سنة ١٨٩٧) أن يقرأ كتابه «كنز المتواضعين» (صدر سنة ١٨٩٦ وتُرجم إلى الإنكليزية سنة ١٨٩٧). تأثّر جبران كثيرًا بفكره التحرّري الثوري، حتى أنه لاحقًا، في رسالة إلى ماري هاسكل (السبت ٧ أيلول ١٩١٢) كتب لها: «بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة من عمري، كان مايترنك هو مثالي الأعلى لشدة ما تأثرت بكتابه «كنز المتواضعين».

آداب العرب ومعارفهم. في تلك الحقبة كانت لهم المدارك العلمية الوحيدة في العالم. هم اكتشفوا طويلاً قبل غاليليو أن الأرض كروية. وكانت المناظير والمراصد مركزةً على قُبب مساجدهم وأبراج كنائسهم، ثم اجتاحتهم الإِسْپان فبدّلوا المراصد بالأجراس.

فترةً كانت أوروبا في عصور الظلمة إبان القرون الثامن والتاسع والعاشر، كان للعرب مركزٌ للترجمة يعرّب الفلاسفة الإغريق<sup>11</sup>، وكان معظم المترجمين سوريين شكّلوا حلقةً بين الثقافة اليونانية ونهضة الثقافة العربية. وفي القرن الخامس عشر دمر الأتراك الأمبراطورية العربية فغاصت ثقافتهم في عصر انحطاطٍ دام حتى ما قبل ثمانين أو مئة عامٍ قبل اليوم. ولكن حتى إبان تلك المرحلة الطويلة بقيت الروح العربية نابضةً، لاعتيادهم على قسوة الصحراء، ما رفدهم بقوة حصّنت شعريهم حين أشرق بعد ظلمة تلك العصور.

الفنون التشكيلية بقيت ضئيلة النمو بين المحمّديين إذ كان محرماً «رسم صورة لأفعال الله». لذا لم يسطع لهم تراثٌ في الرسم والنحت. لكن أشكال الطبيعة، وكانوا يقدرونها، ظهرت بكثافةٍ في حياكة البُسط لدى العشائر والقبائل وانتشرت واسعاً.

وكان للعرب تأثير على الغرب في الموسيقى. فأغاني الجنوب الروسي يعرفها شعبنا لأن جذورها عربيةً ظهرت ملامحها في أعمال تشايكوفسكي<sup>11</sup> وفيردي<sup>12</sup>. وأوبرا «عايدة» منسوجة بنغمات إيطالية ذات نكهة عربية. وقال لي دوبُسي<sup>13</sup> إنه هو أيضاً استلهم من نغماتنا وبنى عليها بعض أعماله.

نهضة الثقافة العربية التي ازدهرت في القرن الماضي تداخلت فيها تأثيرات غربية. نحن نألف كباركم. ففي سوريا ومصر نعرف دانته وشكسبير وهوغو وشعراء فرنسا من فيون إلى مايترنك<sup>14</sup>. ولن يفاجئني إحصاءٌ يُثبت أن شكسبير معروف لدينا ونقرأ مؤلفاته مثلكم وربما أكثر. فالمثقف العادي في سوريا يتكلم على الأقل الإنكليزية والفرنسية مع لغته. ومن تجربتي الشخصية أنّ في جبل لبنان من يقرأون





من رسوم جبران بالقلم الرصاص.



الآداب العالمية الكبرى، بل يحفظون منها ويغنُّون من أشعارها. الأدب عندنا ظاهرة صوتية واسعة الانتشار.

وحتى دخول جيوش الحلفاء في الحرب الكبرى، كان العرب تحت نير أحد أكثر طغاة التاريخ قسوةً واستبدادًا. والآن، ونير تركيا انحسَرَ عن شعبنا، قَوِيَ عندنا الأمل في تقرير المصير. سنبحث طبعًا عن هداية، وإحدى دُول الحلفاء، ربما فرنسا، ستأخذ بيدنا. إذا تَمَّ ذلك، وحلَّ التبادل الثقافي الطبيعي، سيكون لشعبنا أن يقدم الكثير. ففي لغتنا إرث غنيٌّ من الشعر الرومنطقي والملحمي، وفي أدبنا «ليالٍ» عربيةٌ غيرُ مترجمةٍ بعد، أكثرُ من تلك التي في «ألف ليلة وليلة» التي تعرفون. لدينا كنوزٌ من الفلسفة الصوفية لم تنكشفْ لكم بعد. وحين يضاف هذا الإرثُ إلى تراث العالم، سيشكّل مساهمةً عظيمةً من شعب عظيمٍ».

وختم غولومبُ مقاله، معجبًا متأثرًا، بطرحه هذا التساؤل: «السيد جبران أطلَّ على الحياة عند نحو ميلٍ واحدٍ من أرز لبنان الشهير، ويطلُّ على العالم الجديد بمُواطنة عالمية. فهل الذي يطل هو جبران الفردُ، أم صوتُ كلِّ الشعب العربي وعبقريته؟»

أيًّا يكن الجواب عن سؤال غولومبُ، فالحال فعلاً كذلك: لم ينبغ من الشعب العربي اسمٌ بلغ مكانة جبران العالية، واحتل مثله قلوبَ قرائه في أزهى فترةٍ من نهضة ذاك الشعب المميز.

وإني، شخصيًا، مَدِينَةٌ للسيد غولومبُ أن يكون، بين مقالاته في تلك الجريدة، حفظ هذا الحوار الغني بمعلوماتٍ وآراء نادرة فاضت على قلمه من جلسته الحوارية إلى جبران.



## لا عَمَرَ للكلمات

عَصَرَ نهار الأحد من خريف ١٩٢٥، قصدتُ المحترف لساعة أو اثنتين بدعوةٍ من جبران الذي، طوال صداقتنا معًا، لم يعتبر مرّةً واحدةً أنّ قبولي دعوته تلقائيّ. كان عادةً يهاتفني: «إن كان لديك وقت، أتمضين بعضًا منه مع رجلٍ كئيب؟» وفعلاً كنتُ أجده غالبًا كئيبَ النفس.

أحدّدُ كان بابهُ مشقوقًا كالعادة. طرفتُهُ ودخلتُ. كان جالسًا إلى طاولته يكتب. تقدّمتُ صامتةً إلى مقعدي المعتاد. تنبّه إليّ فرحّب بي مُردفًا: «أكتبُ قصيدةً عن شاعرٍ أعمى».

ثم نهض يمشي في الغرفة بضع دقائق ويعود إلى طاولته يكتب سطرًا أو اثنين.

كرّر ذلك فخرّرتُ لي فكرة: ما إن نهض يمشي حتى جلستُ إلى طاولته وتناولتُ قلمه. ولحظةً استدارَ ورآني هكذا، عاجلته:

- أنتُ تُملي القصيدة وأنا أدونها.

- لا. أبدًا. كلاً. لن تُدوني ما أقول. أنتِ تدوين قصائدك.

- لكنني أحب أن أدون كلماتك. لعبةٌ بسيطة: أنتِ تجولُ في الغرفة وتتكلم، وأنا أنقلها إلى الورقة.

That was Gibran's kind of friendship.  
And here is the poem made and written down that  
day.

*The Blind Poet*

I have been blinded by light,  
The very sun that gave you your day  
Gave me my night, deeper than dream.

And yet I am a wayfarer,  
While you would sit where life gave you birth  
Until death comes to give you another birth.

And yet I would seek the road  
With my lyre and my staff,  
While you sit and tell your beads.  
And yet I would go forth in darkness  
Even when you fear the light.

And I would sing.

I cannot lose my way.  
Even when there is no sun  
God sees our path and we are safe.  
And though my feet shall stumble  
My song shall be wingéd upon the wind.

I have been blinded by gazing  
At the deep and the high.  
And who would not yield his eyes  
For a sight of the high and the deep?  
Who would not blow out two little  
flickering candles  
For a glimpse of the dawn?

You say, "Pity he cannot see the stars,  
Nor the buttercups in the fields."

And I say, "Pity they cannot reach the stars,  
And hear the buttercups.  
Pity they have no ears within their ears.  
Pity, pity they have no lips  
Upon their finger-tips."

هذه هي النسخة الإنكليزية  
من «الشاعر الأعمى»، أول قصيدة  
أَمَلَاها جبران على باربره يونغ  
في مطلع صداقتهم، كما تروي ذلك  
في كتابها عنه (ص ٨٤ - ٨٥).

١ - ترجمتُ عن الإنكليزية هذه المقطوعة من كتاب باربره يونغ، إِبَانُ ترجمتي كتابها كاملاً،  
قبل أن أكتشف نُسختها العربية كما أصدرها جبران في «السائح».

سَأَتْرُكُ ترجمتي المقطوعة كما وضعتها، وأُثْبِتُ نصها بالعربية كما نشره جبران في  
«السائح»، وأتْرُكُ للقراء المقارنة بين ترجمتي النصِّ والنصِّ العربي كما نشره جبران.

- لا... لا أقدر على ذلك مع أيّ أحد.  
- آمن أنني لست «أيّ أحد». اعتبرني آله كاتبة.  
- (ببعض غضب) أنتِ امرأةٌ عنيدة.  
- هي ذي طبيعتي منذ كنتُ طفلة.  
تأقّف لحظةً خلته بعدها سينفُت غضبه.  
لكنه فجأةً ضحك، ثم ضحكنا معاً، وكان ما تمنيتُ: جعل يمشي ويتكلّم، وأنا أُدوّن.

ومن يومها بات هكذا عملنا معاً: هو يقول وأنا أكتب.  
أكملُ يُملي بِبطءٍ قصيدةَ «الشاعر الأعمى»، مع وقفاتٍ متأنية بين أسطرٍ كان،  
على طريقته الثابتة، يفتكرها بالعربية ثم يترجمها بتأنٍ إلى الإنكليزية.  
مع السطر الأخير تقدّم مني. تأمل الصفحة بِخطِّي وبادرني:  
- كنتُ دائماً أؤمن أنّ لن أستطيع تأليف قصيدة فيما أُمليها على أحد. لذا  
كنتُ أرفض إحصار مساعدَةٍ إلى المحترف حين أكتبُ أو أُرسم. لكنك اليوم أثبتتُ  
خطأ تفكيري. نحن شاعران يعملان معاً (صمت قصير). نحن صديقان. لا أريد منك  
شيئاً ولا تريدين شيئاً مني. نتشارك الحياة معاً.  
تذكّرتُ من [فصل «الصدّاقة» في كتاب] «النبي» قولته: «لا تجعلوا من  
صدّاقتيكم هدفاً إلاّ التعمّق في الروح».  
تلك كانت نظرة جبران إلى الصدّاقة.  
وهذه هي القصيدة<sup>1</sup> التي أملاها عليّ ذاك الأحد ودوّنتها بِخطِّي:

## الشاعر الأعمى

لجبران خليل جبران  
العمل من الرابطة القلمية

الآن التور قد اصغاني

هي الشمس التي جادت عليكم بهواركم قد افقت علي ليلى  
العامس . وانه لاصق من الحلم .  
وها انا . بالزغم من ذلك . اجوب الافاق بينما اتم مقبوض  
حيث ولدنكم الحياة حتى يأتي الموت لينتكم ولادة اخرى .  
وها انا اتلمس الطريق بمكاذي وقتارتي بينما اتم جلوس  
تظهون بيماكنكم .  
وها انا امين في السير منتفعا في الظللة بينا اتم تحشون التور .  
واني لاظني .  
ولست لأمل الطريق ولو غاب نور الشمس قاله يرى طريفنا  
وانا لني حرز حرير .  
ولكن عزت وجلي فان غنائي مبعث يعلق فوق الرياح .

لقد عبت من التفرس في العمق وفي الملاء . ولمعري من ذا  
الذي لا يضحى ناظره لثاء منظر المفق والمساء . من ذا الذي لا  
يظفي . شمتين من تمشيتن ليري لعة من البحر ؟  
اتم تظنون . «وارحناء له ! انه لا يقد ان يرى الكواكب  
ولا الافقوان في المروج» .  
اما انا فاقول . «وارحناء لهم ! انهم لا يستطيعون ان يظولوا  
التجوم ولا ان يسموا الافقوان . وارحناء ! فليس لهم آذان مسن  
آذانهم . وليس لهم شفاء على اطراف البيان» .

مقطوعة «الشاعر الأعمى» كما ظهرت  
في عدد «السائح» السنوي الممتاز سنة  
١٩٢٧ على الصفحة ٧ «لجبران خليل  
جبران العامل في الرابطة القلمية».

فهل يكون جبران ترجمها عن كتابته  
إياها قبلاً بالإنكليزية؟ أم ان أحدًا  
سواه ترجمها؟ وأي الصيغتين سبقت:  
العربية؟ أم الإنكليزية؟ وكيف «أملاها»  
بالإنكليزية على باربره يونغ إن كان  
كاتبها قبلاً بالعربية؟



لجبران خليل جبران

الشاعر الأعمى

Courtesy of "The New Orient"

رسم لـ «الشاعر الأعمى» صدر  
في عدد «السائح» السنوي الممتاز  
على الصفحة المقابلة المقطوعة أعلاه.  
وفيها أن هذا الرسم مأخوذ بإذن من مجلة  
«الشرق الجديد» التي كانت صدرت فيها  
هذه المقطوعة قبلاً بصيغتها الإنكليزية.

## الشاعر الأعمى

أعماني النور.  
والشمسُ التي منحَتْكم نهاركم  
هي ذاتها منحْتني ليلاً أعمق من حلم.  
جَوَّالٌ أنا  
وأنتم جامدون حيث وَلَدْتكم الحياة  
إلى أن يبلُغكم الموت فيمنَحكم ولادةً جديدة.

بعكازي ونايي أشقُ طريقي  
فيما أنتم جالسون تتلهَّون بحبَّات سُبحاتكم.  
وفي الظلمة أتقدِّم  
فيما أنتم واقفون تخافون النور.

وأعني... أعني ولا أضلُّ طريقي.  
فحيث لا شمسَ تنير، يرى الربُّ طريقنا فنأمنُها.  
وحتى لو تزلُّ قدمي تظلُّ أعينتي مرفرفةً في الريح.

أعماني سبُّ الأغوار، أعمقها وأعلاها،  
ومن لا يبذلُ عينيه لرؤية الأعمق والأعلى؟  
من لا يطفئُ شمعتين مرتعشتين كي يلمحَ ومضةً من فجر؟

تقولون:

- ما أتعسه! لا يمكنه أن يرى النجوم فوق  
ولا الأرزار الذهبية في ربيع الحقول.

وأقول:

- ما أتعسهم! لا يمكنهم أن يحاكوا النجوم  
ولا أن يصغوا إلى الأرزار الذهبية.  
ما أتعس ألا تكون في أسمعهم آذان  
وعلى أهداب أناملهم شفاه.



مجلة فصلية تعنى بشؤون الشرق الفنية والدينية والأدبية. أسستها سنة ١٩٢٣ «جمعية الشرق الجديد» في نيويورك. صدرت أولاً كل شهرين حتى ١٩٢٤ حين حولها فصليةً بين ١٩٢٤ و١٩٢٧ سيُود حسين، وهو باحثٌ وخطيبٌ ومفكر هندي، خريج جامعة كلكتا، متخصص في العلاقات بين الشرق والغرب. سنة ١٩٢١ مثل الهند في مؤتمر الحد من التسلح في واشنطن. وبقي في الولايات المتحدة يحاضر في كبرى الجامعات. عرف جبران في إحدى الحلقات الأدبية وطلب منه أن ينضم إلى «جمعية الشرق الجديد». وافق جبران لأنه رأى في انضمامه إليها والنشر في مجلتها تجسيداً لإيمانه أنه «مواطن من العالم». فالمجلة كانت ذات انتشار عالمي، وتسعى في مواضيعها إلى «الجمع بين الشرق والغرب في غاية إنسانية كونية».



Syud Hossain

يرى النحات خليل جبران في كتابه «جبران في حياته وعالمه» أن التاريخ أشكل على باربره يونغ (القصيدة منشورة في عدد الصيف من «الشرق الجديد»: تموز-أيلول ١٩٢٥)، وأن مهمتها مُدَوَّنَةٌ كَلَامَ جبران (خريف ١٩٢٥) بدأت مع الأقوال التي صدرت لاحقاً (١٩٢٦) في كتاب «رمل وزبد». وهذا التوضيح منطقيٌّ لأن باربره وضعت كتابها سنة ١٩٤٤، أي بعد ١٣ سنة على غياب جبران. وقد تكون ذاكرتها ابتعدت عن الحدث لأن هذا التفصيل لم يرد في الطبعة (المختصرة) الأولى من كتبتها «خليل جبران هذا الرجل من لبنان» (٤٨ صفحة - تشرين الثاني ١٩٣١) أي بعد سبعة أشهر على غياب جبران، حين كانت ذاكرتها لا تزال حيةً في استذكار ما كان يجري من أحداثٍ لها مع جبران في المحترف لم تذكر أيّاً منها بصيغة الـ «أنا» في ذاك الكتيّب.

بعد أيامٍ صدرت القصيدة في «الشرق الجديد»<sup>٢</sup> - مجلة أدبية ثقافية كان يُصدرها سيّود حسين، كاتبٌ وناشرٌ مُسلمٍ لامع، ومُحاضرٌ بارعٌ ذو شهرةٍ دُوليةٍ - ومع القصيدة صدرَ رسمٌ وضعه جبران سَمَاهُ «الشاعر الأعمى وأُمّه».

منذُذ<sup>٣</sup> بات تلقائياً وسهلاً عليّ أن أدوّنَ كلماتٍ تَلَفَّطتَ بها شفتا الشاعر، ولو كانت أحاديث عادية، مع أن الحديث العاديّ مع جبران ليس عادياً. لذا كان معي دائماً دفتر صغير أدوّن فيه سريعاً عبارةً أو اثنتين بدون أن يراني، لأنّه مراراً سألني: «أتحفظين كلّ ما أقول، كي تستعمليه ضدي»؟

عندها صمّمتُ، بما أعطى من حسٍّ وحكمةٍ، أن أكتب يوماً عن هذا الرجل الذي، حتّئذٍ، لم يكن صدرَ عنه بالإنكليزية إلا بضع مقابلات صحافية، وآراء له منثورة في الصحف، وكتابات موجزة بقلم كاهن أو حاخام.

سرّه عزمي سرورَ طفلٍ بخبرٍ مفرح. ومن يومها راح غالباً يخبرني عن طفولته، عن أمّه، وعن أمورٍ يتمنى أن يتذكّرها «لو هي تذكّرتني». وكان أحياناً يستهلُّ كلامه بعبارة: «إذا متُّ الليلة، تذكّري ما يلي...».

تلك «التذكّرات» هي التي يضمُّ معظمها هذا الكتاب.

مُدّاك أيضاً جاءتني فكرةٌ أن أُلِمِّمَ عباراتٍ كان يقولها لي إبّان ساعاتٍ من أحاديثنا في المحترف، وشقيقاتٍ لها أخرياتٍ وجدّتها بخطّه منتثرةً هنا على قُصاصة، هناك على وُريقةٍ، كتبها وتركها في أيِّ مكان، وأن أجمعها في كتاب.

حين عرضتُ عليه الفكرة هزئاً منها في البدء وقال: «سيكون فيها الكثير من الرمل والزبد». وحين التقطتُ عبارته وأن يكونَ «رملٌ وزبدٌ» عنوان الكتاب، لفتته الأمر وأخذ يهتمُّ له فراح من يومها يعطيني، ببعض خجل، قُصاصةً من مطوية برنامجٍ مسرحي، أو قطعةً كرتونية من علبة سكاثر، أو غلافاً مطويّاً، وعلى كلّ منها أسطرٌ بخطّه، قائلاً: «إنك تجمعين خطراتٍ مجنونةً من رملٍ وزبدٍ». لكنه راح تدريجاً يستمتع فينسخ بتأنٍّ عباراتٍ، بعضها من أجمل ما قال أو كتب، هي التي شكّلت لاحقاً ذاك الكتاب.

٤ هو الكتاب الوحيد الذي صدر لجبران دون أن تقرأه ماري هاسكل وتُنقّحه. ذلك أن الناشر كنوف استعجل الحصول على المخطوطة فأرسلها إليه جبران، وفيها عبارات كثيرة كان دُونها ليضمّمها إلى أقوال «المصطفى» في «النبى»، فضمّمها إلى شقيقاتها في «رمل وزبد» الذي كان عنوانه «درب الأيام الستة» كما كان ذكر لماري هاسكل قبل ٦ سنوات في حديث بينهما سنة ١٩٢٠، إِيَّان اشتغالهما على «النبى».

٥ في السنة ذاتها أنهى الأرشمندرت أنطونيوس بشير تعريبه وصدر في القاهرة سنة ١٩٢٧. حرص جبران أن يصدر بالعربية تلك الطبعة فكتب: «ليس هذا الكتاب الصغير بأكثر من اسمه: «رمل وزبد»، حفنة من الرمل وقبضة من الزبد. ومع كل ما ألقى بين حباته وحبّات قلبي، وما سكبت على زبده من عصارة روعي، فهو الآن، وسيبقى أبداً، أقرب إلى الشاطئ منه إلى البحر، وأدنى إلى الشوق المحدود منه إلى اللقاء الذي لا يحده البيان. بين جانحي كل رجل وكل امرأة قليل من الرمل وقليل من الزبد. بعضنا بين ما بين جناحيه، وبعضنا يخجل. أما أنا فلم أخجل، فاعذروني وسامحوني. جبران خليل جبران - نيويورك - كانون الأوّل ١٩٢٦.»

قال لي يوماً:

- رجاءً أكتبني هذه العبارة: «كُلُّ فِكْرَةٍ كَبَلْتُهَا فِي التَّعْبِيرِ، عَلَيَّ أَنْ أُطْلِقَهَا فِي الْعَمَلِ». وَتَذَكَّرِي أَنْ تَكُونَ آخِرَ عِبَارَةٍ فِي الْكِتَابِ.

أما أول عبارة في الكتاب فهي هذه:

«أنا سائرٌ أبداً على هذه الشواطئ بين الرمل والزبد.

المدُّ سيمحو عن الرمل آثارَ خُطَايِ وَالرَّيْحُ سَوْفَ تُبَدِّدُ عَنِ الْمَوْجِ الزَّبَدَ.

لَكِنَّ الشَّاطِئَ لَنْ يَمَّحِيَ، وَلَنْ يَتَبَدَّدَ الْبَحْرُ».

بعد فترة، وكنتُ جمعتُ عدداً كبيراً من تلك الأقوال والعبارات، طبعتها على آلتِي الكاتبة وأخذتها إلى المحترف. تناولها جبران وجلس نحو نصف ساعةٍ يقلِّبُ الصفحات. لا هو تكلم ولا أنا. ثم رفع رأسه عن الأوراق وقال بابتهاجٍ على وجهه:

- أأنا أَلْفْتُ هذه كُلِّها، أَمْ أَنَّ لَكَ فِيهَا حِصَّةٌ؟

- أبداً. لا كلمة واحدة لي فيها. وأنت تعرف ذلك. كلُّ سطر في هذه الصفحات هو من جبران ولا يمكن أن يكتبه إلا جبران.

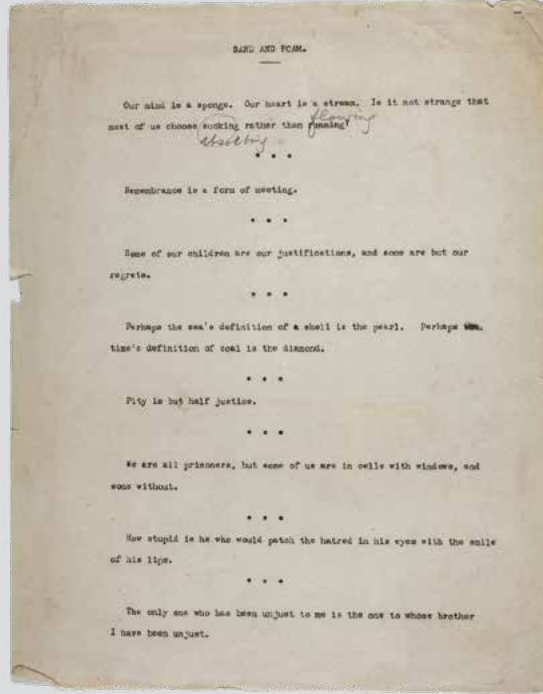
ذهب الكتابُ إلى الناشرِ وصدر سنة ١٩٢٦ بعنوان «رملٌ وزبدٌ»، وبِعنوانِ ثانوي «كتاب حِكْمٍ».

عند استلامه النسخة المطبوعة سألتني:

- أضروريُّ أَنْ نسميها «حِكْمًا»؟ لِمَ لا نستعمل الكلمة الأَجْمَلُ والأَبْسَطُ: «أقوال».

وإذ كان رأيُ الناشرِ عدمَ استعمالِ الكلمة الأَبْسَطُ، ظلَّ جبران يسميه «كُتَيْبُ الأَقْوَالِ».

في رأيي، ورأي كثيرين سمعته منهم، ليس في الإنكليزية كتابٌ بهذا الطابع، لا ثلاثة أبعادٍ له فقط: العُلُو، العُمق، والرحابة، بل له بُعدٌ رابع: الخلود، وهو مرادفُ الزمَنِ اللامحدودِ اللانهايِ.



صفحة من «رمل وزبد» كما هيأتها باربره يونغ  
على ألتها الكاتبة. وعليها بعض التعديلات من جبران  
قبل ذهاب الكتاب إلى الناشر كنوف وصدوره سنة ١٩٢٦.

في الكتاب أقوال قصيرة تعبر عن حكمة أجيال - وأقصد بهذه العبارة معناها الأصلي لا شعاراً لأي عقيدة - وهي في شكل حقيقة ساطعة لا يخلو منها إيمان ولا مذهب.

من هذه الأقوال:

- كيف تتوقع أن تفتح في يدك أزهار، وقلبك بركان؟  
- من يستطيع لمس الفصل بين الخير والشر، يلمس طرف ثوب الله.  
- عن العندليب أنه يحزُّ صدره بشوكة كلما غرَّد أغنية حبه. هكذا جميعنا.  
وهل نحن نفعل غير ذلك؟

- صامتة دائماً أعماقنا، مع أننا دائماً مغمورون بموج الكلمات.  
- الإيمان واحة في القلب لن تبلغها قافلة التفكير.  
- السخاء ليس أن تُعطيني ما أحتاجه أكثر منك بل ما تحتاجه أنت أكثر مني.  
- البؤس أن أمدَّ يدي فارغة فلا أتلقَى شيئاً. لكنَّ اليأس أن أمدَّ يدي ملاءى فلا يتلقَى أحد ما فيها.

لدى صدور الكتاب سألني سيود حسين كتابة مقال عنه في مجلته، فكتبت ما أراه هنا أفضل تقديم للكتاب:

«لا عمّر للكلمات. فلتنطق بها أو تكتبها واعياً خلودها». هذا السطر، إن كان سطر كافيًا، قد يحدد بُعد وعي هذا الشاعر اللبناني ملكة الكلام وقدرته البشرية.  
على غلاف الكتاب أن «المؤلف فيلسوف يراقب من نافذته مشاهد تمر به». وهي عبارة لطيفة لكنها معكوسة لأن المؤلف كتب: «أود أن أسير مع السائرين لا أن أتوقف مراقباً من يمرون بي».

هذه الأقوال الوجيزة والحكم الظرفية، خطتها يد من لمس بها نبض الحياة وتناول خبرها وشرب كأسها، لا من اقتصر على المراقبة والتعليق.

جبران سيّد العربية، في كتابه الإنكليزي الرابع هذا أعطى قراء الإنكليزية ما لا يشبهه في لغتهم أي كتاب «أقوال». ففيه مُجدداً ما في «النبى»: ثوب خاطه لنا

انتم الذين قدوة لتكثيبه أخرجي  
 ولقد وجدت في الصلوة الأولى من الكلمات « غلطه  
 طبيعية فاحته ! قلت « وليس المكتوب الذي يدرسه المصل  
 ثم انظر - المكتوب الذي يدرسه المصل ... كنت بالعلم ترى العاقبة  
 بين معنى كلمة الأول وكلمة الثانية ، فهذه شققت ما فاداه  
 صديقتنا يوسف البستاني بعدد يعلم ما الفقه كرسية كرسية المصطفى  
 أنت تعلم اني احب « العتابة » اللغوية بكل ما يصدر  
 من « العتابة » وفي كل كلمة من « العتابة » - وليس هناك من  
 يشاء ان يوتي « العتابة » - فكيف استطعت ان  
 تنوب عن تقديم العلم ان سليم زيات - اذا وجدت سيده  
 اني تقدم شكرى له  
 والله يحفظك انما جزوا لفضل  
 حاشيتك  
 قلت لزمرة انك قدمت كتابا من العلم كغيره ووجدت  
 العروبة من اللغة العربية فجزوا المصطفى من كل  
 الترجمة لعلوا ان العروبة

١٩٢٠ شباط  
 يا ربنا بتم صدقتك بارك . انزلونا بيسم يا خير انكسار .  
 انما انفق العزير  
 سؤدم عن روحك . وبعد فقد نظرت في مجموع  
 المكتوب من « رمل وزيد » والكلمات « وكرت جدا يا  
 ابراهيم وشكرت لك فخرتك كما شكرت في  
 سيرة العرب طويلا . . . يا يسوع ابن ادم لك انتي  
 معي كل الابد بصدق الكفاية . يا يسوع ابن الاستغراب  
 قد كنت التي توترون لكل دورتهم من العسل . عاتك  
 الله يا ابراهيم والحال الله عز وجل  
 ليس ربي انت ( اللغة العربية ) يا ابراهيم  
 يا ابراهيم - غير التي سوف ابعث اليك بعد او بعد  
 من كتاب « يسوع ابن انسان » في الريب القديم . ان  
 مشغول في هذه الايام بشيئين هذا الكتاب فترسم تفعلي  
 وفي سبب عذرة تفرج مع كل كلمة من العتابة . ابراهيم

رسالة إلى الأرشمندرت أنطونيوس بشير من جبران في ٢٤ شباط ١٩٢٠ حول ترجمة الأرشمندرت كتاب «رمل وزيد» شاكرًا إياه عليها، وعلى إصدار الأرشمندرت كتاب «كلمات جبران» منتجًا مقاطع من كتب أخرى. رسائل الأرشمندرت، وهو أصبح لاحقًا مطرانًا، موجودة حاليًا في متحف تأسس على اسمه داخل بيته الوالدي في بلدته الأم دوما.

KAHLIL GIBRAN  
 31 WEST 106 STREET  
 NEW YORK, CITY  
 76 Tyler St.  
 Boston - Mass.  
 انما انفق العزير  
 انك سلام عليك . وبعد فانا اليوم في بوسطن  
 وسون ابني خيرا اوفى جوارها الصيف كله - فاجازت  
 حسن النواحي سررت جدا . تقياك وبانظر الى  
 ترجمته « يسوع ابن انسان » « النظر في ترجمة يسوع ابن  
 انما بعد عن كتبتي وليس لدي شيئا من



مطلع رسالة إلى الأرشمندرت أنطونيوس بشير من جبران على ورقة من عنوانه في نيويورك. لكنه كتبها من بوسطن مع عنوانه فيها (٧٦ شارع تايلر) يدعوه فيها، بكل لطف، إلى زيارته لـ «النظر في ترجمة يسوع ابن الإنسان» التي كان الأرشمندرت أنجزها حديثًا.

الأرشمندرت أنطونيوس بشير زمن كان يعرّب مؤلفات جبران الإنكليزية.

مما رآه «بين الولادة والموت» إنما بنسبٍ مغاير. تناول الحكيم القديمة عن الحقائق وصاغها بأبسط التعبير أن «لن يفهم أحدنا الآخر إلا حين تتقلص اللغة إلى كلماتٍ سبع». ويمكن فهم ذلك من تأمل رسوم الكتاب السبعة، فريشة جبران صولجانه الآخر.

في قوله: «الرجل اثنان: أولُ صاح في العتمة والآخر غاف في النور»، ومضةٌ نَحْتِيَةٌ رشيقةٌ تتجلى في صفحات هذا الكتيب الذي تعطي قراءته انطباعاً من يسير في رواقٍ عالي السقف عريض المعبر، على جدرانهِ صورُ الحقيقة منقوشة في الرخام. إنه كتاب يَخترق الوعي حتى أعمقه كما قبله اخترقه كتاب «النبي».

ذكرتُ أعلاه قوله جبران عن «تقلص اللغة إلى كلماتٍ سبع». وأذكرُ جيداً ولادتها ذات مساءٍ في المحترف.

كنا نستريح بعد سحابة كتابة، فبادرني فجأة:

- افترضي أن عليك نسيان جميع الكلمات إلا سبعة، فما تكون هذه السبع؟  
أجبتُه بعد برهة تفكير: الله، الحياة، الحب، الجمال، الأرض. ولم أستطع تعداد الاثنتين الباقيتين، فبادرته:

- وأنت، ما تكون كلمائك السبع؟

- نسيته أهم كلمتين يظل عقيماً كل ما عداهما.

أذهلني رأيه، فأكمل:

- أهم اثنتين هما: أنت وأنا، بدونهما لا وجود لباقي الكلمات. علينا أولاً أن نكون» ثم أن «نأخذ».

قالها ثم أكمل متمهلاً ببعض همس:

- كلماتي السبع هي: أنت، أنا، ثم الأخذ، الله، الحب، الجمال، الأرض.

وساد بيننا صمتٌ طويلٌ لا أذكر مثيلاً لطوله وخفقانه ورعشته. استعدتُ كلماته مراراً طيلة ذاك الصمت. هي كل متكامل، فيها جميع معاني الحياة، ومعاني الموت الذي هو جزء من الحياة، ومعاني الأبد الذي هو الله.





رسوم من جبران بالقلم الرصاص

وحين تدرّيجًا عاد إلى شفاهنا الكلام، تناولنا تلك السبع الكلمات، ونسجنا بها قصيدةً قصيرةً غير مضيّفين إليها كلمةً واحدةً سوى تصرّفنا بياء المتكلم:

وهذه هي القصيدة:

خُذني أيها الحب

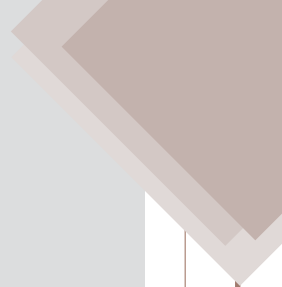
خُذني أيها الجمال

خُذيني أيتها الأرض

وإذ آخذُ

الأرض، الحب، الجمال

أكونُ أخذتُ الله.



## الحياةُ دوراتٌ متَّصلةٌ مُتعاقبةٌ

أعرفُ وُلدًا في السابعة، واعيًّا تمامًا أنَّ حياته سائرةٌ في مدارٍ «مثل النجوم والكواكب» كما يسميها مزهويًّا. ولكي يجعل حياته ساطعةً كما مقدَّرٌ لها، عليه أن يبقى سائرًا في ذاك المدار. ويرى أن «الأرض لا تستطيع أن تضلَّ عن مدارها. أنا أستطيع، لو شئتُ، إنما عليَّ ألاَّ أخرج عن مداري».

تساءلتُ مرارًا لِمَ، في قَدَرِ العوالم، تَقاطَعُ طريقي مع هذا الطريق الآخر بالذات في وقتٍ معيَّنٍ بالذات من هذه الحياة في دورتها الحالية؟  
ذات مساءً، خلال اشتغالنا على كتاب «رمل وزبد»، راكمتُ وسَطَ الغرفة طنافس جلستُ عليها عوض مقعدي المعتاد. شعرتُ فجأةً بحميمية غريبة في جلستي، فقلتُ له:

- أحس كأنَّ مرارًا جلستُ إليك هكذا، مع أنني لم أقمُ بذلك قبلاً.  
سكتَ برهةً - كما عادته أحيانًا قبل أن يجيب فأظنُّه ينسج جوابه بالعربية -  
ثم نطقَ:

- بلى. جلسنا هكذا قبل ألف عام، وسنجلس مجددًا بعد ألف.  
أحيانًا، إبان اشتغالنا على «يسوع ابن الإنسان»، كان مثيرًا حديثه عن وقائعٍ معيَّنةٍ حتى لأبادره:

١ التيوصوفيا (أو التيوسفسطية) فلسفة ذات عقائد مغلقة إلا على النخبة المتضلعة. شعارها: «لا دينَ يعلو فوق الحقيقة». نشأت في العصور القديمة، ظهرت ملامح منها في كتابات أفلاطون وأفلوطين، وبلغت الغرب مع القرن السابع عشر في كتابات التيوصوفي الألماني جاكوب بوهم (١٥٧٥-١٦٢٤). وسنة ١٨٧٥ بلغ الولايات المتحدة تيار «الجمعية التيوسفسطية» التي أسستها الفيلسوفة الروسية هيلينا بتروفنا بلاقاتسكي (١٨٣١-١٨٩١) وفيها تأثيرات من البوذية والبراهمانية، وإيمان بعقيدة التقمص أو تناسخ الأرواح.

٢ أتباع الرُوزيكروشيا (الصليب الوردى = الصليب يرمز إلى الجسد والوردة إلى الروح): جمعية سرية ظهر بيانها الأول في ألمانيا سنة ١٦١٤. تعاليمها متأثرة بالنسك المسيحي والأفلاطونية المحدثه والفيثاغورية وتعاليم لوثر. انضم إليها لاهوتيون وأطباء وفلاسفة، وانتشرت تدريجاً في كل أوروبا. تأثرت بها الماسونية في القرن الثامن عشر. كانت تؤمن بالتناسخ.

٣ وعاش حياته كلها على هذه القناعة. من هنا أنه، قبيل وفاته ودخوله في الغيبوبة الأخيرة، حين سأله راهبة المستشفى إن كان كاثوليكيًا، أجابها بنبرة قوية «كلاً»، كما روى ميخائيل نعيمة عن باربره يونغ التي كانت إلى سرير جبران وسمعت جوابه.

- صحيح! أَحْسُ كَأَنْ كُنْتُ هُنَاكَ.

فِيحَيْثُنِي جَوَابُهُ مَغْمَسًا بِبَعْضِ غَصَّةٍ:

- أَجَل، كُنْتُ هُنَاكَ. وَأَنَا أَيْضًا.

هكذا كان جبران كل مرة يعبر عن إيمانه بما يسميه «دورات الحياة المتصلة المتعاقبة»، وهو ما يؤمن به النيوسفسطيون<sup>1</sup> والروزيكروشيون<sup>2</sup> وأتباع عقائد ومذاهب أخرى، ويُسمونه «التقمص» (أو التناسخ). سوى أنه لم يستعمل أبدًا هذه التسمية. كانت ثقته راسخة أن الحياة، وهي روح البشر، كانت وستبقى ولا زمن محددًا لها، وأن روابط الحب والإخلاص والصداقة ستجمع دومًا من تتواصل ولاداتهم باستمرار، وأن للعدوانية والعلاقات الشريرة والحقد الأثر ذاته في إعادة الجماعات ذاتها من دورة إلى دورة. ويكون للأمالاة تأثير في التفرقة. فتلك الأرواح التي لا تحب ولا تكره، بل تبقى مكتفية كليًا بمراقبة واحداثها الأخرى، هي التي تلتقي مرة وحيدة في جميع الدورات.

ذلك كان إيمانه وكان معتقده، ثابتين كالليل والنهار في قناعة راسخة. لم يستخدم يومًا تعابير معتقدات ومذاهب أخرى، ولا انتهى يومًا إلى طائفة ولا إلى مذهب.

كنت غالبًا أسأل: «ألم يكن جبران مسيحيًا؟ فأجيب: بلى، وكان أكثر مسيحيًا من جميع أتباع الطوائف المسيحية، إنما غير مُنتم ولا متعصب لأي منها<sup>3</sup>. وإن لا بُد من توصيف - ليس أصلًا يحتاجه -، فإنه كان مسيحيًا صوفيًا بأسمى معاني الصوفية.

وحين يُسأل عمَّن هو الصوفي، كان يجيب مبتسمًا: «ليس لغرًا سرًّا ولا إنسانًا مدهشًا. إنه، ببساطة، من أزاح حجابًا آخر».

مرة قال: «ثلاث مرات رأيتُه، سيدنا وأخانا، وكلمته».

ومن نحن لنشك؟ ألم يقل يسوع يومًا لتلامذته: «ستفعلون هذه وأكبر منها بعد، لأنني ذاهب إلى أبي»؟

جوابها هذا مستمد من معرفتها رأي جبران في يسوع، وموقفه حيال طقوس الكنيسة. وهو ما كتبه مراراً، كما في نص «يسوع المصلوب»، وفيه: «... لم يهبط يسوع من دائرة النور الأعلى ليهدم المنازل ويبنى من حجارها الأديرة والصوامع، ويستهوِي الرجال الأشداء ليقودهم فسوساً ورهباناً... ولم يَجِئْ ليعلم الناس بناء الكنائس الشاهقة والمعابد الضخمة، بل جاء ليجعل قلب الإنسان هيكلًا ونفسه مذبحًا وعقله كاهنًا...». وهو مقال نشره أولاً نهار الجمعة العظيمة في جريدة «مرآة الغرب» (العدد ١٣٥٧ - الجمعة ١٤ نيسان ١٩١١)، ثم عاد فصممه بالعنوان ذاته إلى كتابه «العواصف» (القاهرة - منشورات «الهِلال» - الطبعة الأولى ١٩٢٠) وهو آخر كتاب له بالعربية. وما ظهر له بعده في القاهرة («البدائع والطرائف» - ١٩٢٣) كان مجموعة مقالات وقصائد سبق نشرها في الصحف، جمعها الخوراسقف منصور أسطفان بناءً على طلب يوسف توما البستاني الذي أصدرها في منشورات «مكتبة العرب» وهي دار النشر التي كان يملكها في الفجالة.

مرةً وحيدةً، طيلة سنوَاتِي السبعِ معه، ذَكَرَ جبران ثلاثَ تجاربَ صوفية، عبَّرَ لي عنها من أعمق كيانهِ البشري المُتعب: «هي المرة الوحيدة في حياتي أتحدث عنها لِبَشَرِيٍّ آخَرَ، إنما لا تتحدَّثُني عنها لِأَحَدٍ حتى بعد موتي».

جلستُ صامتةً كصخرة، وأصغيتُ إليه. ولأنني أنا أيضًا مُلمَّةٌ بالرؤيا الصوفية وقوَّتِها، عرفتُ أنَّ ما سينطقُ به حقيقةٌ أزليةٌ لن أبوح بها.

كنتُ يومًا أخطبُ جمعًا غفيرًا في مدينةٍ من الغرب الأميركي، حين قاطعني بتهديبِ ذاك السؤالِ إياه: «هل كان جبران مسيحيًا؟» فبادرتُ بجوابي المعتاد: «إن كان المقصودُ مزاولته الطقوسَ عبر الكنيسة الكاثوليكية، فهو لم يكن ذا صلةٍ بها ولا بأيٍّ أُخرى. وإن كان المقصودُ إيمانه بتعاليم طائفةٍ مسيحيةٍ، جوابي كذلك أن لم يكن منتميًا إلى أيِّ طائفةٍ أو مذهب. وحين كان يُسأل عن أعجوبة الحبل بلا دنس، كان يجيب: «أليس كُلُّ حَمَلٍ أُعجوبة؟» كان يرى يسوعَ أكثرَ بشريٍّ مُتَنَوِّرٍ زار الأرض، وأكثرَ المُلهَمين اطلاعًا بحكمةٍ وقوةٍ لا تُحدَّان، وشاعريةٍ متفوّقةٍ، وشخصيةٍ فريدةٍ خارقةٍ مَقْنَعَةٍ مكتملةٍ وعيها قدراتِ البشر ومسؤولياتِهِم. كان جبران يؤمن أن يسوع عاش حياته البشرية كاملةً، لم تتقدَّم له كأسُ بهجةٍ إلا شربها، ولا عينَ قلْفًا بشريًّا إلا تفهَّمَهُ وأشركه بألوهيته، ولم يشب حياته طيفُ ملامة».

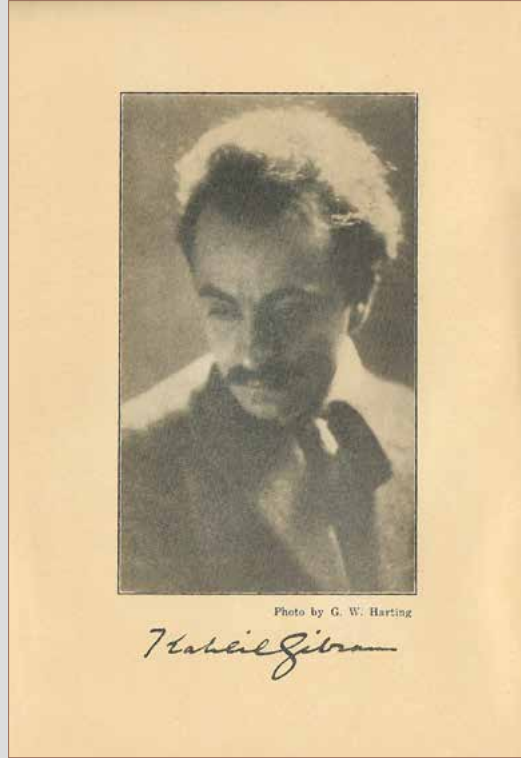
هذا الجواب لم يكن يُرضي المتشدِّدين، لكنه يُرضي جبران.

هو المولود من والدين مارونيَّين، تلقَّى تربيتَهُما الدينية. وكان يروي أقاصيصَ حنونةٍ عن الخوري يوسف الذي كان أحيانًا يزور قريةَ بُشْرِيٍّ في جولاته التبشيرية على الرعايا في القرى والداكر. وكان الصبي جبران يراقب الخوري يوسف، وأحيانًا يمشي معه، يده الطريةُ في تلك اليد الصلبة، سائلًا إياه، متأملاً في أجوبته.

قال لي عنه يومًا:

- تعلَّمْتُ منه عن الله والملائكة. كان قريبًا من الله، وكنتُ أنأمِّله بفضولٍ حتى أنني مرةً سألتُهُ: «أأنتَ الخوري يوسف أم أنتَ الله؟» إلى هذا الحد كنتُ أجده طيبًا ومثاليًا. أحببتهُ بشغفٍ ما زلتُ أحسُّه كلِّما فكَّرتُ به. قُرْبُهُ من الله جعلني أُحسُّ





صورة لجبران نشرتها باربره يونغ في كتيّبها الأول  
عن جبران (١٩٣١) ونشرت تحته توقيع جبران.

٥ لافْتُ أَنَّ جِبْرَانَ، فِي كِتَابَاتِهِ وَكُتُبِهِ، لَمْ يَسْتَعْمَلْ تَسْمِيَةَ «الْمَسِيحِ» بَلِ «يَسُوعَ»، مُشَدِّدًا  
عَلَى عَظَمَةِ يَسُوعَ بِطَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ وَفَرَادَتِهِ السَّاطِعَةِ فِي التَّارِيخِ.

بِحُبِّيَّيِ اللَّهِ. لم يُحدِّثني مرَّةً عمَّا كنتُ تعلَّمْتُهُ في تلك الكنيسة الصغيرة بل عن أمورٍ في العالم العلويِّ لم أكن أراها أو أسمعها بل كنتُ أحسُّ بها في قلبي. وكان قلبي الطفلُ يومها يلهف أحياناً إلى زيارة ذاك العالم العلويِّ كي أراها وأسمعها بدَّل أن أبقى حيث أنا فأحسَّ بوحدةٍ غريبةٍ وحزنٍ غير طفوليِّ.

إذاً لم يكن جبران أتباعياً حتى وهو وُلد. لم يولد في عالم نهاية القرن التاسع عشر كي يتتبع، بل وُلد رسولاً من الله ليُعيدَ صياغة فهم البشر جوهر الحياة، ويُسمع مَنْ لهم آذان، ويُلقنَ الروحَ المغامرة كيف تشقُّ طريقها إلى مرَاقِي الله المتلألئة أمام بني البشر.

منذ مجانبته الخوري يوسف كان جبران الصبي يرى أنه خارج الإيمان الديني الذي نشأ عليه. ولم يجد «ديناً» بديلاً منظماً يؤمن به.

هكذا شغف طفلاً بيسوع، ووعاهُ يافعاً «الأكثرَ حكمةً وصلاًحاً من جميع الحكماء والصالحين الذين جاؤوا هذا الكوكب. هو يسوع، سيدنا وأخونا، هو يسوع ابن الإنسان».

ولنقلها جليَّةً، لا تجنباً ولا نكراناً مكانته، فجبران لم يقصد أبداً ذلك. يسوع جبران هو ابن الإنسان، الذي بلغَ قمة التصفي بعد سلسلةٍ طويلةٍ من دورات الحياة، فجاءَ مكتملَ الحكمة والفضائل والقوة والمجد بما لم يبلغه قبله بشريٌّ يعبر عن الله الأب بمجموعةٍ من ذاك الحصاد الأبدي.

كان جبران يؤمن أنه عاش على الأرض زمنَ عاش في بلاده يسوع، وأنَّ يسوع حتماً زار شمال لبنان، فيقول: «رأيتُه هناك. أنا واثقٌ أنني رأيتُه هناك».

تلك المشاعر كانت في عمق قلبه وكيانه. وإذ يتحدث نادراً عنها لبضع لحظات، كان يتحوَّل كمن مَسَّته إصبع نار إلهية فلا أشكُّ في حديثه كما لا أشكُّ بوجودي. في تلك اللحظات، النادرة إنما المكثفة الحقيقية المحسوسة، كان المحترف - عند أعلى تلك البناية القديمة - يتحوَّل كما تلهَّ عالية في بلادٍ بعيدةٍ لم أكن رأيتها بعدُ في هذه الدورة الحالية من حياتي، فلا أعودُ أسأل لماذا أنا مع هذا الشاعر في هذا

### *We Came as a Mist*



AND now I say unto you,  
Beloved, seek us no more,  
For we have neither hut nor bower.  
And search not for our name,  
For it is not written in books,  
Nor is it traced on any canvas.  
We came as a mist;  
We passed away as a cloud,  
The one, without dew,  
The other, without rain.  
And now if you would, in truth, know  
what we have known,  
You must needs walk the road to death,  
Even as we have walked.

KAHLIL GIBRAN

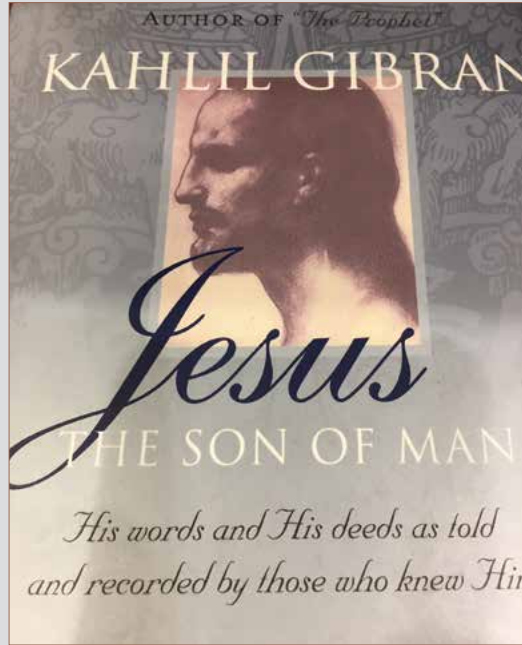
«جئنا كما ضبابة»

مقطوعة لجبران نشرتها باربره يونغ  
على صفحة من كتيّبها الأول عن جبران (١٩٣١).

٦ هذه هي الهاجيوغرافيا التي أوضحتها في الصفحة ٢٩٩ للدلالة على أنّ باربره يونغ كانت ترى إلى جبران في هالةٍ إلهيةٍ لا بشريةٍ، وبهذه النظرة كتبت تجربتها معه في هذا الكتاب.

الزمن، بل أُوقِنُ أَنَّ فَعْلًا سَبَقَ وَعَشْنَا مَعًا وَتَنَقَّلْنَا مَعًا فِي الْأَمَاكِنِ ذَاتِهَا قَبْلَ أَلْفٍ مِنَ السَّنَوَاتِ أَوْ أَلْفَيْنِ.

جميعُ هذه التجارب والاختبارات البهيجة عشتُها معه إِبَّانَ كِتَابَةِ «يَسُوعَ ابْنَ الْإِنْسَانِ». وَسَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ مِرَاقِبَتِي إِيَّاهُ خِلَالَ سَاعَاتٍ لَا تُحْصَى نَتَجَّ عَنْهَا ذَلِكَ الْكِتَابِ، كَانَتْ تَكْفِينِي لِأُوقِنَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ لُبْنَانَ كَانَ فَعْلًا مِنْ نَسِيحِ إِلَهِي<sup>6</sup> وَكِيَانِ أَكْثَرَ أُلُوهِيَّةٍ مِنْ كِيَانِنَا. مِرَاقِبَتِي إِيَّاهُ هَكَذَا، مَخْطُوفًا أَمَامَ عَيْنِي الْبَشْرِيَّتَيْنِ، شَكَّلَتْ قِنَاعَتِي بِأَنَّهُ حَقًّا هُوَ الْمَصْطَفَى الْحَبِيبُ فِي سَمَاوَاتِ الْآلِهَةِ.



إحدى طبعات «يسوع ابن الإنسان»

١ ما عادَ أكملَه ليُصدِرَه، فانهمَكَ قبل إنّهائِه بإصدار «رمل وزبد» (١٩٢٦). فـ«يسوع ابن الإنسان» (١٩٢٨)، فـ«ألّهة الأرض» (١٩٣١)، فـ«التائه» (١٩٣٢ صدر بعد وفاته)، وعمَلت باربره يونغ على جَمع ما كان أملاه عليها من نصوصٍ أصدَرْتها في «حديقة النبي» (١٩٣٣)، وجميعها طبعًا لدى «كنوف».

## «صديقنا وأخونا»

طويلاً عاش كتابُ «يسوع ابن الإنسان» في بال جبران. كان يقول:  
- ذات يوم، ذات بادرة، سنكتب عن صديقنا وأخينا. بعد سنواتٍ خمس، وربما  
عشر.

فجأةً، ومن دون مقدّمات، مساءً [الجمعة] ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٦، سطعتْ  
لحظةٌ ستبقى حيّةً في ذاكرتي ما بقيت في ذاكرتي حياة: كان جبران يذرع الغرفة  
بلا توقّف، متحدثاً بتقطّع عن كتاب «حديقة النبي» وكان يتهيأً له تفكيراً وتصميماً.  
فجأةً جمَدَ مكانه، وغمرت وجهه نظرةٌ غريبةٌ قاتمةٌ، في تحوّلٍ مثيرٍ ذي مُحياٍّ أعرَف  
من تجربتي معه أنه نذيرٌ بدايةٍ عاجلة.

تردّدت في الغرفة أجواء خبّرتها في مثل هذه اللحظات. تناولتُ الدفتر الأسمر  
من حدّي سريعاً وتهيأتُ.

حتى رأسه فتجهم وجهه وشاخ، اسودَّ ذاك الإشعاعُ الجميل إلى هيئةٍ صارمةٍ  
كثيبة، ارتجَّ رأسه هرماً وشيخوخةً، ثم تعالَى صوتٌ - كأنّ ليس صوته - ضئيلٌ  
مهزومٌ متهدّجٌ اخترقَ قلبي ألمه ويأسه كأنه خنجر. ثم نطقَ الصوت: «في مثل  
هذه الليلة قبل خمسين سنةً - والذكرى عقرباء ملتفةً على قلبي كأسا أمرٌ من  
المرارة، سوّدت جميع أيّامي ودنّست جميع صباحاتي آلاف المرات - زارتنِي ذكرى  
تلك الليلة...». وسكّت. عاد يمشي في الغرفة ويردّد تلك الكلمات ذاتها وأنا أدوّنُها.

« Defeat »

Defeat, My Defeat, my solitude and my aloneness;  
You are dearer to me than a thousand triumphs,  
And sweeter to my heart than all world-glory.

Defeat, My Defeat, my self-knowledge and my defiance,  
Through you I know that I am yet young and swift of foot,  
~~And not to be~~  
And not to be trapped by withering laurels,  
And in you I have found aloneness  
And the joy of being shunned and scorned.

Defeat, My Defeat, my shining sword and shield,  
In your eyes I have read ~~that~~  
that to be enthroned is to be enslaved,  
And to be understood is to be leveled down,  
And to be grasped is ~~to~~ but to reach one's ~~own~~  
fulness  
And like a ripe fruit to fall and be  
consumed.

Defeat, My Defeat, my bold companion,  
You shall hear my songs and my cries and  
my silences,  
And none but you shall speak to me of the  
beating of wings,  
And urging of seas,  
And of mountains that <sup>know</sup> in the night;  
And you alone shall climb my steep and  
rocky soul.

Facsimile of a page manuscript

مخطوطة «خيبة» لجبران نشرتها باربره يونغ على صفحة من كتبها  
الأول عن جبران (1931).

تجمدْتُ في جِلستِي مسحورَةً: راح الصوت القَلِقُ المأساويُّ الغريبُ يتردَّد  
فينفطر قلبي على كائِنٍ معدَّبٍ لم أعرفهُ من قبلٍ مع أَنَّ وَهْنَهُ ليس جديداً عليّ.  
عجزتُ عن التدوين.

فجأةً، وبسرعةٍ ما كان تَحَوَّلَ قبلَ لحظاتٍ رجلاً غريباً، عاد جبران إلى وجهه  
الأليف، تَوَجَّهَ صامتاً إلى كرسيِّه، جَلَسَ مغمِضاً عينيه، ثم فَتَحَهُمَا، تطلَّعَ بي في  
صَحْوَةٍ طبيعيَّةٍ وقال:

- أتعرفين مَنْ كنتُ؟

- كلاً.

واصل بصوتٍ عميقٍ كما آتٍ من البعيد:

- كنتُ يوحاس [يهودا]. مسكينٌ يوحاس. لو افترضنا أَنَّهُ لم يتخلَّصَ من حياته،  
وأنه عاش خمسين سنةً أو مئةً، كيف ستكونُ حياته؟

انتصَبَ واقفاً، على وجهه مسحهُ ملاكٌ معدَّبٌ يَسْحَقُهُ الألمُ والقَلَقُ، وبومضةٍ  
إشراقَةٍ باهرةٍ على وَجْهِهِ صرخ:

- الليلةُ يُمكنني أَنْ أباشِرَ الكتاب.

وبالفعل: ليلتئذٍ بدأ تأليف «يسوع ابن الإنسان»، الكتابِ الْكَانِ يُسَكِنُهُ قلبَهُ  
سنواتٍ طويلةً. غيرَ أَنَّ الفصلَ الأوَّلَ الذي أملاه وكتبته لم يكن عن يوحاس بل  
قصةً على لسان يعقوب ابن زبدي. راح يمشي من جديد، يُلمي عليّ بطيئاً، لا  
بصوته المعتاد وطريقته المألوفة بل وازناً كلماته الإنكليزية إذ يلفظها. هكذا أَلَّفَ  
الفصلَ الأوَّلَ من الكتاب. لكن «أَلَّفَ» ليست الكلمة بل هو «عاش» الفصلَ كأنه هو  
يعقوب يستعيدُ كلماتِ الربِّ ناهراً بغَضَبٍ يوحاس المتزلِّف:

«تراجع عني أيها الشيطان. أتخالني انحدرتُ من جبال السنين لأحکم يوماً تَلَّةً  
نمل؟ عرشي أبعدُ من أن يطاله بَصْرُكَ. أَيْمَكُنْ مَنْ جَنَاحاه يُلْقَانِ الأرضَ أَنْ يَبْحَثَ  
عن ملجأٍ في عَشِّ ضئيلٍ مهجور؟... كثيرةٌ هي الديدانُ الْمُتْرَاحِفَةُ حولَ قَدَمِي لكنني  
لن أدَهَسَهَا... يشتهي كاهنُكُمْ وحاكِمُكُمْ هذِرَ دَمِي. وسوف ينالني قبلَ أَنْ أغادرَ هذا



٢  
انتحار يوحنا ورك على لسان رجل روى أن يهوذا زاره ليلة الجمعة العظيمة عشية الفصح وقال له، بين ما قال: «أسلمت يسوع الناصري إلى أعدائه وأعدائي... صلبوه اليوم... وعندما مات على الصليب مات ملكاً... مات في العاصفة كما يموت العظماء... هو مات ملكاً وأنا خائناً ساموت...». هكذا تكلم يهوذا ثم فتح الباب وخرج إلى العاصفة... بعد ثلاثة أيام زرت أورشليم وسمعت بكل ما حدث فيها. وعرفت أن يهوذا ارتقى من قمة الصخرة العالية («يسوع ابن الإنسان - أقواله وأفعاله كما رواها ودونها من عرفوه» - الفصل ٦٧: «شهادة رجل من خارج أورشليم»). وفي الفصل ٧٦ «سيبورية أم يهوذا تصف ابنها وأطواره»: «يقولون لي إن ابني مات منتحراً بارتمايه عن الصخرة العالية إذ وبخه ضميره على تسليمه صديقه يسوع الناصري».

٣  
غير أن جبران، قبل إرسالها إلى الناشر (كنوف، طبعاً، ناشر جميع مؤلفاته)، تناول تلك النسخة المطبوعة على الآلة الكاتبة، ومن دون علم باربره أرسلها إلى ماري هاسكل الجمعة ٩ كانون الأول ١٩٢٧. واستلمتها الأحد ١١ كانون الأول طناً منها أن جبران أرادها بادرة هدية في عيد ميلادها الثالث والخمسين (وُلدت نهار الخميس ١١ كانون الأول ١٨٧٣ في مدينة كولومبيا - ولاية كارولينا الجنوبية). ولاحقاً، طيلة الشتاء ومطلع ربيع ١٩٢٨، ظل يرسل إليها تعديلات أو إضافات جديدة إلى فصول تكون نفتحها سراً في غفلة عن زوجها أو ليلاً إن نومه لأنه كان حرم عليها أي اتصال مع جبران. وليلة الأربعاء ٤ نيسان ١٩٢٨ أنهت تنقيح الأسطر الأخيرة من النصوص وأعادتها إليه صباح اليوم التالي. أصدر كنوف الكتاب نهار الخميس ١١ تشرين الأول ١٩٢٨، وبعد أربعة أيام (الإثنين ١٥ تشرين الأول) كان جبران يرسل إليها أول نسخة مطبوعة وصلته.

العالم. لن أُغَيِّرَ مسارَ الشريعة ولن أُحْكَمَ جهلة. فُلْتَجَدِّدِ الجِهالَةَ ولتَناسَلْ حتى تَمَلَّ من دَرِيَّتِهَا... مملكتي ليست على الأرض بل حيثما يلتقي بينكم اثنان أو ثلاثة على الحُب، على تَدْوِقِ جمال الحياة، وعلى الغبطة والبهجة في استذكاري».

مع أنني كنتُ سمعتُ هذا الفصلَ ودَوَّنْتُهُ، حين قرأتهُ ناجراً أذهلني أن يَخْرُجَ هذا الكلام من قلبِ رجلٍ وفيه بهاتيك القوة والدقة والتراكيب. لكنه هكذا تكوّن في فكره وسال من فمه. وحين نَسَجَ قصة يوضاس، لم يُعْطِه ملامح رجلٍ عاش سنواتٍ من الحقد بل شخصيةً رجلٍ ارتدى من صخرة عالية وتَحَطَّمَ ميتاً<sup>٢</sup>.

قلتُ إن تلك الليلة، ١٢ تشرين الثاني، لن أنساها في حياتي. وتواصل العمل ثمانية عشر شهراً؛ هو يُملي وأنا أَكْتُبُ، فيما كانت عيناى - ولا تزالان حتى اليوم - تتأملان وجهه ساحةً معركةً تتغيَّر ملامحها في لَمعة برقٍ وفقِّ التعبير. كم كان يُشرق وجهه بما تَصْعَبُ عليّ الإشاحة عنه! وكم كانت تُعرى روحه العظيمة فيلبس وجهه ما لا تراه عينٌ بشرية!

كُلُّ واحدٍ من الأشخاص السبعين في الكتاب كان «يَحضر» حياً في المحترف، وينطق بلسان هذا الرجل من لبنان. وغالباً ما كان مُضنياً بل مرعباً إرهابه عند إنهائه قصة الشخص. أحياناً قليلةً كان نورٌ، شفيفٌ رقيقٌ لكنه بَيِّنٌ، يشعُّ فوقه وحوله إذ يمشي. مرةً وحيدةً، إذ توقَّفَ عن المشي وهو يُملي عليّ بصوتٍ خفيضٍ عباراتٍ بطيئةً، لمَحْتُ ذاك النور واضحاً ساطعاً أبيضاً باهراً فصرختُ غصباً عني: «خليل... النور!!! جَفَلَ لحظةً، تنفَّسَ عميقاً، وعاد يمشي فاختمى النور.

هكذا كانت الجَلَسَاتُ تمضي إلى أن انتهى الكتاب. طبعتُ الصيغة الأخيرة على آلتِي الكاتبة وهيأتُها للإرسال إلى الناشر<sup>٣</sup>، فكأن الشاعر وصاحبة اليد التي دَوَّنَتْ، بلغا خاتمةً صراعٍ مُضنٍ بجراحٍ مشتركة في عمق قلبيهما. وبقيت رائعةً ذكرى كلِّ ذلك، ولا تزال، وظلَّت تلك الجراح وندوبها جزءاً من ذاك الكنز الذي كانته تلك التجربة الغنية والفريدة.

رسوم الكتاب كانت تولدُ توازياً مع التأليف. ويهمني هنا أن أتوقَّفَ عند رسم رأس يسوع على غلاف الكتاب. كنت شاهدةً على بداية تفكيره برسم «ابن



رسمٌ من جبران بالقلم الرصاص، يرجِّحُ الباحثون أنَّ هذه شقيقته  
مريانا تتفجَّع فوق رأس أمها كاملة عند وفاتها.

الإنسان». ذات مساء تناول جبران لوحًا كرتونيًّا سميًّا يتَّسع لرسم رأسٍ في حجمه الطبيعي، ووضعه على مَلُونِه. كانت حركته لاهثةً كأنه يحمل جسمًا حيًّا. التفتُ إليه وفي عينيَّ سؤال، لكنَّه كان يتضايق مِمَّن يكلمه وهو يعمل أو يسأله عما هو فاعل. حمل أمام عينيَّ أرومةً قلمٍ رصاصٍ قصيرةً من نحو ٥ سنتم، وجَّهها إلى اللوح، وضع إصبعين على شفَّتيه فارصًا عليَّ الصمت، بدأ من أعلى اللوح وراح برشاقةٍ مذهلةٍ وسرعةٍ عجيبةٍ يضع الخطوط الأولى واضحةً محدَّدةً جميلةً للجهة الجانبية من الوجه. وبدأ الرسم يولِّد.

بقي اللوح على المَلُونِ أيامًا وليالي. وكان جبران من وقتٍ إلى آخرٍ يقف أمامه، يلامسه بالقلم الرصاص، يمحو بعض الملامح الصغيرة بقطعة قماشٍ سوداءٍ صغيرة، أو يعدِّل خطأً بإبهامه. ثم يعود فيمشي من جديد، ويُملي عليَّ مقاطع جديدة من القصة التي يكون بدأ بإحياء أشخاصها.

هذه الحركة، من المَشْيِ والعملِ ثم الوُقُفات ثم المَشْيِ مجدَّدًا، كانت تتواصل ساعاتٍ مطَّاطةً حتى عمق سواد الليل. وغالبًا ما كان يلتفتُ إلى كوة السقف فيبادرني مدهوشًا: «هاك... النافذةُ أبيضَّت». وبالفعل كانت كذلك، لحظة الفجرُ يتسلَّل منها بعد عملٍ متواصلٍ طوال الليل.

أحيانًا كان يسألني: «أما تزالين هنا؟ وهل كنتُ أقصُّ عليك الحكايات كلَّ هذا الوقت؟ سامحيني، لا بدَّ أنك تَعْبِي حتى الانهيار».

فعلًا أكون مرهقةً جدًّا لكنني كنتُ دومًا أبادره بسرعة: «لا، أبدًا، لست متعبَةً لكنك أنت...» فيُجيب بالسرعة ذاتها: «أنا... أنا ميتٌ كثيرًا»، وينكسر نُطْقُهُ وتشرق على شفَّتيه ابتسامه إِرْهاقٍ إنما مشعَّةٌ تحلُّ مكان شحوبٍ وجهه المُتَّعَب. وما هي حتى يرتمي بثيابه على كنبته العريضة، خالغًا حُفَّهُ كما يفعل دومًا، ويغرق في النوم قبل أن يصل رأسه إلى الوسادة، فأبادر إلى حرامٍ سميِّكٍ أُلْقِيه على جسده الغافي، وأغادر بصمتٍ فلا يسمع إغلاقي البابِ ورائي وأنا خارجةٌ أستقبلُ الشفق، مترنحةً في شوارع نيويورك الصامتة الخالية من العابرين، أجزُّ خطواتي المُتَّعَبَة إلى



Washington Square Park

٤  
قوسُ نصرٍ رُخاميٍّ مهيبٌ على اسمِ جورج  
واشنطن (١٧٣٢-١٧٩٩) أولِ رئيسِ علي  
الولاياتِ المتحدة (١٧٨٩-١٧٩٧). تمَّ  
تشييدهُ سنة ١٨٩٢ وسَطَ ساحةٍ عامَةٍ باسمه  
في أسفلِ مانهاتن عندِ آخرِ الجادةِ الخامسة.

٥  
لم يكن ذلك تقصيراً من جبران بل مقصوداً أن رأس يسوع يتخطى قياس اللوح الكرتوني  
المحدود، لإيمانه أن روح يسوع العظمى لا تحصرها صورة ولا يحدها إطار لوحة أو  
رسمّة.

راحة غرفتي الصغيرة من فندق بريثفورت القديم. في تلك اللحظة بين تناؤب الفجر في سماء مناهاتن وضبابية تغيم حول ساحة قوس واشنطن، كنتُ أشعر أنني أملكُ هذا المشهد الهادئ لي وحدي، وأحسني مغمورةً كأن بنعمةٍ تهلُّ بعد جلسة تعبد، فلا أعود أبه لعدد الساعات الطويلة التي أمضيتها في العمل مع جبران.

أخيرًا... انتهى رسم الرأس وانتهت كتابة جميع النصوص. إنَّما ذلك لم يمرَّ من دون حادثةٍ عند صدور الكتاب مزعجةٍ لكنها جعلت وجه يسوع جبران أليفاً للمئات بل للآلاف من الشباب والصبايا من جميع أنحاء العالم.

الحادثة أن الرسم، حين تلقاه المدير الفني لدى الناشر كنوف، المعتاد على التصوير الزخرفي العادي، وجد خطَّ الرأس مبتورًا غير مكتملٍ في الأعلى وفي مؤخرة الرأس، وتاليًا لم يكن الوجه كاملاً داخل حدود اللوح الأربعة، فأعادَه إلى جبران الذي، حين تلقاه، قال لي بصوتٍ غريبٍ مقنَّع: «يقولون أن لم نُعطِ يسوعنا مساحةً كافيةً على اللوح». كان مجروحًا في عمق حسِّه الجمالي وقياساته الفنية. وكان مستحيلًا تعديلهُ الرسم حتى لو شاء. فانصرف يرسم وجهًا آخر هو النهائي الذي عاد فظهر على غلاف الكتاب، معطيًا «يسوعنا مساحةً كاملةً على اللوح». كانت في صوته سخريته، وفي يده رعشاتٌ توتُّر وهو يرسم النسخة الجديدة لإرضاء المدير الفني.

ظَلَّ يسمِّي الرسم الأول «يسوعنا»، وخرج الرسم الآخر ناقصًا لَمسةً الشعلة وحرارة الإبداع اللتين قادتا يده عند وضعه الرسم الأول، فإذا بالنسخة الجديدة تنقُصها نبضة الحياة ونعمة الوحي.

أغضبني ذلك ونويتُ أن أناقش المدير الفني لكن جبران لم يرض. حدَّق بي، على شفثيه بسمه وفي عينيه شراراتٍ إرهاق، وسألني:

- أتقبلينه مني، ولو ان مساحة اللوح الكرتوني أضيق من وجهه؟

هكذا آل إلي أعلى كنز من مجموعة الرسوم! ولاحقًا حملتُ الرسم معي عبر الأطلسي إلى جمهور إنكليزيٍّ بهرَّ به، في لندن وفي ست مُدنٍ أخرى، بينها بايدفور



لوحة رخامية في باريس على المبنى رقم ١٤ - جادة ماين  
Maine، عامي كان يدرس فيها الرسم.  
في اللوحة:

«هنا عاش من ١٩٠٨ إلى ١٩١٠ جبران خليل جبران ١٨٨٣  
- ١٩٣١ - رسّام وشاعر لبناني أميركي».

٦ بايدفورّد مدينة تاريخية عند مصبّ نهر توريدجّ الشهير شماليّ دُفون (أو دُفونشاير)  
جنوبيّ غرب إنكلترا.

٧ شارع طویل رئيسّ يعبر الشطر الشمالي من الدائرة السادسة عشرة في باريس.

٨ تأسّس في نيويورك سنة ١٩٢٤ بهبةٍ من جون روكفلر الابن (١٨٧٤-١٩٦٠) مركزاً طلابياً  
لا يبغى الربح ليكون نَزلاً للجامعيين والباحثين وأنشطة ثقافية، حيث جامعات كبرى  
(كولومبيا، نيويورك، معهد مانهاتن للموسيقى،...). يستوعب نحو ٧٠٠ طالب من جميع  
دول العالم. أدرجته بلدية نيويورك سنة ١٩٩٩ على «اللائحة الوطنية للأبنية التاريخية».

قريبه أهلي في مقاطعة دُفُون الجميلة<sup>١</sup>. وأنتى عرضته كانت ردة الفعل ذاتها: «لا بُدَّ أن هكذا كانت ملامحهُ».

وفي باريس، حين سرى خبرُ أنَّ ذاك الرسم موجودٌ معي - وكانت شهرته سبقته إليها - غصت بالزُّوَار شفتي الصغيرة في شارع ميكالانج<sup>٧</sup>.

في الولايات المتحدة، إبَّان جولاتي على مدُن أميركية كثيرة، كان للرسم التأثير ذاته على مَنْ تقاطروا لرؤيته. في كليفلند جاء قسيس في إحدى كبرى الكنائس مصطحبًا ولديه ليُرِيهما الوجه. أحدهما، في الثامنة، تفرَّس به صامتًا ثم قال بهدوء: «أبتاه، هكذا كان وجهه. لِمَ لَمْ يرسمه الآخرون هكذا من قَبْل؟» وفي تلك المدينة ذاتها شاهدته غلام في السادسة عشرة فعَلَّقَ مَرَحًا: «لا أتبع الطقوس الدينية ولا أنوي ذلك. لكنني أتبعُ يسوعًا كهذا».

في نهاية التطواف، استقرَّ رسمُ يسوع ابن الإنسان، هديةً مني، لدى «البيت الدولي» في مدينة نيويورك<sup>٨</sup>، وهو يستقبل سنويًا من دولٍ عديدةٍ آلاف الشبان والصبايا المتعطِّشين إلى المعرفة والفنون، يأتون من أقاصي الأرض يتأمَّلون «الوجه» بعيونهم ويقتبلونه بقلوبهم التي لن تعود تنسى ما أحسوا به أمام ذاك الوجه.

كلِّما أقرأُ الكتاب بكامله، كما كان لي قبل أيَّام، تعود لي تلك القشعريرة الأولى الـكأنت تسكُنني كلما أصغيتُ إلى فُصُوله طيلة النهارات والليالي إبَّان تأليفه، فأسمع كلماته مقروءةً، وأسمع صوت الشاعر يبادرني، كما حصل مرارًا عند إطلاقه مقولةً ساطعة: «يا إلهي، لم أكن أعلم أنني سأقول كلَّ هذا».

واليوم أدرك أنَّ هذا الكتاب لن يكون لي كتابًا، مُجرَّد كتاب، بل مجموع أشخاص يتحرَّكون وينطقون. وذلك، لا لأنَّه لخليل جبران، صديقي الأحب، بل للحياة النابضة في شخصيات حنة أمِّ مريم، ومثي وموعظة الجبل، ويوسف الرامي ونقله أقوال يسوع، وسوسن الناصرية وحكايتها عن أمِّ يسوع، ومريم المجدلية، وسيبورية أمِّ يوحنا. هؤلاء هم الأحياء في صفحات الكتاب، لا الرجل العظيم الذي أحبَّهم فخلَّقهم.



٩ زيادةً في الاستعلام كان جبران، خلال تأليفه الكتاب وكلّما عاد إلى بوسطن لزيارة شقيقته مريانا (الرقم ٧٦، شارع تايلر)، يزور صديقه راعي كنيسة «سيّدة الأرز» المارونية الخوراسقف أسطفان الدويهي مستفسراً منه عن بعض الآيات في الإنجيل، وطالباً منه أحياناً أن يُنشد له بعض التراتيل السريانية وخصوصاً «الإفراميات». كانت الكنيسة ملاصقةً تمامًا شقّة مريانا لكنّ جبران لم يكن أبداً يدخلها لمتابعة الطقوس الكنسية.

١٠ يومية إنكليزية أسّسها جون إدوارد تايلر سنة ١٨٢١ في مانشستر (٢٦٠ كلم شمالي غرب لندن). تغيّر اسمها إلى الـ«غارديان» سنة ١٩٥٩. وتغيّر حجمها إلى تابُلُويد سنة ٢٠١٨ وما زالت تصدر بهذا الحجم.

١١ جوزف إرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢) مؤرّخ وكاتب فرنسي، أمضى في لبنان سنتين (١٨٦٠-١٨٦١) منقّباً عن الآثار، مقيماً بين عمشيت وغزير حيث بدأ بوضع الأفكار الأولى من كتابه «حياة يسوع» (صدر في باريس سنة ١٨٦٣، وأثار صدوره ضجةً بين أوساطٍ فوجتت بطروحاته الصادمة).

١٢ فردريك وليم فرّار (١٨٣١-١٩٠٣) قسيس أنكليكاني خدّم طويلاً في كنيسة دير وستمنستر (لندن). كتابه «حياة يسوع» (١٨٧٤) لاقى رواجاً واسعاً وتمّت ترجمته إلى لغاتٍ عدة.

١٣ وليم سانداي (١٨٤٣-١٩٢٠) لاهوتي أنكليكاني. حاز على الزمالة من الأكاديمية البريطانية، وعلى الدكتوراه الفخرية من جامعة كمبردج. كتابه «حياة المسيح في الأبحاث الحديثة» (نيويورك ١٩٠٧) كان لفترة طويلة مرجعاً لاهوتياً رئيساً.

١٤ آرثر هيدلام (١٨٦٢-١٩٤٧)، لاهوتي أنكليكاني، كان أسقف غلوسستر (مقاطعة كانتربري، إحدى مقاطعتي كنيسة إنكلترا) من ١٩٢٣ إلى ١٩٤٥. بين مؤلّفاته اللاهوتية الكثيرة، كتابه: «يسوع المسيح: حياته وتعاليمه» (نيويورك ١٩٢٣).

أبدع جبران متقناً عمله بقوة فريدة، لوعيه تماماً أحوال فلسطين وسورية وروما اجتماعياً وسياسياً ودينياً في تلك الحقبة، ونشأته في بيئته على غنى التقاليد ومعناها، وعلى تاريخ بلاد يسوع ولغتها. فالأرامية التي نطق بها يسوع كانت لغة جبران الأخرى، وأجواء اليهودية تسحر القارئ، وهو ينتقل بين أحداث تلك الأيام وهاتيك البلاد، أبعد مما تعبر له عنها الكلمات في الكتاب، فإذا بذاك الشاب من الناصرة لم يظهر لنا، منذ كتابة الأنجيل، كما ظهر للمرة الأولى في كتاب جبران الذي كتبه مواطن لیسوع ناقلاً كلماته وصنائه<sup>٩</sup>.

كثيرون عبر العصور حاولوا أن يكتبوا عن تلك المأساة التي حدثت قبل ألفي عام. وفي القرن الأخير ظهرت أدبيات عن يسوع أكثر مما ظهر في القرن الأول بعد موته. ولا يزال كثيرون يكتبون عنها إنما لا كما كتبها هذا الرجل على السنة من عرفوا يسوع أو عرفوا عنه: سبعون شخصاً، بينهم أصدقاؤه وأعداؤه، منهم الروماني واليوناني واليهودي والفارسي والبابلي والكاهن والشاعر والفريسي، كل منهم يروي قصته الشخصية يتردد صوته في أسماعنا. فجبران أعاد توزيع أقوال وأفعال واردة في الأربعة الأنجيل، وأعاد سردها بطريقته الخاصة، حتى أنني سمعت غالباً من يسم الكتاب «الإنجيل بحسب جبران».

الناقد الأدبي في جريدة «مانشستر غارديان»<sup>١٠</sup> كتب عرضاً للكتاب جاء فيه: «القارئ التائه في غابة هائلة من الكتب الصادرة عن الأربعة الأنجيل، يجد أخيراً متعة حين يجد كتاباً ذا جمال خاص وتميز مغاير. هذا ما وجدته في كتاب خليل جبران: «يسوع ابن الإنسان: كلماته وأعماله كما رواها من عرفوه». وهو ليس سرداً إضافياً لسيرة يسوع يصدر بعد رواج ما ألفنا عنه في كُتب رينان<sup>١١</sup> وفرار<sup>١٢</sup> وسانداي<sup>١٣</sup> وهدلام<sup>١٤</sup> وآخرين. هو بالأحرى نص إبداعي تناوله من نصوص الأنجيل فكر شاعر كبير أعاد نسجها من دون أن يتقيد بحرفيتها.

خليل جبران رأى يسوع، ويعين الآخرين على أن يروه. وحتى الأصوات العدائية تجد مكانها في السرد وتكشف القوى التي أدت بيسوع إلى موته. فهذا كاهن شاب من كفرناحوم يدعي: «كان ساحراً ضالاً فظاً دسّ كلمات أنبيائنا ومقدسات أجدادنا...».

كان جبران يحرص شديدًا على قيافته وأناقته حين يخرج، بينما في المحترف يُمضي وقته مرتديًا مريولَ الرسم النصفِي متنقلاً بين مَلُونِه راسمًا، وطاولته كاتبًا. هذه الصورة نموذج من أناقته.



١٥ قسيس پروتستانتي (١٨٧٩-١٩٦٤) كان راعي كنيسة المسيح الموحّدة في نيويورك (١٩٠٧-١٩١٨)، ثم انفصل عنها لأنه ناهض الحرب العالمية الأولى وبشّر بالسلام واللاعنف بين الشعوب. هذا المقطع هو من مقاله عن جبران في مجلة «الشرق الجديد».

على أَنَّ أصدقاء له كانوا أخلص الناطقين بكلماته. هوذا الشاعر اليوناني رومانوس يقول: «كنتُ أزعم أنني شاعرٌ. لكنني لحظةً وقفتُ أمامه في بيت عنيا عرفتُ ما معنى أن أحمل آله من وترٍ واحدٍ أمام من يُسيطر على جميع الآلات». هوذا كتابٌ لمن يمكنهم أن يقرأوا ويفهموا ما يقرأون».

وكتب جون هاينز هولمز<sup>10</sup> عن الكتاب مقالًا جاء فيه:

«أقدم خليل جبران على تجربة جريئة وفريدة... وإن كان لأحد أن يحاول الإقدام على هذه التجربة، فهو جبران... كأنه معاصر يسوع جلس في ساعة متأخرة ليكتب إنجيلًا آخر مغايرًا... فيها هو الشاعر يجزؤ على مقارعة العهد الجديد مباشرةً، كما فعل في مثل الراعي الذي من جنوب لبنان. سمعتُ جبران يومًا يقرأ هذا المثل ففكرتُ، وما زلت مقتنعًا، بأنه يعادل أيًا من الأمثال الواردة في الكتاب المقدس».

كان جبران، إبان وضعه هذا الكتاب، يشعر أنه معاصر أولئك الذين رَووا ذكرياتهم عن الجليلي الشاب. وفي ختام الكتاب، راح «رجلٌ من لبنان بعد تسعة عشر قرنًا» - بكلمات مصفاة سبع مرّات - يتحدث عن ذاك الشاعر الشاب المُعلّم الذي علّق على صليب عند تلة الجلجلة خارج أسوار أورشليم، فيخطبه:

يا سيّد

أيّها المُعلّم المُنشد

يا سيّد كلماتٍ لم يُنطق بها بعد

سبع مرّاتٍ ولدتُ، وسبع مرّاتٍ متّ

منذ زيارتك العجلى ولقائنا القصير.

فانظر إليّ:

ها أنذا أعيش في دورة حياةٍ جديدةٍ

متذكّرًا كيف رفَعنا فيضك بين التلال

ذاتَ نهارٍ و ليلة.

ومنذئذٍ

قطعتُ فلواتٍ مديدة

١٦ مطلع الفصل الأخير من الكتاب.

وعَبَّرْتُ بِحَارًا بَعِيدَةً  
وحيثما كنت أُمُرٌ، مُمْتَطِيًا أَوْ مُبْجِرًا،  
كان اسمُكَ حُجَّتِي أَوْ صَلَاتِي.  
صادفتُ ناسًا يتباركون بكِ وآخرين يجِدْفون عليكِ  
كان التجديفُ تعويضُ الفشل  
والبَرَكةُ نَشِيدَ صيادٍ عائدٍ من التلال  
حاملاً لِقَرِينَتِهِ بَعْضًا من زاد.<sup>١٦</sup>

أَمَّا تَذَكُّرُ «ذات نهارٍ وليلةٍ بين التلال» فلم يكن خَطْرَةَ شَعْرِ بِلِ ذَكَرِي حِيَةً  
عاشها جبران حَقِيقَةً كَأَيَّةٍ من حكايات طفولته أَوْ ذَكَرِيات صباه.

OF THE FIRST EDITION OF SAND AND  
FOAM ONE HUNDRED COPIES HAVE BEEN  
PRINTED AS FOLLOWS: FIVE ON BORZOI  
RAG PAPER SIGNED BY THE AUTHOR AND  
NUMBERED FROM A TO E: NINETY-FIVE  
COPIES ON BORZOI RAG PAPER SIGNED  
BY THE AUTHOR AND NUMBERED FROM  
1 TO 95

THIS IS NUMBER

٣٩

*Kahlil Gibran*

الصفحة الداخلية من الطبعة الأولى لـ «رمل وزبد»، وفيها أن ١٠٠ نسخة  
منه مطبوعة هكذا: خمس نسخ على ورق بُرزوي مرقمة من A إلى E،  
عليها توقيع المؤلف، و٩٥ نسخة على ورق بُرزوي مرقمة من ١ إلى ٩٥  
عليها توقيع المؤلف.  
ويظهر هنا توقيعه على النسخة رقم ٣٩.

١ صدر السبت ١٤ آذار ١٩٣١، والإثنين ١٦ آذار أرسل النسخة المطبوعة الأولى إلى ماري  
هاسكل مع رسالة إليها هي آخر ما كتبه لها. وكان الإثنين ٧ تموز ١٩٣٠ أرسل إليها  
مخطوطة النص كي تنظر فيها.

## حين حلت ليلة العُمر الثاني عشر

«آلهة الأرض» آخر أثرٍ مطبوعٍ لجبران رآه إبان حياته في هذا العالم<sup>١</sup>. وصله قبل أسبوعين من مغادرته جميع الآثار الأرضية. حمل هذا الكتيب الأسود بين يديه مقلّبًا صفحاته باستغراقٍ عميق، وبصوتٍ جهيرٍ غريبٍ البُعد، كأنه يقرأ له وحده، راح يتلو منه في هدوءٍ:

سوف نعبرُ الشفقَ غروبًا  
وقد نُشرقُ فجرًا في عالمٍ آخر  
لكنَّ الحبَّ باقٍ فينا ولن تَمحى لمساتُ أنامله.

الكُورُ المبارك متأجج  
شرارته تتصاعد، كلُّ شرارةٍ شمس  
والأفضلُ حكمةً  
أن نبحت عن ظلٍّ من ركنٍ ننام فيه بناسوتنا الأرضي  
ولندعِ الحبَّ البشريَّ الشفيفَ يُسيّر يومنا الجديد الآتي.  
كان لجبران شعورٌ خاص بالحنوِّ على هذا الكتاب، مختلفٌ عن شعوره حيال  
سائر كتبه. قال لي عنه يومًا: «... كُتِبَ بالنار في جحيم الشاعر، بمرحلتَي المخاض  
فالولادة».



٢ تشيرُ إلى ذلك رسالةُ ماري هاسكل إليه الأربعاء ٧ تموز ١٩١٥: «... وضع الله يده على وجهك. وفيما روحتُ تنسّمت لمسة يده، أدار وجهك صوبه كي ترى وجهه».

وهو كان، بين ١٩١٤ و١٩١٥، كتب في نيويورك نحو ثلثي هذا الكتاب «محاوياً  
تدربي على التعبير مباشرة بالإنكليزية»<sup>٢</sup>. وكلّما قرأتُ هذا الكتابَ أجزم، وأنا مُدرّسةُ  
اللغة الإنكليزية، أنّ هذا اللبناني حَقَّق في كتابه وكتابتِه نجاحاً مجيداً. وأكثر: أرى  
أنّ نصّه من أهمّ النصوص في لغتنا.

وكما كتَب معظم «النبّي» وتركه لأكثر من عشر سنوات، هكذا، بعد أكثر من  
سنةٍ على صدور «يسوع ابن الإنسان»، حدّثني يوماً عن فكرة «آلهة الأرض» ببعض  
خَفَرٍ متسائلاً: «يجب أن نُنجِزه ذات يوم، إن كنا نرى جديراً إكمالَه». وكأنّه تركه  
ونسي ما كتب فيه، حتى قرأ لي منه مطالعَ صفحاتٍ فبادرتُ فوراً إلى حتّه على  
إكمالِه. تردّد برههٌ ثم سألتني: «ولن تُعطيني فترة راحة؟» وابتسم، لأن الراحة كلمةٌ  
مجانية عنده، فلو لم يكن ليشتغل بنهمٍ وضحى على «آلهة الأرض» لكان اشتغل  
نهماً ومُضئاً على كتابٍ آخر. كان يُدرك ذلك كما أدركه.

بعدذاك، وباندفاعٍ كأنّ ما إلّا أمسٍ كان يعمل على المخطوطة، بدأَ حركته  
المعتادة في المشي، وأخذ يُملي عليّ النص بادئاً بكلام الإله الثاني:

... وأيُّ معنى لأن نولد ونُشرق ونذوب أمام الشمس الحارقة؟

وماذا أن نعيش، وأن نراقب ليالي الحياة كما يراقبنا الجوزاء

وأن نجبّه الرياح الأربع برأس متوجّج مرفوع

ونشفي أمراض الإنسان بنفْسٍ لا مدّ له ولا جُزُر؟

الخيام جالسٍ قاتم الروح أمام نوله

الخزّاف يُدير دولابه بدون نفْسٍ

بينما نحن، الصاحين العارفين،

تحرّزنا من التقدير والقدر

لا نرتاح ولا نتوقف برههٌ للتفكير

ونبقى أبعد من التسأل المتواصل.

فلنُفَعِّج ولنُخرج من الحلم

ولنُجْر كما الأنهار إلى البحر

First God

Let my soul be serene this night.  
 Perchance I may drowse, and drowsing  
 Behold a brighter world  
 And creatures more supple to my mind.

Third God

Now I rise and strip me of time and space.  
 And I will dance in that field untrodden,  
 And the dancer's feet will move with my feet;  
 And I will sing in that higher air,  
 And a human voice will throb within my voice.

We shall pass into the twilight, ~~perchance~~  
 Perchance to wake to the dawn of another world.  
 But love shall stay,

And his finger-marks shall not be erased.

The blessed forge burns,

The sparks rise, and each spark is a sun.

Better it is for us and wiser

To seek a mossy nook and sleep our earth divinity,

And let love, human and frail, command the coming day.

The End

الصفحة الأخيرة من كتاب «آلهة الأرض» كما نقلته باربره يونغ  
 إلى ألتها الكاتبة كي ترسله إلى كنوف لصدوره مطبوعاً.  
 وتبدو على الصفحة ملاحظات من جبران بالقلم الرصاص.

فلا تجرَحَنَّنا شعابُ الصخور  
وحين نبلغ قلبَ البحر ونغوص فيه  
لن نعودَ نضيعُ في الجدال والتفكير في الآتي.  
صعبٌ شرحُ نسيجه هذا الكتاب. وهو يبدأ هكذا:

حين حَلَّت ليلةُ العمر الثاني عشر  
وابتلع التلالُ صمْتٌ هو مُدُّ الليالي العالي  
ظهر على قمم الجبال الثلاثةُ الآلهةُ  
جبابرةُ الحياة المولودون على الأرض.  
الأنهار هرَعَت عند أقدامهم  
الضباب تهادى حول صدورهم  
فتعالت رؤوسهم جليلةً فوق العالم.  
ثم نطقوا

فتردَّدَ فوق السُهل صوتُهم رعدًا يقصف في البعيد.

هؤلاء هم آلهةُ الأرض الثلاثة: الأول أتعبتهُ أعمار متتاليةً من الحُكم، الثاني ما زال راغبًا في الحُكم، والثالث، وهو أصغرهم، تَوَأَّقَ اكتشافَ الحُبِّ في الأرض فوجدَ رغبةً به وطموحًا إليه أجدرَ من حُكم أيِّ كوكب. لم يكن الأولان عابئين بكلام أخيهما الأصغر، بل موعليين في الانقياد إلى رغباتهما والانصياع إلى منطقتهما.

قوَّةُ مفهومهم وحججهم أضفت على النص ميزته الملحمية التي بها عرض الشاعر مفهومه للرجل المُثلَّث الذي يتجاوز ذاته إلى حالةٍ من الألوهة. وكانت تلك مهمة جريئة في تحديها. إنها أنتِ وأنتِ وأنا عند أعلى نقطة من التفاهم، إنما أيضًا عند كل نقطة من كيانات الصامت في حقيقته غير المكتشفة بعد.

إيمانُ جبران بمستقبل الحياة على الأرض، تختصره تلك الأسطر الأخيرة التي قرأها لي جهارًا حين وصله الكتاب مطبوعًا، وهي تبدأ بـ «سوف نعبرُ شفقَ الغروب» وتنتهي بلمعة عظمى هي قمة حلمه البعيد: «ولندعِ الحُبَّ البشريَّ الشفيفَ يُسيِّر يومنا الجديد الآتي».

٣ كان قبلاً سَمَّاهُ «الدرويش» ثم غَيَّرَ اسمه إلى «التائه»، كما قالت شقيقته مريانا لحبيب مسعود مضيفاً أنه أَنْجَزَهُ وهو في عذاب قاسٍ من الآلام («جبران حياً وميتاً»، الطبعة الأولى، ساو ياولو - البرازيل ١٩٣٢، الطبعة الثانية، بيروت، دار الريحاني ١٩٦٦، ص ٢٢).

٤ بل هي تحديداً ٥٢ أفصوصة قصيرة جداً، أولها «التائه» وأخيرتها «التائه الآخر».

٥ هو الذي وردَ ذُكْرُه في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

٦ كاهنٌ وأديبٌ ولُغويٌّ (١٨٦٥-١٩٤٩). درَّسَ جبران العربية في «الحكمة». ولتدريسه إياها قصةً طريفةً منذ لقائهما في تشرين الأول ١٨٩٨، رواها مارون عبود («الحداد وجبران» في كتابه «جُدُدٌ وقدماء») بناءً على سؤالٍ وجَّهَهُ إلى ابن عمته الخوري الحداد حول ذكرياته عن تلميذه جبران، فأجاب الحداد برسالةٍ إلى ابن خاله مارون عبود في ٩ آذار ١٩٣٦. ورواها الياس أبو شبكة في مقاله «جبران في مدرسة الحكمة» («مجلة المكشوف» - ١٩٣٨) كما حدَّثه بها الخوري الحداد.

من هنا أنّ «آلهة الأرض» كتابٌ صوفيٌّ للمتصوّفين، شعريٌّ للشعراء، وأفقٌ  
أحلامٍ وسيعٌ للحالمين. وصادفتُ من وجدوه كتابَ قوّةٍ وعرابةٍ مع أنهم يدعون  
الواقعية ولا يؤمنون بما هو صوفيٌّ وغامض.

ذات يوم طلبَ مني طفلاً في السابعة أن أقرأ منه مقطعاً، فاستعادي قراءة  
المقطع ربما لتأثره بموسيقى الكلمات وبجمالياتٍ في إيقاعه غير مألوفة.  
يوم وصلتُ إلى المؤلّف نسخٌ مطبوعةٌ من الكتاب الجديد، كانت على طاولته  
مخطوطةٌ كاملةٌ جاهزةٌ لكتابِ حكَمٍ عنوانه «التائه»، كان آخر ما دوّنه الشاعر  
بخطّه. وهو كتيّبٌ أصغرُ من سابقيه، إنما لا عبارةٌ دوّنها في حياته إلاّ خارجةً من  
قلبه مطرزةً بالصناعة والجمال.

عن هذا الكتاب، كتب كلود براغدن: «قوّته فائضةٌ من ينبوعٍ كبيرٍ لحياةٍ  
روحية، وإلاّ لما جاء هكذا كونياً خصبياً، بفرادته الشخصية التي بها نسجَ جمالَ  
لغته وجلالها».

وكما المصطفى في «النبى»، كذلك في هذا الكتاب شخصٌ رئيسٌ لا اسمَ له  
سوى «التائه»، قال فيه جبران:

التقيته عند تقاطع طرقٍ مديراً بعباءة، مُتَكِنًا على عصا، مقنّعاً بمسحة حزن.  
تبادلنا التحية، وأردفتُ: «تعالَ ضيفاً إلى بيتي» فجاء. وروى لنا قصصاً ليلتئذٍ وغدائها.  
وما أسرّده هنا وليدُ مرارةٍ في أيامه، وبقيةُ غبارٍ من صبره ومسرته.

في الكتاب خمسون أقصوصةً أو أكثر، كلٌّ منها منسوجٌ بخيوطٍ شرقيةٍ التفكير  
والتعبير. لا نفسٌ غريباً فيها. كأنّ الشاعر، مع ميلان حياته إلى الغروب، سكنت  
كيانه مناخاتُ بلاده الأم كما أفكاره وأحاديثه الأخيرة. لذا كان يكرّر لي حديثه  
عن طفولته وصباه، وعن أمّه والخوري يوسف، وعن كاهنٍ آخر قال لي عنه إنه  
«الوحيد الذي علّمني ما أفادني»: الخوري يوسف الحدّاد<sup>1</sup> في مدرسة «الحكمة»،  
معهد «الحكمة» حالياً في بيروت.



من تخطيطات جبران الزخرفية لكُتُبُه لدى كنوف

في «التائه» عودةً إلى السخرية التي عاينّاها في «المجنون»: امتشق الشاعر  
سوطاً رفيع الحبال مجدولها وانهاهال به ضرباً. ففي أكثر أقصوصات الكتاب لذةً  
تنهاه على وجه سخافات العالم وعماه. هذا كتابٌ لا يستطيعه من يطلب التشجيع  
من روح هادئة بل من يطلب الدفاع عن حالات القلق والضياع.  
من ذلك، أقصوه «البدر»:

طلع البدر بهياً فوق المدينة، فتلقأه كلابها بالنباح، إلا واحداً صرخ بهم غاضباً:  
«لا توقظوا السكون من غفوته، ولا تسحبوا القمر إلى الأرض بنباحكم». سكّت  
الكلاب عن النباح وساد سكون، إلا الكلب الذي أسكت رفاقه ظلّ ينبح مقلماً سكون  
تلك الليلة.



١ كان جبران، صباح الجمعة ٣ نيسان ١٩٣١ (الجمعة العظيمة قبل الفصح الغربي، أي قبل أسبوعٍ تمامًا من وفاته) أنجز مائياتٍ ثلاثاً هيئاًها لتصدر في «التائه»، هي «الفرح والحزن»، «الراقصة»، و«التوق إلى الأبدية». والأخيرة كانت آخر ما رسمت ريشته: روح امرأةٍ في جسدٍ أثريٍّ، محاطةٍ بثمانية أشخاص ذوي أجسادٍ حسيةٍ.

٢ بعد أسابيع ثلاثة على وفاته أرسلت ماري هاسكل إلى باربره يونغ النسخة المنقحة من «التائه» مع رسالة (الجمعة ٨ أيار ١٩٣١) أوضحت فيها: «لا تفاجئك التعديلات في النص، فهكذا أجريتها عليه مع خليل وبرضا، كي يبدو إنكليزيّ السياق فلا يكون خليل كتبه كأجنبيّ. المخطوطة باتت الآن جاهزةً للذهاب إلى الناشر كنوف». غير أنّ باربره رفضت جميع تعديلات ماري وأعادت إليها المخطوطة الأصلية مع رسالة قاسية (الثلاثاء ١٩ أيار ١٩٣١) للإصرار على أنّ «هكذا يجب أن تصدر الكلمات المباركة كما كتبها جبران». فأجابتها ماري برسالة جوابية (الجمعة ٢٩ أيار ١٩٣١) موافقةً على صدور المخطوطة لدى كنوف «كما كتبها جبران».

٣ فعلاً، في مطلع الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب ص ١٦٥، كتبت باربره: «... فجأةً، ومن دون مقدمات، عشية ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٦، سطعت لحظةٌ ستبقى حيّةً في ذاكرتي ما بقيت في ذاكرتي حياة: كان جبران يذرع في الغرفة بلا توقّف، متحدثاً بتقطّع عن كتاب «حديقة النبي» وكان يتهيأ له تفكيراً وتصميمًا...».

## يا تَغْسَها أُمَّةٌ...

صدر «التائه» سنة ١٩٣٢<sup>١</sup>، بعد عام على وفاة جبران<sup>٢</sup>. وسنة ١٩٣٣ صدر «حديقة النبي» الكتاب الذي ظلَّ الشاعر ينسجه حتى النهار الأخير قبل مغادرته هذه الأرض<sup>٣</sup>.

وكان جبران صَمَّم لكتابتين يُكْمَلان ثلاثية «النبي»، ثالثها «موت النبي» الذي، أسفًا، لم يكتب منه حرفًا. حدَّثني عنه غالبًا قائلًا: «سكنتب فيه كذا وكذا»، إنما لم يكتب منه سوى سطرٍ واحدٍ عن نهاية المصطفى المأساوية: «... سوف يعود إلى مدينة أورفليس... وفي ساحتها يرحمه أهلها حتى الموت فيعطي اسمًا مباركًا كلَّ حجر». كان ينوي لهذا الكتاب أن يكون عن العلاقة بين الإنسان والله، كما كان «النبي» عن العلاقة بين الإنسان والإنسان، و«حديقة النبي» عن العلاقة بين الإنسان والطبيعة.

كان جبران يقول عن «حديقة النبي» إنه «على الطريق». وهو كان بالفعل أنجزَ معظم نصوصه دون تصميمه سياقها وبدون الخيوط التي ينسجُ بها حَبَك جواهر أفكاره. لذلك تردَّدت بكثيرٍ حذرٍ، وتهيبتُ بعالي المسؤولية أن أتولى وضعَ ذاك السياق وحيَاكَة هذه الخيوط. وبقِيْتُ ردحًا طويلًا لا أجرؤُ على ذلك فأفدُمُ على هذا العمل، إلى أن تراءى لي في وضوحٍ أنه امتيازٌ أعطاهُ بقدرِ ما هو ضروريٌّ، وربما واجبٌ لا مفرَّ لي من الإقدام عليه ذاتَ نهارٍ أو ليلة، إلى أن سكنني إلحاحُ

SUBSCRIPTION
In the United States, Colonies and Mexico
PER ANNUM \$ 5.00
In Canada & Foreign Countries \$ 6.00

NAJEEB M. DIAB, Proprietor and Editor
82 Washington Street, New York City

مِرْآةُ الْعَرَبِیَّةِ
MIRAT-UL-ARAB
Published Three Times a Week

جريدة سياسية لیبية - تحریرة: شکران مرزوق

في الولايات المتحدة وبارها وكندا وكولومبيا...
محرر: نجيب م. دياب
رئيس التحرير: نجيب م. دياب

New York Wednesday September 13, 1911

الثلاثاء ١٣ أيلول ١٩١١

١٩١١

من أجل سوا من سماعتنا ان كاتبت رومية الى اول القسطنطينية الى يجات
الغدرات العربية تسيب على كل مكان في برك الضلالة والظلم والحسد



رسم جبران خليل جبران لثمة قسيس في لبنان

العبودية

الانسان عبد المخلوق في العبيد التي جعلنا باسم مكنة بال فواهن
والنجم مسورة بقلبه وهو
عاقبة من بساة الاف سا على الاف الاقل والآخر ل ازعه العبيد
التشليم ورجاه الثاني

والعرب ما قبل من نوع الطيور والشمس والشمس العربية العبيد...
في التي
توكل يمانن هاشم والي قام وبيع ابراهيم من تالده جدهم فكمهم اصدادا
جانبه الارواح ضالقة باقروا مكنة لظلم باقيا
والعبودية العربية - وهي التي تقاتل الارباق البالي الزينة التي يتخاف
والنفس جسد لا يتجنب الا ربع الحي الذي تكمه ويخضع من اليه ذلقة القلب من

جيمي كيب ورثا
في ٤٥٨ شك ستريت
جورج كانان

جميع البضائع
معوشي اخوان
بني على
١٩٢٤
٣١٢٤ شارع غربى
١٠٠٨٩ شارع غربى
١٠٠٨٩ شارع غربى

السجاد تركي وعجمي
٣٩ E. 20th Street, New York City
NADRA J. GEHA
Greek & Syrian Grocery & Liqueur Co.

٥٩٩٥٦٣
نجمه قسيس عبيد

روث بنك
٣٥٦ شارع غربى
٤٤٤٤٤٤

العدد ١٤٢٠ من جريدة «مرآة الغرب» - الأربعاء ١٣ أيلول ١٩١١،
وفي صدر الصفحة الأولى صورة جبران وتحتها «رسم جبران أفندي
جبران النابغة السوري اللبناني»، ومقاله «العبودية».
وهذا النص أدرجه جبران لاحقاً في كتابه «العواصف» - القاهرة ١٩٢٠
(وهو النص الثاني في الكتاب بعد «حفار القبور»).

غريبٌ، ضاغطٌ وغامضٌ، أيقظني فجأةً من نومٍ عميقٍ ذاتَ ليلةٍ مُسائِلني بوضوح:  
«متى ستبدِّين؟»

حين صممتُ أخيراً على المباشرة بتنسيق الكتاب في صياغته النهائية، لم ألاقِ  
أيَّ صعوبةٍ أو تردُّد. فالإطار الذي رسمه جبران بكلماته المتوهِّجة جعلني أحسُّ  
كأنه هنا ويُملي عليّ. وهكذا انتهى الكتاب. واستعدتُ في بالي ما كنتُ أظنُّني  
نسيتهُ عن مشاهدَ شاءها تردُّ في «حديقة النبي»، منها عن تسعة رجالٍ معه في  
حديقة أمه، تذكَّرتهم فجأةً لكنني نسيْتُ مَنْ يكونون. ثم، في سياقٍ طبيعيٍّ تمامًا،  
كما لو ان إحدى قصائدي تراءت لي، انجلت الرؤيا: إنهم بحارة ثلاثة من سفينته،  
وثلاثة كانوا خدَموا في الهيكل، وثلاثة من أتراب طفولته.

هؤلاء كانوا رفاقه المُلازمين، وأخذ نسيجُ الكتاب يَنحِيكُ قطعةً قطعةً حتى  
ارتأيتُه اكتمل. وأخذ أولئك التسعة أدوارهم في قصة المصطفى و«كريمة»، آخرِ  
أجزاء الصورة الكاملة التي كوَّنت المشهد النهائي. وشكَّل تلمذُهم على المصطفى  
حافزاً لمخاطبته إياهم:

... وذات صباحٍ تحلَّق تلامذتهُ حوله. كانت في عينيه خيالاتٌ أبعادٍ وتذكارات،  
فبادره التلميذ الذي أسمه حافظ:

- يا معلِّم، حدِّثنا عن مدينة أورفليس، تلك الواحة التي أمضيتَ فيها سنواتك  
الاثنتي عشرة.

صمَّت المصطفى برهة، وبصرعٍ خفيٍّ في صمتهِ تطلَّع صوب التلالِ إلى الأثير  
الوسيع، ثم قال:

- أصدقائي ويا رفاق الطريق،

\* تَعَسَ أُمَّةٌ مَلِيئةٌ بِالْمَذَاهِبِ فارغةٌ مِنَ الدِّينِ

\* تَعَسَ أُمَّةٌ تَلْبَسُ ثَوْبًا لَمْ تَنْسِجْهُ، وَتَأْكُلُ خَبْزًا لَمْ تَحْضُدْ قَمَحَهُ، وَتَحْتَسِي

خَمْرًا لَيْسَ مِنْ مَعاصِرِهَا

\* تَعَسَ أُمَّةٌ تَعْلُنُ الْمَتَسَلِّطَ بَطْلًا وَتَرَى إِلَى الْغَازِي الْمُبَهْرَجِ جَوَادًا

\* تَعَسَ أُمَّةٌ تَسْتَخْفُ بِالْإِنْفِعَالِ فِي حِلْمِهَا وَتَسْتَسَلِمُ إِلَيْهِ فِي يَقْظَتِهَا

مضمونُ هذه المقطوعة كان وَرَدَ بالعربية في مقاطع من جواب جبران عن استفتاءٍ طرحته مجلةُ «الهِلال» (القاهرة)، وصَدَرَتْهُ هكذا: «نقتصر في هذا العدد على ردِّ جبران خليل جبران أديب المهجر الكبير، وهو الردُّ السابعُ من الردود التي نشرناها». وكان الاستفتاء من ثلاثة أسئلة، الأوَّل: «هل تعتقدون أنَّ نهضة الأقطار العربية قائمةٌ على أساسٍ وطيد يضمن لها البقاء؟ أم هي فَوْرَانٌ وِقْتِيٌّ لا يلبث أن يخمد؟» والسؤال الثاني: «هل تعتقدون بإمكان تضامن هذه الأقطار وتآلفها؟ ومتى؟ وبأيِّ العوامل؟ وما شأنُ اللغة في ذلك؟» والسؤال الثالث: «هل لأهل الأقطار العربية اقتباسُ عناصر المدنية الغربية؟ بأيِّ قَدْر؟ وعند أيِّ حدٍّ يجب أن يقف هذا الاقتباس؟» وأجاب جبران عن هذه الأسئلة الثلاثة في نص طويل نشرته «الهِلال» في عدد شباط ١٩٢٣.

\* تَعَسَ أُمَّةٌ... لا ترفع صوتها إلا وهي سائرةٌ في جنازة،  
ولا تتباهى إلا وهي بين الخراب،  
ولا تثور إلا وعنقها بين النطع والسيف  
\* تَعَسَ أُمَّةٌ قَائِدُهَا مُتَّعَلِبٌ، وفيلسوفها مشعوذٌ، وفنُّها ترقيعٌ وتقليد  
\* تَعَسَ أُمَّةٌ تَسْتَقْبِلُ حَاكِمَهَا الْجَدِيدَ بِالنَّفِيرِ، وتشيِّعه بالصفير، لتستقبل الحاكم  
الجديد بنفيرٍ جديد  
\* تَعَسَ أُمَّةٌ أَخْرَسَتْ حِكْمَاءَهَا السَّنَوَاتُ، وما زال أبطالها مَقْمَطِينَ  
\* تَعَسَ أُمَّةٌ تَتَجَزَّأُ فِرْقًا وَكُلُّ فِرْقَةٍ تَدَّعِي أَنَّهَا أُمَّةٌ.

هذه الأقوال الخصيبة كان جبران يسميها «التعاسات التسع»، وكان يتلفظ بها في حدة هامة. مع أن ميزة هذا الكتاب لطفٌ كثيرٌ وحُلوٌ سماويٌّ كبعض ما ورد في «النبى» وسمَّاه جبران «أَلَمًا يفيض حنانًا»، لعله طيفٌ مُسَبِّقٌ للفراق بين هذه الأرض الخضراء والشاعر الذي كان أحد أكبر عشاق هذا الكوكب.  
مرةً قال لي:

- كيف يمكننا تصوُّر سماءٍ أجمَلٍ من كلِّ هذا الحَوْلَانَا هنا على هذه الأرض  
الفريدة التي هي جوهرٌ حلم الله الأوسع؟  
وقال مرةً أخرى:

- كلُّ ما يطلع من هذه الأرض القائمة: الجذورُ، الأشجارُ، الأغصانُ، ... كلُّ برعمٍ، كلُّ غصنٍ، كلُّ ثمرةٍ، كلُّ عشبَةٍ، ... جميعُهُم أولادي الأحبَّة.  
وواضحٌ في «حديقة النبي» حُبُّه قطرة الندى والثلج المنهمل والحجر المنسيَّ على الدرب وعنه قال: «أنت وهذا الحجر واحد. لا فرق بينكما إلا في دَقَّات القلب. قلبك ينبض أسرع قليلًا، لكنَّه ليس بهُدوء قلب الحجر». ذلك أن كان في قلبه حبٌّ كثيرٌ لـ «البنساتين والكروم» لـ «السواقي التواقَّة إلى النهر في الوادي»، ولـ «أشجار الآس والغار».

ذات مساءٍ قال المصطفى لرفاقه التسعة وللمرأة «كريمة»: «ضروريٌّ أن نفترق اليوم». وفجأةً، بعد كلماتٍ وداعيَّةٍ وجيزة، «خرج المصطفى من حديقة أُمَّه

في سيرة جبران - وباربره يونغ جزءٌ أساسيٌّ منها - شكّل هذا الكتابُ جدلاً رئيساً في مأخذٍ عليها أن تكونَ أضافت من كتابتها مقاطعَ أو نُصوصاً دَبَّجَتْها بأسلوبِ جبران وضمَّتْها إلى نصوص الكتاب. وعزَّزَ بعضُ الشُّكِّ فقدانُ مخطوطتهِ الأصليةِ التي ذهبت إلى الناشرِ كنوف. ففي حزيران ١٩٣٢ كتبتَ ماري هاسكل إلى باربره تسألُها أن تُرسلَ لها (إلى بيتها في سافانا - جورجيا) مخطوطتي «حديقة النبي» و«التائه» مع أغراضٍ في المحترف هي ملكُها الشخصي. حين وصلت الشاحنةُ الحاملةُ الأغراضَ لاحظتَ ماري أن ليس بينها المخطوطتان. طالبتهما بهما مُجدِّداً فأجابتها باربره (في رسالة الأربعاء ٢٠ تموز ١٩٣٢) أنهما، عند وفاة جبران، كانتا عندها هي لا في المحترف، وأردفت: «كان غالباً يقول لي: خُذي هذه الأوراقَ واحفظيها لي فأطمئن أنها آمنةٌ لديك...» ومخطوطة «التائه» أنتِ قلتِ لي أن أتلّفها فلم أفعَل. لكنني عدتُ أتلّفُها حين صدرَ الكتاب مطبوعاً. على أيِّ حال لن أحفظَ عندي ما ليس لي من أيِّ بين أعمالِ جبران الموجودة في المحترف». ولاحقاً، حين أنجزتَ باربره العملَ على «حديقة النبي» وأصدره كنوف سنة ١٩٣٤، كتبتَ ماري إلى مريانا شقيقة جبران رسالةً (الإثنين ١٨ حزيران ١٩٣٤) جاء فيها: «أمامي النسخة المطبوعة من «حديقة النبي». إني سعيدةٌ أن تكونَ باربره عملتَ عليه ليصدر، ووجدتُ أن عملها عليه كان مُحبباً وممتازاً. إن كنتِ تعرفين عنوانها أرسله إليّ».

بِخُطَى رَشِيقَةٍ حَافِيَةٍ، وَبِلَمْحَةٍ عَجَلَى نَأَى عَنْهُمْ كَوْرَقَةٍ قَذَفْتَهَا رِيحٌ، فَمَا عَادُوا يَرُونَ  
إِلَّا نَوْرًا ضَيْلًا يَصَاعِدُ صَوْبَ الْأَعَالِيِ».

عندها تذكروا كلمات وداعه: «أنا ذاهبٌ، إنما إن ذهبْتُ ولم أنطق بالحقيقة  
ستبحث هي عني وتجدني ولو مَفَتَّتَ العناصر في سكون الأبدية، فأعودُ إليكم  
وأخاطبكم بصوتٍ جديدٍ يوكدُ من قلب ذاك السكون الواسع. فالله يتألم إذا  
احتجب عن الإنسان وظلَّت كلمته الإلهية مكمومةً عند هوةٍ سحيقةٍ في قلب  
البشر».

كنتُ أسمع أحياناً عن «الكتابة الموحى بها» ولم أكن أبه لهذا الكلام، وأبرُّرُ  
للشعراء مصدرًا يخاطبون منه العالم. لكنَّ الذي بدا لي، وما زلت أؤمن به، أنَّ جميع  
صفحات «حديقة النبي» جاءت مباشرةً من وعيٍ واضحٍ مطَّلَعٍ فإذا هي، كما كان  
جبران حدَّد الشعر، «الكلمات الصحيحة حيثُما لا يصحُّ إلَّاها».

هكذا أنجزتُ الكتاب<sup>٥</sup>.

وسادَ رُوحِي سلامٌ ليقيني أنَّ كان جبران بارك صياغتي كتابه وساندني حتى  
إنجازه.





الطبعة الأولى (أول كانون الثاني ١٩٢٧) من أول مجموعة شعرية لباربره يونغ: «مفاتيح الجنة».

١ يقصد هنا كتابه «النبى» ذا الغلاف الأسود.

٢ استعملت باربره هنا كلمة جهنم بلفظها العربي Jahannum ولم تستخدمها بالإنكليزية Hell، كما رغبةً منها في استعادة اللفظة من فم جبران، لشدة وفائها له وانبهارها بكلماته العربية.

## ... بل أنا ذاتي مشكلة

في السنوات الأخيرة من حياة جبران، كان أحياناً يتلقّى ضغوطاً للعودة إلى لبنان. كان مواطنوه هناك يرون إليه قائداً شعبه إن هو يرضى بقبول هذه المهمة. وكان يتأثر برغبتهم أن يكون بينهم، لكنه مقتنع بأن عودته إلى لبنان ستكون غلطاً كبرى. قال لي مرةً:

- قد أكون قادراً على مساعدة مواطني هناك، ويمكنني أن أقودهم، لكنهم لن ينصاعوا. صحيح أنهم، في قلقهم واضطراب أفكارهم، يبحثون عن حل لمشكلاتهم لكنني لست أنا هذا الحل. أنا ذاتي مشكلة. لو ذهبت إلى لبنان حاملاً الكتيب الأسود<sup>١</sup> وقلت لهم: «تعالوا كي نعيش في هذا النور» لانطفأت فوراً حماسهم حيالي. أنا لست رجل سياسة ولا أريد أن أكون. لذا لن أشبع لديهم تلك الرغبة.

ذات يوم تلقى من مسؤول كبير رسالة حادة غاضبة يتهمه فيها بأنه يعيش في الغرب حياة سائغة مترفة وبأنه يضل شعبه. أجابه برقية في إحدى أشد لحظاته غضباً رائعاً: «إذهب إلى جهنم»<sup>٢</sup>، ومن يومها لم يعد يذكر قط ذاك الموضوع. مع ذلك، وبعد بضعة أشهر، جاءه وفد مصغر عبر ستة آلاف ميل في المحيط الأطلسي، ليسأل مغفرة «الحبيب» عما جرى.

فورات غضب جبران، على ندرتها، كانت عنيفة. لم يكن يستفزّه إلا الظلم أو الجبن. من ذلك أن زائراً دخل عليه يوماً في المحترف من دون موعدٍ عارضاً عليه

٣ نحو ١٦٣ سنتم.

مشاركته في صفقة تجارية. أصغى إليه جبران من دون مقاطعة، لكنَّ وجهه كان يتلبدُّ غضبًا حتى إذا توقَّف الرجل عن الكلام استدار جبران فجأةً وسحبَ عن طاولته دليلَ الهاتف الضخم، فتراجع الرجل مذعورًا لكنَّ جبران فتحَ الكتاب بين يديه وببرهةٍ شقَّه قطعتين ورماه ممزقًا على الأرض، صارخًا:

- مزقتُ الكتاب عوضَ أن أُحطِّمَكَ قِطْعًا. أُخْرِجْ فورًا.

كان جبران معروفًا بقوةٍ في يديه خارقةٍ أسطورية. قال لي يومًا:

- قبل أن أُصافح يدَ صديقٍ أتجنَّبُ الضغطَ عليها كي لا أُؤلمه.

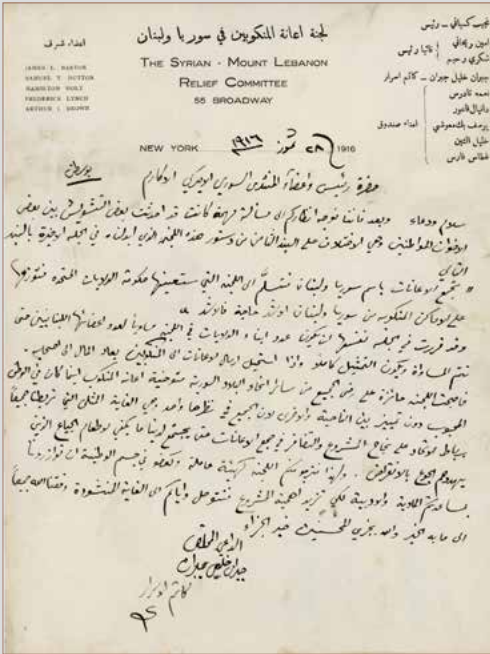
وكان ذلك صحيحًا، فغالبًا ما كنتُ ألاحظُ زوارًا بدينين ينقبضون شاحبي الوجه

لدى مصافحته إياهم.

كان يُربكه أنه قصير القامة<sup>3</sup> ويُغيظه ألا يكون أطول. لكن قوَّة عضلاته وصلابته جسده كانتا أسطوريَّتين. مع ذلك لم يكن يتعمَّد إظهارهما للأخرين بل كان يرغب صادقًا في أن يبدو عاديًّا مثلهم. في سنواته الأخيرة، حين لم يعد قادرًا على تلافي إطراء البعض، كان يقول: «لولا تلك الأقوال لما استفاق بي وعيٌّ كان حتِّئذٍ مبقياً إياي في الضباب».

كان طيلة حياته غير واعٍ عيونَ الناس وأذانهم. ولا تدويناتٍ تكشف رغبةً في تسجيل ما يعمل أو ما تلقى في شبابه من مدائح. ولا تفسير في معاييرنا العلميَّة لما في عالمه الذهني من عمقٍ واتساع. فهو قادرٌ، لا بدكاء فقط بل بمهارة، على التحدُّث في أيِّ موضوع، وعلى بسط مداركه المعرفية الخاصة بما لا يتجاوزها حتى اختصاصيون في ميدانهم. كان فعليًّا يعيش حياته في عالم الروح، ولعلَّ وعيه الروحي هو الُكان يولِّدُ ذاك التأثير الساطع الذي يرافقه حيثما يكون. فعند دخوله أيِّ مكانٍ «يحوِّم فيه جوُّ أثيريٍّ» كما وصفه يومًا أحدُهم، وفي نحو عشر دقائق يُؤخذ بكلماته الحاضرون. كان قلبه طيرًا كبيرًا يسمعُ أيَّ حوله خفقَ جناحيه. وفيما شفتاه تبتسمان كان في عينيه حزنٌ وسعَ العالم.

ولا عجب، فغرفته العالية الهادئة البسيطة في قلب المدينة الكبرى كانت يوميًّا طيلة سنواتٍ مَحطَّة حجاجٍ أخيرة. ونادرًا ما كان معروفًا - لأنَّ جبران لم يشأه أن

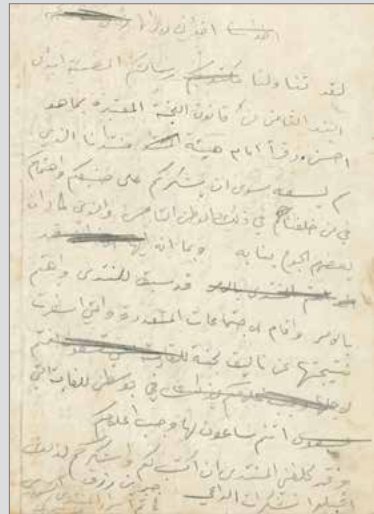


تأثّر جبران عميقًا بالمآسي التي حلّت بلبنان إبّان الحرب العالمية الأولى. وزاد من تأثّره ما كان يبلغ الصحف من أخبار المجاعة التي سبّبت آلاف الضحايا، ما دعا أبناء الجالية إلى تشكيل لجانٍ إغاثيةٍ تعمل على إرسال المساعدات المالية والعينية إلى الأرض الأم.

من تلك اللجان: «لجنة إغاثة المنكوبين في سوريا ولبنان». اجتمع أركانها وانتخبوا نجيب كسباني رئيسًا، وأمّين الريحاني وشكري رحيم نائبَي الرئيس، وجبران كاتم أسرار («أمّين السر» بتسميتنا اليوم). وبهذه الصفة كتب جبران رسائل عدة يستحثّ فيها أبناء الجالية على التبرّع والمساعدة.

من تلك الرسائل، هذه المنشورة أعلاه (٢٨ تموز ١٩١٦) ويبدو أنّ أحدًا صاغها بخطه (فهذا ليس خط جبران) ثم ختمها باسم جبران وصفته ولو بدون توقيعه.

في تلك الفترة الصعبة صرف جبران الكثير من وقته في الاهتمام بشؤون أهالي الوطن في الحرب، وكتب مقالاتٍ توعويةً في هذا الموضوع الجارح (منها مثلًا مقطوعته «مات أهلي»). وفي الغالب أنّ ذلك الانصراف هو الذي عطّل نشاط «الرابطة القلمية» في صيغتها الأولى سنة ١٩١٦ (وكان أمّين الريحاني كذلك من أركانها) لتعود إلى الحياة لاحقًا بعد ٤ سنوات.



على مقلب الرسالة، مسوّدَةٌ رُدُّ عليها بالقلم الرصاص

٤ يبدو أنها تعرفهنّ فلم تذكر أسماءهنّ احترامًا لِمَشِيئَتِه ولو بعد غيابِه.

يُعرف - كم كان يقصده على مدار الساعات والأيام تَوَاقون متعَبون لائذون. وغالبًا ما كان أوهى منهم لكنه لم يكن يردُّ أحدًا بل يلمس الجراح بأنامل حَكْمته وحنانه، ناطقًا بكلمة الحقيقة البسيطة فتخفُّ آلامهم. هكذا كان للكثيرين طبيبًا مداويًا.

من قلب ضنائه إرهابًا كان يبادرني:

- محبتهم وأحزانهم تمتصُّ دمي فأجرح إلى امتشاق عصاي ومعطفي والخروج إلى صومعة بعيدة. لكنني أعجزُ من أفكّر في ذلك.

هكذا كان جبران ضحية رفضه كل ما يحرم إنسانًا كسرة خبز أو جرعة ماء. كانت روحه جبارة في جسد واهن حتى الضنى. وإلى ترديده لي «أنا مصابٌ بداء العمل» كان أيضًا مصابًا بداء السخاء ونكران الذات.

كان يُغيظُه الخبث، ويُسامحُ أيَّ سلوكٍ آخرٍ خاطئٍ أو أرعن، مبررٍ أو غبيٍّ، ويقول عن الفاعلين: «هوذا سلوكهم. فليكن». أما الخبثاء فينفجر في وجههم، خصوصًا لدى ذكّرهم أسماء نساء ثلاث. وفريدًا كان تلقّيه رأي النساء فيه. كثيرات أحببته بحنانٍ وتفانٍ نابعين من عرفانٍ واحترام، حبًا مجردًا لم يطلب منه أيّ مبادلة. لكن نساء أخريات عشقنه حتى قال فيهنّ:

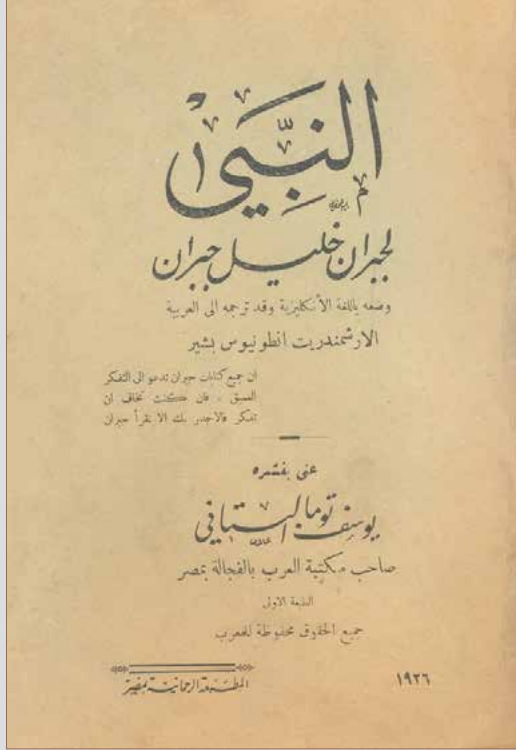
- أنا مدينٌ لِحُبهنَّ وحنانهنَّ، إنما يرين إليّ أفضل مما أنا. يُحببن الشاعر والرسام ويرغبن في امتلاك بعض منه، لكنهن لا يرين ذاتي العميقة ولا يعرفنها أو يُحببنها.

عصر نهار في المحترف، بعدما قرأ للحضور فصل الزواج من «النبى»، كان بينهم نساء ثلاث سألتنه إحداهنّ ببسمة غامزة:

- قُل لنا لمَ لم تتزوج؟

وبعزم البسمة ذاته أجاب:

- لو كنت متزوجًا، وأكون منهمكًا في رسمٍ أو كتابة قصيدة، لكنت سأغفل وجود امرأتي أيامًا متتالية. وحتما تعرفين أنّ أيّ امرأة، مهما تكن محبة زوجها، لن تحتمله طويلاً بهذا السلوك.



الغلاف الداخلي للطبعة العربية الأولى من «النبي». ونقرأ:  
النبي لجبران خليل جبران  
وضعه باللغة الإنكليزية، وقد ترجمه إلى العربية  
الأرشمندريت أنطونيوس بشير عني بنشره يوسف توما البستاني  
صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر  
الطبعة الأولى ١٩٢٦  
جميع الحقوق محفوظة للمعرب  
المطبعة الرحمانية بمصر  
وفي صدر الصفحة هذه العبارة:  
«إن جميع كتابات جبران تدعو إلى التفكر العميق. فإن كنت تخاف  
أن تفكر فالأجدر بك ألا تقرأ جبران» (وهذه العبارة واردة في المقدمة  
التي كتبها الأرشمندريت لهذه الطبعة العربية).

وإذ لم يُفْنِعِهَا فُضُولَهَا بِالْجَوَابِ، أَرْدَفَتْ بِغَمَزٍ أَعْمَقِ:

- ولكن... ألم تعشَقْ ولا امرأة؟

تغيَّرَ وجهُه بلمحة برقٍ، فنهَضَ وأجاب وقاحةً ضيفته بصوتٍ غاضبٍ إنما بأعصابٍ مشدودة:

- إسمعي ما قد لا تعرفين: أكثرُ الرجال رهافةً جنسيَّةً، منذ بدء التكوين على هذا الكوكب، هم المبدعون: شعراً، نحتاً، رسماً، موسيقىً. حياتهم الجنسية هبةٌ عذبة رائعة يتمتَّعون بها إنما في حميميةٍ حيَّة.

ثم استدار وجعل يمشي في أرجاء الغرفة حتى وقف، التفتَ بنظرةٍ إشفاقٍ على السائلة الجاهلة وأضاف:

- عدا صغارِ الحصى في مجرى النهر، وحبَّاتِ الرمل على شواطئِ البحار الكبرى، لا أعرف في هذا العالم ما ليس في تكوينه انشدادٌ جنسيٌّ، فهل أنت تعرفين؟  
بعد مغادرة النساءِ الثلاث عاد يمشي مَحْنِيَّ الرأس متجاوزاً ما جرى، ثم قال عبارةً بالعربية لم أحتملُ أن يفوتني منها صدى صمته، فبادرته:  
- ماذا قلتَ، خليل؟

تفرَّسَ بي كما مُفَاجَأً أني ما زلت معه، فارتسم شغفٌ طفولي على وجهه وفي صوته وقال:

- من أسرار الحب: الصمت.

بُعَيْدَ وفاته، إبان لقاءٍ حول ذكراه، كان بين الحضور كاتبٌ أميركيٌّ معروف، قال في مداخلته:

- لا أعرف أيًّا من فصول حياته العاطفية.

طبعاً، وكيف له أن يعرف؟ ذو الجلالة لا يعرض حميمياتِ معبده ولا يُناقش فيها. رغبةٌ جبران لم تكن أن يتزوَّج بل أن يعيش حياته بكل جمالها وألمها. ومن عرفَ غنى شخصيته وعمقَ ذاته يدرك أنه عاش فعلاً حياته كما ارتسمها: لم يرشرف



٥ واضحٌ من هذا المقطع أنَّ باربره يونغ تقصد، تحديداً، ماري هاسكل، لأنها طيلة معاشتها السنواتِ السَّتِّ الأخيرةً مع جبران، لم تعرف منه أو عنه أيَّ علاقةٍ نسائيةٍ. وحين اجتمعتُ بماري هاسكل في المحترف، بعد ثلاثة أيامٍ على وفاة جبران، واكتشفتُ ماري رسائلها إليه محفوظةً في صندوقٍ خاصةً، فوجئتُ بها باربره وأدركتُ عندها عمق العلاقة الحميمة بين جبران وماري. وحين وضعتُ باربره كتابها هذا (١٩٤٥) كانت مُطمئنَّةً تظنُّ أنَّ الرسائل ستبقى لدى ماري في سافانا ولن تنكشفَ علانيةً. لذا استساغت اتِّهامَ ماري بادِّعائها العلاقةَ مع جبران وإمكانَ إعلانها بعد وفاته فألِّمحتُ إلى أنَّها هي (باربره) «المرأة/العزاء» التي بها «استجابت له نعمةُ الله». وعلى هذه القناعة تُوِّفيتُ سنة ١٩٦١ ولم تَدْرِ أنَّ ماري، قبل وفاتها (سنة ١٩٦٤) بسنواتٍ عدَّة، أهدتُ مجموعَ الرسائلِ إلى مكتبة جامعة نورث كارولينا في تشايل هِل. وبقيتُ المجموعة هناك: ٦١٥ رسالة (٣٢٥ من جبران إلى ماري، و٢٩٠ من ماري إلى جبران) و٤٧ دفترًا هي يوميات ماري ومذكراتها، حتى لَبَّتِ الباحثة فرجينيا حلُو ورثة عائلة فلورنس ماينس (زوج ماري)، واطَّلعتُ عليها مقتطفةً منها أجزاءً حَقَّقْتُها وصَدَرَتِ لدى منشورات كنوف (نيويورك ١٩٧٢) بعنوان «النبي الحبيب - رسائل الحب بين خليل جبران وماري هاسكل، ومقتطفات من مذكراتها اليومية». وصَدَرَتِ بالعربية (ترجمة الأب لوران فارس - مراجعة يوسف حوراني) لدى منشورات «الأهلية للنشر والتوزيع» (بيروت ١٩٧٤).

عازبٌ مثله كأسُ المرِّ والعسلِ حتى آخر نقطة، ولا عاشقٌ كبيرٌ مثله تحدّث عن تلك الكأس بعد رَشْفِها. ولم يكن يرضى أن يُشْرِكَ أحداً معه في مذاقِ تلك الكأس. كان جبران منذ صباهُ فائقَ التهذيب حتى أن نساءً كثيراتٍ برعنَ في استغلال تلك الصفة المَلَكِيَّة. كانت في عروقه كلُّ عادةٍ لطيفةٍ من بلاده، تُسري بغناها فيدْفُق منها بسخاءٍ للخُلص من أصدقائه. قد يقرأ كثيرون أسطري هذه فيدركون بقلوبهم كم تعجز الكلمات في التعبير عن كلِّ ذلك.

من حكمة الاحتراز من امرأةٍ تبرز فجأةً وتدّعي أن رجلاً أحبّها في حياتها، خصوصاً إذا كان تُوفّي. ولكن: مَنْ لا يتضرّعون علانيةً «يا رَبّ... يا رَبّ» بل ينقُذون بصمتٍ وصاياه، أفلا تكون أيديهم فعلاً تخدمه، وقلوبهم تُدرك هالته الكثيرة؟ أنا لا أشكُ بأنَّ جبران، خلال سنواته العاصفة، كان تَوَاقفاً إلى المرأة/العزاء، وكان حتماً يُناديها بصرخةٍ كونيةٍ طالعةٍ من آخِ شعوره بالوحدة الرابعة، حتى استجابت له نعمتهُ الله. وفي نكران ذلك غباءً وسخافةً.

فلنتذكّر أنّ الرجل العظيم، بعد وفاته، يُصبحُ فريسةً مَنْ كان، في لحظةٍ من ظلال لحظات صداقته النقية، مدّاً لهنَّ يده الكريمة، فتدّعي الواحدةُ منهنَّ علاقةً حميمةً به لا وجودَ لها إلا في رغباتها. عن هؤلاء كان جبران يقول: «فَلنَدَعُهُنَّ يعيشن ذلك في أحلامهنَّ».

تحدّث جبران كثيراً عما كان يُسميه «الكيمياء الروحية لدى اللقاء في الأثير» ويعني بها القرينة الروحية للاتحاد الجسدي. ذات يومٍ قال لي:

- في حميمية الصداقة بين رجلٍ وامرأةٍ لحظاتٌ روحيةٌ مشتركةٌ عميقةٌ تمنحُهماها الحياةُ فيولدُ منهما كيانٌ جديدٌ كما من حَمَلٍ فولادة. ولهذا الكيان الحيّ قوةٌ غيرُ مرئيةٍ قابلةٌ بدورها للحياة فالإنجاب. وبذلك يكونان أنشدًا للحياة أغنيةً خالدةً من قصيدةٍ لا تموت. لذا، في كون الله كياناً بيننا معاً لن يموت، لأننا صديقان.



رسمان لجبران من مجموعة باربره



غالبًا إِبَّانَ ساعاته الإبداعية كان يتوقَّف عن المشي، ويبادرني بِنَفْسِ هامس:  
«أَحْسُ هَمَسَ حَيَاةٍ جَدِيدًا». يحدثُ ذلك بعدما يكون تَلَفُّظُ بِحَقِيقَةِ ذَاتِ قُوَّةٍ  
وجمالٍ حتى ليرتعث في صدره قلبُهُ لِإِحْسَاسِهِ أَنَّهُ أَشْرَكَ أَحَدًا بِارْتِعَاشَتِهِ.  
هذه هي «الكيمياء الروحية»، هذا هو «اللقاء في الأثير»، عبْرَ عِلَاقَةٍ مُمَكَّنَةٍ  
الحصول لا يحدثُها وَصْفٌ ولا مَقْيَاسٌ.



... وحين كنتُ في نيويورك سنة ١٩٨٤، وُزرتُ الشارع العاشر غرباً أبحث عن المبنى ٥١، لم أجدهُ بل وجدتُ المبنى ٤٥ (باسم بيتر وورن) وبعده الرقم ٥٥، ما يعني أن بلدية نيويورك، كما تذكر باربره يونغ، كانت تهدم الأبنية التي يبلغ عمرها ٥٠ سنة.

المبنى ٥١ كما كان حين سكنه جبران...

١ وهذا بالضبط ما حصل للبنية ذاتها التي فيها محترفه. فهي كانت من أجمل بنايات المدينة. عُرِفَتْ بـ«مُحترفات الشارع العاشر» (العقار ٥١ غربي الشارع العاشر بين الجادّتين الخامسة والسادسة في قلب مانهاتن). اشترى أرضها رجلُ المال والأعمال المصرفي النيويوركي جيمس بورمان جونستون (١٨٢٢-١٨٨٧) وأوكلَ تصميمها إلى شهير عصره المهندس المعماري ريتشارد موريس هانط (١٨٢٧-١٨٩٥). تمّ تشييدها سنة ١٨٥٧ كـ«أول بناية مصمّمة خصيصاً لتناسب الرسامين بقُببها العليا التي تتسرّب منها أشعة الشمس (متوازيةً) إلى جميع العُرف الخمس والعشرين في الطبقات الثلاث». ولأنّها كذلك اشتهرت كـ«مركز نيويورك العالميّ للفنون في القرن التاسع عشر»، وفيها جعل هانط من محترفه أول مدرسة للهندسة المعمارية في الولايات المتحدة. وسرعان ما تهافت إليها كبارُ الرسامين مستأجرين محترفاتها (بين ٢٨ و٥٦ مترًا مربعًا)، ما جعلها واحة الفنون في حي غرينتش، يرسم فيها الفنانون ويعرضون أعمالهم ويبيعونها. سنة ١٨٧٩ حوّلها مالكها إلى شقيقه جون تايلر جونستون الذي أصبح لاحقًا أول رئيس على «متحف نيويورك للفنون». سنة ١٩٢٠ اتفق المستأجرون (وجبران منهم) على شراء محترفاتهم لقاء حصص في المبنى، فاشترى جبران محترفه لقاء أربعين سهمًا (كما وردَ في وصيّته الأخيرة التي فُتِحَتْ بعد وفاته). سنة ١٩٥٦ هدمت بلدية نيويورك المبنى (كما كان جبران توفّع)، وقام مكانه «مبنى بيتر وورن» للشقق المفروشة (العقار ٤٥ غربي الشارع العاشر). سنة ٢٠١٠ اشترت الطبقة العليا منه الممثلة الأميركية السينمائية جوليا روبرتس.

## ناشط مُمتلئ قوة نابضة

كان جبران يَكُنْ اهتمامًا بالحياة في تلك المدينة التي اختار سُكناها، ويوجد فيها ارتياحًا كبيرًا. كان يرى إليها، كما قلائل فقط رأوا، بالمقارنة مع الحضارات القديمة. من هنا أَسْفُهُ على السرعة في حلول الآلات لدى كلِّ فرعٍ من المصانع، وعلى التخلّي عن الأشغال اليدوية القديمة. كان بين أصدقائه حَرَفِيَّانَ عَجُوزانِ يتحدث إليهما ساعاتٍ طويلةً عن الروائع المشغولة يدويًا عبر العصور، وما زالت تُنتج يدويًا في الشرق الأدنى وأوروبا. وكانوا يُجمِعُونَ أن حَرَفِيَّاتٍ ثمينَةً تضيع بتعامل العمّال حاليًا مع آلاتٍ ينتشر عملها متشابهًا كالوباء في هذه البلاد. من هنا قوله مرة: «إحدى أجمل عباراتٍ نكاد نفتقدها: شغلٌ يدوي».

كان له شغفٌ خاص بالحفر في الخشب، وترك عددًا قليلًا من الوجوه المحفورة تتوازي قيمتها التقنية والتعبيرية مع رسومه على الورق. حين يُنْعَبُهُ أيُّ عملٍ، ويُرْهقه التفكير، كان يحفر في الخشب «لأريح ذاتي من ذاتي ومن أيِّ سوى».

وكان يستنكر التطرّف المجنون في فن العمارة الحديث: علوٌ أبنيةٍ، وغياب جمالٍ ونسبٍ، وكلفةٌ بناءٍ ضخمةً، وينزعج من هدم أبنيةٍ ذاتِ هندسةٍ معماريةٍ جذابةٍ ما سوى لأنها بلغت الخمسين من السنوات أو أكثر<sup>١</sup>.

وإذ يُخاطبني كأمركية...

- ٢ توماس جِفْرُسن (١٧٤٣-١٨٢٦)، من الآباء المؤسسين، ثالث رئيس جمهورية على الولايات المتحدة (١٨٠١ - ١٨٠٩). واضعُ «إعلان الاستقلال» (٤ تموز ١٧٧٦، اليوم الذي بات «عيد أميركا الوطني»).
- ٣ بنيامين فرنكلِن (١٧٠٦-١٧٩٠) من الآباء المؤسسين، كاتب وصحافي ودبلوماسي، أول سفير لبلاده إلى فرنسا (١٧٧٩-١٧٨٥).
- ٤ رالف والدو إِمْرُسُن (١٨٠٣-١٨٨٢) كاتب وشاعر أميركي من قادة الحركة الأدبية في القرن التاسع عشر.
- ٥ وَاَلْتْ وَثْمَنْ (١٨١٩-١٨٩٢) شاعر أميركي بالغُ التأثير على جيلٍ من شعراء أميركا الشباب انتهجوا خطه الشعري في الحداثة.
- ٦ أبرهام لِنْكُولْن (١٨٠٩-١٨٦٥) الرئيس السادس عشر على الولايات المتحدة (١٨٦١ حتى اغتياله في ١٤ نيسان ١٨٦٥) إبان الحرب الأهلية. اشتهر بِإِغْناؤه العبودية.
- ٧ لَفْتَنِي أَنْ هذه العبارة وردت حرفياً في رسالة من جبران إلى ماري هاسكل (الخميس ٨ كانون الأول ١٩٢١). أيكون جبران عاد فقالها أيضاً لباربره يونغ؟ أم ادّعت باربره أنّ جبران قالها لها فأثبتتها هنا بعدما اطّلت على صفحاتٍ من رسائل أرسلتها إليها ماري (خريف ١٩٣١) بناءً على طلب باربره لهيئة كتيبتها الأول عن جبران (تشرين الثاني ١٩٣١)؟

- أنتم كالأطفال النكدين: تصنعون ألعابكم، تتلهون بها فترةً، ثم تحطمونها ولو انها لا تزال جميلة. كيف تحلمون بمحاكاة الشرق وأوروبا في عظمتها وجمالها الساطع؟ الأبنية هنالك شادتها الأيدي والقلوب، ولهذا هي باقية.  
... كان لديه إيمانٌ كبيرٌ بما ستبلغه بلادنا من تمام وعظمة:

- ما زلتم في مطلع الصبا، سكارى بإنجازاتكم، مصابين بمرض الـ«أسرع» والـ«أكبر»، تائيهين عن دروبٍ سلكها كباركم الصالحون. لكن هذه الولايات المتحدة يحرسها ملاكٌ جليلٌ عنيذٌ يعمل على جعلكم تتخلون عن كلمتين: الذكاء والإعلان، فلهما رائحةٌ ننته في شمّ الملائكة والآلهة. وتذكّري هذا المسار: ستعود هذه البلاد من جديدٍ إلى المسالك التي اختطها كباركم المباركون: جفرسن<sup>٢</sup> وفرنكلن<sup>٣</sup> وإمرسن<sup>٤</sup> ووتمن<sup>٥</sup> وأبرهام لنكولن<sup>٦</sup>.

وفي يوم آخر قال، كذلك بقلب كسير وإيمانٍ بالبلاد التي اختارها سكناه:  
- قد يكون العالم حديقه سماويه معلقه، زهورها أعراقٌ وحضاراتٌ، تبرغٌ فيها بتلاتٌ وتتناثرُ أخرى، هنا واحدهٌ ذاويه، حدها جذعٌ عارٍ يذكرنا بأنه كان يحمل برعمَ زهرةٍ حمراءٍ جميلة. قد تكون أميركا اليوم أجمهٌ وردٍ يتهياً للفتح فيها برعمٌ ما زال بعدُ أخضرَ طرياً من دون أرجٍ لكنه ناشطٌ ممتلئٌ قوهً نابضة.  
قد تكون «برعمٌ ناشطٌ ممتلئٌ قوهً نابضة» من أصدق عبارات جبران، هو الذي في حياته القصيره، أثبت أن ما كان «يتهياً للفتح» تفتح وانتشر عطره.

ذات يوم قال لي:

- كم أتمنى أن أرى مدينهً عصريهً حديثهً بدون أنوارٍ في شوارعها. ولكان الحيُّ الأسفل من مانهاتن بهياً، ومهيباً كأهرام مصر، لو كان مضاءً بأنوار النجوم والقمر الفضي دون أي نورٍ آخر. ما أوسع الفتحة بين إضاءة طالعه من الأرض ونورٍ منهملٍ من الفضاء.<sup>٧</sup>

كان جبران مختاراً من الله في نظر مواطنيه الشبان المولودين في الغرب لأهلٍ جاؤوا من أرضهم الأم. كانوا يقصدونه مثقلين بحيرتهم فيتلقي قلقهم باستيعابٍ واسعٍ ولطفٍ إلهي يجعلانهم ممتنين له بكل وفاء.



#### GIBRAN'S MESSAGE TO YOUNG AMERICANS OF SYRIAN ORIGIN

I believe in you, and I believe in your destiny. I believe that you are contributors to this new civilization. I believe that you have inherited from your forefathers an ancient dream, a song, a prophecy, which you can proudly lay as a gift of gratitude upon the lap of America. I believe you can say to the founders of this great nation, "Here I am, a youth, a young tree, whose roots were plucked from the hills of Lebanon, yet I am deeply rooted here, and I would be fruitful." And I believe that you can say to Abraham Lincoln, the blessed, "Jesus of Nazareth touched your lips when you spoke, and guided your hand when you wrote; and I shall uphold all that you have said and all that you have written." I believe that you can say to Emerson and Whitman and James, "In my veins runs the blood of the poets and wise men of old, and it is my desire to come to you and receive, but I shall not come with empty hands." I believe that even as your fathers came to this land to produce riches, you were born here to produce riches by intelligence, by labor. And I believe it is in you to be a good citizen. What is it to be a good citizen? It is to acknowledge the other person's rights before asserting your own, but always to be conscious of your own. It is to be free in thought and deed, but it is also to know that your freedom is subject to the other person's freedom. It is to create the useful and the beautiful with your own hands, and to admire what others have created in love and with faith. It is to produce wealth by labor and only by labor, and to spend less than you have produced that your children may not be dependent on the state for support when you are no more. It is to stand before the towers of New York, Washington, Chicago and San Francisco saying in your heart, "I am the descendant of a people that builded Damascus, and Bibles, and Tyre and Sidon, and Antioch, and now I am here to build with you, and with a will." It is to be proud of being an American, but it is also to be proud that your fathers and mothers came from a land upon which God laid His gracious hand and raised His messengers. Young Americans of Syrian origin, I believe in you.

مقطوعة جبران «إلى الأميركيين الشباب من أصل سوري» على الآلة الكاتبة كما طبعتها  
باربره يونغ لثرسها إلى مجلة «العالم السوري».

▲ هنري جيمس (١٨٤٣-١٩١٦) كاتب أميركي ذو تأثيرٍ على المرحلة الوُسْطى بين الأدب الواقعي وموجة الحداثة الجديدة في عصره.

كان لديه إيمانٌ ثابتٌ بأنَّ قوَّةً من إرث العالم العربي ما زالت نابضةً في حياة السُوريين الجدد وأفكارهم. ولَهُم كَتَبَ رسالةً «إلى الأميركيين الشباب من أصلٍ سوريٍّ» صالحةً أن يتأمَّلَ فيها الأميركيون الشباب من أيِّ جذور كانوا.

وهنا رسالة جبران:

أُؤْمِنُ بِكُمْ، وَأُؤْمِنُ بِقَدْرِكُمْ.  
أُؤْمِنُ بِإِسْهَامَاتِكُمْ فِي هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْجَدِيدَةِ.  
أُؤْمِنُ بِأَنَّكُمْ وَرَثَتُمْ عَنْ أَسْلَافِكُمْ حُلُمًا قَدِيمًا، أَغْنِيَّةً، نُبُوَّةً، وَجِسْمًا تَلْقُونَهَا بِاعْتِرَازٍ بَادِرَةٍ امْتِنَانٍ فِي حَضْنِ أَمِيرِكَا.  
أُؤْمِنُ بِإِمْكَانِ وَاحِدِكُمْ مَخَاطَبَةَ مُؤَسَّسِي هَذِهِ الْأُمَّةِ: «هَا أَنْذَا شَجَرَةٌ نَاشِئَةٌ فَتِيَّةٌ، جُدُورُهَا مَشْتُولَةٌ فِي تَلَالِ لِبْنَانٍ، لَكِنَّا انْشَتَلَتْ هُنَا وَسَوْفَ تُثْمِرُ».  
أُؤْمِنُ بِأَنَّ يَقُولَ وَاحِدِكُمْ لِلْمُكْرَسِ أَبْرَهَامَ لِنُكُولِن: «حِينَ تَكَلَّمْتَ كَانَ يَلْمَسُ شَفْتَيْكَ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ وَحِينَ كَتَبْتَ كَانَ يَهْدِي يَدَكَ، وَسَوْفَ أَتَّبِعُ كُلَّ مَا قُلْتَهُ وَكَتَبْتَهُ».  
أُؤْمِنُ بِأَنَّ يَقُولَ وَاحِدِكُمْ لِإِمْرُسِنَ وَوِثْمَنَ وَجِيمْسِ: «فِي عَرُوقِي يَسْرِي دَمٌ أَعْرَقَ الشَّعْرَاءَ وَالْحُكَمَاءَ، وَرَغْبَتِي أَنْ أَجِيءَ فَاتَلَقَى مِنْكُمْ إِنَّمَا لِنِ آتِي وَيَدَايَ فَارِغَتَانِ».  
أُؤْمِنُ بِأَنَّ مِثْلًا أَبَاؤَكُمْ جَاؤُوا هَذِهِ الْأَرْضَ وَحَقَّقُوا الْغِنَى، أَنْتُمْ وُلِدْتُمْ هُنَا لِتَحَقِّقُوا الْغِنَى بِذِكَاكُم وَعَمَلِكُمْ.  
أُؤْمِنُ بِبِنِيَّتِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مَوَاطِنِينَ صَالِحِينَ.  
وَمَنْ يَكُونُ مَوَاطِنًا صَالِحًا؟  
إِنَّهُ:

مَنْ يَعِي حَقُوقَهُ إِنَّمَا لَا يَفْرُضُهَا عَلَى السُّوِيِّ قَبْلَ اعْتِرَافِهِ بِحَقُوقِ هَذَا السُّوِيِّ.  
مَنْ يَكُونُ حَرًّا بِكَلِمَتِهِ وَعَمَلِهِ، إِنَّمَا وَاعِيًا ارْتِبَاطَ حَرِيَّتِهِ بِحُرِّيَّةِ السُّوِيِّ.  
مَنْ يُطْلَعُ بِيَدَيْهِ الْجَمِيلِ الْمَفِيدِ وَيَقْدِرُ مَا أُطْلِعَ السُّوِيُّ بِإِيمَانِهِ مِنْ جَمِيلٍ مَفِيدٍ.  
مَنْ يَجْتَنِي مِنْ عَمَلِهِ وَمَا إِلَّا مِنْ عَمَلِهِ، وَيَصْرَفُ أَقْلَ مَا يَجْتَنِي فَلَا يَتَّكِلُ أَوْلَادَهُ بَعْدَهُ عَلَى إِعَالَةِ الدَّوْلَةِ.

مَنْ يَقِفُ أَمَامَ أَبْرَاجِ نِيُويُورِكِ وَوَاشِنْطُنِ، وَشِيكََاغُو وَسَانِ فَرَنْسِيْسِكُو، مَخَاطِبًا إِيَّاهَا فِي صَمْتِهِ: «أَنَا سَلِيلُ شَعْبِ بَنِي دَمَشَقِ وَبِيْبِلُوسِ وَصُورِ وَصَيْدَا وَأَنْطَاكِيَّةِ، وَهَا أَنَا هُنَا عَازِمٌ عَلَى أَنْ أَبْنِيَ مَعَكُمْ».

## To Young Americans of Syrian Origin

By G. K. GIBRAN.

I believe in you, and I believe in your destiny.

I believe that you are contributors to this new civilization.

I believe that you have inherited from your forefathers an ancient dream, a song, a prophecy, which you can proudly lay as a gift of gratitude upon the laps of America.

I believe you can say to the founders of this great nation,

"Here I am, a youth, a young tree whose roots were plucked from the hills of Lebanon, yet I am deeply rooted here, and I would be fruitful."

And I believe that you can say to Abraham Lincoln, the blessed, "Jesus of Nazareth touched your lips when you spoke, and guided your hand when you wrote; and I shall uphold all that you have said and all that you have written."

I believe that you can say to Emerson and Whitman and James, "In my veins runs the blood of the poets and wise men of old, and it is in my desire to come to you and receive, but I shall not come with empty hands."

I believe that even as your fathers came to this land to produce riches, you were born here to produce riches by intelligence, by labor.

And I believe that it is in you to be good citizens.

And what is it to be a good citizen?

It is to acknowledge the other person's rights before asserting your own, but always to be conscious of your own.

It is to be free in thought and deed, but it is also to know that your freedom is subject to the other person's freedom.

It is to create the useful and the beautiful with your own hands, and to admire what others have created in love and with faith.

It is to produce wealth by labor and *only* by labor, and to spend less than you have produced that your children may not be dependent on the state for support when you are no more.

It is to stand before the towers of New York, Washington, Chicago and San Francisco saying in your heart, "I am the descendant of a people that builded Damascus, and Biblus, and Tyre and Sidon, and Antioch, and now I am here to build with you, and with a will."

It is to be proud of being an American, but it is also to be proud that your fathers and mothers came from a land upon which God laid His gracious hand and raised His messengers. Young Americans of Syrian origin, I believe in you.

مقطوعة جبران «إلى الأميركيين الشباب  
من أصل سوري» كما صدرت على الصفحتين ٤  
و ٥ من مجلة «العالم السوري» - عددها الأول -  
تموز ١٩٢٦.

٩ صدرت هذه المقطوعة في أوّل عددٍ للسنة الأولى (تموز ١٩٢٦) من مجلة «العالم السوري» على الصفحتين ٤ و ٥ مباشرةً بعد افتتاحية نأشرها سلوم مكرزل الذي أورد نبذةً عن جبران استغرقت كامل النصف الأسفل (٢٠ سطراً) من الصفحة ٥٦، وامتدحت عطاءاته، كتابتهً ورسماً، خاتمةً بأنّ «مقطوعته الجديدة في مجلتنا تعكس اهتمامه وإيمانه بأجيالنا الجديدة في أميركا». إنما اللافت أنّ جبران كان قبل سبع سنواتٍ نشر هذه المقطوعة في مجلة «فتاة بوسطن» (عدد تشرين الأول/تشرين الثاني ١٩١٩).

مَنْ يَفْخَرُ بِأَنَّهُ أَمِيرِكِي إِنَّمَا يَفْخَرُ أَيضًا بِأَنَّ أَهْلَهُ جَاؤُوا مِنْ أَرْضِ بَسْطِ اللَّهِ عَلَيْهَا يَدَهُ  
النُّعْمَى وَمِنْهَا تَشْرُرُ سُلْهُ.

هو هذا إيماني بكم، أيها الأميركيون الشباب من أصلٍ سوري<sup>٩</sup>.

كان جليًّا أنَّ ذاك الشاب، بما كان وما قُدِّرَ له لاحقًا أن يكون، عانى بمرارةٍ من  
قهر شعبه تحت النير التركي، فانتفض ضده بغضبٍ. وما عاشه في سنواته الاثنتي  
عشرة الأولى ظهر أثره في «الأرواح المتمردة» التي كتبها حين عاد إلى بيروت.

كان يلدُّ له أن يقارن بين ما عايته الجيل الجديد من السوريين في بلادهم  
هناك، وما جاؤوا يعيشونه في أميركا. وكان يتوقَّع الكثير ممَّا يتوسَّم في عزمهم  
وأصالتهم وذكائهم.

كثيرون من أولئك السوريين واللبنانيين كانوا ذوي وسامةٍ وعيونٍ عميقةٍ السواد  
على هدوءٍ، للتأمل بها خارج الوصف. فهم يتحدثون بإنكليزيةٍ ممتازة، بعضهم  
يتكلَّمها بشاعرية مصقولةٍ من أرضه الأم. وجميعهم موهوبون في أكثر من وجهة.  
مرةً قال لي جبران: «بينكم، أنتم الأميركيين، من يظنُّ أن ما جئنا من سورية  
إلى هذه البلاد إلا كي نبيع الليمون والموز، أو البُسْط والنحاس». غير أنني،  
فيما أكتب هذه الأسطر، أعرف أنَّ آلافًا من مواطنيه بارعون في الفنون والعلوم  
والمهن على وسع بلادنا، منهم أساتذةٌ لامعون في الجامعات، وأطبَّاء بارعون،  
ومؤلَّفون موسيقيون مبدعون، وشعراء وصحافيون ومحاضرون، ورجال مالٍ وأعمالٍ  
ودبلوماسيون ومحامون. وبات لدينا منهم اليوم ضباطٌ في جيشنا ووحداتنا البحريَّة  
وسلاحنا الجوي، وكثيرون في طليعةٍ من هم «أميركيون شبابٌ من أصولٍ سورية»،  
وكلُّ منهم «ناشطٌ مُمتلئٌ قوةً نابضة».

جميعهم، في أيِّ مكانٍ من بلادنا، يعرفون «جبران خليل جبران» - كما يسمُّونه  
في بلادهم. في المدن يعرفونه، ويعرفونه في المطاعم السورية اللذيذة المآكل  
المُحصَّرة بفنِّ راقٍ والمقدِّمة بدوقٍ رهيف. لم أدخل مرةً مطعمًا منها إلا وسمعتُ  
اسمه يتردَّد، وأحيانًا يسألني منهم: «ألستِ صديقة جبران؟» ويروحون، على اسمه،  
يتولَّون خدمتي بحفاوةٍ مميزة. وحين أتناول العشاء في أحد هذه المطاعم، أتذكَّر



لوحة غير منتهية يرجح الباحثون أن تكون للسيدة فردريكا هاسكل (١٩١٢).

كيف كان جبران يقول لي مبتسماً بثقة: «أنتِ لبنانية»، إذ لم أدق في أيّ مطعمٍ من أيّ بلدٍ وجبةً أطيب من المآكل السورية. وجبران كان متقشّف الطعام بسيطه، يستدوِّق منه «الخبزَ الأسمر والزيتونَ المعتقّ والجبنةَ السورية والنيبذَ الأبيض». وهي وجبةٌ في ذاتها مكتملةُ الغذاء. وفيما يتناولها كان غالباً يحلو له أن ينسج حكايةً جميلةً وينبّهني: «لا لتكئبيها بل لأشرككِ بها فقط». وفعلاً لم أكن أدونها لكنني اليوم أتمنى لو كنتُ دوّنتُ ملامحَ منها في ذاكرتي.

من تلك، حكايةٌ عن غابة بلورية بدأها هكذا: «تعالِي نَيْه»، وترك خياله الغنيّ يسبح، متحدّثاً عن أغصانٍ متوهّجةٍ وأجمّةٍ كثيفةٍ تلتمع بحبيباتٍ لؤلؤيةٍ جليديةٍ تجمّدت على الأغصان، عن أشجارٍ تتعانق مُشكّلةً أقواساً عاليةً في أروقةٍ طويلةٍ ذاتِ سجّادةٍ بهيجةٍ من أمواج الثلج المتجمّدة، عن كوخٍ بلوريٍّ نوافذه متجمّدةٌ بخيالاتٍ مُحَرّمةٍ «إنما لا يمكننا أن نرى من خلالها»، وعن كاتدرائيةٍ «لا تستطيعين أن تريها إلاّ ببصرِك الداخلي. لا يمكنني أن أصفها لك: جمالها ليس من هذا العالم».

وهذه حكايةٌ أخرى، عن كهفٍ بين صخورٍ على طرفٍ غابةٍ بعيدة. هناك يَطيب له أن يتيه ساهمًا: «ها هو الثلج ينهمل». في أرض الكهف فراشٌ من أغصانٍ بلسمٍ وشربينٍ متكوّمةٍ على الأرض، وفي زاويته نارٌ خفيفةٌ تصاعدُ من موقدةٍ تتأجج بحزمة قضبانٍ يابسة. قال لي:

- تعالي نفترش هذه الأغصانَ أمام الموقدة وتأمّل خارجًا في الغابة انهمال

الثلج.

في تلك الحكاية عصفورًا ثلجٍ يُمضيان الشتاء في شماليّ البلاد بينما يتّجه سائر العصافير جنوبًا. يحطّان متجانّين على غصنٍ شجرةٍ عند طرف الغابة قرب الكهف و«لا يُزقزان إلاّ عندما ينهمل الثلج». ويروحُ يُردّد العبارة الأخيرة، مرّةً بعد مرّة، كأنها لازمةٌ أغنية. كان استيهامه تامًا قويًا مُقنّعًا يذهلُ سامعه الذي، عند نهاية الحكاية بانتهاء الطعام، يتلّفت فإذا لا كهفٌ، ولا ثلجٌ، ولا عصفوران يُزقزان. إنما



جلسة في حضان البرية مع الشاعرة جوليا فورد،  
 عن يمينها سيود حسين، وعن يسارها جبران.  
 وكتبت جوليا بخطها تحت الصورة:  
 «تحت الشجرة التي كان خليل يسميها فيثارة الريح».



جبران مع الشاعر جوليا فورد  
 عند مدخل بيتها

يكون، طيلة تلك اللحظات، عاش في ذاته أطياف «لقاءات في المدى»، وكيميائاً روحية، وولادة كيان جديد.

عندئذٍ كنتُ أفهمُ قولته لي: «لا لتكتُبِها بل لأشرككِ بها»: ليس في الغابة البلورية دفترٌ، ولا في الكهف، ولا كان ممكناً تدوينُ زقزقةِ العصفورين «عندما ينهملُ الثلج».



- ١ مطلع مقدمتها ص ٢٥ من هذا الكتاب.
- ٢ السبت ٦ كانون الثاني ١٨٨٣. في بعض المراجع (منها كتاب ميخائيل نعيمه) وَرَدَ ٦ كانون الأول. لكنَّ جبران في رسالة إلى ماري هاسكل وأخرى إلى مي زيادة حدّد مولده في ٦ كانون الثاني، وهو يصادف عيد الغطاس (أو الدنج) لدى الطوائف المسيحية تذكّاراً لاعتماد يسوع في نهر الأردن.
- ٣ هو ميخائيل جبران، أحد مؤسسي أسرة جبران في بُشْرِي مع شقيقه يوسف وموسى بعد نزوحهم من بلدة بُشْعَلَة (قضاء البترون).
- ٤ هي «الخورية» التي أخذت عنها ابنتها «كاملة» قوّة شخصيتها وذكاءها وصلابتها.

## «مرة أخرى... عبرت»

كما ذكرتُ منذ البداية<sup>١</sup>: ليست رغبتني أَنْ أكتب عن خليل جبران مُجرّد سيرة، بل أَنْ أجعل الآخرين يعيشون معه كما عشتُ أنا معه، فيبقى حاضرًا نابضًا كما لو انه ما زال معنا على هذه الأرض. لذا دوّنتُ تفاصيل من سنّواتِ صداقتنا كما عشناها معًا لا كما تسلسلت أحداث حياته.

تبقى تفاصيل لا بدّ من ذكرها عن خلفيّة هذا الرجل من لبنان: أنه وُلد في ٦ كانون الثاني ١٨٨٣<sup>٢</sup> لأبوين لبنانيين في بُشْرِي، وهي قرية جبلية عريقة ترقى إلى نحو أربعة آلاف سنة، تتفياً أشجار أرز الرب، وأنّ جدّه لأمه، الخوري أسطفان رحمة، كان كاهنًا مارونيًا عالمًا قليل الكلام رخيّم الصوت، وأنّ أمّه كاملة كانت صُغرى بنات الخوري أسطفان الذي كان متعلّقًا بها ويسميها «قلبي الذي يمشي أمامي»، وأنّ جدّ الشاعر لأبيه<sup>٣</sup> كان يملك أراضي شاسعة في شمال لبنان ويدرك تمامًا مواهبه الشخصية وأهميته، وخصوصًا حذاقته في تدوير معنى إلحاده فلا يُطال. وعن قوة شخصيته أنّ مطرانًا أرسل إليه كلمة أثارت كرامته فانتهر الرسول: «قُل للمطران إنّ سورية أعظم مقاطعة في كلّ الأمبراطورية العثمانية، وإنّ لبنان تاج سورية، وإنّ بُشْرِي لؤلؤة هذا التاج، وإنّ أسرة جبران أرقى أسر بُشْرِي، وإنني أنا رأس هذه الأسرة». أخبرني جبران هذه القصة بحماسة، وقصصًا أخرى عن جدّته رحمة التي كانت ذات شخصية قوية<sup>٤</sup> فلُقبت بـ«الفيلق» في عائلتها، ومُرشدة زوجها الخوري

٥ في شجرة العائلة، كما سَرَدَهَا «الْفَلْيُون» النَّحَّاتُ خليل جبران، مستمِدًّا إِيَّاهَا من وثائقه العائليَّة، أنَّ بعد حوادث الجبل سنة ١٨٤٠ وصل إلى بُشْرِي فَارِسَانَ شقيقَانِ مُسْلِمَانِ: عبدالقادر وعبدالسلام، استقرَّا فِيهَا وتزوَّجَا فتاتين من آلِ رحمة وانتسبا تالِيًا إلى تلك الأسرة المارونية. وُلِدَ لعبدالقادر صبيٌّ وحيدٌ سَمَّاهُ أسطفان، هو الذي لاحقًا أصبح كاهنًا تزوَّجَ ورزُقَ «كاملة» سنة ١٨٥٨، ووُلِدَ لعبدالسلام صبيٌّ سَمَّاهُ حنَّا، هو الذي، على عادات بُشْرِي عهدنِدِّ بزواج أولاد العمومة، تزوَّجَ لاحقًا من كاملة حفيده عمِّه عبدالقادر ورزُقَ منها الصبي بطرس سنة ١٨٧٧. غير أنَّ الأوضاع الصعبة في الوطن فترتدِّ دفعَت حنَّا إلى الهجرة فأبْحَرَ إلى البرازيل، وسرعانَ ما صَعَّقَه هناك مَرَضٌ خبيثٌ قضى عليه، تاركًا في بُشْرِي طفله بطرس وزوجته «كاملة» وهي في مطلع العشرين.

٦ ربَّما أَشكَلَ الأمر في ذاكرة باربره يونغ بنقلها هذا التفصيلَ عن جبران. فالأصحُّ، وفق الوثائق، أنَّ «كاملة» دخلت دُكَّانَ اسحق جبران (لبيع العقاقير والأعشاب الطبية) تشتري مرهَمًا لتضميد إصبعها، فعرفها اسحق بابن شقيقه خليل (المولود سنة ١٨٥٢). بَهْرَهُ جمالها فظلَّ حتى تَقَرَّبَ منها وتزوَّجها نهار السبت ٨ كانون الثاني ١٨٨١ (نقلًا عن «تاريخ بُشْرِي» للأب فرنسيس رحمة، وفيه أيضًا أنَّ كاملة رحمة، قبل تعرُّفها بخليل جبران، عقدت زواجًا ثانيًا مع نسيبها يوسف الياس جعجع السبت ١٤ آب ١٨٨٠). لكنَّ زواجها الثاني لم يدم سوى ثلاثة أشهر وانتهى إلى الطلاق. وبذلك يكون خليل جبران زوَّجها الثالث.

٧ ما لم تعرفه باربره يونغ، أو لم يقله لها جبران، أنَّ المُدرِّسة الأميركية في مدرسة كوينسي التي التحق بها جبران في بوسطن بُعِدَ وصوله إلى المدينة (١٨٩٥-١٨٩٧)، استغرقت أنَّ يُعرَفَ بالاسم الثلاثي جبران خليل جبران، فاختصرته إلى خليل جبران، وحوَّلته من خليل (Khalil) وفق الكتابة المُتبَّعة، إلى (Kahlil) لسهولة لَفْظِ «كاليل» وصعوبة لَفْظِ الأميركيين حرف الخاء. وهكذا اعتمد جبران اسم «خليل جبران» لمؤلفاته الإنكليزية، وأبقى لمؤلفاته العربية وجميع مقالاته العربية على اسمه الثلاثي جبران خليل جبران.

وأولادها. كانت في السادسة والخمسين حين وُلدت كاملة، آخر أولادها، ثم عاشت قرناً وعشر سنوات، لكنها بدلالٍ أُثْنُوِيٌّ لم تكن تعترف إلا بمئة وست سنوات، وكانت في الثمانين حين امتطت حصاناً وجالت على معظم نواحي لبنان، وحافظت على ظرفها وقوة شخصيتها حتى يومها الأخير. وذات يوم من شيخوختها المتقدمة قالت لجبران: «أوصيتُ بجميع حليّ الفضية لحفيدي الآخر كي لا يكرهك».

وحين عاد جبران يوماً من مدرسة «الحكمة» إلى بُشْرِيٍّ حاملاً تنويهاً وجوائز، جلست جدّته «الفيلق» مع جدّته الأخرى زوجة جدّه لأبيه، تتحدّثان في مواهب حفيدهما وذكائه وشخصيته. قالت هذه بلطفها المعتاد: «إننا فخورون جداً بذكائه ومواهبه النادرة»، فأجابته الجدّة «الفيلق»: «وما فضلُكم جميعاً في كلِّ هذا؟ إنه حفيدي أنا». ويوم الاحتفال بعيدها المئوي في اجتماع عائلي موسّع، تجمّعت أجيالٌ متتاليةٌ من الحفداء حتى أن أصغرهم، مُرسلاً ليدعو إحدى كبيرات العائلة، قال لها: «جدّتي، جدّتكِ تودُّ أن تراك».

ترملت الابنة الصغرى كاملة، وكان لها طفلٌ يدعى بطرس<sup>٥</sup>. وذات يوم كان خليل جبران، وهو يكبرها ببضع سنوات، يَمُرُّ فسمِعها تعني في حديقة والدها الخوري<sup>٦</sup>. لم يهدأ حتى التقاها فانسحر بجمالها وأنوثنها، ولم يهنأ حتى طلب يدها وتزوَّجها. وحين ولدت له طفلها الأول سمّاه على اسم أبيه جبران، لكن جبران أحبَّ اسم أبيه فاعتمده لاحقاً اسمه الأدبي<sup>٧</sup>. واسم خليل معناه: «المختار أو الصديق الحبيب»، كما كاملة معناها «التامة»، ومعنى جبران «الشافى ومُبْلِسم الروح»، فللاسم في العربية دائماً معنى وتفسير.

كانت كاملة جبران تُتقن أكثر من لغة، ما أثار لاحقاً في مهارة ابنها اللغوية. وهي ورّنت عن أبيها الحبيب الكاهن صوتاً جميلاً، وبين ما كان يبهج الطفل جبران في سنواته الأولى أغنياتٌ شرقيةٌ تندنُّها وأوتار العود بين أناملها. ومراتٍ حكى لي كيف كانت تغني له في الليالي إلى أن «تتساقط النجوم». ذلك أن السماء ليلاً فوق لبنان تبدو كأن النجوم تتلألأ فيها مدلاًة من القُبّة الزرقاء. وحين يأتي تلك القرية

- ٨ تصغُرُه بسنَّين. ولدت سنة ١٨٨٥. كرَّست حياتها لِخدمته. عاشت وحدَها بعدَه ٤١ سنة:  
اشتدَّ مرضُها سنة ١٩٦٨ فانتقلت إلى مأوى للعجزة توفيت فيه الثلاثاء ٢٨ آذار ١٩٧٢.
- ٩ تاريخ وفاته ليلة الجمعة ١٠ نيسان في المستشفى.

الجبليّة زائرٌ يُبادره أهاليها: «إِذَا تَمَدَّدْتَ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ كَيْ تَنَامَ، يُمْكِنُكَ أَنْ تَطَالَ نَجْمَةٌ فَتَقَطِّعَهَا وَتَضَعَهَا تَحْتَ وَسَادَتِكَ».

هكذا كانت كاملة ترندح لطفلها أغنياتٍ قديمةً وأخرى من تركيبها غير المُدَوَّن. وكانت تنسج له حكاياتٍ قديمةً عن هارون الرشيد وأخرى من التراث العربي الباهر. كأنها كانت تحدّس باكرًا جدًّا بأبيّ وكدّ هو. لذا قالت لاحقًا: «إن ابني خارج كل تحليلٍ نفسيّ»، فهو كان صعبًا ذا تصرفاتٍ غير مرتقّبة: مرّةً يحنو على زهرة ذاوية، وأخرى يزارُ كغضنفرٍ حيالَ ما يُفرض عليه. وبالفعل قال لي مرّاتٍ:

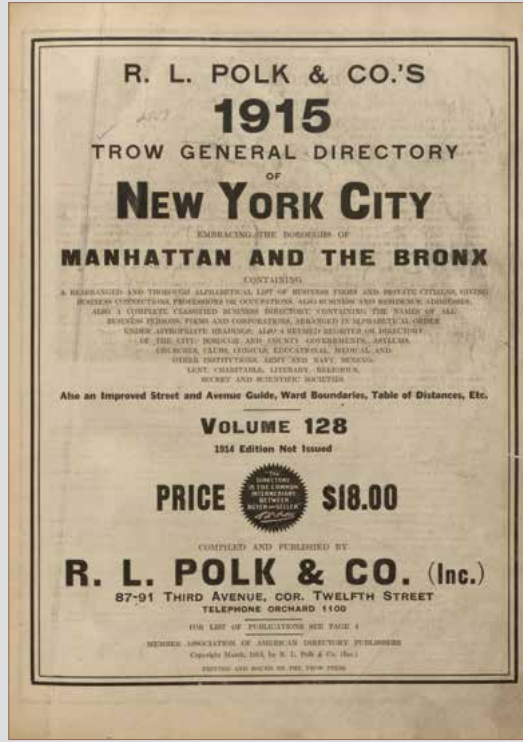
- لم أكن طفلًا هادئًا بل دائم التملُّم لإحساسي الدائم بالعُربة والضياع. لم أكن أرى طريقي بعد. كانت أمي تُحسّ ذلك بي من دون أن أقوله لها. لم أضطرّ إلى أن أقوله لها.

وكان ذلك صحيحًا. فهي كانت تراقبه منذ سنواته الأولى حين كان يجلس ساهمًا ساعاتٍ طويلةً أمام كتابٍ فيه رسومٌ ولوحاتٌ من ليوناردو دافنتشي. وكانت تحضنه كي تُهدئ غضبته الفورية السريعة حيال ما لا يعجبه. لاحقًا، وبعكس إرادتها وحنان قلبها الأمومي، وإيمانًا بإرادته وحكّمته، هي التي تجاوزت جميع الاعتراضات ووافقت على إلحاحه بالعودة إلى لبنان للدراسة.

في الأسابيع الأخيرة من حياته كان يحدثني كثيرًا عن صباه، عن أمّه، عن شقيقته مريانا<sup>٩</sup>، الوحيدة التي بقيت له من عائلته. عن مريانا قال لي مرّةً:

- إن على وجه الأرض قديسةً حيّة، فهي مريانا جبران، ابنةُ أمي كاملة. أظنُّه لحظتنيّ كان يحدس بقُرب رحيله عن هذه الحياة، مع أنه لم يكن ينطق بذلك. لكنه ذات مساءً، قُبيل ذلك العاشر من نيسان<sup>٩</sup>، لاحظتُ على ملامحه حزناً بعيدًا وكأبه عميقة، فاستفسرتُ منه: «ما بك؟ ماذا جرى فأحزنك؟» سكتَ لوقتٍ بدا لي مطّاطًا، ثم أجاب:

- أريدك أن تعلمي أمرًا... من دون أن أقوله لك... هل تُدرّكين ما قد يكون؟ سألني هكذا لأننا غالبًا ما كان أحدنا يُدرّك ما في بال الآخر بدون كلام.



غلاف دليل الهاتف سنة ١٩١٥ لمنطقتي نيويورك وبرونكس  
(في مدينة نيويورك).

Ghosn, Bernard, Mgr. 103 Washington St.	Study BOWling Green 0639	الأرشدريت بر نادوس شين
Gibran, Kahlil, G. 51 W. 10th St.	Artist & Author ALGonquin 9709	جبران خليل جبران
Gorab, S. 11 W. 28th St.	LEXington 8820	مبادق غراب
Gorayeb, Geo. N. 59 Washington St.	Expoter WHI:chall 0395	جورج غريب

اسم جبران وعنوانه ومهنته (فنان ومؤلف)

في دليل هاتف نيويورك.

رقم هاتفه: ٩٧٠٩

Elias Feldman 135 W27th  
Gil Alter Paul dresses h981 Union av  
" designer h202 Brown pl  
Gibran Kibel artist 51 W10th  
Gibriano Rose (wid Giuseppe) h66 Mott  
Gibroy Thos J foreman h307 E65th  
Gibson Abr slsmn h2 E112th  
" Addison H v-p Richmond, Levering &  
Co r Hotel Imperial

اسم جبران ومهنته وعنوانه كما جاء في دليل أميركي.

وواضح أنَّ اسمه ورد مغلوطاً: Kibel عوض Kahlil

١٠ أي الجمعة ٣ نيسان ١٩٣١، تمامًا قبل أسبوعٍ من وفاته.

لحظتها لم أدرك من سؤاله ما كان في باله. وفيما هممتُ مساءً بِمغادرة  
المحترف بادرني:

- إذا أدركتِ ما أريد أن تعلميه، أتقولينه لي؟

وَعَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ، وخرجتُ تضطرب في بالي أفكارٌ متضاربةٌ عمّا يمكن أن يكون  
في باله. لكنني لم أعرف. وما إلاً لاحقاً، بعد فترةٍ على رحيله، حتى أدركتُ أن قلبه  
البشريّ المستوحِد كان في حاجةٍ إلى إشراكٍ أحدٍ معه في شُغوره بِدُنُو الرحيل،  
لكنه لم يشأ يوماً أَنْ يُحزِنَنِي بِذاك الهاجس إن لم أحدسْ به لوحدي. واليوم أرى أَنَّ  
ذلك كان أفضل. فلو عرفتُ يومها ما كان في باله لكان صعباً على قلبينا أن يواصل  
الغناء كما بقينا نغني حتى تلك الأيام الأخيرة.

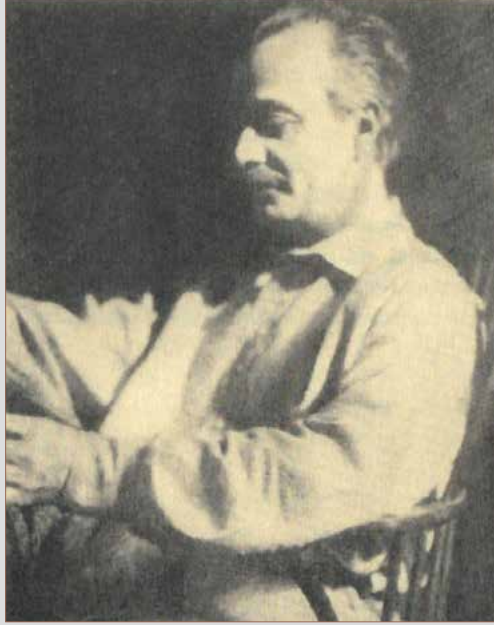
مرت بنا أيامٌ كانت تَمْتَلئُ بالعمل الطويل، وهو يُنهي رسم المائيات الأخيرة  
لكتابه «التائه»، مستعملاً لها مزجاً جديداً من التدرجات اللونية، بين ظلالٍ بُنيّةٍ  
وأخرى بيضاء، شكّلت جمالاً ساطعاً في لوحات «الفرح والحزن»، «الراقصة»، ووجه  
تلك المرأة السحري في لوحة سماها «كما إلى الأبد»، وجميعها انتهت تقريباً قبل  
فجر الجمعة العظيمة<sup>١٠</sup>.

كان في عادة الشاعر أن يمضي نهار الجمعة العظيمة وحده في وحدة التأمّل،  
حتى إذا طلع الفجر ومرت ساعة ذكرى الصلب، يهاتفني ليقول: «مرةً أخرى...  
عبرت». وهذا ما جرى أيضاً غداة تلك الجمعة الحزينة.

نهار أحدِ الفصح كان مغرقاً في العمل، مبرراً ذلك بـ «أنا مصابٌ بمرضِ العمل». وإنه كان فعلاً فريسةً شعلّةٍ حارقةٍ من الشغف تشدُّ على أحزمة جسده، هي نارٌ  
هائجةٌ مربعبةٌ الإحراق كما في تَنُورٍ مُجَمَّرٍ سَبَعِ مرات. ومراراً كثيرةً كان يصرخ  
لي في لحظات إبداعه القصوى «أنا أحترق... أحترق»، غير واعٍ أنه قالها لي بهذا  
الصراخ.

أحدَ ذاكِ الفصح، قبل خمسة أيامٍ من مغادرته هذه «الأرض الطيبة الخضراء»،  
قال لي بحزم: «أنا أعرف قدري». وبالفعل، كان يعرف قدره طويلاً قبلاً.





جبران في مريول الرسم.  
أوردت باربره يونغ هذه الصورة في كتابها (ص ١٧١)  
على أنها «آخر صورة له قبل وفاته».

١١ يُنْبُتُ باستمرارٍ حدسه هذا. فيها هو ماتَ ذاتَ يومٍ، وما زال يُوَلَدُ كلَّ يومٍ في كتابٍ جديدٍ، في لغةٍ جديدةٍ، في بلادٍ جديدةٍ، كأنه ما زال بيننا يُنتجُ بكامل حَيَوِيَّتِهِ النابضة. أما هكذا الخُلُود؟

كثيرون أسفوا بمرارة لمُغادرته باكراً نحو الغامض، مرددين: «لم يَنْتَهِ عَمَلُهُ  
بَعْدَ»، لكنه هو كان قال:

- أَعْرِفْ أَنَّنِي لَنْ أُغَادِرَ هَذِهِ الْأَرْضَ الْغَرِيبَةَ السَّحْرِيَّةَ الْجَمَالَ قَبْلَ أَنْ تَرَى  
الْمَلَائِكَةَ أَنَّنِي أَنْجَزْتُ عَمَلِي، وَأَعْرِفْ أَنَّ «أَنَا» يَ لَنْ تَمُوتَ وَلَنْ تَغْرُقَ فِي الْبَحْرِ  
الْكَبِيرِ الْمَسْمُومِ اللَّهُ.

لَا أَشُكُّ لِحِظَةً وَاحِدَةً بَأَنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ فَرِيدَةٌ لِاسْتِيعَابِ  
الْحَاجَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَمُسَاعَدَتِهَا كَلِيًّا، كَانَ هُوَ أَيْضًا مَدْرَكًا حَاجَاتِهِ لِعَمَلٍ مُضْنٍ وَصَبْرٍ  
كَثُومٍ عَاشَهُمَا بَدْمَاثَةً وَجَرَاةً مُجَنَّبًا أَحِبَّابَهُ كُلَّ مَا تُؤَلِّمُهُمْ مَعْرِفَتَهُمْ عَنْهُ. وَهُوَ نَطَقَ  
بِحَقِيقَةٍ مَحَتْ كُلَّ ادْعَاءٍ بِحَقِّهِ فِي أَيَّامِهِ الْأَخِيرَةِ، وَسَيَطِرُ عَلَى قَلْقِ الْحَاضِرِ بِعِبَارَةٍ  
وَاحِدَةٍ: «لَنَا الْخُلُودُ»<sup>11</sup>.

كَانَ غَالِبًا، قَبْلَ تَعْبِيرِهِ عَنِ رَغْبَةٍ، يُمَهِّدُ لَهَا بِعِبَارَةٍ «إِذَا مَتَّ اللَّيْلَةَ، ...». وَذَاتِ  
مَسَاءٍ كَانَتْ رَغْبَةُ قَلْبِهِ قَوْلَهُ لِي:

- تَذَكَّرِي أَنَّ أَحَدَ أَعْلَى أَحْلَامِي: أَنْ يَجِيءَ يَوْمٌ مَا، فِي مَكَانٍ مَا، تُعَلِّقُ فِيهِ  
مَجْمُوعَةٌ مِنْ أَعْمَالِي، خَمْسُونَ أَوْ خَمْسُ وَسَبْعُونَ لَوْحَةً، فِي صَالَةٍ مَا، لِمَوْسَسَةٍ مَا،  
فِي مَدِينَةٍ كَبْرَى، فَيَتَسَنَّى لِلنَّاسِ أَنْ يُشَاهَدُوهَا، وَرَبْمَا أَنْ يُحِبُّوهَا.

فِي «حَدِيقَةِ النَّبِيِّ» تَرَكَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ لَبْنَانَ لِمَسَمَّةٍ إِيمَانٍ بَسِيطَةً وَعَمِيقَةً عَمَّا  
خَلَّفَ هَذَا الْبَابَ الَّذِي نَسَمِيهِ الْمَوْتِ:

سَاحِيَا إِلَى مَا وَرَاءَ الْمَوْتِ وَسَاعْتِي فِي مَسَامِعِكُمْ  
حَتَّى بَعْدَمَا مَوْجَةُ الْبَحْرِ الْوَسِيعَةِ تُعِيدُنِي إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ الْوَسِيعَةِ  
مِنْ دُونَ جَسَدٍ سَاجِسٍ مَعَكُمْ إِلَى مَائِدَتِكُمْ  
وَسَأَذْهَبُ مَعَكُمْ إِلَى الْحَقُولِ رَوْحًا غَيْرَ مَرْتِيَّةٍ  
وَأَتِيكُمْ حَتَّى مَوَاقِدِكُمْ ضَيْفًا خَفِيًّا  
الْمَوْتُ لَا يَغْتَبِرُ إِلَّا الْأَقْنَعَةَ عَلَى وَجْهِهَا  
الْحَطَّابُ بَاقٍ حَطَّابًا، الْفَلَاحُ بَاقٍ فَلَاحًا  
وَالَّذِي أَطْلَقَ أُغْنِيَتَهُ لِلرِّيحِ بَاقٍ يَغْنِيهَا لِلْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ.



مدخلان (شرفي وجنوبي) لمستشفى سانت فنسنت.  
توفي جبران في الغرفة ٣١٠ (ضمن الدائرة).

١٢ استعملت باربره يونغ هنا اسمَ جبران الثلاثي، كما وقَّع به مُؤلفاته العربية، وهي نادرًا جدًا ما استعملته هكذا. لكنها كانت تعرف أنه يحب هذه التسمية في أوساطه الخاصة.

١٣ وهو يومُ الجمعة العظيمة لدى الطوائف المسيحية.

١٤ قال لها هذه العبارة حين لاحظَ قلقها وارتباكها فيما كانت تُساعده على نُزول درج المبنى وهي ترافقه إلى المستشفى، بعد سهرها عليه طوال الليلة السابقة. وكانت تلك آخرَ كلماتِ قائلها واعيًا عند العاشرة والنصف صباحًا، قبل أن يدخلَ عند الثانية والنصف بعد الظهر في الغيبوبة الأخيرة على سرير المستشفى، ويلفظُ نفسهُ الأخيرَ عند الحادية عشرةً إلا عشرَ دقائق.

جميع هذه الرؤى في خيال جبران كانت كنوزاً من عالم الروح باقيةً قريبةً من كوكب الأرض الذي أحبه كثيراً. فهو قال:

- أنهدُّ إلى حيثُ الخلود لأنني هناك سألتقي قصادي غير المكتوبة ولوحاتي غير المرسومة.

هكذا جبران خليل جبران<sup>١٢</sup> قدّم ذاته للعالم، وهذا الحبُّ العميق الخالد سيبقى «شرفه وعزاه». فعلى قمة سنواته كان يتقدّم بكل جلالٍ وهيبةٍ وحكمةٍ ووثقى، قائلاً: «الآن سأشرقُ عارياً من أيِّ مكانٍ وزمان».

وهو ما يتطابق مع المقطع الأخير من «آلهة الأرض»:

إله قلبي الذي بين ضلوعي البشرية، ينادي إله قلبي الذي في المدى  
وجحيميّ البشريّ الذي أرهقني ينهدُّ إلى الألوهة  
والجمال الذي نشدناه منذ البدء ينشدُ الآن الألوهة  
كنتُ متنبّهاً إلى كلّ نداء، لكنني الآن أتخلّى عما مضى.  
الجمالُ دربٌ يُؤدّي إلى الذاتِ الطاعنةِ ذاتها  
انقُرْ أوتارَكَ فأعبرْ هذا الدربَ الممتدَّ أبداً إلى فجرٍ آخر.

عند الساعة ١١:٠٠ ليلة ١٠ نيسان من أولِ نهارِ جمعة بعدَ فصح<sup>١٣</sup> ١٩٣١ رحلَ جبران إلى المدى.

وكان قبيل ذلك بادرنى: «خلّيكِ حدّي... لا تتركيني... أنا بخير»<sup>١٤</sup>.

وما رحيلهُ هذا، بعد ساعاتٍ من الصمت التام، سوى نفسٍ طويلٍ عميقٍ، كأنَّ عصفوراً خفياً فرّاً أخيراً إلى نشوة التحليق والحرية.

١ من مقطوعة غير منشورة وجدتها باربره يونغ بين أوراق جبران في المحترف، واحتفظت بها بين أوراقها.

## جاهزٌ أنا للرحيل

تعالوا وِدْعُونِي يَا بَنِي أُمِّي  
ومعكم أولادكم بأناملهم الزهرية المُتَزْنِيقَة  
وليأت كباركم فيباركوا جبيني بأيديهم الراجفة  
وبنات المروج والحقول فَيْرِينَ ظلال المجهول تعبرُ تحت حاجبي  
ويُصغين إلي صدى اللانهاية في رَمَقِي الأخير.  
ها إني بلغتُ القمة وتجاوزتُ نَشِيجَ البشر  
ولم أَعُدْ أَسْمَعُ إِلَّا نَشِيدَ الخلود الواسع'.

في نيويورك كما في بوسطن - سكّنه الأميركي الأوّل - بدا من آلاف المُشيعين  
أنّ «أنا» جبران «لن تغيب عن الأرض». فطيلة يومين كاملين في بوسطن، وبينهما  
ليلة كاملة، كان الراقِدُ مُمدّداً بين شبّانٍ من بلدته الأمّ يحرسون جثمانه على مدار  
الساعة، فيما سيَلُ طويلٌ من المُعزّزين، معظمهم من شعب بلاده، يَمْرُونُ خاشعين،  
على شفاههم - كباراً ويافاعين - تَمْتَمَةٌ باكيةٌ واحدة: «حبيبي».

كنتُ جالسةً قبالتهم، في زاوية شبه مظلمة، فَخِيلُ إِلَيّ ذات لحظةٍ أن ما يجري  
أمامي كأنه من زمن آخر، في مكانٍ ناءٍ، وبين هؤلاء الحضور من قد يكون بطرس،  
أو يوحنا الحبيب، أو ناسكاً مُلتَحِياً أو تائهاً من الصحراء، لشدة ما حافظ هؤلاء  
المعزّون على شخصياتهم الأصلية. وكم مرةً جثا أحدهم وبكى مُجهّشاً، فيما حرّسُ



الخورأسقف أسطفان الدويهي (١٨٨٢ - ١٩٥٩) ابن إهدن،  
صديق جبران وجارّه.

كان له فضل الإصرار، لدى المراجع الدينية، على إقامة الجناز لجبران  
في كنيسة سيدة الأرز المارونية (بوسطن) بعدما تعالت أصوات  
ترفض إقامة مراسم الدفن لاعتبارهم أن جبران لم يكن مؤمناً  
ولا ممارساً الطقوس الدينية.

٢ وهو طبعاً شعورٌ يوُلِّده إيمانها بالتقمُّص، وبأن الروح في هذا المسجّي أمامها انتقلت إلى  
جسدٍ آخر حيّ.

٣ إلى كونه صديقهُ المُخلص كان جارّه في بوسطن، ساكناً في المبنى الملاصقِ المبنى ٧٦  
(شارع تايلر) الذي تسكن في طبقتة الثانية مريانا شقيقة جبران. حين كان جبران يأتي  
إلى بوسطن كان الخورأسقف يزوره عابراً السطح الملاصق سالكاً سلّمه الخارجي إلى  
تلك الطبقة الثانية حيث جبران، من دون نزوله إلى مدخل المبنى في الشارع. وهو وُلد  
في إهدن سنة ١٨٨٢، بدأ حياته الرهبانية أمين سر البطريركية المارونية في بكركي مع  
البطيريك الياس الحويك، وبهذه الصفة رافق الحويك إلى مؤتمر الصلح في باريس سنة  
١٩١٩. ثم انتدبه البطريرك لاحقاً راعي أبرشية سيّدة الأرز في بوسطن فتوثقت علاقته  
بجبران. وبشخصيته القوية الهازمة نجح لدى المرجعيات المارونية في إقامة المراسم  
الدينية لدُفنة جبران وفق الطقس الماروني مع أن جبران، قبل ساعات من وفاته، رفض  
اقتبال المَشحة الأخيرة لدى إدخاله إلى المستشفى. سنة ١٩٥٩ شب حريق في كنيسة  
سيدة الأرز وهرع الخورأسقف الدويهي لينقذ أواني المذبح والقربان المقدّس لكنّ  
الدخان تكثّف في الداخل فمات مُختنقاً.

الشرف حول النعش مسَّرون بلا حراكٍ إِلَّا مِنْ تَرَفُّقِ الدموع حافيةً على خُدودهم الحزينة.

وباقيةً غريبةً حتى اليوم ظاهرةً أَنْ طيلةَ أيامِ مراقبتي فصولَ تلك الطقوسِ المارونية القديمة، ضيلاً كان في قلبي شعورُ الحزن والفراق<sup>٢</sup>، ولكنني لن أنسى إعجابي بها وبتأثير أولئك الناس الطيبين، والسناء المأساوي على وجوههم، وكلماتِ خاطبوني بها عن هذا الرجل الحبيب الراقِد ساكناً أمامهم. كنتُ كأنما أُخاطبني: «لَهُمْ هو. ينتمي إليهم. أَنْتِ أُعْطِيتِ نعمةَ صداقتهِ فترةً وجيزةً، أمَّا هو فمن نسيجِ نَفْسِهِمْ وكيانِهِمْ. خَلِيكَ بعيدةً، ودَعِيهِ لِحَبِّهِمْ إِيَّاهِ وحنانِهِمْ الكَسِيرِ».

في كنيسة «سيدة الأرز» كانت مراسمٌ، وكان كاهنٌ هو الخورأُسقف اسطفان الدويهي، صديقُ الشاعر فترةً طويلةً<sup>٣</sup>، يرئس الجنَّاز بالسريانية، فيما قندلفتُ شابٌ يلوِّح بمُخْرَةٍ، وصبيَّةٌ سوريةٌ تُنشدُ بِلُغَتِهِ الأمُّ ترنيمةً قديمةً من بلادها كان جبران أحياناً يَسْمَعُهَا منها.

كانت الكنيسة الصغيرة مكتظةً حتى الأبواب، في جَوٍّ من الحزن العميق، وخارجها مئاتٌ لم يجدوا مكاناً لهم فيها. عند انتهاء الجنَّاز، لدى خروجي بين جمهور المُحتشدين، رأيتُ ما لا نراه في مدينة غربيَّة: مئات الراكعين على الأرصفة ووسط الشوارع، ويسري بينهم صوتٌ نحيبٍ خفيضٌ كأنَّ إيقاعه علويٌّ غيرُ أرضيٍّ. بعد مرور النعش كان الراكعون ينهضون ويمشون خلفه. وتوقَّف السير في مدينة بوسطن نحو عشرين دقيقة خلف موكب المُشيِّعين السائر إلى مقرِّ مَوْقَتٍ يضمُّ رفات هذا الرجل من لبنان.

بعد أسابيع، بدأتُ رحلةً عودة جبران الصامتةً إلى وطنه. ذات صباحٍ مُوسَى بضبابٍ كم كان يحبُّه، نُقل جثمانه من المقبرة في بوسطن إلى رصيف مرفأٍ بروفيدينس، استعداداً للرحلة الأخيرة في هذا الحجِّ الأرضيِّ. وكان موكبُ سياراتٍ طويلٌ يخترقُ مطرَ الشوارع غرباً ذاك الصباح لوداع الشاعر الرسام، وتعزية شقيقته مريانا التي ترافق حبيبها إلى بيروت فبشْرِي.



٤ «نشيدُ الحُجَّاجِ»: مقطع من أُوپِرا «تأنهاؤزِرُ» (١٨٤٥) للمؤلف الموسيقي الألماني ريتشارد واغْنِر (١٨١٣-١٨٨٣). والنشيد يستعيد رحلة الحُجَّاجِ إلى روما تائبين طالبين المغفرة عن خطاياهم.

٥ مشهدٌ وداعيٌّ موسيقيٌّ حزينٌ لدى وفاة الأم الفلَّاحة «آسا»، والدة الفتى «بير» الذي على اسمه وُضِعَ الكاتب المسرحي النرويجي هنريخ إِنْسِن (١٨٢٨-١٩٠٦) مسرحيته «بيرُ جِنْتُ» (١٨٦٧). أُلِّفَ موسيقاها سنة ١٨٧٥ النرويجي إدوارد غريغ (١٨٤٣-١٩٠٧).

٦ كتبتُها الشاعرة الإنكليزية سارة فولر آدامز (١٨٠٥-١٨٤٨) مستوحيةً إياها من روايةٍ في العهد القديم (سفر التكوين، الفصل ٢٨، الآيتان ١١ و١٢) عن النبي يعقوب الذي رأى في حُلْمِهِ سُلْمًا مُمتدًّا إلى السماء ترتقيه الملائكةُ، ف شعر أنه بذلك يكون أقربَ إلى رؤْيَةِ وجه الرب.

ولأنني كنت أعرف شغفه بالمطر والثلج وبـ«كل ما ينزل من السماء»، تذكّرتُ كم قال لي عند عصف الرياح، ودمدمته العواصف تضرب نافذة محترفه العالية: «أشكر الله عليها. إنها تُحرّر ما يكون في مكبوتاً». وكم شعوره ذاك يطابق هذا المطر الهاتل في وداعه كأنه شاهد على كل ما كان مكبوتاً فيه وتحرّر. في ميناء بروفيدينس احتشد الرصيف بمئات من جاؤوا حباً وحنناً يودعون الراحل.

وأمام النعش المُعطى بالعلمين الأميركي واللبناني، أُلقيت كلمات فخر وأسى، كانت خاتمتها كلمات هذا المقطع من «النبى» بلسان «الميترا»:

يا بني أمي الدهرية، يا مُمتطي الأمواج،  
طويلاً أبخرتم في أحلامي، وها جئتم إلى يقظتي التي هي حلمي الأعماق.  
جاهز أنا للرحيل  
أشرعتي منصوبة، ولهفتي تنتظر هبوب الرياح.

بعد كلمة رثاء ووداع من الخورأسقف اسطفان الدويهي، حمل النعش، ملفوفاً بالعلمين اللذين أحبهما هذا الرجل، وأدخل إلى السفينة فيما آلات النسخ تعزف «نشيد الحجاج» من أوبرا «تاناووزر»، ومقطوعة «موت آسا» من مسرحية «بيز جنث»، وأنشودة «بت أقرب إليك يا ربي»<sup>٦</sup>.

أقلعت السفينة عن رصيف الميناء خاتمة آخر فصل أرضي من حياة عظيم عاش على هذه الأرض الغربية التي من حجر وفولاذ، وغادرها تاركا صمماً بعيداً وفراغاً في قلوب وأمكنة عرفته ولن تراه بعد اليوم، إنما تاركا ذاكرة حية تنضح في كلماته:

وداعاً يا أهل أوفليس  
هوذا النهار انقضى  
ما أعطينا هنا، نحفظ به  
وإذا لم يكف نعود فلتقتي ثانية، ومعا نرفع أيدينا صوب الوهاب الأكبر.  
تذكروا أنني سأعود إليكم.

**Annotated Index to  
the *Syrian World*, 1926-1932**

Immigration History Research Center  
UNIVERSITY OF MINNESOTA

فهرس كامل لجميع المواد في مجلة «العالم السوري»، من عددها الأول (١٩٢٦) حتى الأخير (١٩٣٥) بحسب الأسماء وحسب عناوين النصوص. وفيه تَبْتُ كامل بنصوص جبران. الفهرس من إعداد «مركز أبحاث تاريخ الهجرة» في جامعة مينيسوتا.



Salloum Mokarzel, editor of the *Syrian World*  
(reprinted from *Al-Hoda*, 1898-1968, New York: Al-Hoda Press, 1968)

سلوم مكرزل (١٨٧٩-١٩٥٢) صاحب مجلة «العالم السوري» التي نشر فيها جبران مقطوعات إنكليزية كثيرة. وخصت له ملحماً خاصاً بعد وفاته.

**THE  
SYRIAN WORLD**

SALLOUM A. MOKARZEL, *Editor*.

PUBLISHED MONTHLY BY THE SYRIAN-AMERICAN PRESS

104 GREENWICH STREET, NEW YORK, N. Y.

By subscription \$5.00 a year.

Single copies 50c.

Entered as second-class matter, June 25, 1926, at the post office at New York, N. Y., under the act of March 3, 1879.

مجلة «العالم السوري» - الناشر: سلوم مكرزل - تصدر شهرياً عن المطبعة السورية الأميركية عنوانها: المبنى ١٠٤ - شارع غرينويتش - مدينة نيويورك - الاشتراك السنوي: ٥ دولارات. مسجلة لدى دائرة البريد في نيويورك (٢٥ حزيران ١٩٢٦).

٧ خطبة «الوداع»، الفصل الأخير في كتاب «النبى».

٨ العالم السوري» - السنة السادسة - العدد الأول - أيلول ١٩٣١ - الوصف الكامل: ص ١٤ إلى ١٧.

قليلاً بعد، وَيَجْمَعُ تَوْقِي حَفْنَةً زَبَدٍ وَغِبَارٍ لِجَسَدِ آخَرَ.  
قليلاً بعد، لَحْظَةً رَاحَةٍ فِي رَحْمِ الرِّيحِ، وَتَلْدُنِي امْرَأَةٌ أُخْرَى.<sup>٧</sup>

حين غاصت المرساة ورسّت السفينة عند ميناء مار جرجس الجميل في بيروت، أتت وطئته لبنان شهادةً أخرى على تكريمٍ واعتزازٍ «لم يعرفهما من قبل تاريخ لبنان العريق». وشهدت الصحافة العربية أنّ لم يتل بعد هذا التكريم رجل حيّ أو ميت. من بعيدٍ ومن قريبٍ تقاطر المشييعون إلى عاصمتهم بيروت، وبينهم من جاء من خارج لبنان، من سوريا الكبرى. ذلك أنّ الأجراس أعلنت النباء في جميع الأنحاء عن وفاة هذا الرجل من لبنان، هو الذي حقق أجمل أحلامهم فهاج حزّهم يوم وداعه. من دمشق التاريخية جاؤوا، من حمص، من حماة، من أنطاكية، من صيدا، من طرابلس، من الأراضي المقدسة في الجنوب، جميعهم جاؤوا يكرمون الراحل.

ونشرت مجلة «العالم السوري» وصفاً رسمياً للماتم، منه:

استقبل الجثمان باحتفال رسمي ضخم. حضر رجال الدولة إلى الميناء بلباسهم الرسمي، وحضر الكهنة بلباسهم الكنسي، وحضرت حشودٌ ممن كانوا الأحبّ والأقرب إلى قلب الشاعر الميت.

من الميناء حمل الجثمان إلى كنيسة مار جرجس المارونية، فاستقبله على مدخلها الأسقف أغناطيوس مبارك مطران بيروت مُحاطاً بالإكليروس، وشط تراتيل جنائزية سريانية.

ولفت بين الحضور مشهد نساءٍ ورجال جاؤوا من بُشْرِي في شمال لبنان، مرتدين ملابسهم التقليدية وعلى وجوههم الشامخة ملامح حزن عميق.<sup>٨</sup>

وحضر كذلك رئيس لبنان ووزراء، وأعضاء من المفوضية الفرنسية العليا، وعناصر من البحرية الفرنسية، يودعون الرجل الصامت في نعشه، «متخلّين عن فوارقهم الاجتماعية والسياسية والدينية». وغادر رجال الدين المسيحيون أديارهم، والمحمديون مساجدهم، واليهود كُتسهم، ليكونوا حول النعش، وجاء مئات من الأولاد والفتيان عرفوا اسم جبران وتعلّموا أن يُحبّوه.

- Gibran, G. Khalil, *The Plutocrat*, Oct. 1928, III, 4: 10.  
*A Man from Lebanon Nineteen Centuries Afterward*, Nov. 1928, III, 5: 21-26.  
*Night* (Translation by Andrew Ghareeb), Dec. 1928, III, 6: 10-12.  
*Defeat* (Poem), Jan. 1929, III, 7: 23.  
*The Great Longing*, Feb. 1929, III, 8: 8.  
*The Saint*, Mar. 1929, III, 9: 13.  
*Fame* (Translation by Andrew Ghareeb), Apr. 1929, III, 10: 28.  
*Out of My Deeper Heart*, May 1929, III, 11: 14.  
*The Two Learned Men*, Jan. 1930, IV, 5: 29.  
*On Giving and Taking*, Mar. 1930, IV, 7: 32.  
*Helpfulness*, Apr. 1930, IV, 8: 13.  
*On the Art of Writing*, May 1930, IV, 9: 26.  
*On Hatred*, June 1930, IV, 10: 28.  
*Greatness*, Sept. 1930, V, 1: 41.  
*On Giving and Taking*, Oct. 1930, V, 2: 38.  
*Song*, Dec. 1930, V, 4: 13.  
*A Marvel and a Riddle*, Jan. 1931, V, 5: 18.  
*Past and Future*, Feb. 1931, V, 6: 40.  
*Speech and Silence*, Mar. 1931, V, 7: 36.  
*Gibran's Message to Young Americans of Syrian Origin* (Reprinted from the First Issue of the *Syrian World*, July 1926), Apr. 1931, V, 8: 44-45.  
*Revelation* (Translated by Andrew Ghareeb), June 1931, V, 10: 24-25.  
*Reflections on Love*, Oct. 1931, VI, 2: 44.  
*The Deeper Pain*, Nov. 1931, VI, 3: 10.  
*The Great Recurrence*, Dec. 1931, VI, 4: 12-14.  
*The Wanderer* (Book Review), Jan. 1932, VI, 5: 42.  
*Freedom and Slavery* (Poem), Feb. 1932, VI, 6: 43.  
*To Young Americans of Syrian Origin*, July 1926, I, 1: 4-5.  
*Youth and Age*, Dec. 1926, I, 6: 3-5.  
*O Mother Mine* (Moulaya), (In Syrian Folk Songs), Mar. 1927, I, 9: 13.  
*I Wandered Among the Mountains*, (In Syrian Folk Songs), May 1927, I, 11: 11.  
*Three Maiden Lovers*, (In Syrian Folk Songs), Aug. 1927, II, 2: 13.  
*The Two Hermits*, Oct. 1927, II, 4: 10.  
*When My Sorrow Was Born*, Dec. 1927, II, 6: 18.  
*War*, Jan. 1928, II, 7: 5.  
*Said a Blade of Grass*, Mar. 1928, II, 9: 11.  
*Critics*, Apr. 1928, II, 10: 34.  
*War and the Small Nations*, May 1928, II, 11: 23.  
*Love* (Poem), June 1928, II, 12: 11.  
*The King of Aradus*, Sept. 1928, III, 3: 17.

تَبَّتْ كامل بنصوص جبران في مجلة «العالم السوري»،  
بحسب العناوين والأعداد وأرقام الصفحات.

٩ هو رائد النحت في لبنان (١٨٨٣-١٩٦٢). زامل جبران في مدرسة «الحكمة» (١٨٩٨-١٩٠١)، وفيها أصدرها مجلة « النهضة » برسوم الحويك ونصوص جبران. وعادا فالتقى معاً سنتين في باريس (١٩٠٩-١٩١٠) حيث درس الرسم في محترف جوليان Julian. والحويك واضع «الباكينتان»، أول تمثال للشهداء في لبنان، تمّ تدشينه في احتفال رسمي نهار الثلاثاء ٢ أيلول ١٩٣٠ في ساحة البرج. نَزَعَتْه بلدية بيروت سنة ١٩٤٨، وهو حالياً عند مدخل متحف سرسق - بيروت.

الأبلُغُ تأثيرًا كانت الرحلة ساحلاً من بيروت إلى طرابلس ثم جبلاً: على طول الطريق كانت كلُّ دسكرةٍ وقريةٍ ومدينةٍ حاشدةً بالأهالي خرجوا لملاقاة الموكب. وراح شبَّانٌ يلاعبون السيوف أمام العربة الحاملةِ النعشِ ببطء، في تقليدٍ تراثي لتكريمٍ مُحاربٍ عائدٍ ميتاً إلى بلاده. وكان شعراء يَرثون فيتمهّل الموكب، ونساءٌ يندُبْنَ بالدقِّ لوعه على صدورهنَّ وَفَقَ ألحان المراثي. ولدى اقتراب الموكب من جبيل - بيبلس التاريخية حيث كان معبد الإلهة عشتروت -، راحت صبايا بملابسٍ بيضاء وخصلات شعرٍ طائفة في الهواء، ينثُرْنَ الورود على الطريق، ويُنشدْنَ زغاريد استقبالي «عريس الأحلام الوسيم» كأنه عائدٌ حياً لا ميتاً، ويرشُشْنَ على التابوت العطور والأزهار.

هذه المشاهدُ - وقد تبدو للعقل الغربي مظاهرَ وثنيةً -، كانت من شعبٍ هو أكثر الشعوب في العالم وفاءً وحبًّا في حالات الحزن، على طريقة أجداده منذ عصور.

في بُشْرِي، على الطرف الآخر من الكرة الأرضية، عند أقدام أرز الرب، مُدِّد جثمان جبران، صديقنا وأخينا، والأكثر من أيِّ سواه شاعرُ الأرز. هناك، سيتألَّفُ البشرأويون: الباقون في مدينتهم الجبلية والمهاجرون منها إلى جميع أنحاء الأرض، ليبنوا ضريحاً يكون مزاراً لجثمان مواطنهم البشرأوي. وهناك سيبنى متحفٌ من رخامٍ صقيل، صممه وينقذه النحات اللبناني الحيُّ الوحيد يوسف الحويك الذي كان صديق جبران الأقرب إبان صباهما تلميذَيْن في مدرسة «الحكمة». وستكون في المتحف تماثيلٌ تُخلد في الحجر أحلاماً خطَّها جبران على الورق أو على قماش الرسم، وباتت الآن في عهدة صديقه النحات.

- Gibran, Barbara Young (Poem), Feb. 1929, III, 8: 32. An effusive testimonial: "Let me pour wonders on his wondrous name . . . All of my days I would lift up his name."
- Gibran a Year After, The Editor, Apr. 1932, VI, 7: 26-33. The first anniversary of the Lebanese poet's passing finds him a universal figure beloved and honored everywhere in the world.
- Gibran Kahlil Gibran, Apr. 1931, V, 8: 18. The Editor pays tribute to Gibran as "one prophet who was honored during his lifetime by his own countrymen."
- Gibran Lives, Claude Bragdon, Apr. 1931, V, 8: 29-30. "Great prophets and great poets are never so alive in the consciousness of men as after they have put off the body. Gibran lives, increasingly and eternally."
- Gibran, The Artist, Dagny Edwards, Apr. 1932, VI, 7: 34-36. An exhibition of Gibran's artistic works at his studio in New York City attracts a distinguished throng of admirers from the realm of the arts and letters.
- Gibran, Tributes to, Gibran's Place and Influence in Modern Arabic Literature, Dr. Philip K. Hitti, Feb. 1929, III, 8: 30-32. Dr. Hitti pays fitting tribute to Gibran not only as an artist and a poet concerned with beauty, but also as a prophet and teacher of mankind.
- Gibran, The Spirit of (Poem), Amin Beder, May 1931, V, 9: 18. The poet speaks to Gibran's soul now on the "boundless shoreless sea." Gibran answers that his eyes and heart are still with his people.
- Gibran's Funeral in Boston, Barbara Young, Apr. 1931, V, 8: 23-25. "Never have I beheld expressions of greater tenderness nor of deeper grief." "This profound and deathless love through which he gave himself in ceaseless measure to the world shall be ever his honor and his reward."
- Gibran's Message to Young Americans of Syrian Origin (Reprinted from the First Issue of the *Syrian World*, July, 1926), G. K. Gibran, Apr. 1931, V, 8: 44-45. Gibran expresses his faith in young Syrian Americans and their potential for contributing to the building of a new civilization in America.
- Gibran's Tears, S. A. Mokarzel, Feb. 1929, III, 8: 32-33. Mr. Mokarzel relates an incident in Gibran's life during World War I that reflects the poet's intense feelings for suffering humanity.
- Gibran's "The Prophet," On First Viewing (Poem), Gertrude Magill Ruskin, Apr. 1932, VI, 7: 33. "Only a pictured face upon a wall / But I well knew / That I had touched God's hand."

تَبَّتْ كامل بما صدر عن جبران في مجلة «العالم السوري»، وفق عناوين النصوص وكتابتها وأرقام الأعداد وصفحاتها.

- ١ وُلِدَ في عيتا الفخَّار (جنوب لبنان) سنة ١٨٩٨. التحق بوالده سنة ١٩١٣ إلى الولايات المتحدة (ماساشوستس). تَرَجَمَ إلى الإنكليزية مقطوعة جبران «أيها الليل» (منشورة في «مرآة الغرب»)، وأرسلها إلى ميخائيل نعيمة الذي أطلع جبران عليها فأعجبته. وبمسعى من نعيمة، تعرَّفَ إندرو بجبران سنة ١٩٢٨، وقرأ له ترجمته مقطوعة «الشهرة». ارتاح جبران إلى أن الترجمة نقلت روحه لا كلماته فقط، فأعطاه إذنًا خطيًا بنقل نصوصه العربية إلى الإنكليزية، هي التي شكَّلت كتاب «قصائد من نثر» الذي تذكَّره باربره يونغ هنا في هذا الفصل. توفِّيَ إندرو في ماساشوستس عن ١٠١ سنة (الأحد ١٢ آذار ٢٠٠٠).
- ٢ العبارات التي اقتطفها باربره يونغ من ترجمة إندرو غريب الإنكليزية، أنقلها هنا بالعربية من نصّها الأصليّ في كتُب جبران.
- ٣ من مقطوعة «على باب الهيكل» في «العواصف» (١٩٢٠).
- ٤ من المقطوعة ذاتها.

## سَلامٌ لَكُمْ

خيوطٌ قليلةٌ بعدُ، وأُكْمَلُ نَسَجَ القِصَّةِ.

بعد ثلاثِ سنواتٍ على وفاة جبران، صدر كتاب «قصائد من نثر»، أرى فيه ملامحَ مفيدةٍ لِمَن يهتمُّون بالغوصِ أعمقَ على الجذور التي نبعَ منها إرثُ الشاعر في عالم الكلمة المكتوبة. الكتابُ ترجمةٌ لنصوصِ جبران كان كتبها بالعربية في سنواتٍ مبكِّرة، مأخوذةٌ من بعض كتبه العربية. ندين بالفضل في هذا الكتابِ إلى عملٍ دؤوبٍ دقيقٍ قام به مواطنٌ لجبران شابٌّ لبنانيٌّ دَفَعَهُ تقديرُهُ النصوصَ الأصليَّةَ وفهمُهُ جوهرها إلى ترجمةٍ إنكليزيةٍ بديعةٍ لاثني عشرَ نصًّا منها. ذاك الشابُّ هو إندرو غَرِيبٌ<sup>١</sup> الذي، بشغفه المُخلص، أنجزَ هذا الكتاب وهو الوحيد المُترجم عن نصوص جبران العربية. وكان إندرو غَرِيبٌ يتردَّد على المحترف، ونال إذنَ جبران للقيام بهذا العملِ المُضني المُحوَّل صياغةً إنكليزيةً سحرَ جبران بالعربية. وكان أن صدرَ هذا العملُ بأفضل حُلَّةٍ وأسلوب.

الصدى العام الذي سمعته عن هذا الكتاب أنه «مُغاير». ورأى البعض أنه لا يُشبه جبران تمامًا. لكنهم مخطئون. فيه نَفَسُ جبران، وفيه جوهرُ جبران، وفيه ذاتهُ الفتيَّة على مدى الكتاب تتكلم بلسانه هو لا بالسنة الآخرين كما في كتبه اللاحقة.

يقول<sup>٢</sup>: قد طَهَّرْتُ شَفِيَّتِي بالنار المقدَّسة لِأَتَكَلَّمَ عن الحب<sup>٣</sup>.

ويقول: وقفتُ بالأمس على باب الهيكل<sup>٤</sup>.



- ٥ من مقطوعة «رؤيا» في «العواصف».
- ٦ من مقطوعة «وعظتني نفسي» في «البدائع والطرائف» (١٩٢٣).
- ٧ من مقطوعة «يوم مولدي» في «دمعة وابتسامة» (١٩١٤).

ويقول: ... التفتُ فإذا بثلاثة أشباح جالسين على صخر قريب<sup>٥</sup>.

ويقول: وَعَظَّمْتَنِي نَفْسِي، يَا أَخِي، فَعَلَّمْتَنِي<sup>٦</sup>.

ويقول: في مثل هذا اليوم وَلَدْتَنِي أُمِّي... في مثل هذا اليوم قبل خمس وعشرين سنةً وَضَعْتَنِي السكينة بين أيدي هذا الوجود المملوء بالصراخ والنزاع والعراك<sup>٧</sup>.

وفي المقطوعة ذاتها يقول:

... وقد أَحْبَبْتُ الناس. أَحْبَبْتُهُمْ كَثِيرًا. والناسُ في شرعي ثلاثة: واحدٌ يَلْعَنُ الحياة، وواحدٌ يُبَارِكُهَا، وواحدٌ يتأملُ بها. أَحْبَبْتُ الأوَّلَ لتعاسته، والثاني لسماحته، والثالث لمداركه.

ويختتم جبران هذه المقطوعة بابتهاالٍ للسلام بديعٍ بموسيقاه وجماله، ومنه هذه الأسطر:

سلامٌ أَيُّهَا الأَعوامُ الناشرةُ ما أَخَفَّتْهُ الأَعوامُ.

سلامٌ أَيُّهَا الأَجِيالُ المُضْلِحَةُ ما أَفْسَدَتْهُ الأَجِيالُ.

سلامٌ أَيُّهَا الزَمَنُ السائرُ بنا نَحو الكمالِ.

واضحٌ هنا أَنَّ المتكلِّمَ ليس «النبي» ولا «يسوع ابن الإنسان» ولا أَيًّا من أَلْسِنَةِ أُخْرَى، بل هو جبرانُ ذاته. ومرارًا سمعْتُهُ يقرأُ تلكَ الكلمات بالذات مترجمًا إيَّاها ارتجالًا من نصه العربي، وأؤكدُ أَنَّ ليس في جميع كتبه الإنكليزية ذرَّةٌ واحدةٌ من جوهر الشاعر تزيد عن جوهره في تلك الكلمات. ولو انها كانت من ترجمته المشغولة، لَمَا كنا افتقدنا لَمَسَةً ليس ينسُجُهَا مثله أحد. مرارًا قلتُ، وأنا واثقةٌ من قولي، أَنَّ ليس يستطيعُ ولن يستطيعَ أحدٌ أَنْ يترجمَ عربيةً جبرانٍ إلى إنكليزيةٍ جبرانٍ كما كان يمكنه هو أَنْ يترجمَهَا.

لكنه لم يفعل. ولا يمكنُ الغوصُ على كنوزِ له وكشْفِهَا، إِلَّا بعملٍ مُخْلِصٍ دَوُوبٍ مِمَّنْ يَمْتَلِكُ اللُّغَتَيْنِ ببراعة.

في حديث إندرو غريب إليّ (الأحد ١٧ حزيران ١٩٩٠ في منزله - سُپرنغفيلد، ماساشوسِتس) قال لي: «سنة ١٩٣٣ حملتُ المخطوطة إلى كنوف فبادرني: «عليك أن تُراجع باربره يونغ. هي الوكيله اليوم على آثاره ومنفذه وصيته». اجتمعتُ بها للمرة الأولى (والوحيدة) في محترف جبران حيث كانت هي وابنتها. وجدتها امرأةً طويلةً على بدانة، قوية الشخصية... اشترطتُ عليّ، كي تَسمحَ بصدور كتابي لدى كنوف، أن تكتبَ هي مقدّمة الكتاب. قلتُ لها إن صديقي ميخائيل نعيمة طلبَ أن يكتبَ المقدّمة، فرفضت في حدة وقسوة وأجابت صارمة: «إذن لن يصدر الكتاب ولن أسمح لك بنشره». قلتُ لها إنني أصدره لدى أيّ ناشر آخر بما أنني أحمل تفويضًا خطيًا من جبران، وأريتها التفويض فانتفضت: «هذا يتيح لك الترجمة لا النشر. أنا وحدي المؤلّجة بالنشر وأنا أُعطي الإذن الأخير». وقعتُ في حيرة لأن نعيمة كان عاد إلى لبنان سنة ١٩٣٢، وكنتُ أنا أيضًا أتهدّي للعودة إلى لبنان، فلم يعد لي إلاّ القبول. وصر الكتاب سنة ١٩٣٤ مع مقدّمة منها ذكرتني فيها بأنني نجحتُ في «استيعاب الأصل العربي لروح جبران ونقل سحره إلى الإنكليزية». وأجرت تعديلات على بعض المقطوعات (منها «أيها الليل») ساكبةً عليها بعض النثرية، مُحفّفةً من ترجمتي شطحات جبران الشعاعية في الأصل العربي (حديثي الكامل مع إندرو غريب صدر في كتابي «جبران خليل جبران - شواهد الناس والأمكنة - الطبعة الثالثة ٢٠١٣ - ص ١٥ إلى ٢٩).

في مقدّمة الكتاب التي كانت لي حظوةً كتابتها، جاء:  
عَلَّ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْقَصَائِدِ الْمُتَرْجَمَةِ بَعْضُ الْوَهْجِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي  
غَدَّتْ أَصُولَهَا الْعَرَبِيَّةُ.  
عَلَّ تُكْتَشَفُ فَتَسْرِي لَمَحٌّ مِنْ وَعْيِ الشَّاعِرِ عَمِيقًا جَمَالَ الْحَيَاةِ وَصَدَقَهَا وَإِيمَانَهُ  
الْعُلُويَّ بَأَنَّ «لَنَا الْخُلُودَ».

عَلَّ فِي إِيقَاعَاتِهَا الرَّائِعَةِ أَصْدَاءٌ نَبْضَاتٍ مِنْ قَلْبِ شَاعِرِهَا.  
عَلَّ فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ بَعْضَ آمَالِ إِنْدَرُو غَرِيبٍ وَأَمَالِي».

قراءتي اليوم هذا الكتيب من جديد، تُعيدُ بي هزّةً ما فيه من قوّةٍ وجمالٍ في  
كل ما يُعلن وكل ما يُضمر. وهو كتابٌ كان جبران سيبتهج به حَفِرًا، كما بَأَيٍّ من  
الكُتُبَاتِ السُّودِ السَّابِقَةِ، قَائِلًا: «يَمَكُنُنَا الْقَوْلُ إِنَّهُ جَيِّدٌ».

قلتُ سابقًا إِنَّ الْخَبِيثَ هُوَ مُسَبَّبُ الشَّرِّ الْوَحِيدُ الَّذِي اسْتثنَاهُ جِبْرَانٌ مِنْ تَقَهُمُهُ  
أَوْ غَفْرَانِهِ، فِيمَا كَانَ يَغْفِرُ لَأَيٍّ سِوَاهُ مَهْمَا كَانَتْ خَطِيئَتُهُ. وَفِي مَقْطُوعَةٍ لَهُ فَتَى،  
بَيْنَ أُوْلِيَّاتِ مَحَاوَلَاتِهِ الْكِتَابَةَ بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ، عَبَّرَ فِي سَدَاجَةِ طِفُولِيَّةٍ عَنِ اقْتِبَالِهِ «مَنْ  
أَخْطَأُوا» كَمَا سَمَّاهُمْ.

ذات عشيّةٍ تلاها أَمَامِي، تِلْكَ الْمَقْطُوعَةُ، مِنْ وَرَقَةٍ مَصْفَرَّةٍ مَرْقُطَةِ الزَّوَايَا رَاحَ  
يَتَأَمَّلُهَا ثُمَّ قَالَ لِي: «بَلِي، ذَاتَ يَوْمٍ سَنَقُومُهَا فَتُصْبِحُ صَالِحَةً». لَكِنَّهُ لَمْ يَقُومْهَا،  
بِمَعْنَى أَنْ يَعِيدَ النَّظْرَ فِيهَا وَيُشَدِّبُهَا بِإِضَافَةِ كَلِمَةٍ أَوْ بِحَدْفِ أُخْرَى، وَهُوَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ  
فِي أَيِّ نَصٍّ لَهُ مِنْ «أَيَّامِ الْفُتُوَّةِ». وَالْقَصِيدَةُ الَّتِي سَأُورِدُهَا هُنَا، أَنْقَلْتُهَا تَمَامًا كَمَا  
كَتَبْتُهَا بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ «أَيَّامِ الْفُتُوَّةِ»، وَهِيَ فِي رَأْيِي «صَالِحَةٌ»، لِمَا فِيهَا مِنْ شَعْفٍ إِلَهِيٍّ  
وَحِنَانٍ يُضِيئَانِ عَلَى رُوحِهِ الْفَتِيَّةِ مِنْذُ مَطَالَعِ شَبَابِهِ. وَهَذِهِ هِيَ الْقَصِيدَةُ:



كتاب «النبى» في عدد من الطبقات في لغات عالمية كثيرة، يرى الباحثان فرنشسكو ميديتشي (إيطاليا) وغلن كليم (أستراليا) أنها بلغت حتى اليوم ١١١ لغة في العالم.

## يسوع يقرع باب السماء

أيتها الآب، يا أبت: افتح بابك  
جئتُ ومعِي صُحبةٌ صالحة  
فافتح الباب كي ندخل  
إننا، واحدنا وكُننا، أولادُ قلبك  
افتح، يا أبت، افتح لنا بابك.



أيتها الآب، يا أبت:  
إتي أقرع بابك  
... ومعِي لَصٌ صُلِبَ اليوم معي  
لكنَّ روحه دَمِئَةٌ ويرجو أن تستضيفه  
سَرَقَ رَغِيماً لأولاده الجياع  
إنما في عينيه نورٌ أعرف أنه يُرضيك.



أيتها الآب، يا أبت، افتح بابك  
... ومعِي امرأةٌ وهبت جسدها للحب فَرَجَمُوهَا بالحجارة  
لكنني، وأنا العارفُ جوهرَ قلبك، دفعْتُهم عنها  
ما زال في عينها البنفسجُ نابضاً  
وعلى شفيتها ربيعك نيساناً  
وفي يديها وفيها حصادُ أيامك  
وإنها راغبةٌ في الدخول معي إلى بيتك.





*Pen and ink sketch made in Paris, 1909 or 10*

من كتيّب باربره يونغ الأول عن جبران،  
وهي كتبت تحت الرسم: تخطيط بالحبر وضعه  
جبران في باريس سنة ١٩٠٩ أو ١٩١٠.

أَيُّهَا الْآبُ، يَا أَبَتِ،  
... ومعِي قَاتِلٌ عَلَى وَجْهِهِ مَلَامُخٌ مِنْ خِيوطِ الشَّقَقِ  
كَانَ يَصْطَادُ لِيُطْعِمَ صِغَارَهُ لَكِنَّهُ اصْطَادَ بَغَيْرِ دُرْبَةٍ  
كَانَتْ عَلَى زَنْدِيهِ حَرَارَةُ الشَّمْسِ  
وَفِي عُرُوقِهِ حَيَوِيَّةُ أَرْضِكَ  
رَاحَ يَبْحَثُ عَنْ صَيْدٍ حَيْثَمَا الصَيْدُ مُحْرَمٌ  
وَكَانَ قَوْسُهُ وَسَهْمُهُ مَشْدُودَيْنِ فَارْتَكَبَ الْقَتْلَ  
وَلَأَجَلَ ذَلِكَ جَاءَ الْآنَ مَعِي.



أَيُّهَا الْآبُ، يَا أَبَتِ، إِفْتَحْ بَابَكَ  
... وَمَعِي سِكِّيرٌ عَطِشٌ إِلَى غَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ  
تَوَاقُّ لِلْجُلُوسِ بِكَأْسِهِ إِلَى مَائِدَتِكَ  
فِي يَدِهِ الِيمْنَى الْوَحْدَةَ، وَالْوَحْشَةَ فِي الْيَسْرَى  
تَفْرَسَ عَمِيقًا فِي كَأْسِهِ فَرَأَى نُجُومَكَ تَتَلَأَأُ فِي الْخَمْرَةِ  
عَبَّهَا نَهْمًا حَتَّى النَّقْطَةِ الْآخِرَةِ  
لَعَلَّهُ يَبْلُغُ سَمَاءَكَ  
لَعَلَّهُ يَبْلُغُ ذَاتَهُ الْكَبْرَى  
لَكِنَّهُ تَرْنَحُ فِي خَطْوِهِ فَوْقَ  
نَهَضْتُ بِهِ يَا أَبَتِ عَنْ بَابِ الْخَمْرَةِ  
وَجَاءَ مَعِي وَهُوَ يَضْحَكُ مَعْظَمَ الطَّرِيقِ  
لَكِنَّهُ الْآنَ يَبْكِي وَتُوجِّعُهُ رَحْمَتُكَ  
لِذَا جِئْتُ بِهِ عِنْدَ بَابِكَ.







صورة غير معروفة لمريانا جبران (بوسطن - حزيران ١٩٥٩). وهي هنا مع جين جبران (زوجة النحات خليل جبران) حاملَةً طفلتها نيكول يوم تنصيرها، وكانت مريانا هي العرَّابة في المعمودية، مثلما كان جبران خليل جبران عرَّاب النحات خليل يوم تنصيره سنة ١٩٢٢. والطفلة نيكول، سُميت رسمياً نيكول روز: نيكول على اسم جدِّها لأبيها نقولا جبران (ابن عم الشاعر)، وروز على اسم جدِّتها لأبيها روز زوجة نقولا جبران.



مريانا جبران (٧٨ سنة) في آخر صورة معروفة لها (تموز ١٩٦٢). بعدها أخذت صحتها تتدهور عاماً بعد عام حتى ١٩٦٨، حين لم تُعد قادرة على الحركة، فنُقِلت إلى بيتٍ للعَجَّز بقيت فيه أربع سنوات حتى وفاتها مساء الثلاثاء ٢٨ آذار ١٩٧٢.

أَيُّهَا الْآبُ، يَا أَبَتِ، افْتَحِ الْبَابَ  
... وَمَعِي مُقَامَرٌ كَانَ يَنْوِي تَحْوِيلَ مَلْعَقَةِ الْفِضَّةِ شَمْسًا ذَهَبِيَّةً  
وَكَعْنَكِبُوتٍ مِنْ عَنَاكِبِكَ شَاءَ أَنْ يَنْسَجَ بَيْتَهُ بِخَيْطِطِكَ  
وَيَتَرَقَّبَ ذَبَابَةً كَانَتْ بَدُورَهَا تَصْطَادُ صِغَارَ الذُّبَابِ  
لَكِنَّهُ خَسِرَ، كَمَا يَخْسِرُ الْمُقَامِرُونَ،  
حَتَّى إِذَا التَّقِيْتُهَا تَائِهًا فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ  
وَرَأَيْتُ فِي عَيْنَيْهِ أَنَّ فَصَّتَهُ لَمْ تَتَحَوَّلْ ذَهَبًا  
وَأَنَّ خَيْطِطَ حُلْمِهِ تَقَطَّعَتْ  
عَرَضْتُ عَلَيْهِ مِرَافِقَتِي إِلَيْكَ قَائِلًا:  
«تَأَمَّلْ فِي وُجُوهِ إِخْوَتِكَ وَوَجْهِي  
وَهَيَّا: نَحْنُ ذَاهِبُونَ إِلَى الْأَرْضِ الْخَصِيْبَةِ خَلْفَ تَلَالِ الْحَيَاةِ، تَعَالَ مَعَنَا»  
وَهَا هُوَ جَاءَ.



أَيُّهَا الْآبُ، يَا أَبَتِ، هَا بِإِبْنِكَ انْفَتَحَ  
عَيْنُكَ عَلَى أَصْدِقَائِي  
بَحَثْتُ عَنْهُمْ فِي بُعْدٍ وَفِي قُرْبٍ  
وَكَانُوا عَلَى جَزَعٍ فَخَافُوا أَنْ يَجِيئُوا مَعِي  
حَتَّى كَشَفْتُ لَهُمْ عَنْ وَعْدِكَ وَرَحْمَتِكَ



الآن ...  
وَبَابِكَ فَتَحَتْ  
وَاسْتَقْبَلَتْ رِفَاقِي وَبِهِمْ رَحَّبَتْ  
لَمْ يَعْذُ فِي الْأَرْضِ خَطَاةً مَنْفِيُونَ عَنْ لِقَاءِ وَجْهِكَ الْجَمِّ  
وَلَمْ يَعْذُ جَحِيمٌ وَلَا مَطْهَرٌ  
مَا عَادَ إِلَّاكَ فِي السَّمَاءِ  
وَعَلَى الْأَرْضِ الْإِنْسَانُ ابْنُ قَلْبِكَ الدَّهْرِيِّ.

٩ هو النحات خليل جبران الذي وَضَع لاحقًا، مع زوجته جين، كتاب «خليل جبران - حياته وعالمه» وهو، منذ صدر سنة ١٩٧٤، أفضلُ سيرةٍ دقيقةٍ شبه يوميةٍ عن جبران. كان نقولا جبران هاجر من بُشْرِي إلى بوسطن سنة ١٩٠٥، وفيها تزوّج من نسيبته روز، وكان جبران إشبِيَتْهما في العرس، ثم عرَّابَ أولادِهما الخمسة في المعمودية، وهو الذي سمَّاهم جميعًا على التوالي: هوراس، سوزان، خليل (النحات لاحقًا، وُلِدَ في بوسطن سنة ١٩٢٢)، حافظ، سلمى. وهكذا كلُّ من أولادِ نقولا كان فُلْيُون جبران. وطبيعيٌّ أَنْ يَكْتُبَ خليل أفضلَ سيرة عن عرَّابه جبران لأنه الأقربُ إليه نسَبًا وإقامةً إذ عاش قريبًا من مريانا شقيقة جبران، وهي التي زوَّدَتْه بمعلوماتٍ حيَّةٍ عن حياة شقيقها، وبوثائقٍ أصليَّةٍ أدرجها في كتابه. وهو ما لم يتوفَّر لسواه من كُتَّاب سيرة جبران.

١٠ هذه الرؤيا عادَ فَنَسَجَهَا قطعَةً جميلةً على لسان الجِدَّة ذاتها في الفصل الثاني «حنَّة أم مريم» من كتابه «يسوع ابن الإنسان»، ومَطَّلَعُها: «يسوع، ولَدُ ابنتي، وُلِدَ هنا في الناصرة، في شهر كانون الثاني، وليلة مولده زارنا رجالٌ من المَشْرِقِ،...».

هكذا كان جبران.

وجوانبه المتعدده واضحة في جميع كتاباته وكتبه. وجدت كتاباتٍ منثورة على قصاصاتٍ ورقٍ محفوظةٍ بحرصٍ كثير، كأنها ومضاتٌ تشعُّ فتضيءُ فلَكَ حياته. بينها فقرةٌ بخطِّه عن مُخيِّمٍ في لبنان مع رفاقٍ له إبَّان دراسته هناك:

حين أنام في العراء قبالة النجوم، كان رفيقٌ يسألني: «كم عالٍ أنت؟» فإن كنتُ على نعاسٍ أُجيبُه بصوتٍ متناقل: «جِدًّا»، وإن لم أكن على نعاسٍ أُجيبُه: «قليلاً». وحين يسألني آخر: «والآن، كم بعيداً أنت أيها المجنون؟» لا أُجيبُه لأنني أكونُ عاليًا. ومن قصاصةٍ أخرى قرأ لي يومًا:

غريبٌ جمالُ الصحراء. إن سمعتُ نايًا في بحر الليل واستدرتُ تسأليني: «خليل؟ أأنت من ينفخ في الناي؟» أُجيبك: «كَلَّا. إنه صوتٌ يأتينا من أميالٍ خمسة عشر أو سبعة عشر». الليل ساكنٌ والنجومُ دانية.

وكثيرًا ما قال لي خواطر غنيّة القيمة والجمال. منها:

رويْتُ لك كيف في طفولتي كنا نذهب، كجميع أهل القرية، إلى الكنيسة عشية الميلاد، مُصعّدين في الثلج الصامت، كلُّ يحمل قنديله المضاء ثاقبًا عتمة الليل، وكيف عند انتصاف الليل تتصاعد أصواتُ الأجراس مع أصوات الكبار والأطفال بترتيلةٍ قديمةٍ من الجليل، فأحس كأنَّ سقْف الكنيسة الصغيرة انفتَح على وساعة السماء. اليوم ما زال في تلك الكنيسة ذاتها منبرٌ للقراءة نَحْتَهُ ابن عَيِّي نقولا، وهو والدُ الفتى خليل، فليؤني بالمعمودية. كم أتمنّى رؤية هذا المنبر والإصغاء إلى كلماته الحافية.

ومنها:

كنتُ أفكّر في جدّة يسوع واعتزازها به. تخيّلها تحمله بحنانٍ وفرحٍ إلى سطح البيت مساءً كي تُريه نُجوم الليل. وحين شَبَّ، تخيّلها، وعلى شفّتها بسمه، ترفع إصبعها بزجرٍ حنون. صحيح أنه كان صبيًّا كسائر الصبيان، لكنّ تصرفاته كانت حكيمةً وناضجة، ولم يكن يُطيع من النساء نصائحَ خاطئة<sup>1</sup>.

- ١١ أَيْكون هنا يتماهى مع سنوات عُمر المسيح الثلاث والثلاثين؟
- ١٢ من مصر القديمة: مجموعة وثائقٍ دينيةٍ ونصوصٍ جنازيةٍ وتعاويزٍ سحريةٍ، كانت دليلَ الميت كي تساعدَه في رحلة الآخرة إلى العالم الآخر.
- ١٣ مجموعة أقوال زرداشت، يقال إنها كُتبت على ١٢ ألف قطعة من جلود البقر، اندثر معظمها مع الزمن. هو الكتاب المقدس لدى أتباع الديانة الزردشتية، مكتوب باللُغة الأُفْسُتِيَّة القريية من السنسكريتية الهندية القديمة التي فيها كلمة «أفستا» تعني «أساس البناء القوي».
- ١٤ أحد كُتب التوراة في العهد القديم. رأى فيه المؤرخون مجموعة قصائد في موضوع الشر وتجادلوا: كيف يمكن أن يكون الله خالقَ هذا الشرِّ الذي يعدُّب البشرية.
- ١٥ كائنٌ أسطوري من بلاد ما بين النهرين، له رأس إنسانٍ وجسمٌ أسدٍ وجناحا نسر. جاء في الأسطورة أنه لامرأة تحرس المعبد وتقتل كلَّ من يقترب منه إن لم يكن صالحًا ونقيًا كي يستاهل دخول المعبد.

ومنها:

لو كان علينا، أنتِ وأنا، ألا نقول في خمس دقائق إلا الحقيقة الكلية، لانصرف عنا جميع أصدقائنا، وفي عشرٍ لُنفيْنَا من البلد، وفي خمسٍ عشرةٍ لُننقنا.

ومنها:

أؤمُنُ أنَّ في العالمِ جماعاتٍ وأفرادًا أقاربُ أيًّا يكنُ عزقهم، يعيشون في حالةٍ وعيٍ واحدة. هذه، في ذاتها، قربي.

ومنها:

حين وُلدتُ قلتُ إني سأعود. حين كنتُ في الثالثة هبَّت على بُشْرِي عاصفةٌ فمزقتُ ثوبي صارخًا: «أنا ذاهب مع العاصفة». في الثانية عشرة قلتُ: «سأبقى هنا بعض الوقت لأنَّ لديَّ ما أقوله». في العشرين نسيْتُ ما كان لديَّ لأقوله. في الثالثة والثلاثين بدأتُ أتدكَّرُ<sup>١١</sup>.

ومنها:

لو لم تكن في الجلد إلا نجمةٌ واحدة، وعلى الأرض إلا زهرةٌ واحدة بيضاء دائمة الأرج، وإلا شجرةٌ واحدة ناشبةٌ في السهل، ولو لم يكن الثلج يسقط إلا مرة كل مئة عام، لكنَّا وعينا جودَ ذاك اللامحدود.

ومنها:

فلنخلق الجمال، وليسقط كل ما عداه.

ولجبران كلماتٌ كثيرةٌ في الفن والشعر دَوَّنها في أويقاته. منها:

أرى أنَّ الفنَّ اليومَ مدينٌ بأفضل عناصره للعرب الذين حافظوا بأمانةٍ على روح ما جاء في «كتاب الموتى»<sup>١٢</sup>، والـ «أفستأ»<sup>١٣</sup>، و«سفر أيوب»<sup>١٤</sup>، وأسطورة الثور الكلداني المُنح<sup>١٥</sup>. وبـ «الفن اليوم» أعني شغفًا شبه دينيٍّ لم يبلغ عمره القرن بعد، هو الرابط الذهبي بين الإنسان اليوم والإنسان الأعظم غدًا. فالفنان الإغريقي كان ذا عين أذكى ويِد أمهر من الكلداني أو المصري، إنما لم تكن له عينٌ ثالثةٌ كما لهما. واليونان استعارت آلهتها من كلدانيا وفينيقيا ومصر، وأخذت عنها كلَّ دُرْبَةٍ إلا الرؤيا والبصيرة

٨ في الميثولوجيا اليونانية هو الذي سرق النار المقدسة من الأولمپ وحملها إلى البشر كي يستمدوا منها نار التدفئة ونور الإضاءة. عاقبه زوس كبير الآلهة بتقييده إلى صخرة في جبال القوقاز يقصدها نهاراً نسرٍ ينهش كبده الذي ينمو ليلاً ليعود النسر ينهشه نهاراً، في رمزٍ إلى عذابٍ أبديٍّ لا ينتهي.

٩ شاعر إنكليزي (١٧٩٥-١٨٢١) شكّل مع اللورد بايرون وپرسی شيلي ثلاثي الأدب الرومنطقي الإنكليزي. انقصف في ربيعہ الخامس والعشرين.

١٠ شاعر إنكليزي (١٧٩٢-١٨٢٢) اشتهر شعره بالغنائية والنفس الفلسفي. ظهر تأثيره بعد وفاته الباكرة في ربيعہ التاسع والعشرين.

١١ شاعر إنكليزي (١٥٥٣-١٥٩٩) اشتهر بملحمته «الملكة الجنيّة» (١٥٩٠- ستة أجزاء) وهي من أطول ملاحم الأدب الإنكليزي.

١٢ شاعر إيطالي (١٢٦٥-١٣٢١) من أشهر شعراء القرون الوسطى. رائعته «الكوميديا الإلهية» (١٣٢٠) بالمحكية التوسكانية أسست اللغة الإيطالية.

ووعِيَ ما هو أعمقُ من العُمق وأرفعُ من العُلُوِّ. جَلَبَتْ من بيبيلوس ومصر القديمة الكأسَ والإبريقَ لا الخُمرة. شَكَلَتْ من الإبريقَ البسيطَ والكأسَ العاديةِ أوَانِيَ ذهبيةً لكنها لم تملأهما إلاً بالواقعية السائلة. في رأيي أَنَّ الكائنَ الأسمى في الميثولوجيا اليونانية هو پرومِيثيوس<sup>١</sup>، إنما لا نُنْسِنَنَّ بأنَّ حاملَ النارِ الأصليِّ ليس يونانيًّا بل كلدانيِّ، عرفتهُ شعوبُ آسيا الغربية قبل حرب طروادة بألْفِي سنة. قليلةٌ في العالمِ هي الشعوب التي تحبُّ الفنَ الإغريقيَ مثلي، لكنني أُحِبُّه لِمَا فيه لا لِمَا ليس فيه. أُحِبُّ ما فيه من فتنةٍ ونبضارةٍ وجمالٍ وكلِّ جلالٍ ماديِّ إغريقيِّ، لكنني في جميعِ هذه لا أجدُ الإلهَ الحيِّ بل أَتَلَمَّسُ ظلاً لظِلِّه.

ومن آرائه في الأدب:

لعلَّ أعظَمَ الآداب: العربيةُ - أو بالأحرى السامية لأنني أُضَمِّن فيها العبرية - ثم اليونانيةُ فالإنكليزية. العبريةُ الأَلَّا تُقْبَلُ ظواهرُ أمورٍ كما هي. كيتس<sup>٢</sup> وشِلي<sup>٣</sup> لم يقبلأها. أَحَبُّنا المَشْهَدَ الأدبيَّ الإنكليزيَّ إنما أعطياه بُعدًا مغايِرًا من عالمِ خيالي. وكذا فعَلَّ قبلهما سِپنسر<sup>٤</sup>. كان اليونان والرومان داخلَ بيئتهم في العالمين الإغريقي والروماني ولم يكونوا غرباءَ فيها. وكذا كان الفرنسيون في بيئتهم وارتضوها. دانتِه<sup>٥</sup> ثار على بيئته وكان أعظَمَ الرافضين.

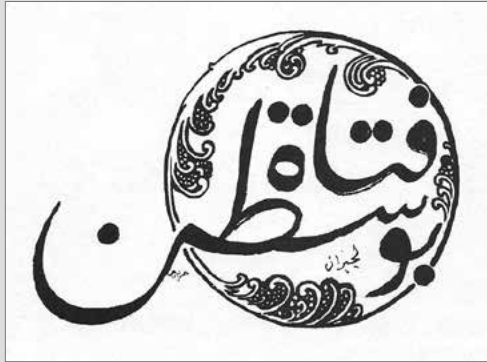
وعن شِلي كتب:

كان في ذاته عالمًا. وكانت له رُوحٌ إلهٍ وثَّاب. وبرغم حُزنه وضعفه وحنينه إلى بيئته، راحَ يُمضي وقته يغتني عوالمَ أُخرى. هو الأَقْلُ إنكليزيةً بين الشعراءِ الإنكليز، والأَكْثَرُ شرقيةً بينهم بالمنظار الشرقي.

أخيرًا، قبل أسابيع قليلةٍ من قراره المفاجئِ البدءِ في كتابة «يسوع ابن الإنسان»، كتب في بوسطن رسالةً، منها:

ليلة أمس رأيتُ مُجدِّدًا وجهه أوضح من أيِّ مرةٍ قبلاً. لم يكن وجهه صوبي بل كان يتطلَّع بعيدًا إلى وساعة الليل. رأيتُ جانبًا من وجهه. بدا صافيًا وصارمًا معًا. تَهَيَّأ لي في لحظةٍ أنه سيبتسم لكنه لم. كان فتنيًا، خالدًا، بلا ملامح عُمر. لم يكن إلهًا بل ابنَ الإنسان، مواجهًا كلَّ ما يواجه الإنسان، مدرِّكًا كلَّ ما أدركه الإنسان أو سيدركه.





اسم مجلة «فتاة بوسطن» كما خطه لها جبران



جريدة «فتاة بوسطن» لوديع شاكر، تصدر مرتين في الأسبوع، وعنوانها: ٤٠ شارع تيلر (الشارع ذاته الذي كان جبران يسكن فيه - المبنى ٧٦).  
هنا العدد ٤ من السنة الخامسة - الثلاثاء ١٢ شباط ١٩١٨.

كان له وجهٌ من لا يُغلب، وجهٌ عاشقٌ وأخٌ وصديقٌ. شعره مرتدٌّ إلى الوراء حاسراً عن وجهه على جهتي رأسه كأنَّ جناحانِ مُنَوَّرانِ، عنقه أَسْمَرٌ قويٌّ، عيناه كأنَّ جمرتانِ متفجّمتانِ. للمرة الأولى يا صديقي أحسني أستطيع أن أرسم هذا الوجه رأساً على مقدّم سفينة كبرى. رأيتهُ يمشي كما رجلٌ يَجْبُهُ الريحُ الهائجةُ وهو أقوى من الريح. حين ارتدى ثوبه الصوفيَّ الخشن، ومشى مرفوع الرأس، حافي القدمين المُعْبَرَتَيْنِ من الطرقات الأفعوانية، رأيتهُ مُجدِّداً يديه الصلْبَتَيْنِ ومعصميه المُفتولين كغصنين، وعلى مُحيّاه لَمَحَتْ مرمَى بعيداً، وتوقاً مُغلِّفاً بالسكوت.

١ وصلت باربره يونغ إلى بُشْرِي الساعة ١٠:٠٠ صباحَ الأحد ٨ تشرين الأول ١٩٣٩، فزارت بيت جبران ومتحفه وضريحه والبطريك أنطون عريضة في الديمان، وعادت مساءً إلى بيروت. وفي اليوم التالي زارت مدرسة «الحكمة» وغرفة جبران فيها. ونهار الخميس ١٢ تشرين الأول غادرت عائدةً إلى نيويورك. وكانت إقامتها في «فندق بسُّول الكبير» على شاطئ بيروت (التفاصيل في جريدة «السياسة»، السنة الأولى، العدد ٣٧، الجمعة ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٩).

## لنا الخلود

زيارة وادي قاديشا<sup>1</sup> - وادي النهر المقدّس - هي الخروج من العالم الحديث، والتوغُّل روحًا وجسدًا إلى عالم قديم لا عمُر له. فما حفَره هذا النهر من شخاريبٍ ووهادٍ يشكّل حكاية من الزمان تخطف النفس وتحتبس الكلام.

لبلوغنا هذه المنطقة الأسطورية الرموز مرزنا بالطريق الساحلي من بيروت إلى طرابلس وما فيه من دروبٍ جيّدة الرصف، وأراضٍ بطول أميالٍ خصيبة الزرع أشجارَ موزٍ وأغراسٍ تبخٍ وقصبٍ سُكَّر، وبساتينٍ صغيرةٍ زاخرةً بالتين والزيتون والمشمش والتوت والليمون. بقاعٌ خصيبةٌ وسيعَةٌ تمتدُّ بين البحر والجبال، وكل بقعة منها اعتنى بها لبنانيون مُشرقو الطلعة ذوو دُربة وبراعة.

مررنا أيضًا بقطعان أغنام دسمة أرجعتني ملامح رعاتها إلى رعاة العصور السحيقة. بعد عبورنا جبيل، وهي بيلوس التاريخ، انعطفنا إلى طريق جبلية مُصعّدة صوب «أرز الرب» توصلُ إلى بُشْرِي المُتَفَيِّتَةِ ظلال تلك الشجرات المهيبية في الغابة المهيبية.

في أسفل الوادي الذي بدأنا الارتقاء منه إلى نحو تسعة آلاف قدّم، بساطٌ أخضرٌ خصيبٌ غنيٌّ بالأشجار، يلتقي فيه النهر بجداولٍ مُهْرُولَةٍ من أعالي القمم مسقسقةٍ من أفواه الينابيع ودُوبِ الثلوج. وكلما علّونا تصبّح العلوّات صخريةً يعرى معظمها

تَقْصِدُ الأَمِيرِ مَورِيسَ شَهاب.	٢
تَقْصِدُ فُوَادِ افِرامِ البِستَاني.	٣
تَقْصِدُ إِدمونَ وَهَبه.	٤
تَقْصِدُ دِيفيدَ أَزرق.	٥

من الخُضرةِ إلَّا بضعَ أرزاتٍ منثورةٍ متباعدة. لكن جمالَ هذه الجبالِ الجليلِ أقربُ من أن يُنسى وأصعبُ من أن يوصف.

القممُ العُليا رماديةٌ كأنها ذاتُ سرٍّ عنيد، لكنها - مع أشعةِ الشروقِ الأولى أو خيوطِ الغروبِ الأخيرة - تتحوّلَ عطوفةً متأنقةً تهلُّ منها ملامحُ ورديةٍ بنفسجيةٍ ذهبية. إنه جمالٌ برِّيٌّ منسرحٌ ذو قوّةٍ ربانيةٍ تستدعي إلى البالِ صدى عبارة جبران: «لنا الخلود».

هنا الزمنُ وضغطُ الأحداثِ متخاضران وسُطَ مسافةٍ مبهمة. كأنَّ عصورًا لا أميالًا تفصلُ مدينةَ بيروت - المُحتشدةِ بالضوءِ والألوانِ والحياةِ المَهرولة - عن هذه الجبالِ المتباطئةِ بسكونها، برعيانها المُصَبِّرين خُلفَ قطعانهم، وبنُساكها المُستوحدين في عمقِ تأملاتهم داخلَ مغاورٍ وكهوفٍ مُجَوِّفةٍ في الصخور.

هكذا نطلُّ على مطالعِ السُحرِ لدى هذا الرجلِ من لبنان. هوذا بيته، وفيه ما لم يغادر عينيه ولا روحه. هوذا الجمالِ الذي إليه ينتسبُ طفلًا وعاشقًا. هنا نغيب عن كلِّ إحساسٍ بحربٍ وشيكةٍ دلَّ عليها مرورنا بمعسكراتٍ جنودها مستنفرون.

نحن في تشرينِ الأولِ ١٩٣٩. هنا ننسى أن بيروت ودمشق مدينتان معتمَتان ليلاً، وشوارعهما تعجُّ بأفواجِ الجنودِ الفرنسيين المُشاة، من سنغاليين عتاةٍ جيءَ بهم لصدِّ أيِّ عدوانٍ على جمهوريةِ لبنان الصغيرةِ التي بدون جيشٍ ولا بحريّة، ولا تحميها سوى فِرَقٍ من الدركِ غيرِ مُجَهَّزة.

نُصعدُ صوبَ بُشْرِي. يتردّدُ في البالِ صوتٌ داخليٌّ: «إنها بُشْرِي جبران خليل جبران». نعلو ثم نعلو، يخفُّ الهواءُ مع الارتفاعِ لكننا لا نشعرُ بضيقِ النَّفسِ بل بوسعِ الفرحِ على هذه الدَّرَبِ المتأفّعةِ الملمّعة.

مررنا بقريّةٍ سَمّاها لنا مَنْ يَحجُّ معنا من أصدقاء. هم لبنانيون طيبون مُميّزون: حافظُ متحفِ بيروت الوطني<sup>٢</sup>، كاتبٌ رائدٌ في صحافةِ لبنان<sup>٣</sup>، عضوُ المفوضية الفرنسيةِ العليا، أستاذُ علومٍ شابٌّ من الجامعةِ الأميركيّة<sup>٤</sup>. جميعهم «أصدقائنا» يُرافقوننا من أجلِ جبران، وفي إخلاصهم له ولذكراه ما أدفأ قلبَ التي قطعَتْ ستة آلاف ميلٍ كي تجيءَ إلى أرضِ جبران.

ذكر ميخائيل نعيمة هذه الأمنية في الفصل الثالث «الفجر» من كتابه عن جبران (١٩٣٤).  
ومما كتَبَ على لسان جبران: «لا بُدَّ لي ولك يا ميشا من الرحيل عن هذه البلاد... نفسي  
تطالبني بعزَّتْها، وفكري يُطالبني بحُرِّيته، وجسمي يطالبني براحته. ولن أستعيدَ عزَّةَ  
نفسي وحريةَ فكري وراحةَ جسمي إلَّا في لبنان. ليتَّكَ تعرف الصومعة التي اخترتها  
هناك... هي ديرٌ قديمٌ مهجورٌ في ضاحية من ضواحي بُشْرِي اسمه دير مار سركيس،  
قائم في جبهة وادي قاديشا، عند سفح جبل الأرز. عُرفه قليله، محفورة في قلب الجبل  
الكلبي، بينها كنيسة صغيرة. أمامه منحدرٌ من الأرض لا تزال فيه بعض أغراس من الكرمة.  
هي خلوةٌ يا ميشا لا أظنُّ في السماء أجملَ منها... هناك سنعتزل العالم يا ميشا...  
وسنعمل في الأرض فنحوِّل اليابسَ منها أخضرَ، والقاحلَ خصبًا، وستباركنا الرياح، وتفرح  
بنا الشمس، ويحمل إلينا الوادي أنفاسه الملهمة... لن نجد يا ميشا أجملَ وأهنأ وأقدسَ  
من دير مار سركيس. وأنت ستحب تلك الصومعة كما أنا أحبُّها...».

واضح من هذه المقاطع أن جبران كان يصفُ لنعيمة المكان من ذاكرته التي بقيت  
مختزنةً تلك الصور والذكريات من أيام طفولته وصباه، كما تذكُر باربره يونغ هنا عن أمنيّة  
جبران الغالية.

هذه قرية، وتلك أُخرى. بيوتٌ بِلَوْنٍ عاجٍ عتيق، سُطوحها بِحُمْرةِ الصّدَا. راعٍ يراقب قطيعه يرعى خُضرة العشب بين أَكمام التلال. نتقدّمُ بِبُطءٍ، يتقدّمُ الأهالي منا. عيونهم جميلة، ابتساماتهم رحبةٌ ودُودَة، ملابسهم غيرُ ملابسنا أَحَبُّبُ انتماءها إلى حضارةٍ بسيطةٍ عريقة.

بَادَرْنِي رفاقِ الدرب: «يعرفون مَنْ أَنْتِ. سمِعوا أَنَّ صديقةَ جبران الأَميرِكِيَّةِ آتِيَةٌ تزورِ الديرَ اليوم. لذا خَرَجُوا مستقبِلينَ مرحِّبين. لِيَتَكَ تبادلينهم بِبِسْمَةِ وتَلَوِيحَةِ يَدٍ». لَوَحْتُ لَهُمْ لَكِنِّي لَمْ أَرَ وَجوهَهُمْ بوضوحٍ لِأَنَّ دموعي فَاجَّتْنِي عند إدراكهم حَبَّهم العَظِيمَ شاعرَهُم، شاعرَ الأرز.

ها هي الدرب التي كم دَرَجَ عليها. ها هي البلدة التي عرفها وأحَبَّها. ها هم شيوخُ بين الأهالي عرفوه صبيًّا وسمِعوه. على طول الطريق كرومُ العنب المُخَطَّطَةُ كرمًا تلو كرم في ترتيبٍ وأنَاقَة، يتمُّ قَطَافُ عناقيدها السُخِيَّةِ المتلألئة.

بعيدون نحن هنا، ومرتفعون عن أَيِّ ما يُذَكِّرُنَا بما يجري هناك في سائر مدن العالم الخارجي. هنا نحن في عالم قريبٍ من السماء، ندخلُه وعيوننا إلى فوق، فوق، حيث الثلجُ يتمدّد على تلال لبنان، نقيًّا أبيضَ صامتًا، سرِّبًا كأنه حاضنٌ سرَّ الله. أخيرًا... بُشْرِي!

في الكنيسة داخلَ دير مار سركيس، تجويفُ سردابي. هنا مددوه، وإلى هنا يكونُ الحج. هنا يقف الحجاج صامتين أو يركعون خاشعين أمام التابوت الجاثم داخل الكوة المحفورة في الصخر. هنا تضاء الشموع، ويتلو الصلواتِ مؤمنون من معتقدات مختلفة، لِأَنَّ جبران كانَ أَحَا رُوحِيًّا لجميع الناس، وهم يعرفون ذلك فلا يقف بينهم وبينه أَيُّ مذهبٍ أو معتقدٍ أو لونٍ بَشْرَة.

الدير عتيقٌ لا يعرف أحد تاريخه السحيق. وهو وَسَطٌ وعِرِّ محفورٌ في خاصرة الجبل، حتى أَنَّ جدران بعض غرفه هي صخرَةُ الجبلِ ذاتُها. هنا المكان الذي أَحَبَّه جبران وكانَ أحيانًا يَأْتِي إليه في صباه، وكانت أمنيته أَنْ يعودَ إليه<sup>٦</sup> ويعيش فيه تحت ظلال الأرز الذي أَحَبَّه ولم يغادر باله. كانت أمنيته أَيضًا أَنْ يرقد في «اسمرار



تذكيراً: زيارة باربره يونغ كانت سنة ١٩٣٩، وهي نسجت كتابها سنة ١٩٤٤، أي بين بداية الحرب العالمية الثانية ونهايتها.

الأرض الطيبة». وإخال روحه الحرّة اليوم تُحوّم في هذا المكان أملاً برؤية كسائه البشري الراكد هنا مغلفاً بالوحدة الهادئة في التراب المنتظر.

في مبنى صغير متواضع من بشريّ حُصص لهذه الغاية: عددٌ كبيرٌ من الرسوم واللوحات، نحو ٧٥٠، والأثاث الحبيب الذي كان للشاعر طيلة سنواتٍ في محترفه النيويوركي. هوذا الكرسيُّ الذي كان يجلس عليه، وهي ذي الطاولة التي كانت تستقبل دفاتره السمراء، وعليها كتبُ فصول «النبي» وأعادها واستعادها خمس مرات.

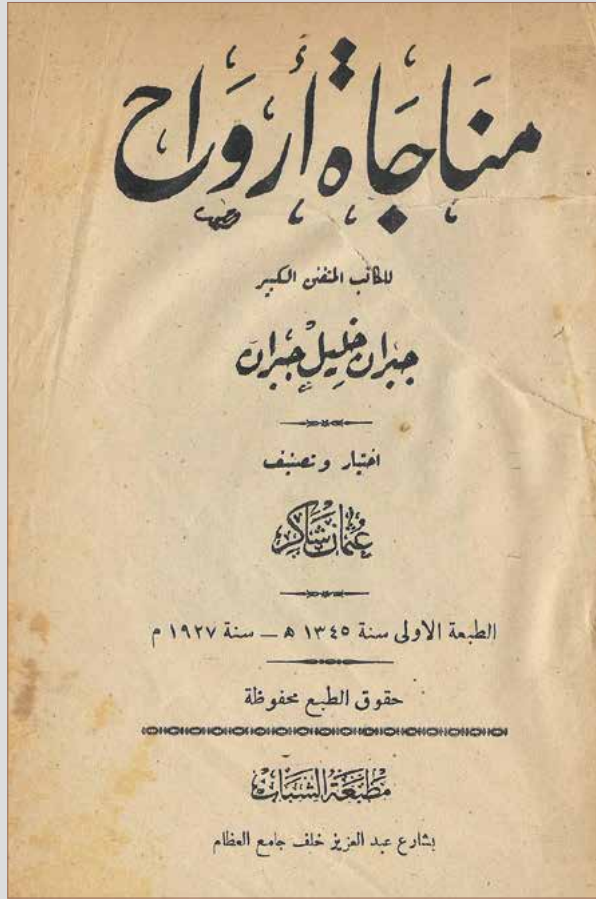
وها هي اللوحات الزيتية الكبيرة معلقةٌ إلى الجدران الواطئة، وهنا رسوم «الأم الكونية»، «التضحية»، «آلهة الأرض»، «شجرة الحياة»، ومئاتٌ أخرى رسمها بالقلم الرصاص لا تقلُّ جمالاً، ممددةٌ على طاوولاتٍ طويلة في ملفّات تأتّى عليها الرسام مراراً حين كان بعدُ بيننا.

عرفتُ أنّ كثيرين رغبوا في نقل هذه الكنوز الثمينة إلى بيروت لوضعها في متحفٍ مخصص لجبران. وبلغني أنّ لبنانياً مرموقاً عرض أن يُقدّم للمدينة قطعة أرضٍ ملائمةً لبناء متحفٍ يضم مجموعة أعمال جبران.

وإذا الحرب عرقلت كلَّ ما كان يمكن أن يتمّ، فالأمل عميقٌ أن يتحقق هذا المشروع النبيل بعدما يعود السلم إلى البلد الصغير والعالم الأكبر.

في عودتنا نهارئذٍ نزولاً من الجبال، عايئنا مسحورين بهاء الليل اللبناني وجلاله: مع انسحاب نور النهار ارتدّت جبال لبنان روعةً أخاذة، تتماوج أرجوانيةً بنفسجيةً ياقوتيةً كما مياه المتوسط. ومع انبساط المساء تحوّلت السماء لازورديةً ورديةً فضيةً، وراحت الجبال - تحت لألّة ثريّات النجوم المُطلّة - تلتمع بسوادٍ جميلٍ كالعاج والبرونز المصقول. كانت ليلةً من حلمٍ لا من الواقع.

ساحلاً تحت، بعد دروب الجبل، هي ذي مدينة طرابلس. نعبر شوارعها المطفأة بسبب الحرب، أنوارها الزرقاوية تتسلّل مُحجّبةً خفيضة من شقِّ بابٍ هنا، من كوة نافذة هناك، من غرفة نزل هنالك، وتتناهى إلينا أنغامٌ غريبةٌ كأنها صراخٌ يتناثر في الجو. هي أغنيةٌ عربيةٌ يرافقها العود، سمعناها خلال اجتيازنا المدينة مخترقين



كان جبران يشكو دائماً لباربره أن الصُحُفَ في العالم العربي تنشر مقالاتٍ له من دون إذنه، وتُنشر له الطبعات العربية من كتبه من دون احتساب حقوقه المادية.

هنا نموذج:

مختارات من كتاباته المتفرقة، صدرت بدون معرفته «مناجاة أرواح» للكاتب المتفنن الكبير جبران خليل جبران اختيار وتصنيف عثمان شاعر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥هـ. - سنة ١٩٢٧م. (يعني على حياة جبران) حقوق الطبع محفوظة (لمن؟؟!!؟؟) مطبعة الشباب بشارع عبد العزيز خلف جامع العظام (كذا).

الشوارعَ بِنُؤدَّةٍ وَحَدَرٍ، بعضُ من لحنها حزينٌ والآخَرُ حماسيٌّ، يُنشدُها لبنانيون - مسيحيون ومحمديون معاً - تجمَّعوا في الباحتِ وعلى الشرفاتِ يطرِّزون الليلَ غناءً لا يستطيعون القيام بسواه في المَدِينَة المَعْتَمَة.

في طريقنا الساحلي إلى بيروت، كانت تتردد في بالي كلماتُ جبران عن المدينة الحديثة التي بلا أنوار. وها في بلاده مدينةٌ كانت ذات فترةٍ مشعشعةً ولا يُضيئها اليوم إلا، كما كان يتمنى، نورُ القمر والنجوم، لأن المصاييح الموقَّنة الزرقاء في الشوارع لا تبدو أكثر من بصيصِ حجابِ وسَطِ عتمة. طبعاً لم يكن يتمنى أن يتم ذلك في بلاده الصغيرة الحبيبة وهي تحوَّلت معسكراً مسلحاً، مع أنه كان يحدث بالخطر الذي يتهددها.

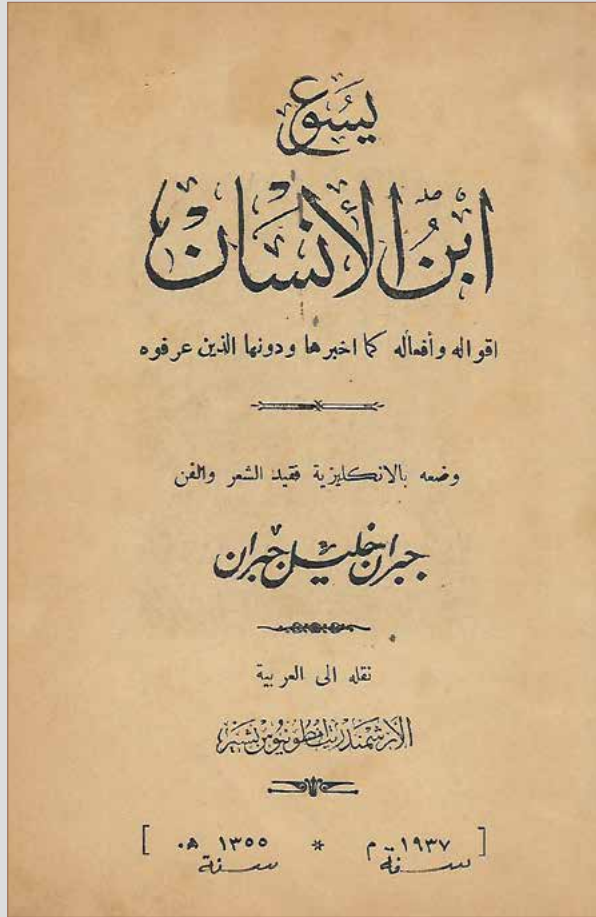
هذه بيروت اليوم ليست بيروت زمانه. فإلى الخليط التقليدي من الألوان والأزياء أُضيفت أشكالٌ من كلِّ نوع: جنودٌ محتشدون في كلِّ شارع وفي كلِّ حافلة، ضباطٌ يملأون الفنادقِ مداخلَ ومقاصفَ، مسلَّحون في غرفِ الفنادق: فندق سان جورج الحديث الفخم، ونزل سان شارل الجذاب الجميل بإدارة راهباتِ ألمانيَّات، وفيه كنتُ مصمَّمةً أن أمضي أَيَّامَ إقامتي.

شُلَّت حكومة البلاد وبات رئيس الجمهورية صُورياً مع فريق صغير من المعاونين. العالم في حرب، ولبنان الصغير، المنتدب فرنسيًا، ممسوكٌ بحزمٍ داخلِ شَرِك.

ربَّ سائل: ما علاقة هذا كلُّه بالسبع السنوات من الصداقة التي أسترجعها في هذا الكتاب. وجوابي: ذكرتُ كلَّ هذا لأنني، على الرغم من هستيريا الحرب الداهمة، أينما سرَّتُ كان اسمُ الشاعر كما مِدَالِيَة مميَّزة على صدري.

فمع اقتراب السفينة «إكسكالبر» من الرسوِّ في ميناء بيروت، بدأ إجراءُ ختم جوازات السفر. ولدى قراءة الموظف على جوازي كلمة «كاتبة» (في خانة الوظيفة)، سألني حازماً ببعض اتهام:

- ماذا ستكتبين؟



إحدى الطبعات المزورة لـ «يسوع ابن الإنسان» من دُون ذكر الناشر  
وعلى الغلاف:

يسوع ابن الإنسان  
أقواله وأفعاله كما أخبرها ودونها الذين عرفوه  
وضعه بالإنكليزية فقيده الشعر والفن  
جبران خليل جبران  
نقله إلى العربية  
الأرشمندريت أنطونيوس بشير  
١٩٣٧ م - ١٣٥٥ هـ

- كتابًا عن شاعر ورَسَّام لبناني.

- (بعض الريبة) ما اسمه؟

- جبران.

- جبران خليل جبران؟

- نعم.

وكان الاسم تعويذة دخولي. اكتفى الموظف به وختّم جوازي بلحظة عاجلة. جميع مَنْ لقيتهم كانوا يعرفونه. في كلِّ مكانٍ كانوا يعرفونه. وسرت الكلمة انتشارًا سريعًا: في بيروت صديقةً لجبران من أميركا. أحسستُ كأنَّ المدينة كلُّها باتت صديقتي، باسمه ومن أجله.

في الفندق زارني رجالٌ مرموقون كانوا أترابه في المدرسة. جاؤوا يحدّثوني عنه ويسألونني كثيرًا عن حياته في أميركا، بينهم قائدُ الدرك الكولونيل الياس المدور، المُكرّم فترتدّاك تقديرًا لموقفه مع الحلفاء.

وكان أنّ يومَ الإبحار عودةً إلى أميركا بات حتميًا. جميع الأميركيين غير الساكنين في لبنان استعجلوا للمغادرة إلى بلادهم. إنما كان عليّ بعدُ أن أزور مكانًا قبل مغادرتي.

في حرَم المبنى القديم لمدرسة «الحكمة»، صرّح حديثٌ مؤاتٍ متطلباتِ المؤسسة التعليمية. نهار الأحد الأخير من زيارتي لبنان، ذهبتُ إلى هناك، مصطحبةً ابن السنوات الأربع: حفيدي كريستوفر الذي رافقني في كلِّ زيارتي. وكما طوال زيارتي إلى بُشريّ ومدينة دمشق القديمة وكل مكانٍ آخر، رافقني ديفيد أزرق، أستاذ العلوم الشابُّ في الجامعة الأميركية، مَنْ لِكياسته واندفاعه واهتمامه فضلٌ على كل جميلٍ ومفيدٍ عابثته في وطن جبران. وكان هو الذي برّمج زيارتي بعدما تبلّغتُ بأن عودتي إلى أميركا حتميةٌ، فكان مُترجمي ودليلي، وفوق كلِّ ذلك، صديقًا بأنبُل معنى الكلمة، لم يتركني حتى اللحظة الأخيرة من صعودي إلى السفينة للمغادرة.

ثلاث لقطات لـ«فندق بسّول الكبير» الذي نزلت فيه باربره يونغ  
إبان زيارتها لبنان.



٨ الأب يوحنا مارون (١٩٠٣-١٩٧٦)، رئيس معهد الحكمة بين ١٩٣٢ و١٩٤٤.

في ذلك الأحد الأخير، ذهبنا معاً: ديفيد وكريستوفر وأنا، إلى مدرسة «الحكمة»، وعائناً ما تمّ فيها صالحاً لتعليم التلامذة اللبنانيين أرفعَ ما في العالم العربي من تقاليد وثقافة. استقبلنا الأب يوحنا مارون<sup>١</sup>: كاهن طويل، نحيل، أسود العينين، واصطحبنا إلى رواق طويلٍ حتى توقّف فجأةً عند بابٍ عتيقٍ صغيرٍ رثٍّ واطيٍّ بدا غريباً عمّا يُحيط به من بناءٍ حديثٍ جديدٍ وأنيق.

وضع الكاهن يده على قبضة الباب، فبادرني ديفيد: «في هذه الغرفة كان صفٌ جبران. يسمونها «قلب المدرسة»، ويحرصون أن يُتقوها كما هي بدون أيّ تعديل. ولكي لا يمسوها، بنوا حولها الجناح الحديث».

دخلنا. غرفةٌ عتيقةٌ فعلاً. مقاعدُها متهاكّة، طاولاتها جَرَحَتْها أثلاماً سكاكينُ التلامذة من تلك الأيام، المنبرُ الذي كان يجلس إليه الخوري الحداد (الوحيدُ الذي أفاد من تعليمه جبران)، اللوح الأسود العتيق. وُضِعَ الكاهن قطعةً طبشور في يد الصغير كريستوفر الذي يُحبُّ صديقه خليل الساكن «في الضباب»، فرسمَ الطفلُ على اللوح الأسود أشكالاً مبهمّة، وسَطَ صمتنا جميعاً.

في المساء التالي، عشيةَ السفر، زارني في الفندق نفرٌ من أولئك الأصدقاء الطيبين. لم يُجيبوا كُرمي لي بل استذكّاراً هذا الرجل من لبنان. أقول هذا للتعبير عمّا كانوا يكرمون يومياً، بكل طريقةٍ وسلوك، ذكرى مواطنهم الذي عاش معظم حياته في بلادنا، وفيها مات تاركاً لعالمنا وعالمهم إرثاً فيه كنوزٌ لا يُحصيها كلامٌ ولا قياس.

بين من جاء مساءً: ديفيد أزرق، الكولونيل الياس المدور، النحات يوسف الحويك، الموظّف في المفوضية الفرنسية العليا إدمون وهبه، الصحافي والكاتب المرجعي في الأدب العربي فؤاد البستاني، حافظُ متحف بيروت الوطني الأمير موريس شهاب، وسعدتٌ كثيراً أن يجيء أيضاً رئيسُ الجامعة الأميركية بايارد دودج وزوجته وكانا سهلاً كثيراً مهمّتي واستضافاني مراراً في حديثهما اللطيفة.

تحدثنا عن جبران طبعاً، وعن إمكان رجوعي إلى لبنان بعد انتهاء الحرب، للعمل على إبراز إرث الشاعر كي يكون أكثر فائدةً لمن يرعّبون.





الجرس الكبير في أعلى برج  
كلية كولورادو الجامعية،  
وفي أسفله عبارة جبران «أمس  
ذاكرة اليوم، والغد حُلْمُهُ».

٩ عن جريدة «السياسة» (عددها يوم الجمعة ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٩) أن لعودتها المفاجئة سبباً آخر: «... وصلتنا معلومات عن سبب عودتها المُسرعة، فإذا هي: في لندن سيّدة ألمانية معجبة بجبران جدّ الإعجاب. لَمَّا عَلِمَتْ أَنَّ باربره يونغ رافقت جبران في السنوات الأخيرة من حياته، راسلتها إلى نيويورك مقترحةً عليها أن تُسافر إلى لبنان وتصحّ كتاباً مُطوّلاً عن جبران. وقدمت لها مبلغ ألفي دولار لقاء نفقات الرحلة. وافقت باربره يونغ على الاقتراح، وقبضت سلفه من المبلغ قيمتها خمسمئة دولار، وتركت نيويورك في منتصف آب الماضي. فاجأها خبر إعلان الحرب وهي في عرض البحر فلم تعباً لذلك، وتابعت سفرها إلى بيروت. وفي لبنان نفذت منها السلفة فراسلت تطلب بقية المبلغ من تلك السيّدة الألمانية فاعتذرت عن ذلك بسبب نُشوب الحرب. عندئذ رأت السيّدة يونغ أن تعود إلى بلادها ملتجئةً إلى رئيس الجامعة الأميركية في بيروت المُستَر بايارد دودج الذي مدّ مواطنته الشاعرة بمبلغ يُساعدها على بلوغ نيويورك».

١٠ وَفَق كلامها، يكون موعد سفرها صباح الثلاثاء الذي تلا زيارتها مدرسة «الحكمة» نهار الأحد. بينما جريدة «السياسة» (في العدد ذاته) تذكُر أَنَّ باربره زارت بَشْرِي صباح الأحد ٨ تشرين الأول، و... «عادت إلى نيويورك صباح الخميس ١٢ تشرين الأول قبل أن تُتَمَّ المهمة التي جاءت من أجلها».

١١ كان في التصميم الأوّل لكلّية كولورادو الجامعية سنة ١٨٧٤ أن تُقام في حرّمها كنيسة. سنة ١٩٢٧ اقترح رئيس الجامعة تشارلز ميرو تشييد الكنيسة في مبنى مستقلّ عن مباني الجامعة. سنة ١٩٢٨ تبرّع بمصاريفها عضو مجلس الأُمْناء رجل الأعمال يوحين پيرسي شوف (من طائفة «الكويكرز»)، وكانت ٣١٦ ألف دولار، تُضاف إليها ١٠٠ ألف دولار لتأمين الصيانة الدورية. شيّد المبنى على طراز كاتدرائية وسُمّنت من القرن الخامس عشر. تمّ تشييد الكنيسة باحتفال التخرّج نهار الثلاثاء ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣١، فكان ذاك أوّل مبنى جديد في الحرّم منذ ١٩١٤، وأخر مبنى حجريّ شيّد فيه. برج الكنيسة يضمّ خمسة أجراس وصفت بأنّها «أجمل طنين في الغرب الأميركي، يُسمَعُ صوته في محيط الجامعة البعيد كلّ ربع ساعة، وله صوت آخر كلّ ساعة». ولأهميّة المبنى التاريخية أُدرج سنة ٢٠٠٥ على لائحة «المباني الوطنية التراثية في الولايات المتحدة».

ثم غادروا متمئين لي سفرًا سعيدًا. وانطوت الصفحة الأخيرة من الفصل الأخير. في سكون تلك الليلة، خرجتُ وحدي إلى شرفة الفندق الجذاب الصغير ذي اللافته العريضة: «أوتيل بسُول الكبير»، فوق تكسّر الموج على الرصيف الجميل لجُون مار جرجس عند زاوية شارع شاتوبريان وجادة الفرنسيين. رددتُ في صمتي ذينك الاسمين الفرنسيين الجميلين لشعوري برفض غريبٍ أن أغادر بيروت، أن أغادر لبنان. فأنا جئتُ إليه كي أمضي فيه سنواتٍ فأدرس العربية لأتمكّن من الترجمة، وكي يتلقى حفيدي دروسه الأولى هنا، فأسمعه في طفولته ينطق بكلماتٍ عربية، ويغني أغنياتٍ عربية، ويعيش في الجو الذي كان ينتمي إليه جبران.

كانت لي بُشْرِي جَوْهَرَةٌ جمالٍ بسيطٍ وصدقٍ فطري. كنت أنوي أن أعيش جزءًا من السّنة في بُشْرِي، والآخَرَ في بيروت. لكنها الحرب داهمتني<sup>9</sup>.

التفتُ من شرفة الخليج إلى الجبال المحيطة في البعيد، فبدت لي تُجسّد السلام الأزلي، مُمدّدةً تحت عناقيد النجوم المُتدلّية فوق، في سماء الليلة الزرقاء. و... فجأةً: أميركا، بلادي، بيتي. لاح لي كلُّ ما ومن تركتُ هناك، أحبابي الأقربون، فغمّرت قلبي موجةً من فرح، أني غداً<sup>10</sup> مُبحِرةٌ إليهم.

اختار جبران أميركا ووطنه الثاني. فيه عاش معظم سنواته وفيه أتمّ أعمال حياته وحبّه. واستقبلته أميركا بإخلاصٍ وتهليل.

ولن تنساه أميركا.

وربما هنا في أميركا، لا في لبنان، ستجدُ قوةً كلماته وأعماله قنواتها الأوسع والأعمق فتصبح نهرًا يُنعش عالمًا خربًا عقيمًا.

في المقلب الآخر من المحيط، عندنا في الغرب، برجٌ كبير لكنيسة متحف شوف لدى كلية كولورادو الجامعية<sup>11</sup>، فيه مجموعة أجراس مصبوبة في كُرويدُن - إنكلترا، أكبرها ضخّم من ستة أطنان يطنُّ كل ساعة. وعلى هذا الجرس محفورة هذه الكلمات: «أمس ذاكرة اليوم، والغد حلمه» - خليل جبران.

١ للأمانة العلمية والأدبية، أنقلُ هذا الفصلَ/الملحقَ حرفياً كما أوردته باربره يونغ في ختام كتابها، من دون أن أتدخلَ لتصويب بعض ما فيه من مغالطاتٍ في التواريخ والوقائع، أو مبالغاتٍ في السرد، منها ما ربّما سها عنها، ومنها ما نقلته كما كان جبران رواه لها فتبنته كما هو.

٢ هذه الرسوم، وسواها (المعري، ديك الجن الحمصي، الغزالي، مجنون ليلى، المعتمد بن عبّاد) ظهرت لاحقاً في كتاب جبران «البدائع والطرائف» (القاهرة ١٩٢٣)، لكنّ باربره يونغ لم تطّلع على الكتاب لكونه بالعربية لذا لم تذكر سائر الرسوم فيه.

## سيرة في تواريخ

١٨٨٣ ٦ كانون الثاني - ولادة جبران خليل جبران في بَشْرِي، لبنان. دراسته الأولى في البيت، تَعَلَّمَهُ العربية والفرنسية والإنكليزية.

١٨٩٤ وصوله إلى بوسطن مع أمه وأخيه وشقيقتيه الصُغْرَيَيْن.

١٨٩٦ عودته وحده إلى بيروت وقبوله في «مدرسة الحكمة»، متلقياً دروساً خارج المنهج المدرسي، منها الطب والقانون الدولي والموسيقى وتاريخ الأديان.

١٩٠١ إنجازهُ الدروسَ بَتَفُوقٍ. فترتّبذ، وكان في الخامسة عشرة، كتب الصيغة الأولى من «النبى»، وفي السادسة عشرة ساهم في تحرير مجلة أدبية فلسفية: «الحقيقة»، وفي السابعة عشرة نشرَ أولَ نص له على صفحات جريدة في جبل لبنان، ووضَعَ رُسُومًا لشعراء عرب تَحْيَلُهُمْ إذ لم تكن لوجوههم رسومٌ من قبل: ابن الفارض، أبو نواس، المتنبي، الفيلسوف ابن سينا، المؤرّخ ابن خلدون، والشاعرة العربية الكبيرة الخنساء<sup>٢</sup>. بعد تخرّجه زار اليونان وإيطاليا وإسبانيا في طريقه إلى باريس.

دراسته الرسم في باريس، وغزارة كتابته بالعربية طيلة سنتين. إحراق كتابه «الأرواح المتمردة» في ساحة عامة من بيروت بُعِيدَ صدوره، وبسبب هذا

٣ تبنت باربره يونغ هذه العبارة حرفياً وجعلتها عنوانَ الفصل الثاني من هذا الكتاب.

٤ هي المرة الوحيدة في الكتاب تأتي فيها باربره يونغ على ذكر ماري هاسكل، بسبب ما كان بينهما من فتورٍ بعد وفاة جبران.

الكتاب صدر قرارًا بِنَفْيِهِ من بلاده، وحُرِّمَ من الكنيسة المارونية لاعتبار الكتاب «خَطِرًا وَتَوْرُويًا ومَسْمُومًا عقولَ الناشئة»<sup>٣</sup>.

١٩٠٣ عودته سريعًا إلى أميركا بسبب موت أخيه وشقيقته الصغرى ومرضى قاتل أصاب أمه التي بلغها وهي على فراش الموت، فلم تَبْقَ له إلا شقيقته مريانا في بوسطن.

١٩٠٣ (إلى ١٩٠٨): وَضَعَهُ رسومًا وكتاباتٍ بالعربية، في ذاك المربَّع السوري من بوسطن. بدأت رُسُومُه تلفتُ مَنْ حوله. في تلك الحقبة كتب «النبى» بالعربية. وكان له معرضٌ (كانون الثاني ١٩٠٤) في محترف المصور الشهير فُردُ هولند داي راعيه الأول، ومعرضٌ آخَر (شباط ١٩٠٤) في مدرسة كمبردج، وهي مؤسسة تعليمية خاصة كانت تديرها الأنسة ماري هاسكل التي أصبحت صديقة جبران المقربة وراعيته، ثم من جديد معرض لدى محترف داي مع نهاية العام ذاته (١٩٠٤) لكن المبنى احترق كليًا مرمدًا كلَّ المجموعة من رسوم ولوحات.

١٩٠٨ سَفَرُهُ إلى باريس (مارًا بلندن) لدرس الرسم في أكاديمية جوليان Julian ومعهد الفنون الجميلة.

١٩٠٨ تَلَقَّيهِ نَبَأُ القرار برفع النفي عنه لَأَنَّ «الحكومة التركية الجديدة... أصدرت عفواً عاماً عن جميع المنفيين».

١٩٠٨ (إلى ١٩١٠): التقاؤه في باريس مشاهيرَ وضعَ لهم رُسُومًا، بينهم رودان، هنري دو روشفور، دوبُسي، موريس مايترنك، غاريبالدي الحفيد، إدمون روستان. مشاركته مرتين في معرض باريس.

١٩١٠ عودته ربيعًا إلى بوسطن، ثم انتقاله لاحقًا في تلك السنة إلى نيويورك متخذًا محترفه في المبنى ٥١ من الشارع العاشر غربًا، وهو أول مبنى في أميركا مخصَّص للرسامين والنحاتين. بقاؤه في ذاك المبنى حتى وفاته.

٥ هو المعروف بـ«دمعة وابتسامة».

٦ هو المعروف بـ«عرائس المٌروج».

١٩١٠ (إلى ١٩١٧) إقامته معارض في صالات مونترس (نيويورك، كانون الأول ١٩١٤)، كُنودلر (نيويورك ١٩١٧)، دُل وریتشاردز (بوسطن، نيسان ١٩١٧).

١٩١٧ (إلى ١٩٢٢): إعادته كتابة «النبی» بالعربية التي وضع بها أيضًا قصة «الأجنحة المتكسرة»، نصوص «العواصف»، كتاب «الدموع والضحك»<sup>٥</sup> نصوص «عرائس الوادي»<sup>٦</sup>، وكتاب «المواكب» وهو منظوم وفق قواعد العروض والقوافي العربية. و صدر له كتاب «البدائع والطرائف» متضمنًا رسوماً لشعراء وكتاب عرب كان وضعها وهو في السابعة عشرة. وكذلك وضع لـ «المواكب» رسوماً بتقنية جديدة وصوفية أخاذة.

١٩٢٢ (إلى ١٩٢٩): معرضان له في تلك الفترة: نادي المدينة النسائي (بوسطن، كانون الثاني ١٩٢٢)، وفندق بريفورت (نيويورك كانون الثاني ١٩٢٩)، ووضعه في الفترة ذاتها رسوماً لمشاهير ذلك العصر، بينهم: الليدي غريغوري، ساره برنهارد، وليم بطلر بيتس، الدكتور تشارلز إليوت، ريتشارد لو غالين، پول بارتلت، جون ميسفيلد، ليونورا سپاير، إدوين ماركهام، عبدالبهاء، جورج وليم راسل، لورنس هيوسمان، جوهان بوير، ويتر باينر، روث سانت دنيس، جوزفين پُرسْتون پيْبدي، أليس رافايل. حالياً: مائيتان وثلاثة رسوم هي في متحف متروبوليتان (نيويورك)، وعدد آخر في متحف فوغ (كمبردج، ماساشوستس)، و متحف بروكلن و متحف نيوارك. وفي محفوظات باربره يونغ منقذة وصيته الأدبية مجموعة من الرسوم والمائيات عرّضتها في عددٍ من المدن الأميركية وفي إنكلترا وباريس.

١٩٣١ وفاته في مستشفى سانت فِنْسِنْت (نيويورك، ١٠ نيسان). عرّض جثمانه يومين في بيت للموتى توافد إليه الآلاف لوداعه، ثم نقله إلى بوسطن وعرضه بحراسة مواطنين من بُشْرِي وإقامة الجنّاز في كنيسة صغيرة (سيدة الأرز)، ووضعه في مدفن مؤقت حتى نقله إلى لبنان في تموز إثر مراسم دينية على المرفأ في بروفيدينس تلاها نقل الجثمان بحرًا إلى بيروت ثم برًا إلى بُشْرِي حيث نعشه اليوم داخل تجويف سردابي من مغارة تحت الكنيسة في دير مار سركيس.





## فهرس الأسماء

- أ
- ٢٨٥، ١٠٥: Rostand
- ♦ إدوارد غريغ - Edvard Grieg: ٢٤٠
- ♦ إدوين ماركهام - Edwin Markham: ١٢٣، ٢٨٧
- ♦ إرنست همغواي - Ernest Hemingway: ١١٠
- ♦ إسبانيا - Spain: ١٣٢، ١٣٣، ٢٨٣
- ♦ إكسكالبر - Excalibur: ٢٧٥
- ♦ إمرسن - Ralph Waldo Emerson: ٢١٤، ٢١٧، ٢١٥
- ♦ إيفنغ پُوست - Evening Post
- ♦ Newspaper: ١٣٠، ١٣١
- ♦ إيفنغ وورلد - Evening World: ١٣٠
- آ
- ♦ آرثر هيدلام - Arthur Headlam: ١٧٦
- ♦ آلباني - Albany: ٥٨
- أ
- ♦ أسطورة الأجيال - La légende des siècles: ٨٢
- ♦ أبرهام لنكولن - Abraham Lincoln: ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧
- ♦ آرثر شوبنهاور - Arthur Schopenhauer: ٨٢
- ♦ آزرا پاوند - Ezra Pound: ١١٠
- ♦ أسوشيايتد پُرس - Associated Press: ١٣٠
- ♦ أفستا - Avista: ٢٦١
- ♦ أكاديميا جوليان - Académie Julian: ١٢١، ٢٨٥
- ♦ ألبرت رايدر - Albert Ryder: ١٠٧
- ♦ ألفرد كنوف - Knopf Alfred: ١٠٨، ٨٩، ١٢
- ♦ ألكسندر هاملتون - Alexander Hamilton: ١٣٠
- ♦ أليس رافايل - Alice Raphael: ١٢٤، ١٢٥، ٢٨٧
- ♦ أناتول فرانس - Anatole France: ١٣٠
- ♦ أندريه مالرو - André Malraux: ١٣٠
- ♦ أوغدن ناش - Ogden Nash: ٤٥
- إ
- ♦ إدمون روستان - Edmond Eugene: ٨٢

- الأفلاطونية المُحدّثة - Neoplatonism: ١٥٦
- الأُوپَانِشَاد - Upanishad: ٨٣
- الأُوپِرا - Avenue de l'Opéra: ١٣٠، ١٣١، ١٣٤
- الباورِي - Bowery: ٧٥، ١١١
- البُرزِيّ - Borzoï: ١١٨
- البيت الدولي - International House: ١٧٥
- التبوُسَفَسَطِيُون - Theosophist: ١٥٧
- التبوُصُوفِيَا - Theosophia: ١٥٦
- الخطوط البحرية «جُويّ» - Joy Line: ١٢٠
- الدكتور تشارلز إلِيُوت - Dr. Charles Eliot: ٢٨٧
- الرافائِيلِيَّة - Raphaelite: ١٢٧
- الرُوزِيكْرُوشِيَا - Rosicrucia: ١٥٦
- الرُوزِيكْرُوشِيُون - Rosicrucian: ١٥٧
- الزِيلُوتِيِين - The zealots: ٥٤
- السترنِد - The Strand: ١٣١
- الشارع العاشر غربًا - West Tenth Street: ٢٨، ٢٩، ٤٨، ١٠٧، ١٢٠، ١٣١، ٢٨٤
- الشرق الجديد - The New Orient: ٩٨
- ٩٩، ١٢٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٨
- الفندق الكبير - The Grand Hotel: ١١٣
- الفيتاغورية - Pythagoreanism: ١٥٦
- الكُويكْرُزُ - Quackers: ٢٨٠
- اللورد بايرون - Lord Byron: ٢٦٢
- الليدي غريغوري - Lady Gregory: ٢٨٧
- الماهاتما غاندي - Mahatma Ghandi: ٩٨
- المريكز فيكتور هنري دو روشفور - Marquis Victor Henri de Rochefort: ١٠٤
- الملك جيمس - King James Bible: ٧٧
- الميترا - Mitra: ٢٤١
- باتلر دافنپورت - Butler Davenport: ٢٧
- باربره يونغ - Barbara Young: ١٣، ١٤، ١٥، ٢١، ٢٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٦، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٧٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٨، ١٤٤، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٤
- ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٦
- ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٧
- باقاريا - Bavaria: ٣٦
- بايارد دودج - Bayard Dodge: ٢٨٠، ٢٧٩
- بايدفورد - Bideford: ١٧٤، ١٧٣
- بايروث - Bayreuth: ٣٦
- برج إيفل - Eiffel Tower: ٦٦
- برودواي - Broadway: ١١٣، ١٣١
- بوسطن - Boston: ١٣، ٢١، ٥٦، ٧٢، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٠، ١٧٦، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٦٣
- بوسطن إيفننغ ترانسكربت - Boston Evening Transcript: ١١٨

- باريس - Paris: ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٢١، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٧٤، ١٧٥، ٢٤٤
- برسي شلي - Percy Shelley: ٢٦٢
- بروفيدنس - Providence: ٢٨٧، ٢٤١، ٢٣٩
- بروميثيوس - Prometheus: ٢٦٣
- پول بارتلت - Paul Bartlett: ١٢٢، ١٢٣، ٢٨٧
- پُول سيزان - Paul Cézanne: ١٢٢
- پير جنت - Peer Gynt: ٢٤٠، ٢٤١
- پيرسي ماك كاي - Percy Mackaye: ١٢٣
- ٩٩، ١٢٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٨
- الفيتاغورية - Pythagoreanism: ١٥٦
- الكُويكْرُزُ - Quackers: ٢٨٠
- اللورد بايرون - Lord Byron: ٢٦٢
- الليدي غريغوري - Lady Gregory: ٢٨٧
- الماهاتما غاندي - Mahatma Ghandi: ٩٨
- المريكز فيكتور هنري دو روشفور - Marquis Victor Henri de Rochefort: ١٠٤
- الملك جيمس - King James Bible: ٧٧
- الميترا - Mitra: ٢٤١

## ت

- جون سِنِغْلِتُون كوپلي - John Singleton
- Copley: ١٣٠
- جون ميسفيلد - John Masefield: ٢٨٧
- جون هاينز هولمز - John Hayness
- Holmes: ١٧٩
- جون ولتر - John Walter: ١٠٨
- جوهان بوير - Johan Bojer: ٢٨٧
- جيمس - Henri James: ٨٨، ١١٠، ١٢٤
- ٢١٢، ٢١٦، ٢١٧
- جيمس أُوپِنهائِم - James Oppenheim:
- ٨٨، ١٢٤
- جيمس بورمان جونستون - James
- Boorman Johnston: ٢١٢
- جيمس جويس - James Joyce: ١١٠
- جيوزيبي فيردِي - Giuseppe Verdi: ١٣٤

## خ

- خوسيه كليمانته أروزكو - José Clemente
- Orozco: ٩٨

## د

- دانته - Dante Alighieri: ١٣٥، ٢٦٣
- دُبوسِّي - Achille Claude Debussy: ١٠٥
- دُقُون - Devon: ١٧٤، ١٧٥
- دُل وريتشاردز - Doll and Richards
- Galleries: ٢٨٧
- دُويسِّي - Claude Debussy: ١٠٤، ١٣٤
- ١٣٥، ٢٨٥

- ت.س. إليوت - T. S. Eliot: ١١٠، ١١٨
- تابلُويد - Tabloid: ١٧٦
- تانهاؤزر - Tannhäuser: ٢٤٠، ٢٤١
- تايمز - The Times: ١٠٩
- ترانسكربت - Transcript: ١١٩
- تشابل هِل - Chapel Hill: ٢٠٨
- تشارلز ديكنز - Charles Dickens: ١٣٠
- تشارلز ميرو - Charles C. Mierow: ٢٨٠
- تشايكوفسكي - Pyotr Ilyich
- Tchaikovsky: ١٣٤، ١٣٥

## ج

- جِفرْسُن - Thomas Jefferson: ٢١٥، ٢١٤
- جماعة الإيمان العالمية - World
- Fellowship of Faith: ١١١
- جورج برنارد شو - Georges Bernard
- Shaw: ١٣٠
- جورج واشنطن - George Washington: ١٧٢
- جورج وليم راسل - Georges William
- Russell: ١٣٣، ٢٨٧
- جوزف غُولُومْب - Joseph Gollomb. See
- غُولُومْب - Joseph Gollomb: ١٣١
- جوزف كونراد - Joseph Conrad: ٨١
- جوزفين پِرِسْتُون پِيْبِدِي - Josephine
- Preston Peabody: ٢٨٧
- جوزفين كُوْنْبِي - Josephine Queenby: ٤٦
- جوليا روبرتس - Julia Roberts: ٢١٢
- جون تايلر جونستون - John Taylor
- Johnston: ٢١٢
- جون روكفلر الابن - John Rockefeller Jr.

- ♦ سينسر - Spencer: ٢٦٣
- ♦ سنترال پارک - Central Park: ١٠٧
- ♦ سيبوريه - Cyborea: ١٧٥، ١٦٨
- ♦ سيُود حسين - Syud Hossain: ٩٨، ١٢٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩

## ش

- ♦ شارع إرفنغتون - Irvington Street: ١١٨
- ♦ شارع تايلر - Tylor Street: ١٧٦
- ♦ شارع مارلبورو - Marlborough Street: ٤٦
- ♦ شارع وافرلي - Waverly Street: ١٢٠
- ♦ شارلوت تيلر - Charlotte Teller: ١٢٠
- ♦ شارُن - Sharon: ٣٤
- ♦ شكسبير - William Shakespeare: ٧٣، ١٣٥
- ♦ شيلي - Shelley: ٢٦٣
- ♦ شيكاغو - Chicago: ١١٠، ١١١، ٢١٧
- ♦ شيكاغو إيفننغ پُوست - Chicago Evening Post Literary Review: ١١١

## ص

- ♦ صموئيل (سام) هوفنشتاين - Samuel Hoffmanstein: ٤٤، ٤٥

## ع

- ♦ عبدالبهاء - Abdul Baha: ١٢١، ٢٨٧
- ♦ عشرون رسمًا - Twenty drawings: ١١٩
- ♦ ١٢٤، ١٢٧، ١٣١

## ر

- ♦ رالف والدو إمِرْسُون - Ralph Waldo Emerson: ١٣٠
- ♦ راما مورتِي - Rama Murti: ١١٣
- ♦ روث سانت دِنيس - Ruth St. Denis: ١٢٣، ٢٨٧
- ♦ رودان - Auguste Rodin: ١٠٥، ٢٨٥
- ♦ رودان - Rodin: ٥٦، ٦٠، ٦١، ١٠٥، ١٢٣
- ♦ رودولف جوليان - Rodolphe Julian: ١٢٠
- ♦ ريتشارد لو غالِيَان - Richard Le Gallienne: ٢٨٧
- ♦ ريتشارد موريس هَانْط - Richard Morris Hunt: ١٠٦، ٢١٢
- ♦ ريتشارد واغْنِر - Richard Wagner: ٢٤٠
- ♦ رينان - Joseph Ernest Renan: ١٧٧

## ز

- ♦ زوريخ - Zurich: ١٢٤

## س

- ♦ سارة فولر آدامز - Sarah Fuller Adams: ٢٤٠
- ♦ ساره برنهارد - Sarah Bernhardt: ٢٨٧
- ♦ سان فرنسيسكو - San Francisco: ٢١٧
- ♦ سانت فنْسِنْت - Saint Vincent: ٣٤
- ♦ سانت مارك إِنْ دُ باوِرِي - St. Mark's In-the-Bowery: ٢٦، ٢٧
- ♦ سَانْدَاي - William Sunday: ١٧٧
- ♦ سَپْرِنغْفيلد - Springfield: ٨٠، ٨١، ٢٥٠
- ♦ سَپْرِنغْفيلد يونيون - Springfield Union: ٨١

## غ

- غارديان - The Guardian : ١٧٦
- غاريبالدي الحفيد - Giuseppe Garibaldi
- II : ٢٨٥ ، ١٠٥
- غالري منترُس - Montross Galleries : ٥٦ ، ١٢٣
- غاليُپلي - Gallipoli : ١٢٠
- غاليليو - Galileo : ١٣٥
- غرينويثش فيلِدج - Greenwich Village : ٨٨ ، ١٣١

• غوته - Goethe : ١٢٤

• غوستاف إيפל - Gustave Eiffel : ٦٦

• غُولُومْب - Joseph Gollomb : ١٣٣

## ف

• فاوست - Faust : ١٢٤

• فُرد هولند داي - Fred Holland Day : ١١٨ ، ١٣٤

• فريدريك أوغدن ناش - Frederic Ogden

Nach. See : ٤٤ ، ١٣١

• فُردريك لايتون - Frederic Leighton : ١٣١

• فُردريك وليَم قَرَار - Frederic William--

Farrar : ١٧٧ ، ١٧٦

• فرنكِلِن - Benjamin Franklin : ٢١٥ ، ٢١٤

• فلورنس ماينس - Florence Minis : ٢٠٨

• فندق بريفورت - Hotel Brevoort : ٤٩ ، ٢٨٧ ، ١٧٣

• فندق تورين - Turin Hotel : ١٢٠

• فيلادلفيا - Philadelphia : ٥٣

## ف

• فَاغْنِر - Richard Wagner : ٣٦ ، ٣٧ ، ٩٣

• فيرجينا وُولف - Virginia Wolf : ١٣٠

• فيردي - Giuseppe Verdi : ١٣٥

• فيكتور هوغو - Victor Hugo : ٨٢

• فيُون - François Villon : ١٣٥

• فيينا - Vienna : ١٣١

## ك

• كاتدرائية وِسْتْمِنْسْتِر - Westminster

Cathedral : ٢٨٠

• كاهونزي - Cahoonzie : ٤٦

• كُرُويْدُن - Croyden : ٢٨١

• كلكتوتا - Calcuta : ١٤٤

• كلود براغدن - Claude Bragdon : ٨١ ، ١٨٩

• كلية كولورادو الجامعية - Colorado

College : ٢٨١

• كليفلند - Cleveland : ١٧٥

• كُنودلِر - Knoedler Galleries : ١٢٥ ، ٢٨٧

• كنوف - Knopf : ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٤٦ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٩٢ ، ٢٥٠ ، ٢٠٨ ، ١٩٨

• كنيسة المسيح الموحّدة - Unitarian

Church of the Messiah : ١٧٨

• كُويْلي - Copley Square : ١٣١

• كوميدي فرنسيّز - Comédie française : ١٣٠

• كونيكتيكت - Connecticut : ٣٤ ، ١٢٤

• كوهاسيت - Cohasset : ١٠٧ ، ١٢٤

• كوينسي - Quincy : ٢٣٦

• كيتس - Keats : ٢٦٣

- ♦ مدرسة كمبردج - Cambridge School : ٢٨٥
- ♦ مدينة شارن - Sharon : ٣٣
- ♦ معركة غاليبولي - Gallipoli Battle : ١٢١
- ♦ مهراجا النيبال - Rajah Singh of Nepal : ١١٣
- ♦ موت آسا - Asa's Death : ٢٤١
- ♦ موريس مايتزلنك - Maurice Maeterlinck : ٢٨٥ ، ١٣٤
- ♦ مونتروس - Montross Gallery : ١٠٦
- ♦ ميكالانج - Michel Ange : ١٧٥

## ن

- ♦ نهر التيمس - Thames River : ١٣٠
- ♦ نيتشه - Nietzsche. See - فُردريك نيتشه - Friedrich Nietzsche : ٩٣ ، ٣٦
- ♦ نيومان إمرسون مُنترُس - Newman Emerson Montross : ١٢٢
- ♦ نيويورك - New York : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٥
- ♦ نيويورك پوست - New York Post : ١٣٠
- ♦ نيويوركركر - New Yorker : ١٣٠

## ل

- ♦ لورنس هيوسمان - Laurence Housman : ٢٨٧ ، ١٢٣
- ♦ ليوناردو دافنتشي - Leonardo Da Vinci : ٢٢٩ ، ٧٥
- ♦ ليونورا سپاير - Leonora Speyer : ٢٨٧

## م

- ♦ مارتا غراهام - Martha Graham : ١٢٢
- ♦ ماري هاسكل - Mary Haskell : ٦٠ ، ٤٦ ، ٣٤ ، ٨٨ ، ١٠٠ ، ١١٨ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥
- ♦ ماساشوسِتس - Massachusetts : ٨٠ ، ٢٥٠
- ♦ ماكميلان - McMillan : ٨٨
- ♦ مانشستر - Manchester : ١٧٦ ، ١٧٧
- ♦ مانشستر غارديان - Manchester Guardian : ٨١ ، ١٧٧
- ♦ مانهاتن - Manhattan : ٢٦ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ١١٢ ، ١٣٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢١٢ ، ٢١٥
- ♦ مايتزلنك - Count Maurice Maeterlinck : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣٥
- ♦ مايسفيلد - John Edward Masefield : ١٢٠ ، ١٢١
- ♦ مبنى بيتر وُورن - Peter Warren : ٢١٢
- ♦ متحف شوف - Shove Memorial Church : ٢٨١
- ♦ متحف فوغ - Fogg Museum : ٢٨٧
- ♦ متحف متروپوليتان - Metropolitan Museum : ١٠٦ ، ٢٨٧
- ♦ متحف نيوارك - Newark Museum : ٢٨٧
- ♦ مجلة الفنون السبعة - Seven Arts Magazine : ١٢٤

## ي

- ♦ Eugene Percy – يوجين پيرسي شوف – ٢٨٠ :Shove
- ♦ Julius David – يوليوس ديقيد ستيرن – ١٣٠ :Stern
- ♦ يونايٲد پُرس – United Press :١٣٠
- ♦ يوهان بوجر – Johan Bojer :١٢٣
- ♦ ويٲس – William Buttler Yeats :١٢١

## ه

- ♦ هاجيوغرافيا – Hagiography :٥٦، ٢٢
- ♦ هاركورٲ – Harcourt :١١٨
- ♦ هارولد ويٲر باينر – Harold Witter
- ♦ Bynner :١٢٢
- ♦ هاريت فولر – Harriette Foller :٤٦
- ♦ هِدْلام – Arthur Headlam :١٧٧
- ♦ هنري بريٲورت – Henri Brevoort :٤٨
- ♦ هنري دو روشفور – Marquis Victor
- ♦ Henri de Rochefort :٢٨٥، ١٠٥
- ♦ هنري ماتيس – Henri Matisse :١٢٢
- ♦ هنريخ اِبسن – Henrik Ibsen :٢٤٠
- ♦ هوغو – Hugo :١٣٥
- ♦ هيلينا بٲروفنا بلاٲاتسْكي – Helena
- ♦ Petrovna Blavatsky :١٥٦

## و

- ♦ واشنٲن – Washington :٢١٧، ١٧٣، ١٤٤
- ♦ وٲْمَن – Walt Whitman :٢١٧، ٢١٥، ٢١٤
- ♦ وِسٲْمِنْسٲِر – Westminster :١٣٠
- ♦ ولاية كونيتيكت – Connecticut :٣٣
- ♦ وليم بٲلر يٲس – William Butler Yeats
- ♦ ٢٨٧، ١٢٠
- ♦ وليم بلايك – William Blake :٦١
- ♦ وليم ساندَاي – William Sunday :١٧٦
- ♦ وليم نورمان غُٲري – William Norman
- ♦ Guthrie :٧٥، ٢٦
- ♦ وِٲِر باينر – Witter Bynner :٢٨٧، ١٢٣





# عنه بأقلامهم

## ترجمة نصوص إنكليزية متفرقة عن جبران

بعد القسم الأول (ترجمتي الحرفية كتاب باربره يونغ «هذا الرجل من لبنان»)، أُورِدَ في هذا القسم الثاني نصوصاً متفرقةً أُخرى لباربره يونغ عن جبران لم تردّ في كتابها.

وخلال أبحاثي وجدتُ نصوصاً لسواها عن جبران، في مراجع أميركية (كُتُب، صحف، مجلات) حرصتُ على ترجمتها عن الإنكليزية حرفياً كي أحافظ على أمانة كتابتها.

وفي هذا القسم أيضاً أُورِدُ مجموعة نصوص بالعربية حرصتُ كذلك على نقلها حرفياً أمانةً لتكامل الصورة عن جبران.



## الـ «هاجيوغرافيا»

في كتابة السيرة، تتخذ الـ «هاجيوغرافيا» بُعدًا آخرًا مختلفًا. لغةً، هي من كلمتين يونانيتين، «هاجيو»: «القداسة» (أو «المقدس»)، و«غرافيا»: الكتابة.

من هنا أنّ الـ «هاجيوغرافيا»<sup>١</sup> هي كتابةٌ سيرةٍ قديسٍ أو مقاربةٌ أعماله. ومع العصور، باتت تعني أيّ كتابةٍ تتناول علمًا بشريًا يرفعه كاتبها إلى هالةٍ عليا من التقديس والتعظيم والتسامي والرفعة، فيصبح أعلى من مستوى البشر وأقرب إلى مستوى القداسة.

هكذا تكتسبُ الكلمةُ معنيَّها بالبُعدِ الحقيقي: كتابةٌ سيرةٍ قديسٍ (أو مُكرِّمٍ) ودراسةٌ أعماله أو نتاجه الكتابي إن كانت له كتابات، وبالْبُعدِ المجازي: تعظيمُ سيرةٍ حتى مستوى التقديس والمثال الأعلى حتى تصبح هذه السيرة نوعًا من الـ «هاجيوغرافيا» (سيرةٍ تقديسية) أكثرَ منها مُجرّد «بيوغرافيا» (سيرةٍ بشريّة).

١ آثرتُ إبقاءها على لفظها الأجنبي، قياسًا على ما يدرج في العربية من استعمالات «بيوغرافيا» (كتابة السيرة) و«أوتوبيوغرافيا» (السيرة الذاتية)، و«بيبلوغرافيا» (تثبُّ المصادر والمراجع في بحثٍ أو دراسة)، واعتماد كلمة «جغرافيا» (كتابة أحوال الأرض). ويذهب بعضهم إلى اعتبارها علمًا تصحُّ الكتابة فيه، فيسميها «هاجيوولوجيا» على سياق «جيولوجيا» و«أنتروپولوجيا» و«سيكولوجيا» و«فينومينولوجيا» وما إليها.

في العادة أن تكون النصوص الهاجيوغرافية مُخَصَّصة لصلاة فردية ذاتية، أو لتلاوة جماعية علنية، ما ينقلها، شكلاً ومضموناً، إلى قالب الأسطورة أو الخوارق الدينية أو النحو بها إلى الأسطورة حين يروح الكاتب الهاجيوغرافي يرسم لمكرمه شخصية ذات غرابة وتفرد، أو أقوالاً غريبة خارج كلام مألوف يتلفظ به شخص عادي، كما يحصل أحياناً في نصوص الأدب الشعبي أو في روايات شفوية (قصص الحكواتي نموذجاً) تتعدى الواقع ويدخل فيها الكثير من الخيال والمبالغة وعناصر الإدهاش.

هكذا دخلت الـ«هاجيوغرافيا» على أعمال أدبية وفنية لا يمكن اعتبار كاتبها مؤرخاً أو باحثاً بالمعنى الأكاديمي، لأن كتاباته تثير شكوكاً حول الصدقية في معظم سرده، وتحفظاً على صحة الكثير من مضمونه حول وقائع أو أحداث أو وقع أو أصداء، حتى ليغدو مضمون نصه غير مُفنع ولا صالح للاستشهاد به أو اعتباره مرجعاً ثابتاً يخضع للنقد الموضوعي، وقد يبلغ أن يشكك البعض أحياناً حتى في نصوص دينية مكتوبة هاجيوغرافياً.



ذلك كان شعوري حيال باربره يونغ وأنا أترجم كتابها حرفياً.

ففي كتابها «هذا الرجل من لبنان»<sup>٢</sup> - كما في الذي تيسر لي جمعه من كتاباتها عنه على حياته وعند وفاته وبعد غيابه - أسلوب من الأسطورة والتأليه والتعظيم، ما لا يمكن قوله أو ذكره عن بشري سوي، وهو ما جعل بعضهم يشكك في صحة الكثير مما ذكرته عن جبران أو نقلته عن لسانه. ولولا عودتي إلى مصادر مؤثقة مكتوبة ومنشورة في حينها، لكان الشك بلخ بي حتى في رواية ما قامت به من أنشطة كثيرة (معارض، قراءات، ندوات، ...) لنشر كتاباته ولوحاته ورُسومه كي تُعرّف الناس إلى أهميته وعظمة الإرث الذي تركه غيابه.

<sup>٢</sup> استوحى عنوانه من عنوان لجبران («رجل من لبنان بعد تسعة عشر قرناً») في الفصل الأخير من كتابه «يسوع ابن الانسان»، وهي كانت في المحترف شاهدة على كل كلمة فيه إذ كان جبران يُملي فصوله عليها فتدوّنوها.

وأكثر: قام لاحقًا من شكك في صحة أن تكون صفحات «حديقة النبي» جميعها لجبران، وهو مات قبل أن يُنجزه، حتى إذا صدر لاحقًا (سنة ١٩٣٣) لدى منشورات «كنوف» ذاتها، قام من ينسب جزءًا من الكتاب إلى باربره يونغ لحجّتين:

- (١) أنها كانت تُدوّنهُ تباعًا كلِّما أملى جبران مقاطعه عليها.
- (٢) أنها عايشت جبران في محترفه ستَّ سنواتٍ متتاليةٍ في إيقاع شبه يومي، وتشبعت من أقواله وأسلوبه وأفكاره وآرائه التي كانت تشاركه الكثير منها، خصوصًا حول التقمُّص.

لهذين السببين رأى كثيرون أن قد تكون هي، بعد وفاة جبران، أكملت الكتاب في نسجه الأسلوبية ذاته.

على أنني لا أظنُّ أصحاب هذا الرأي اطلَّعوا على سيرة هذه المرأة ومسيرتها الأدبية، كي يعرفوا أنها ذات شخصية أدبية ناضجة، كان لها الكثير من الفضل في نشر صورة جبران ومسيرته التي لم تكتمف بعد وفاته بمتابعتها في نيويورك (ومُدُنٍ أُخرى) فجاءت إلى بيروت (مدرسة «الحكمة») وإلى بُشْرِي (ضريح جبران وبيته الوالدي) ما يعكس - بكتابها فيه وكتاباتها عنه وأنشطتها لأجله - إخلاصها الـ «هاجيوغرافي»<sup>٣</sup> له رجلًا وكاتبًا ورسامًا.

هذا الإخلاص لديها هو الذي حاولت إظهاره في سياق هذا الكتاب.

<sup>٣</sup> على أيِّ حال: جبران ذاته، في علاقاته مع الآخرين، لم يكن بعيدًا عن إحائه لهم بصورة له «هاجيوغرافية»، كما يظهر أيضًا في يوميات ماري هاسكل عنه وتصويرها إياه وتصديقها كلماته ورواياته بما لا يقلُّ وصفها إياه عن رغبته هو في «أسطرة» شخصيته و«هاجيوغرافيتها».

## مَن هي؟

قليلة هي المعلومات الشخصية والأدبية عن باربره يونغ، وكثيرة هي المراجع والدراسات والكتب والأبحاث والسِّير البيوغرافية عن جبران، ويكاد لا يخلو أيُّ كتاب عن جبران من ذكر أو تنويه أو دور لباربره يونغ في سيرته الشخصية ومسيرته الأدبية والفنية، خصوصًا في السبع السنوات الأخيرة من حياته.

شخصيًا: هي هنرييتا بركنر دُج. وُلدت سنة ١٨٧٨، حملت من زوجها اسم بوثن لكنَّ زوجها لم يدم، فانفصلت عن زوجها وانصرفت إلى الكتابة شعرًا ونثرًا، وإلى تربية ابنتها الوحيدة مارجرِي بوثن (مارجرِي هاناي بعد زواجها).

أدبيًا: هي شاعرة أميركية معروفة، لها كتبها الشعرية ومقالاتها في صحف ومجَلَّات (أبرزها «نيويورك تايمز») وتولَّت القسم الأدبي والشعري في مجلة «العالم السُّوري».

حلَّت باربره يونغ في حياة جبران مكانَ ماري هاسكل. لكن علاقتها بجبران لم تكن حميمَةً (لا نصوص ولا وقائع تُثبت ذلك) بل اقتصر حضورها أدبيًا في حياته على مهمةِ كاتبةٍ وسكرتيرة، وكان حضورها فاعلاً مثيرًا في حياته وبعد غيابه.

تُوِّفيت سنة ١٩٦٢ عن ٨٤ عامًا.

بين تلك المراجع الكثيرة أقتصر في هذا الفصل على اقتطاف ما وردَ عنها في بعض الكتب البيوغرافية عن جبران.



## كتاب ميخائيل نعيمة «جبران خليل جبران - حياته، موته، أدبه، فنّه»

مؤسسة نوفل - بيروت - الطبعة الثامنة ١٩٧٨ (ص ١٥، ١٦، ١٧)

يصف نعيمة كيف، نحو الساعة ٥:٣٠ عصر الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١، فيما يستعدُّ للانصراف من محلِّ تجاريٍّ كان يعمل فيه، رنَّ الهاتف ونوديَّ عليه لإنبائه أنَّ جبران في مستشفى سانت فِنْسِنْت وأنه في غيبوبة وأنه، في تقدير الطبيب، لن يعيش حتى منتصف الليل. هرع إلى المستشفى سائلاً عن الغرفة حتى إذا بلغها وصف الآتي:

«أمام باب الغرفة رجلٌ تحيط به نسوةٌ ثلاث. وإذ أقترَب، تنفردُ من الثلاث واحدةٌ طويلةُ القامة، عظيمةُ الهيكل، زعفرانيَّةُ اللون، حادَّةُ الأنف، غارقةُ العينين، فتخطو نحوي مادةً يُمنَّاها إِلَيَّ. هي شاعرةٌ أميركية في النصف الأول من عقدها السادس. عرَفَت جبران منذ سبع سنواتٍ فتقرَّبَت منه وكانت تُساعده في نسخ مؤلَّفاته. كنتُ قد التقيتها مرَّةً عنده. وإذ أضع يدي في يدها تتنهَّد وتقول: «أشكُر الله، أنكَ هنا».

في قلبي وفي عينيَّ وعلى وجهي سؤالٌ واحدٌ يتردَّد لساني في طَرَحِه، فتجيبني عليه هذه السيدة قبل أن تسمعه من فمي:

- لم يبقَ من أمل.

- أخبريني ما جرى.

- كنتُ البارحة عنده فوجدته يعاني آلامًا لم يُعانِ مثلها من قبل. دعونا الطبيب وسألناه إذا كان من ضرورةٍ لنقله إلى المستشفى في الحال. فأجاب أن لا بأس لو بات ليلته في بيته. لم أشأ أن أتركه وحده فقضيتُ الليل عنده. وفي الصباح، صباح اليوم، الجمعة، اشتدَّ عليه الوجع فجئنا به إلى هنا بين الساعة ١٠:٠٠ و ١١:٠٠.

- ولماذا لم تُخبريني أمس أو اليوم باكرًا؟

- أمس كنا نظنُّ أنه عارضٌ ويزول. واليوم، عندما جئنا به إلى هنا كنتُ أوَّل مَنْ خطر ببالي. غير أنني أجهل رقم تلفونك. بقيتُ أفكِّر بواسطة اتَّوصَل



بها إليك، حتى خطرَ لي أن أُتلفنِ إلى إدارة مجلة «العالم السوري» لتُطْلَعَكَ على الأمر. وهكذا كان. أشكُرُ اللهَ أنك أتيت.

- كيف هو الآن؟

- غابَ عن الوعي بعد الظهر بقليل، ولا يزال في غيبوبة.

- هل عرضَ عليه أحد أن يعترف ويتناول؟

- سألتُه الراهبة: «هل أنت كاثوليكي؟» فأجابها بنبرة قوية: «كلاً»، فتركته وانصرفَ. وبعد أن انتقلَ إلى حالة الغيبوبة جاءه كاهنٌ سوريٌّ - هو رجلٌ قصيرٌ لعلك تعرفه - وأخذ يناديه بأعلى صوته: «جبران، جبران» وجبران لا يعي. وقد بلغ استيائي من ذلك الكاهن وخشونته حدًا تمنيتُ معه لو كانت لي القوة الكافية لطرحه من النافذة.

- هل فعلَ الكاهن شيئاً؟

- هذا كلُّ ما فعله.

- وأين الطبيب؟

- ها هو.

وأشارت إلى الرجل الواقف أمام الباب (...).



### كتاب رياض حنين «الوجه الآخر لجبران»

دار النهار للنشر - بيروت - الطبعة الأولى: ١٩٨١ (ص ٣٤ - ٣٥)

جاء ذكرُ باربره يونغ كما يلي: «... ومن النساء اللواتي عرفهنَّ جبران: باربره يونغ، رفيقته طوال السنوات السبع الأخيرة من حياته، ومؤلفة كتاب عنه بالإنكليزية «هذا الرجل من لبنان». وتمهيداً لوضع كتابها هذا جاءت إلى لبنان سنة ١٩٣٩،

وزارت بُشْرِي حيث وُلد، واتصلت بالكثيرين من أصدقائه وأنسابائه ورفاقه ومُحِبِّيه وممَّن عرفوه.

وقبل زيارتها بُشْرِي سألتُ أن تزور مدرسة «الحكمة» في بيروت حيث درَس جبران سنتين. كان معها حفيدُها كريستوفر (٤ سنوات) وكان يرافقها - ترجمانًا ودليلاً - ديفيد أزرُق (أستاذٌ في الجامعة الأميركية). وعن تلك الزيارة كتبتُ: «مكان المدرسة القديمة، يقوم اليوم معهدٌ حديثٌ جميلٌ الهندسة والإبداع المعماري. دخلنا حرم المدرسة يرافقنا رئيسُها الأب يوحنا مارون، وهو كاهن أسمر العينين، طويلُ القامة نحيلُها، حتى إذا وصلنا إلى بابٍ صغيرٍ واطئٍ بدا كأنه في غير موضعه بين كل ما هو جديدٌ وعصريٌّ في البناء الحديث، وقف الأب يوحنا ووضع يده على حلقة الباب فتوجه إليَّ ديفيد قائلاً:

- هذه هي الغرفة التي تعلَّم فيها جبران في صباه. يسمونها اليوم «قلب المدرسة» لأن المدرسة الجديدة شُيِّدت حولها، ورفض المسؤولون المسَّ بهذه الغرفة فتركوها كما هي.

دخلنا الغرفة فإذا هي قديمةٌ فعلاً: ها هي المقاعد الدراسية القديمة ثلَّمتها سكاكين التلامذة، وها هو المنبر القديم الذي كان يجلس عليه الخوري يوسف الحداد الذي قال لي عنه جبران إنه: «الرجل الوحيد الذي علَّمني شيئاً»، وهذا هو لوحُ الكتابة الأسودُ باقٍ كما هو لم يتغيَّر فيه شيء».

إلى هنا انتهى ما كتبتُ باربره يونغ عن زيارتها.

وفي ما بعد روى لي الخوري لاؤن مقصود - وكان مديرَ الدروس العربية عهدئذٍ وشاهدًا على زيارة باربره يونغ - أنها قالت لحفيدها:

- كريستوفر، إنحنِ وقبِّل الأرض التي وطئتها قَدَمًا جبران الذي تُحبه.  
فانحنى الصغير، وقبَّل الأرض».



## كتاب اسكندر نجار «قاموس جبران خليل جبران»

دار الساقى - بيروت - الطبعة العربية الأولى

ترجمة ماري طوق - بيروت ٢٠٠٨ (ص ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١)

في مَدخل «باربره يونغ» وَرَدَ ما يلي:

«يونغ باربره (١٨٧٩-١٩٦٤)

ناقدة أدبية في صحيفة «نيويورك تايمز». اسمها هنرييتا بوتون، لكنها اشتهرت باسمها المستعار باربره يونغ. أصدرت كتبًا بأسماء مستعارة، منها «مفاتيح الجنة» (Keys of Heaven) - ١٩٢٧، و«أمضي سائرة» (I go walking) - ١٩٣٣. غداة صدور «النبي» حضرت أمسية شعرية ألقى فيها الممثل باتلر دافنپورت بعض المقاطع من «النبي» في كنيسة سانت مارك الأنكليكانية. فتتھا المؤلف فكتبت رسالة إليه سنة ١٩٢٥ تطلب موعدًا لمقابلته. دعاها إلى منزله فقصدته. نشأت بينهما مودة، وظلت طوال ست سنوات سكرتيرته المتفانية، تُدوّن ثم تطبع على الآلة الكاتبة كل ما يمليه عليها، حافظه أوراقه، مدبرة شؤون أعماله. بعد ماري هاسكل أصبحت هي ملاكه الحارس. نظمت له أمسية قراءات لأعماله في فندق بريغورث وحفلات قراءة أخرى في «جمعية أصحاب المكتبات». وكانت هي التي وجدته في ١٠ نيسان ١٩٣١ يحتضر في سريره فسارعت تنقله إلى مستشفى سانت فنسنت.

عقب وفاة جبران تولت باربره يونغ نشر كتابه «التائه»، مُلغيةً تعديلات كانت ماري هاسكل أجرتها، وأبقت على «كلمات القديس» في المخطوطة كما هي. نشرت كتاب «حديقة النبي» مُجربةً عليه تحويلات جوهرية. وأقامت في محترف جبران مُحولةً إياه إلى «مكان مقدس». حاولت إتلاف رسائل جبران حرصًا منها على مَحْو آثار «نقاط ضعفه» لكن ماري هاسكل أنقذتها في اللحظة الأخيرة. وسنة ١٩٣٩ زارت لبنان ووضعت كتابها «هذا الرجل من لبنان» تمجيدًا لشخصية الراحل، وفيه ١١ رسمًا لجبران.

في ١٢ تموز ١٩٤٥ وجّهت رسالةً إلى «السيد سميث» المسؤول لدى منشورات «كنوف»، تُقنعه بالعدول عن نشر ترجمة «الأجنحة المتكسرة» بالإنكليزية، معتبرةً أن هذا العمل يرقى إلى فترة الصبا ويُسيء إلى سمعة جبران لأنه شديد الرومانسية ويتضمن أفكاراً ثورية. ومما وردَ في رسالتها: «أقولُ لك أن لا أحد غيري يُمكنه أن يُعيد كتابة هذا الكتاب على طريقة جبران، إذ لا أحد عمِل معه كما عملتُ أنا. لستُ متعصبةً لجبران كما يزعم نقاد كثيرون. ثمة كتابٌ آخر يُمكنني كتابته أسردُ فيه قصصاً كثيرة عن تجاربٍ خُضْتُها معه لكنني لن أكتبه حرصاً على سُموم الموقع الذي سيحتله هذا الكتاب في قلوب وأذهان مئات الآلاف من القراء في جميع أنحاء العالم. ليَبقَ هذا بيننا. فأنا كتبتُ عمّا اعتبرته ضرورياً لمكانة جبران. لذا، من موقع مسؤوليتك كناشر أعمال جبران، ومسؤوليتي أنا كمنفذة إرثه الأدبي ومساعدته طوال سنوات، لا يمكننا أن نسمح بذلك».

في أواخر أيامها منحت باربره يونغ، أو باعت، لوحاتٍ عدةً لجبران، بينها رسوم «يسوع ابن الانسان» المحفوظة اليوم في نيويورك لدى (World House - River side).

وفي مدخل «الأجنحة المتكسرة» من كتاب اسكندر نجار، وردَ ما يلي:  
«في رسالة غير منشورة إلى «السيد سميث»، المسؤول في دار «كنوف» للنشر، مؤرخة في ١٢ تموز ١٩٤٥، كتبتُ باربره يونغ:

«كان جبران منزعجاً من إصرار بني شعبه اللبنانيين والسوريين على اعتبار هذه القصة سيرةً ذاتيةً لا قصةً من وحي خياله الشعريّ. وهو ما نفاه جبران قطعاً. وليس من له حسٌّ سليمٌ يمكن أن يقول إن هذا الكتاب سيرةً ذاتية، أو يمكن أن يتخيّل أن جبران يكتب بإسهابٍ وصراحةٍ عن تجربة شخصية كهذه، فهو أكثر الناس تكثُّماً على حياته الخاصة. مستحيلٌ أن يكون كشفٌ عن علاقةٍ حميمةٍ كهذه».

بعد وفاة جبران ونجاح كتاب «النبى» شاءت «دار كنوف» نشرَ ترجمةٍ إنكليزيةٍ لـ «الأجنحة المتكسرة» وضعها أنطوني فارس، لكنّ الدار اصطدمت برفض

باربره يونغ التي وَّجَّهَتْ إلى الناشر رسالتها تلك، شارحةً رفضها بما يلي: «لا أعرف كيف أُعَبِّرُ عما أحسُّ به حيال هذه المسألة الشائكة والدقيقة حول مخطوطة «الأجنحة المتكسرة» الإنكليزية مترجمةً عن العربية، والتي أرسلتموها إليَّ نهار الجمعة الماضي. سأكون واضحةً في كلامي، صريحةً في موقفي، كي لا نكون في مأزق: كان في محترف جبران نسخةً من الكتاب مترجمةً إلى الإنكليزية لكنه لم يشأني حتى أن أقرأها لأنه كان يعتبرها «رواية تافهة». وقال لي أن إذا كان لا بدَّ من إصدارها بالإنكليزية (ولم يكُن متحمسًا لذلك) يجب إعادة صياغتها من جديد. وأذكر أنه لاحقًا عاد فَمَرَّقَ تلك المخطوطة. كان من عادته، أمام سطرٍ كتبه فجاء أدنى من الكمال الذي دومًا ينشده، أن يقول: «لن يصدر هذا السطر مطبوعًا إلا على جثتي». وإنني، انطلاقًا من قوله ذاك، أرى أن لا يحقُّ لنا أن ننشر على جثته أسطرًا لا يرضى عنها. في الكتاب اتهاماتٌ ومزاعمٌ مناهضةٌ الكنيسةً ورجال الدين من أفكاره إبان فترة شبابه الثائر. لكن الحياة لاحقًا علَّمته أن مثل هذه الحملات على النظام السائد غير مُجدية، ولم يعد راغبًا في زرع الشقاق بين أبناء عالمنا. وذاك النص صورةٌ شابٌ موهوبٌ في آخر مرحلة المراهقة، حاول أن يكتب قصته الرومانسية الأولى ويضمَّنْها انفعالاته المضطربة وهو لا يزال غير قادر على التحكم بتعابيره عن تلك المشاعر أو ضبطها، كما نجح بذلك في أعماله اللاحقة. ليس مهمًّا نشرُ أعمالٍ كتبها مؤلِّفٌ عظيمٌ تعكس انفعالاتٍ في شبابه الطائش ليس قادرًا على إعادة النظر فيها لاحقًا، وإلا نكون نُسيءُ إلى تراثه ومكانته. فهل تتصوَّر ما سيكون موقف النقاد والباحثين من نشر «الأجنحة المتكسرة» بالإنكليزية؟ أجزم أن نقدهم سيكون مصيبًا، وهنا تكون المشكلة».



## كتاب «خليل جبران - أبعد من الحدود» (بالإنكليزية)

تأليف جين و خليل جورج جبران

منشورات إترلنك - ماساشوستس - ٢٠١٧ (ص ٣٨٥ - ٣٨٦)

هنا ترجمة المقطع عن باربره يونغ:

«كانت هنرييتا بوتون (مولودة بُرِكْنَرْدُج) في الرابعة والأربعين يوم استمعت، في خريف ١٩٢٣، إلى الممثل باثلر دافنپورت يقرأ من كتاب «النبى» في كنيسة سانت مارك إن دُ باوري. كانت مثاليةً ومسالمةً كما معظمُ مريدي جبران وقادريه الخُلص والمتأثرين بكتاباتهِ. تخرَّجت من المدرسة الرسمية في مدينتها آلْبني (عاصمة ولاية نيويورك) ودرّست اللغة الإنكليزية في مدارس خاصة، ثم انتقلت تعيش في مانهاتن وتزاول حياتها الأدبية ككاتبة.

انفصلت عن زوجها (بوتون) وانصرفت إلى تربية ابنتها الوحيدة ونشر قصائد لها في جريدة «نيويورك تايمز». اشتهرت ببراعتها في محاكاة أساليب الشعراء عند الطلب فكانت بسهولة «تؤلّف» قصيدة شكسبيرية أو أخرى من الشعر الحديث. نشرت بأسماء مستعارة عدّة، منها بن بريغام، ثم استقرت على اسمها المستعار الذي شاع: باربره يونغ.

أثرت بها عميقاً عبارات «النبى» التي سمعتها في الكنيسة فأخذت تستشهد بها في قراءاتها الشعرية العلنية وفي مقاطع من كتاباتها المنشورة. في آذار ١٩٢٥ علمت بأن جبران ليس متصوّفاً قابلاً بعيداً في جبل لبنان بل كاتبٌ يعيش ويعمل في محترفه (المبنى ٥١ الشارع العاشر غرباً، في حي غرينيتش، أسفل مانهاتن). كتبت إليه رسالةً تقريظاً طالبةً منه موعداً فوافق وذهبت إليه.

بين جميع النساء في حياة جبران، باربره يونغ هي الأقل جاذبيةً: طويلة، عظمية الهيكل، فيها بعض من جمال جوزفين بيدي، وجاذبية شارلوت تير، وذكاء ماري هاسكل. لم تكن حسناء ولا فاتنةً كمعظم الصديقات في محيطه، ولا جميلةً كموديلاتهِ للرسم. كانت نشيطة، حازمة، مخلصّة، موهوبة، ذات هبّة وتأثيرٍ وثيةٍ

أنّ تساعده دون التدخّل الحميم في حياته الخاصة. أوّل خيط جمعهما معاً: إيمانها بالتقمُّص. كانت تؤمن بأنّها في حياةٍ سابقة عاشت في أفريقيا، ولها في ذلك قصيدة عن جذورها عنوانها: «ذات حياةٍ كنتُ صبيّةً سمراء». وكانت تشارك جبران رأيه في رفض آراء المؤرّخين الأكاديميين، وهو ما سينقلب عليها حين ستكتب سيرته لاحقاً. إنّما شدّه إليها أنّ وجد فيها توأمَ روحه، والأهم: اندفاعها في مساعدته والعمل معه.

بعد عشرين سنةً وقعت في هفوةٍ تاريخية عند ذكرها أنّ جلستها الأول لديه لتدوين نصوصه كانت في خريف ١٩٢٥ يوم أملى عليها قصيدة «الشاعر الأعمى». والحقيقة التاريخية أنّ هذه القصيدة كانت قبل ذلك منشورةً في مجلة «الشرق الجديد». والأرجح أنه خريفٌ كان بدأ يدون أمثالا وأقوالاً متفرقةً، وعندئذٍ بدأ عملها في مساعدته بها، مؤفّرةً عليه معاناةً تنظيمها وجمعها وتبويبها ونسخها ثم طبّعها على الآلة الكاتبة. تلك هي الفقرات التي صدرت لاحقاً في كتاب «رمل وزبد».

طيلة السنوات الثلاث اللاحقة أصدرت مجموعةً شعرية لها «مفاتيح الجنة»، وأنشأت مكتبةً باسم «بيت الشعر» في المبنى ١٢ من الشارع العاشر شرقاً، ونظّمت أمسيةً شعرية عامة لجبران في فندق بريفورت، ونسّقت له احتفالاً كبيراً في مقر جمعية مكبات الجادة الخامسة» وقرأت من شعره في حضور نخبة أدباء وشعراء».



زيتان لشارلوت تِلر بريشة جبران

## كتاب فرجينيا حلو

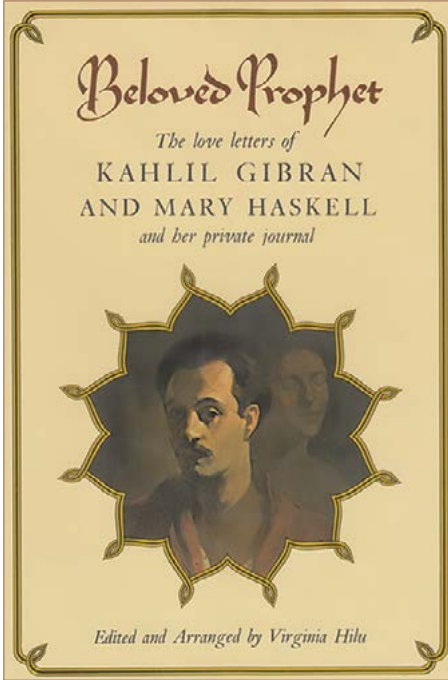
«النبي الحبيب - رسائل الحب بين جبران وماري هاسكل ودفاتر يومياتها»

منشورات «كوارتث» - لندن - ١٩٧٣ - ٤٤٨ صفحة قطعاً وسطاً

هنا ترجمة حرفية لأبرز ما جاء عن باربره يونغ في هذا الكتاب:

### من مقدمة الكتاب - ص ٩ و ١٠

«في السنوات الست الأخيرة من حياة جبران، قليلة جداً أمست الرسائل بين جبران وماري هاسكل. وهي لم تنكشف بكاملها إلا بعد خمسة أيام من وفاته، عندما وجدتها باربره يونغ في محترف جبران إذ كانت، مع ماري هاسكل، ترتب الأغراض واللوحات والرسوم والأوراق في المحترف. وحين سحبت من بين الأغراض المتراكمة صندوقاً كبيراً وفتحته، ظهرت فيه رسائل فُضت بعضها فوجدتها من



ماري إليه. لا بدّ أن تكون صُدمت، هي التي كانت مُساعِدته الأقرّب في السنوات الست الأخيرة من حياته، ومع ذلك لم تعرف شيئاً عن علاقته السريّة بماري هاسكل، وتلك الرسائل على بُعدِ خطواتٍ منها في المحترف. اكتشفت ما في تلك الرسائل من حُبٍّ وشغفٍ وما كان جارياً بينهما. هي التي كانت تظنُّ أنها تعرف الكثير عن حياة جبران الخاصة، لم تعرف شيئاً عن علاقته بماري هاسكل. لذا أذهلها أن تكون الرسائل مستكينةً طوال ربع قرن في الصندوق الكبير المُخَيَّب بعناية بين أغراض جبران.

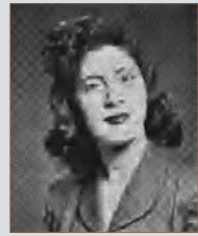
غلاف كتاب فرجينيا حلو، وهي أول من كشف عن رسائل جبران وماري هاسكل، بتكليف قانوني من شقيقته مريانا جبران.



أول ما فعلته: طلبت من ماري هاسكل أن تُحرقها مدعيةً أن تلك الرسائل قد تُسيء إلى صورة جبران. وافقت ماري في البدء ثم عادت فرفضت. إنها رسائل حياتها مع جبران: حافظت على جميع رسائله إليها، ولم تكن تعرف أنه هو أيضًا حافظًا على جميع رسائلها إليه. أيُّ رعشةٍ بين الحزن والفرح تكونُ انتابت ماري وهي تفاجأ بحفظه تلك الرسائل وتتعرف إلى خطها فيها. ولأنها تؤمن أن جميعها - رسائلها إليه ورسائله إليها - ستكون مُلك أيام آتية قد تقدّر جبران كما هي قدّرتُه، أفادت في اليوم التالي من غياب باربره عن المحترف بسبب وعكة صحية، فجاءت سريعةً إلى المحترف، حزمت جميع تلك الرسائل، حملتها بحرصٍ كثير، وسافرت عصر النهار ذاته إلى سافانا (ولاية جورجيا) حيث بيتها الذي أمضت فيه بقية حياتها، حتى وفاتها في مصحٍّ للعجز صبيحة الجمعة ٩ تشرين الأول ١٩٦٤ عن ٩١ عامًا<sup>١</sup>.

وكانت قبلذاك بخمس سنواتٍ شعرت بالوهن الصحي والعقلي يتسلل إليها فرتبت بعناية حزمة الرسائل (٣٢٥ رسالة من جبران إليها بين ١٩٠٤ و١٩٣١، و٢٩٠ رسالة منها إليه)، وضمت معها ٤٧ دفترًا هي مجموعة يومياتها الخاصة عن حياتها مع جبران، وأهدتها جميعها سنة ١٩٥٩ إلى مكتبة «المحفوظات النادرة» لدى جامعة نورث كارولينا في تشاпл هل حيث لا تزال محفوظة بكل عناية حتى اليوم.

فرجينيا حلو من أصل لبناني. وُلدت سنة ١٩٢٩ في مدينة ويستبورغ (بنسلفانيا) حيث استقر والدها إثر هجرة جدها من لبنان هربًا من الحرب العالمية الأولى. أنقّت فرجينيا العربية مع الإنكليزية. عملت طويلًا محققةً ومراجعةً كُتبا لدى عدد من دور النشر الأميركية، فاشتهرت بتحقيقاتها الأدبية. سنة ١٩٦٧ كلّفها مريانا جبران، بواسطة محامها الياس شمعون (بوسطن)، مراجعة رسائل جبران وماري هاسكل (لدى مكتبة جامعة نورث كارولينا في تشاпл هل). عملت خمس سنوات على تحقيق الرسائل، ونسقت مختارات منها نشرتها في كتابها سنة ١٩٧٢ لدى منشورات «كنوف» - نيويورك، وصدّرت طبعةً ثانية لها لدى منشورات «كوارتت» (لندن ١٩٧٣). توفيت بالسرطان سنة ١٩٧٦ عن ٤٧ عامًا.



١ ذكرت فرجينيا حلو في الصفحة ١٥ من هذه المقدمة أن ماري وُلدت في مدينة كولومبيا (ولاية كارولينا الجنوبية) في ١١ كانون الأول ١٨٧٣، أي أنها تكبر جبران بعشر سنوات.

## خروج ماري ودخول باربره

رَبَّتْ فرجينيا حلو هذه المقتطفات من الرسائل وَفُق التسلسل الزمني، سنَّة بعد سنة، منذ الجمعة ٢ تشرين الأول ١٩٠٨ (أول رسالة إلى ماري من جبران في باريس) حتى آخر رسالة منه إليها (الإثنين ١٦ آذار ١٩٣١) قبل وفاته بثلاثة أسابيع. وفي الصفحة ٤٣١ من الكتاب، عن رسائل سنة ١٩٢٧، مهَّدت فرجينيا حلو للمنتخب من رسائل تلك السنة بمقدمة هنا بعض ما جاء فيها:

«مع هذه السنة، ١٩٢٧، تكون مضت ثلاث سنوات على وجود ماري في مدينة سافانا الهادئة (ولاية جورجيا) بعيدًا عن صخب الحياة التي كانت أمضتها في بوسطن. فها هي تنعم بمنزلها العريق الفخم المترف (المبنى ٢٤، شارع غاستون الغربي) مع زوجها فلورنس ماينس<sup>٢</sup>. إذًا هي ظلَّت نحو ثلاث سنوات لا تأتي إلى نيويورك لزيارة محترف جبران كما كانت تزوره غالبًا من قَبْل وتَطَّلَع على جديد رسومه أو تناقشه في نصوص جديدة يكون كَتَبها. إنما هذا لا يعني انقطاع التواصل كُليًا بينهما. كانا اتفقا على أن يواصل جبران إرسال مخطوطاته إليها فتروح هي، في غفلة عن زوجها الذي لم يكن راضيًا عن استمرار علاقتها بجبران، تنقح عباراته الإنكليزية، توضح له فكرة تبدو ملتبسة، أو تقترح عليه عبارة أخرى توضح الفكرة، وتصحح أخطاء لغوية يكون سها عنها.

في تلك الفترة، منذ ١٩٢٥، كانت دخلت حياته باربره يونغ لتكتب لاحقًا كتابها «هذا الرجل من لبنان» راويةً فيه سنواتها الست الأخيرة في حياة جبران. لكن علاقتها به لم تكن حميمه فلم يخبرها قط عن ماري، لذا لم تكتشف باربره الخيوط الأولى لعُلق العلاقة العاطفية السرية بين ماري وجبران إلا بعد أيام من وفاته.»



٢ ساكنته نحو سنتين (كان سابقًا زوج ابنة عمها) ثم تزوجتهُ نهار الجمعة ٧ أيار ١٩٢٦. توفِّي نهار الخميس ٣ أيلول ١٩٣٦ عن ٨٤ عامًا.

## موت جبران وانكشاف الرسائل

في الفصل الأخير من الكتاب (ص ٤٤٠-٤٤٧) روت فرجينيا حلو وفاة جبران بتفاصيل أقتطف من بينها فقط مقاطع تتعلق بباربره يونغ:

«كانت السيدة آنًا جوهانسِن، زوجة بوابِ ذاك المبنى العتيق رقم ٥١ في الشارع العاشر غربًا، هي التي تهتم بمحترف جبران تنظيفًا وترتيبًا، وتصعد إليه يوميًا في الطبقة الثالثة حاملَةً إليه فطوره الصباحي. غير أنها كانت لبضعة أيام قلقة، كما عدد من أصدقائه المقربين، على صحته تتدهور تدريجًا، لعلَّه كانت تبدو بعضُ لُغز.

صباح الخميس ٩ نيسان ١٩٣١ دخلت عليه حاملَةً فطوره كالعادة، ففوجئت بحالته سيئةً أكثر من قبل. اتصلت فورًا بالسيدة ليونيل جاكوبس<sup>٣</sup> التي كانت تركت لها رقم هاتفها كي تتصل بها عند الحاجة. بعد دقائق وصلت السيدة جاكوبس مع طبيب عاين جبران وطلب نقله فورًا إلى مستشفى. لكنَّ جبران رفض. أراد مصرًا أن يمضي النهار والليل في غرفته فيذهب إلى المستشفى في اليوم التالي (الجمعة). وافقه الطبيب والسيدة جاكوبس، لعلَّ وضعه غدائذ يكون أفضل لتحرُّكه إلى المستشفى.

بعيدًا ظهر الخميس وصلت باربره يونغ إلى المحترف وبقيت معه حتى ساعة متأخرة من الليل، وهو يحدثها عن آخر كتاباته وأحدث رسومه وبعض ما ينوي من أعمال سينجزها. كانت رسومه غير الناجزة تؤرقه. قال لها: «على يدي هاتين أن تنفذا أعمالًا بعدُ قبل أن تستريحا».

الساعة ٨:٣٠ مساءً عادت السيدة جاكوبس مع الطبيب محاولة إقناع جبران بالانتقال إلى المستشفى لكنه رفض مجددًا، وأصرَّ على تمضية ليلته في المحترف.

<sup>٣</sup> تذكر جين جبران في كتابها «خليل جبران أبعد من الحدود» (ص ٤٧٣) أن السيدة ليونيل جاكوبس كانت لفترة طويلة تسكن وزوجها في الطبقة الثالثة من ذاك المبنى، لكنهما انتقلا إلى مسكن آخر. اشتهرت ليونيل فترتتد رسامة وجوه. ووضعت لجبران رسمًا ضمَّنته لاحقًا كتابها «رسوم ثلاثين مؤلفًا» (١٩٣٧).

غادرا وبقيت باربره معه تصغي إليه يحدثها بلهفة عن لبنان، عن أمه التي كان شديد التعلق بها، وعن شقيقته مريانا الباقية وحدها في بوسطن.

الساعة ١٠:٣٠ صباح الجمعة نقلته باربره إلى مستشفى سانت فنسنت القريب (تقاطع الجادة السابعة والشارع الحادي عشر). وتلفت مريانا في بوسطن برقية (إمّا من إدارة المستشفى أو من الطبيب) تفيد أنه في المستشفى وفي وضع حرج. اتصلت مريانا فوراً بنسيبها عساف جورج وزوجته روز دياب واستقلوا معاً أول قطار إلى نيويورك. عند دخولها المستشفى أبلغتها المسؤولة أن جبران دخل في الغيبوبة عند الساعة ٢:٠٠ بعد الظهر وما عاد يمكنه التعرف إلى أحد. وهبط صاعقاً عليها قول الطبيب إن شقيقها يعيش ساعاته الأخيرة.

الساعة ٥:٣٠ اتصلت باربره يونغ بإدارة مجلة «العالم السوري» معلّمة أصدقاءه بوضعه المتدهور. ميخائيل نعيمه كان هناك فهرع إلى المستشفى. وفي الطبقة الثالثة حيث غرفة جبران استقبلته باربره يونغ التي كان التقاها مرة في محترف جبران. أنبأته أن لن يمكن بعد فعل أي شيء. سألتها إن كان جبران طلب أن يعترف ويتناول القربان، أجابته أن راهبة من المستشفى سألت جبران إن كان كاثوليكياً فأجابها بفضافة «كلاً». وأكملت باربره تروي لنعيمه أن بعدما دخل جبران في الغيبوبة الكاملة وصل الخورأسقف فرنسيس واكيم، راعي أبرشية مار يوسف المارونية في نيويورك، وراح ينادي بأعلى صوته فوق رأس المحتضر: «جبران... جبران...» وجبران لا يجيب. وقالت باربره لنعيمه إن زعيق ذاك الخورأسقف أثار غضبها حتى تمت أن تسحبه وتطرده خارج المستشفى.

الساعة ١٠:٥٥ ليلاً لفظ جبران نفسه الأخير، وكان إلى سريه باربره يونغ وميخائيل نعيمه، وفي الغرفة المحاذية كانت مريانا ومعها نسيباها، والسيدة جاكوبس التي لم تغادر المستشفى طوال النهار، والسيدة وليام براون مالوني، والسيدة أدال واتسون.

كان ذلك ليل ١٠ نيسان، أول يوم جمعة بعد الفصح سنة ١٩٣١. ودونت إدارة المستشفى أن سبب الوفاة: تليّف الكبد وبداية عوارض السل في إحدى الرئتين.

صباح السبت أرسلت مريانا إلى ماري هاسكل برقيّة وصلتها في سافانا (جورجيا) الساعة ١١:٠٠ صباح الأحد. ومع أن زوجها كان غير راضٍ عن علاقتها السابقة بجبران وغير موافقٍ أن تذهب ماري إلى مأتم جبران، استقلت ماري قطار الساعة ١:٣٠ بعد ظهر الأحد إلى نيويورك فبوسطن. وكانت أبرقت إلى مريانا أنها تصل إلى بوسطن في قطار الساعة ٧:٠٠ مساءً الاثنين ١٣ نيسان.

الساعة ٥:٠٠ عصر الاثنين وصل جثمان جبران إلى بوسطن مغطىً بالعلم اللبناني. كان في استقباله صديق جبران راعي أبرشيتها الخورأسقف أسطفان الدويهي. سجى الجثمان في قاعة «جمعية المساعدة» للسيدات السوريات في المبنى ٤٤ غربى شارع نيوتن.

وصلت ماري إلى القاعة عند الساعة ٨:٠٠ مساءً فانصمت فوراً إلى مريانا وبعض أصدقاء جبران، مشاركةً في تقليد كسر الخبز ولقمة الرحمة وشرب القهوة في ما سُمي «العشاء الأخير» على نية جبران.

ليلة الخميس ١٦ نيسان غادرت ماري هاسكل ومريانا ونسيبتهما روز دياب مدينة بوسطن في القطار إلى نيويورك فوصلتها صباح الجمعة ١٧ نيسان وقصدن «فندق هولندا» في المبنى ٣٥١ غربى الشارع ٤٢، وضعن فيه حقائبهن واسترحن وتناولن الغداء ثم توجهن بعد الظهر إلى محترف جبران مُمضيات فيه ساعاتٍ طويلةً يجمعن أغراضه وأوراقه، واكتشفت ماري أن لديه عددًا كبيرًا من زجاجات شراب الزنجبيل المنشط.

صباح السبت ١٨ نيسان لاقتهن باربره يونغ إلى مكتب المحامي وليام ساكس (المبنى ٣١ - الجادة الخامسة) لفتح وصية جبران والبحث في تنفيذها. انتهى الاجتماع بالاتفاق على أن تسكن باربره يونغ في المحترف فترةً، مهما طالت، حتى يتم إخلاؤه كلياً، ويكون دفع المصاريف من شركة جبران التي تبين أنها ٤٩،٤٥٩ دولاراً. ثم انتقلت ماري ومريانا وباربره إلى مكتب مستشار في الشأن الضريبي فاجتمعا لديه بالسيد شيا، ممثل مصرف مانهاتن بنك في محلة يونيون سكوير. لدى فتح الصندوق الخاص بجبران وجدوا نسخة أسهمه في المحترف، ونسختي وصيته سنتي ١٩١١ و١٩١٣. وفي هاتين الوصيتين، كما في الثالثة والأخيرة (الأربعاء ٣٠

تموز ١٩٣٠)، تبين أن جبران أوصى بكل ما لديه لشقيقته مريانا وماري هاسكل وبلدته الأم بُشْرِي. جاء فيها حرفياً: «بعد موتي، كل ما في محترفي من رسومٍ وكُتُبٍ وتُحفٍ فنيةٍ وسواها يذهب إلى السيدة ماري هاسكل ماينس، الموجودة اليوم في المبنى ٢٤ شارع غاستون غرباً، في ساقانا - جورجيا».

نهار الاثنين ٢٠ نيسان أمضت ماري طيلة النهار في المحترف تحزم عددًا كبيرًا من الرسائل والمخططات والملاحظات والرسوم والمخطوطات. عملت ماري وحدها في المحترف لأن باربره يومها كانت متوعدةً وكانت اقترحت على ماري الاتصال بميشا (ميخائيل) نعيمه كي يساعدها. اتصلت به ماري في إدارة «العالم السُوري» فجاء إلى المحترف الساعة ٥:٠٠، وساعدها بضع ساعاتٍ على جمع الرسوم والأغراض ووضعها في خزانة جعلها لها قفلاً، وجعلها قفلاً آخر لباب المحترف. قبلها بأيام كانت ماري وباربره سحبتا من بين الأغراض المُكدّسة صندوقًا كبيرًا حين فتحتاه وجدت فيه ماري رسائلها إلى جبران منذ عرفته، وأخرى وهو في باريس للدراسة، وسواها حين غادرَ بوسطن إلى نيويورك، وهي مئاتٌ رسائل كتبتها إليه خلال عشرين عامًا. حين تنبّهت باربره يونغ إلى ما في تلك الرسائل وما تمثله في حياة جبران، طلبت من ماري إتلافها جميعها فوافقت ماري عفويًا على إحراقها. غير أنها، حين كانت وحدها في المحترف نهار الاثنين ٢٠ نيسان، حزمت جميع تلك الرسائل، وبعدها ودّعت ميخائيل نعيمه مساءً، استقلت قطار الساعة ١٠:٢٠ ليلاً وعادت إلى بيتها في ساقانا. وبعد أيامٍ كتبت إلى باربره يونغ أنها لا توافق على إحراق الرسائل لأنها كانت دائماً مؤمنةً بجبران وبعظمته، وتالياً ترى أن هذه الرسائل، بما فيها من تفاصيل علاقتهما، تؤرّخُ مرحلةً أساسيةً من حياة جبران ويستحيل إتلافُ هذه المرحلة.

وفي بيتها، بهدوءٍ وغفلةٍ عن زوجها، جاءت برسائلها إليه كما حملتها من نيويورك وضممتها مع رسائله إليها وكانت محتفظةً بها جميعها. وبقيت المجموعة محفوظةً لديها إلى أن أودعها مكتبة جامعة نورث كارولينا حيث لا تزال محفوظةً بعناية فائقةٍ حتى اليوم».

## باربره يونغ في تكريم جبران

تكريمًا جبران في ثلاث مناسبات:

- ١) عشيةً ذكرى عيد ميلاده (السبت ٦ كانون الثاني ١٨٨٣)،
  - ٢) مُرور ربع قرن (١٩٠٤-١٩٢٩) على حياته الفنية منذ معرض رسومه لدى فِرْدْ هولِنْدْ داي (الجمعة ٣٠ نيسان - الإثنين ١٠ أيار ١٩٠٤)،
  - ٣) عشيةً مرور ربع قرن على صدور أوَّل كتابٍ عربيٍّ له «نبذة في فن الموسيقى» (الإثنين ١٩ حزيران ١٩٠٥)،
- أقامَ رفاقه أعضاء «الرابطة القلمية» احتفالًا تكريميًا كبيرًا له في فندق ماك آلپن الفخم (مانهاتن - نيويورك) مساء السبت ٥ كانون الثاني ١٩٢٩، حضره ٢١٥ مدعوًا من الجاليتين اللبنانية والسورية.
- كان وليم كاتسفليس عريف الاحتفال، فقدَّم ١٧ خطيبًا توالوا على المنبر وفق الترتيب التالي: ميخائيل نعيمه، الدكتور فيليب حتي (فترتئذٍ رئيس دائرة اللغات الشرقية في جامعة پُرِنْسْتُون)، الدكتور الياس مسلّم، الدكتور نجيب بربور، ريتشارد أيوب، سلوم مكرزل، الدكتور سليم الخازن، الصحافي حبيب كاتبة، الياس عطاالله، رشيد عبدالنور، نسيب عريضة، جوزف معلوف، ندره حدّاد، ملحم صيدح، جميل الحلوة، ملحم حاوي، عبدالمسيح حدّاد.

في نهاية الاحتفال فاجأ أعضاء «الرابطة» عميدهم جبران بتوزيع كتاب «السنابل» الذي جمعوا فيه باقةً من مقالاته العربية (الفصل ١٧ من هذا الكتاب - ص ٥٠٠).

ختامًا وقف جبران ليُلقي كلمة شكر لكنه لشدة تأثره «أجهش دمعًا ولم يستطع أن يكمل كلمته»، كما وردَ في تغطية الاحتفال على الصفحة ٥٢ من مجلة «العالم السوري» (السنة الثالثة - العدد الثامن - شباط ١٩٢٩).

وفي هذا العدد ذاته (ص ٣٠-٣٤) النصوص الإنكليزية في ذاك الاحتفال: كلمة فيليب حتّي، كلمة سلوم مكرزل، وقصيدة باربره يونغ التي أرسلتها من منتجها في فلوريدا وقرأها بالنيابة عنها سلوم مكرزل.

من تلك النصوص أترجم هنا قصيدة باربره يونغ وعنوانها «جبران» («العالم السوري» ص ٣٢):

دَعُونِي أَتَرُّ سِحْرًا عَلَى اسْمِهِ السَّحْرِيَّ  
كَأَيُّنْشُرُ الْمَاءِ عَلَى عُرْفِ التَّلَّةِ الْأَخْضَرِ.  
دَعُونِي أَقْطِفُ رَعْدًا مِنْ قَاصِفِ الرَّعْدِ الْمُدَوِّيِّ فِي الْفِضَاءِ

وَأَجْمَعُ وَمِيضَ الْبَرْقِ  
كَأَيُّ حَصَادٍ يَجْمَعُ سَنَابِلَ يَانِعَةً تُجَدِّدُ قَوَاهِ.

دَعُونِي أَطْلِقُ اسْمَهُ عَالِيًّا فَوْقَ الرِّيحِ  
كَأَيُّ أَطْلِقُ جَنَاحَ عَصْفُورٍ

بَرَفِيفٍ عَظِيمٍ يَشُقُّ أَقْصَى الْفِضَاءِ  
وَكَأَيُّ أُضِيءُ شِعْلَةً حَيَّةً، وَثَابَةً، خَالِدَةً!

هَكَذَا، طَوَالَ أَيَّامِي، سَأَرْفَعُ اسْمَهُ  
عَالِيًّا عَالِيًّا فَوْقَ الرِّيحِ!.

GIBRAN  
By BARBARA YOUNG  
*Sent by Miss. Young from her retreat in Florida to the Editor of  
The Syrian World to be read at the Dinner to Gibran.*  
LET me pour wonders on his wondrous name  
Like waters on the green crest of a hill.  
Let me pluck thunders from the thundrous sky,  
And let me gather lightnings as a harvester  
Gathering ripened grain  
For his refreshing.  
Let me lift up his name upon the wind,  
Lo, as the wing of a bird I would lift it up,  
A mighty wing cleaving the uttermost sky,  
As a flame, as a living, leaping, deathless flame,  
All of my days I would lift up his name.

مطلع قصيدة باربره يونغ في تكريم جبران، كما صدرت ص ٣٢ في العدد الثامن (شباط ١٩٢٩) من مجلة «العالم السوري».

١ | إنصافًا، هذا فعلًا ما فعلته باربره يونغ: «طوال أيامها»، منذ عرفته سنة ١٩٢٥ حتى غيابه وطويلاً بعد غيابه، بقيت تعمل على رفع اسمه «عاليًا عاليًا فوق الريح».



## باربره يونغ في تأبين جبران

كان سلوم مكرزل، صاحبُ مجلة «العالم السوري»، وفيًا لصديقه جبران فخصَّص من إصدار نيسان ١٩٣١ (العدد الثامن - السنة الخامسة) قسمًا كاملًا (ص ١٩ إلى ص ٤٨) للمراثي التي وردتْه لدى غياب جبران ذاك الشهر. وعدا النصوص التي وصلته، تبسَّط في تفصيل احتفال متحف «روريتش» كما يلي (ص ٢٧ - ٢٨):

### الأميريون يُحيون روح جبران

مات جبران لكنَّ ذكره ستبقى حيَّةً. تأثيره في الحياة الروحية الأميركية سيزداد حضورًا مع السنوات، وإبداعاتُ قلمه وريشته ستمتدُّ مرجعًا راقبًا من جذوره إلى شباب الأمة الأميركية.

هكذا كان المناخُ الحزين الذي، شعرًا ونثرًا، شكَّل احتفال تأبين بعنوان «إلى روح جبران» في الصالة الشرقية من متحف روريتش<sup>١</sup> (الشارع ١٠٣ - نيويورك) بعدَ ظهر الأربعاء ٢٩ نيسان ١٩٣١. وتميَّز الاحتفال بالبساطة والرقِّي والروح الجبرانية التي سادت فيه.

١ أسَّسه سنة ١٩٢٩ الكاتب والرسام الروسي نقولاي كونستانتيونوفيتش روريتش (١٨٧٤ - ١٩٤٧).

وكان واضحًا هَمُّ المشاركين من رفاق جبران وأصدقائه أن يُبرزوا روحه في فكره وكتاباته، بدءًا من كلمة الافتتاح لمنظّم الاحتفال الدكتور تشارلز فُلْتِشِر.

ضمّت القاعة نحو ٢٠٠ من نخبة مثقفي المدينة الأميركيين بين مؤلفين وأساتذة جامعيين ومربيين وآخرين من مهن وقطاعات مختلفة. لم يكن السوريون كثيرين بين الحضور، لا إشاحةً عن قيمة جبران بين أبناء قومه، بل لأن الصحافة السورية كانت أعلنت عن احتفالٍ آخرٍ بالعربية سيقام في بروكلن مساء الأحد ٢٤ أيار.

كان الدكتور فُلِشِر يقدم الخطباء بقراءة مقاطع من كتابات جبران الإنكليزية، افتتحها بعبارة جبران الشهيرة «رُبَّ مَاتِمٍ بين البشر يكون عرسًا بين الملائكة».

الأمير محيي الدين، ابن العائلة الهاشمية المتحدّرة من سلالة النبي محمد، عزفَ على التشيلُو مقطوعة فرانز شوبرت «أَيُّهَا الراقد بسلام» رافقه السيد ريتنر على البيانو. ثم قرأ الدكتور فُلِشِر مجموعةً برفقيات تعزية، وأعلن أن السيدة كورين روزفلت روبنسن - شقيقة الرئيس الأميركي الراحل وصديقة جبران - كانت اعتذرت عن الحضور بسبب المرض لكنها عادت فحضرت.

بعد قصيدتين من السيدة إِسْتِلْ دوكلو وميخائيل نعيمة، كانت قصيدة «الوداع» الخاصة بالمناسبة للسيدة باربره يونغ، قرأها الدكتور فُلِشِر بينما تولّت هي بعده قراءة مقاطع من مخطوطة جبران «حديقة النبي» غير المنشورة بعد.

ثم عزف المؤلف السوري أنيس فليحان على البيانو لحنًا أغنية وضعه عن إحدى قصائد جبران، غناها هيوبرت لِنْسْكوت.

وتوالّت بعدها خُطْبٌ من كلود براغدن وسُوُد حسين وسلوم مكرزل.

في نهاية الاحتفال عزف الأمير محيي الدين على العود مقطوعاتٍ شرقيةً مؤثّرة.

وختامًا شكر الدكتور فُلِشِر إدارة المتحف على تقديمها الصالة مجّانًا لإقامة هذا الاحتفال».



بعد هذا التفصيل في تغطية وقائع الاحتفال، نشرت «العالم السوري» (على الصفحات ٢٨ إلى ٤٨) كلمات الدكتور فليشر، و كلود براغدن («جبران باقٍ حيًّا») وسُيود حسين («حَمَلٌ لَنَا الْجَمَالَ وَالْحَقِيقَةَ»)، وسلُوم مكرزل («سَافَرَ مَعَ الشَّمْسِ»)، وقصيدة إِسْتَلَّ دَوَكُلُو («هَذَا النِّجْمُ ابْنُ لُبْنَانَ») وقصيدة ميخائيل نعيمه («الميثاق الصُّوفِيَّ»)، وقصيدة باربره يونغ («الوداع»).

من تلك الخُطب والقصائد أكتفي هنا بترجمة قصيدة باربره يونغ:

## الوداع

نقول:

«الشاعرُ ينام  
فليحرس نومَه الأرزُ المهيبُ  
ويَحْمِ التلةَ من غروبِ اسمِهِ المشرقِ».

نقول:

«فلتحضنِ الجذورُ رمادهِ الناعمِ  
هو الذي  
عَرَفَ ظلامها وآلامها وقلَقَ الترابِ السريِّ  
وعرفَ الشرايينَ المُخضرةَ آسًا وأعشابًا  
هو الذي

سمعَ نبضَ الربِّ وخفقةَ الإنسانِ  
في انهمارِ المَطَرِ وانهمالِ الثلجِ».

نقول:

«الشاعرُ ينام». لكنه «لا ينام»  
بل خرجَ يمشي في الفضاءِ ويركضُ في الريحِ  
حاملاً  
قيثارةً بلا أوتارٍ تُدندنُ أغنيةً خارجَ المدى

وريشةً من نورٍ وجدَتْ أخيراً ألوانَ موشورٍ آخرِ  
كان يَنْهَدُ إليه كيانَهُ المُشْعِ.



لا تُسْمُوا احتضاراً عِناقَهُ الغمامةَ  
لا تُسْمُوا موتاً ذهابه إلى الشمس  
أبداً

ها جناحُه الطُّلُقُ رَفَّ يلاقي الجمال في موطن الجمال  
بعدما لفظَ كلمةً خالدةً عن الحياة والحب والموت  
وكتَبَها بِمهابةٍ شفافيةٍ وتألَّقَ ساطعٍ على صفحةٍ من عاج  
وها هو قاصدٌ نجمةَ الصبح  
ليرسُمَ الأثيرَ شموساً وأقماراً  
ويَبْلُغُ بيتهُ هناك... بعيداً هناك... في قلب العاصفة.

VALEDICTORY

By BARBARA YOUNG

We say, "The poet sleeps. Let mighty cedars  
Guard now the place, and fortify this hill  
Against the passing of his lofty name."  
We say, "Let roots enfold his gracious dust—  
He who has known their darkness and their pain,  
And all the secret anguish of the soil,  
And the green ways of myrtle and of grass;  
He who has heard the pulse of God and man  
Beat in the beating rain and falling snow."

We say, "The poet sleeps." *He does not sleep.*  
He is gone out to walk upon the sky,  
To run upon the wind. His stringless lyre  
Is tuned to spaceless song, his brush of light  
Finds now the colors of that other prism  
Whereunto all his radiant being yearned.

Call it not dying to espouse the mist.  
Call it not death to pass into the sun.  
Nay, even now his unencumbered wing  
Encounters Beauty in her dwelling-place.  
For he has uttered an immortal word  
Of life and Love and Death, and flung their face  
In clear resplendant majesty and glory  
Upon the ivory page. Now he goes forth  
To speak in measures with the morning star,  
To paint the ether with the suns and moons,  
And ride the tempest where he finds his home.

قصيدة باربره يونغ في رثاء  
جبران كما ظهرت ص ٣٨  
في العدد ٨ (نيسان ١٩٣١)  
من مجلة «العالم السوري».

## نشاطها بعد غيابها

منذ اللقاء الأول بين جبران وباربره يونغ (آذار ١٩٢٥) أخذت حياتها منحى آخر: انفتحت لها صفحة من العمر جديدة تتألت بعدها صفحات كأنما لم يعد لحياتها منذئذ إلا عنوان واحد لم تعد تُعرف إلا به: جبران. انصرفت إليه في محترفه، مُدوّنة ما يُمليه عليها، تابعة نوصه على آلتها الكاتبة، مُهيّئة مخطوطاته للنشر، رفيقة نهاراته وأمسياته، مراقبة أطباعه وأهواءه وأحزانه وأوجاعه وصحته وسقمه وقلقه ومزاجه وعاداته وإيقاع حياته اليومية، ساهرة في المحترف على توجّعه في ليلته الأخيرة، ناقلة إياه صباح اليوم التالي إلى المستشفى، ملازمة سريره حتى دخوله الغيبوبة النهائية ولفظ نفسه الأخير، جالسة إلى جثمانه في نيويورك، حاضرة مأتمه في بوسطن، مودعة تابوته منتقلاً بالباخرة من مرفأ بروفيدينس إلى لبنان، متابعه أخبار مأتمه في بيروت ودفنه في بُشري، منقذة في نيويورك ما أوكل إليها بعد وفاته من الاهتمام بموجودات محترفه وتوضيب ما فيه من أوراق ولوحات ورسوم وأغراض شخصية ووضع ثبت بها، واضعة عنه كتيبا ملموماً بُعيد وفاته<sup>١</sup>، مقيمة له في عدد من المدن الأميركية ندوات أدبية حول كتبه وقراءاتٍ عليّية من شعره، منظمة له معارض للوحاته ورسومه، ثم متوجّهة آملها سنة ١٩٣٩ بزيارة وطنه في

١ «نبذة عن خليل جبران هذا الرجل من لبنان»، ٤٨ صفحة حجماً صغيراً، إصدار خاص، المطبعة السورية الأميركية (لصاحبها سلوم مكرزل)، نيويورك ١٩٣١.

بلدة مولده بُشْرِي ومدرسته «الحكمة» في بيروت، واضعاً سنة ١٩٤٥ عن تلك الزيارة كتابها الشهير «هذا الرجل من لبنان»، وفيه سيرته ومسيرتها معه. وهي حتماً لم توقّف نشاطها عن جبران الذي كأنها، أمانةً على إرثه، كرّست له آخر أربعة عقود من حياتها: بين آذار ١٩٢٥ ووفاتها في مأوى للعجّز سنة ١٩٦٢ عن ٨٤ عاماً. كثيرةً جدّاً كانت تلك الأنشطة التي قامت بها، أترجم هنا حرفياً بعض ما صدر منها سنة ١٩٣٥ في مجلة «العالم السوري»<sup>٢</sup>.

الخميس ٢٨ شباط ١٩٣٥

## افتتاح معرض دائم لرسوم جبران

نهار الإثنين المقبل في ٤ آذار تفتتح باربره يونغ معرضاً دائماً لرسوم الراحل جبران خليل جبران في الطابق المتوسط<sup>٣</sup> من فندق «غراند أوتيل»<sup>٤</sup> نيويورك. والسيدة يونغ شاعرة معروفة، وهي القيمة الأدبية على تراث جبران. المعرض مفتوح أيام الإثنين والأربعاء والسبت من الساعة ٢:٠٠ حتى الساعة ٦:٠٠ مساءً، ويومي الثلاثاء والخميس من الساعة ٧:٠٠ حتى الساعة ١١:٠٠ ليلاً. الدخول مجانيّ يومي الاثنين والخميس. ولباقي أيام الأسبوع رسمٌ رمزيّ.



<sup>٢</sup> مجلة أسّسها سلوم مكرزل بالإنكليزية في نيويورك سنة ١٩٢٦، ونشر فيه جبران نصوصاً عدّة (منها في العدد الأول، تموز ١٩٢٦، نصّه الشهير «إلى الأميركيين الشباب من أصل سوري»). صدرت المجلة شهريةً من ١٩٢٦ إلى ١٩٣٢ حين تولّى سلوم إدارة جريدة «الهدى» إثر وفاة مؤسسها شقيقه نعوم مكرزل عامئذ. وفي ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٣ أعلن سلوم تخليه عن إدارة مجلته لحبيب كاتبة الذي جعل حجمها بشكل جريدة أسبوعية ظلّت تصدر صباح كل خميس حتى ١٩٣٥.

<sup>٣</sup> هو المتوسط بين الطابق الأرضي والطابق الأول، وهو معروف لدى الفنادق باستقبال الحضور في بعض الاحتفالات.

<sup>٤</sup> تأسس سنة ١٨٦٨، وكان من أعرق الفنادق في زمنه. كرّسته بلدية نيويورك على لائحة المباني الأثرية الوطنية سنة ١٩٨٣.

الخميس ٧ آذار ١٩٣٥

## افتتاح المعرض الدائم لأعمال جبران داعمون معروفون، أستاذ في رنجرز يتحدث عن تأثير جبران، مركزل يتحدث عن مدفن جبران في بُشري

مساءً الأحد الماضي، ٣ آذار، تم افتتاح المعرض الدائم لأعمال جبران، رسوياً بالقلم الرصاص ومائياتٍ، باحتفالٍ رسميٍّ في الطابق المتوسط من فندق «غراند أوتيل» - مانهاتن (تقاطع برودواي والشارع ٣١).

كلمة الافتتاح كانت للشاعرة باربره يونغ القيّمة الأدبية على تراث جبران. تحدّثت عن الشاعر و«النبي» معلنةً أن هذا المعرض يحقق أحد أعزّ أحلام جبران الذي قال لها سنة ١٩٣١: «لو كان لي أن أموت الليلة، تذكّري أن أعزّ حلم على قلبي أن تذهب ذات يوم ذات مكانٍ خمسون أو خمسة وسبعون من رسومي ولوحاتي إلى ردهة كبرى في مدينة كبرى، ويراها جمهورٌ معلّقةً فيتأملها وربما يحبّها».

ثم قدّمت السيدة يونغ المغنيّ الإيرلندي مايكل كينيلي الذي كانت أغانيه تسرُّ جبران. غنّى منها واستعاد بعضها بطلبٍ من الجمهور. ثم كانت كلمة الأنسة آنا بيرويه، تلتها ماري إلّن راين عضو نقابة المسرحيين فقرأت فقراتٍ من فصل «مريم المجدلية» في كتاب «النبي»<sup>٥</sup>. ثم تحدّث أستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة رنجرز<sup>٦</sup> الدكتور دوغلاس وايلد، فسرّد تأثير كتابات جبران على الطلّاب في صفوفه، وعلى حياتهم الخاصة خارج الجامعة. ثم قدّمت السيّدّة يونغ آخر خطباء الاحتفال سلّوم مركزل رئيس تحرير «الهدى»، وهو عائدٌ حديثاً من بُشريّ مدينة مولد جبران، فتحدّث بالتفصيل عن ضريح جبران في دير مار سركيس وعن المتحف الذي يضم أغراضه الشخصية ولوحاته التي كانت في محترفه (الشارع العاشر غرباً

<sup>٥</sup> وقّع المحرر هنا في خطأٍ أدبي. ففصل «مريم المجدلية» هو في كتاب «يسوع ابن الإنسان» وليس في كتاب «النبي».

<sup>٦</sup> هي جامعة ولاية نيوجرزي، تأسّست سنة ١٧٦٦، وهي ثامنة أقدم مؤسسة للتعليم العالي في الولايات المتحدة.

في نيويورك). وأقرَّ بفضل باربره يونغ وجهودها المتواصلة وإخلاصها واندفاعها في إطلاع الجمهور على أعمال جبران، كتاباتٍ ورسومًا، وأعلن أن أهل بُشري «يُهدون الشاعرة الأميركية تحياتٍ شكرهم وامتنانهم، ويؤكِّدون لها حرارة انتظارهم زيارتها الموعودة مدينة جبران الأم»<sup>٧</sup>.

هذا المعرض الدائم سيكون مفتوحًا للجمهور بعد ظهر الإثنين والأربعاء والأحد من الساعة ٢:٠٠ إلى الساعة ٦:٠٠، ومساءً الثلاثاء والخميس من الساعة ٧:٠٠ إلى الساعة ١١:٠٠ ليلاً. ويكون الدخول مجانيًا يومي الإثنين والخميس، وبرسم رمزي أيام الثلاثاء والأربعاء والسبت.

بين داعمي المعرض الدائم: السيدة والسيد بايارد جورج، الأنسة مريانا جبران، هاري إدموندز، مايكل كينيلى، سلوم مكرزل، آنا بيرس، دوغلاس وايلد، ماكس هوفمان، وآخرون.



الخميس ٢١ آذار ١٩٣٥

## دعوة إلى الشباب الأميركيين من أصل سوري

الساعة ٤:٠٠ بعد ظهر أحد الشعانين، في ١٤ نيسان المقبل، يقام احتفال تذكاري لجبران خليل جبران في كنيسة سانت مارك إن دُ باوري<sup>٨</sup>. ويتمنى قسيسها الدكتور غوثري حضورَ الشباب الأميركيين من أصل سُوري. والساعة ٤:٣٠ بعد ظهر الأحد الماضي كانت جلسة قراءاتٍ شعرية بين رسوم جبران في الطابق المتوسط من فندق «غراند أوتيل» - ماناتهن، قرأت خلالها السيدة باربره يونغ من نصوص جبران ونصوص سيدني لانبيه، لكن الجمهور أُعجبَ بنصوص جبران أكثر. رافقت

<sup>٧</sup> وهو ما تمَّ بالفعل، وقامت باربره يونغ بهذه الزيارة بعد ٤ سنوات (١٩٣٩).

<sup>٨</sup> Saint Mark-in-the-Bowrie هي الكنيسة ذاتها التي كانت باربره يونغ حاضرةً فيها سنة ١٩٢٣ بين جمهورٍ جاء يُصغي إلى قراءاتٍ من كتاب «النبى» لجُبران بحُضوره مع بعض أصدقائه، بينهم ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وعبدالمسيح حداد.



أليس مكرزل القراءات عزفاً على البيانو، وأنشدَ المغني الإيرلندي مايكل كينيلي بعض الأغنيات الشعبية الشائعة. وهذه القراءات سوف تتكرر بالصيغة ذاتها الساعة ٤:٠٠ بعد ظهر كلِّ أحد.



الخميس ٤ نيسان ١٩٣٥

### معرض جبران يستقطب الكثير من المهتمين

معرض رسوم جبران خليل جبران بالقلم الرصاص والمائيات في الطابق المتوسط من فندق «غراند أوتيل» - نيويورك (تقاطع برودواي والشارع ٣١) ما زال يستقطب زوّاراً كثيرين ومهتمين بالفن في طليعتهم رسامون ومدراء صالات معارض. وفي الأسابيع الأخيرة زار المعرض عددٌ من أعلام الفن التشكيلي والمسرح. ونهار السبت ٢٣ آذار زيدت على المعرض رسومٌ بالقلم الرصاص ومنحوتاتٌ خشبية لجبران وبعضُ مخطوطاتٍ أبرزها من كتاب «النبّي»، وصفحاتٌ منه مترجمة إلى خمس لغات. يستمر المعرض بدون تحديد زمني. وهو مفتوح أيام الإثنين والأربعاء والسبت بين الساعة ٢:٠٠ و ٦:٠٠ بعد الظهر، ويومي الثلاثاء والخميس بين الساعة ٧:٠٠ و ١١:٠٠ ليلاً. الدخول مجانيّ يومي الإثنين والخميس. وأيام الثلاثاء والأربعاء والسبت برسم رمزي من ٢٥ سنتاً.



الخميس ١١ نيسان ١٩٣٥

### لقاء مع الدكتور بايارد دودج

مساءً الجمعة الماضي (٥ نيسان) كان رئيس الجامعة الأميركية في بيروت الدكتور بايارد دودج خطيب الأمسية بين رسوم جبران في فندق «غراند أوتيل» - نيويورك (تقاطع برودواي والشارع ٣١)، ولاقت محاضرته «فترات من الحياة في لبنان» إعجاباً كثيراً من الحضور. وبعد مغادرته الساعة ٩:١٥ لارتباطه بموعد آخر،

كانت فترة قراءاتٍ قدّمتها باربره يونغ أمينةٌ معرض جبران، تلتها فترة من الأغاني قدّمتها الباريتون الإيرلندي مايكل كينيّلي، ورافقتُه أليس مكرزل على البيانو. ثم شرب الجميع نخب الأمسية.



الخميس ٢٥ نيسان ١٩٣٥

### مناقشة حول ماركهام

مساءً غدٍ الجمعة، ٢٦ نيسان الجاري، تنعقد جلسةٌ بين رسوم جبران في فندق «غراند أوتيل» - نيويورك (تقاطع برودواي والشارع ٣١) حول إدوين ماركهام وقصائده. وكان جبران رسّم صديقَه ماركهام وكان معجبًا بشعره. ومساءً الثلاثاء ٣٠ نيسان تنعقد جلسةٌ أخرى عن شعر السّلام في المكان ذاته. والجلستان مفتوحتان مجانًا للجمهور.



الخميس ١٦ أيار ١٩٣٥

### رسّم «يسوع ابن الإنسان» لجبران، هديةً إلى «البيت الدولي» معروضًا رسميًا في احتفالٍ منّح ذي برنامج خاص

مساءً الجمعة الماضي (١٠ أيار)، في احتفالٍ بسيطٍ إنما مؤثّر، تمَّ إهداء «البيت الدولي»<sup>٩</sup> الرسّم الأصلي لغلاف كتاب جبران «يسوع ابن الإنسان» وسيبقى الرسّم معلّقًا فيه باستمرار. حضر الاحتفال جمهورٌ أُحصِيَ بين ٧٥ و١٠٠ من نخبة المثقفين. بعد الاستقبال وتناول الشاي بدأ الاحتفال بكلمة من مدير الأنشطة في «البيت» كينيث داملاميان عن جبران معلّنًا اعتزاز «البيت» باقتناء هذا الرسّم الكنز

٩ - تأسس في نيويورك سنة ١٩٢٤ بدعمٍ من جون روغفلور وأُسرة كليفلند دودج. غابته إقامة أنشطة أدبية وفنية. كرّسته بلدية نيويورك على لائحة المباني الأثرية الوطنية سنة ١٩٩٩.

هديةً، وسعادةً المسؤولين فيه أن يبقى الرسم موجوداً فيه باستمرار. ثم قدّم شاكراً كلمةً القيّمةً على الرسم السيدة باربره يونغ التي أهدته إلى «البيت».



«البيت الدولي» الذي أهدت إليه باربره يونغ الرسم الأصلي  
لغلاف «يسوع ابن الإنسان»

في بداية الاحتفال كان الرسم مغطىً في المدخل الرئيسي، ولم يكن أحدٌ يعلم ما هو. وحين طلبت السيدة يونغ كشف الغطاء عنه ظهرَ الرسمُ فساد صمّتْ عريضةً بين الحضور الذين تقدّموا يتأملونه بعيون ذاهلةٍ لشدة جماله. ثم روت السيدة باربره كيف رسمه جبران ليكون غلاف كتابه «يسوع ابن الإنسان». وتبسّطت في الحديث عن حياة جبران ثم قرأت



مقطوعته «رسالة إلى الأميركيين من أصل سوري» فأخذوا بها، وطلبوا أن تكون هذه المقطوعة، مع كلمة السيدة يونغ، في سجل «البيت». ثم أعلنت السيدة يونغ أنها رسمياً تقدم الرسم هدية إلى «البيت» بشخص السيد هاري إدموندز، أحد مؤسسي «البيت» وحالياً مديره. وتكلم السيد إدموندز معلناً سروره وشرف «البيت» أن يحظى بهذه الهدية، معتبراً احتفال تقديمها حدثاً فريداً في تاريخ «البيت». وقال إنه واثق من تأثير الرسم على الطلاب والزوار، وأعلن عن عزم الإدارة على تعليقه في قاعة تكون كنيسة صغيرة يدخلها الطلاب للتأمل والصلاة.



وفي مكان آخر من العدد ذاته (الخميس ١٦ أيار ١٩٣٥) رسالة إلى إدارة المجلة من السيدة جوليا ستوثيفيسنت تشانلر<sup>١٠</sup>، نيويورك، جاء فيها:

«عشنا معاً ليلة في سورية حين قدمتم إلينا تلميذة جبران. سبق أن التقيتُ السيدة يونغ لكنني لم أسمعها تتكلم. لذا أذهلتني في حديثها الساحر المؤثر عن الحياة والتجربة اللتين عاشهما الشاعر الكبير. كان برنامجاً مختلفاً ومُميزاً عما نعهده في أنشطة «القافلة» (Caravan). كان الحاضرون مأخوذين بحديث السيدة يونغ، وتكرّر التصفيق طويلاً وعفويّاً، أكثر مما اعتدناه في أنشطة أخرى. شكراً لـ «العالم السوري» على ما تقوم به من أجل «جمعية التاريخ الجديد». إننا واعون ذلك ومقدرونه عالياً».

<sup>١٠</sup> هي جوليا أولين (١٨٨٢-١٩٦١) زوجة لويس ستوثيفيسنت تشانلر الذي أسس معها ومع الكاتب البهائيّ الفارسي ميرزا أحمد زُهراب «جمعية التاريخ الجديد» سنة ١٩٢٩ لنشر الفكر البهائيّ. سنة ١٩٣٠ نشأت عن هذه الجمعية رابطة «قافلة الشرق والغرب» تُعنى بتهيئة الأولاد للانتساب إلى «الجمعية» البهائية. وجعل الزوجان منزلهما النيويوركي مقرّ «الرابطة» فسُمي «بيت القافلة» وأصدرت منه مجلة فصلية باسم «القافلة».

## باربره يونغ: سنّة علي غيابه

الذكرى الأولى لوفاة الشاعر اللبناني  
تستعيده شخصية حبيبة خالدة مكرّسة مكرّمة في كل مكان

هذا المقال في مجلّة «العالم السوري» (السنة السادسة - العدد السابع - نيسان ١٩٣٢ - ص ٢٦ إلى ٣٣) صدرَ بدون توقيع. على أنني، من ترجمتي كتاب «هذا الرجل من لبنان» لباربره يونغ، ومن أنشطة قامت بها في نيويورك وسواها من أجل جبران بعد وفاته، ناشرة أفكاره ورسومه ونصوصاً له منشورة وأخرى غير منشورة، ومن الأسلوب الشعري الجميل الذي به نسجت كتاباتها عنه - وهو جلّي التعظيم في هذا النص كذلك - يمكنني ترجيح أن هذا المقال الطويل (٦ صفحات في المجلّة) هو من كتابة باربره يونغ، وهي كانت تُسهم في تحرير «العالم السوري» مسؤولة عن القسم الأدبي فيها. وي زيد من قناعتني استشهداً لها في المقال بأفكارٍ وعباراتٍ ومقاطعٍ تعرفها جيّداً، هي التي عايشته وكان يُملئها عليها في جلساتها الكتابية، منها كُتبه الأخيرة «يسوع ابن الإنسان»، «التائه»، فقرات من «حديقة النبي»، وكتاباتٍ أخرى.

لعامٍ مضى، في هذا الشهر، نيسان<sup>١</sup>، شهرٍ تفتّح البراعم وأنسياب الجداول، شهر انتصار الطبيعة سنوياً على الموت، شهر القيامة، شهر الحب والأمل، شهر الاشتياقات النضرة والآمال الفتية، توفي الشاعر الحبيب والرّسام والحكيم والمتصوّف جبران خليل جبران<sup>٢</sup>.

١ لم تستعمل باربره يونغ هنا كلمة «إبريل» الإنكليزية بل تعمّدت استعمال كلمة «نيسان» اللبنانية، ربّما تكريماً لجبران الذي، في مطلع كتابه «النبي»، استعمل كلمة «أيلول» اللبنانية ولم يستعمل له كلمة «سپتمبر» الإنكليزية.

٢ تكريماً لجبران تُوردُ باربره يونغ في هذا المقال اسمَه الثلاثي: «جبران خليل جبران» كما كان يُحبّه ويؤفّع به كُتبه ومقالاته بالعربية، لا «خليل جبران» كما كان معروفاً بالإنكليزية.

كان ذلك، تحديداً، عند الحادية عشرة إلا عشر دقائق من ليلة الجمعة في العاشر من نيسان، لحظة تلك الروح العظيمة التي قوّت أرواح الكثيرين السائرة متعبّة في وادي الدُموع<sup>٣</sup>، والتي نفّثت الشجاعة والأمل لدى عاثري الخطوات، كان لها، بدورها، أن تواجه المحنة الرهيبة والمجيدة معاً بتحرُّرها وانطلاقها صوب الـ «ما بعد» الكبير.

مؤثّرٌ ورائعٌ ما كان في الأيام الأخيرة من حياة جبران الأرضية، وهي آخرُ رحلةٍ لجسده قبل أن يستلقي بسلامٍ أبديٍّ في ظلال أرزاتٍ أحبّها بشغفٍ وكانت مُمتزجةً بأحلام روحه ورؤاها. وكلُّ ما كان، يذكّرنا بثبات سقراطٍ يجرع كأس السمِّ داخل زنزانة كئيبة في سجن أثيني، أو يذكّرنا برواة الإنجيل عن الناصري العظيم في أيامه الأخيرة ثم موته. هؤلاء العظماء وأشقاء أرواحهم ممّن في قلوبهم لهيبُ النار الإلهية التي في عالم آخر، ممّن في عيونهم يلمع نور الخلود، ليس موتهم سوى حدّثٍ عارضٍ في مسيرة الحياة العظمى<sup>٤</sup>. لذا كانوا يعتبرون عوائق أجسادهم وما يحيط بها في هذا العالم المادي. أما أرواحهم، فكما عبّر عنها أحدُهم: الشاعر الألماني الكبير غوته بأن «الروح هي التي تبني الجسد كي تعيش فيه».

لعلّ جبران كان غنيّ، لا لأحدٍ من أصدقاءه خلّص ومُرّدين كثيرين كتبَ لهم هذه الكلمات، بل كتبها لآلاف قرائه والمعجبين:

إيه عروسَ أحلامي، أسرعِي

أسرعي بعدُ، بعدُ،

فأعمقُ وديانٍ وأعلى تلالٍ كنتُ حتى أمسٍ أخافُها

بثّ اليومَ قادراً أن أنحدرَ وهادها وأتسلّقَ قَمَمَها.

لا مغزى بعدُ أوضحُ من أن يكون «الجنس اللطيف» هو الذي كان حول سرير جبران حين نَدَههُ الموت كي يُودّع هذا العالم الذي أحبّه جبران كثيراً، ومعه يُودّع

٣ تستعمل باربره هنا هذه العبارة حرفياً كما وردت في أكثر من نصّ لجبران بالعربية.

٤ كان الإيمانُ بالتقمُّصِ أوّلَ خيطٍ مشتركٍ جمَعَ بين جبران وباربره يونغ.

أصدقاءه (وهم كانوا من أكثر المُرهفين في أيِّ مكانٍ وزمان). فلحظةً غادرَ شكله الأرضيَّ بعيداً إلى الخلود، كان مُحاطاً بقلَّةٍ ضئيلةٍ من السيدات، وكان ذلك طبيعياً لمن، كالسيدِّ المسيح، في بعض تكوينه كيانٌ أنثويٌّ جعلَ أن تَلقى رسالته الروحية تجاوباً أفضلَ أوَّلاً لدى قلب المرأة المدركِ وحَدْسِها الكونيِّ.

السيدات اللواتي كُنَّ حول سرير المصطفى لحظةً انطفائه كُنَّ: الشاعرة باربره يونغ، الكاتبة والناشرة زوجة وليام براون مالوني، السيدة أدال واتسون، السيدة ليونيل جاكوبس، شقيقته مريانا جبران، نسيبته روز جبران. ولاحقاً دخل صديقُه ميشا نعيمه<sup>٥</sup> ونسيبه عساف جورج.



رسم بالرصاص من جبران للسيدة أدال واتسون التي كانت في المستشفى بين سيدات قلائل حول سريرِه لحظة لَفْظِ نَفْسِه الأخير. وعند يمين الزاوية السفلى قبل التوقيع، نقرأ: «إلى أدال من جبران - ١٩٢٦».

بعد ثلاثة أيَّام نُقِلَ جثمان جبران إلى بوسطن، مدينة أحلامه الأولى وكفاحاته الباكرة، حيثُ لم يفهمه حتى الأقربون ولو أنهم أحبُّوه، حيثُ لم يتوقف عن تسميتها مدينته، وكان يُحسُّها، بعد بلدته الحبيبة بُشْرِي، أحبَّ موقعٍ إليه في العالم. بينما

<sup>٥</sup> كان ميخائيل نعيمه معروفاً بهذا الاسم بين رفاقه في «الرابطة القلمية»، وبهذا الاسم كان جبران دائماً يخاطبه ويكتب إليه.

نيويورك، وهي قدّرت عبقريته ومنحته أوسع نجاحٍ وشهرة، يعتبرها مشغله الذي كان فيه يتأمّل الكون وينسج أفكاره وهو «في قلب الله»<sup>٦</sup>.

جبران خليل جبران - بأناقة مظهره الدقيقة كما دبلوماسي رفيف، وشمولية ذوقه وتصرفاته، وإنجازاته الاجتماعية المتعدّدة الوجوه - كان ناسكًا بقلبه، ومتصوفاً خطّط لرحلته صوب الاتحاد بالحقيقة العظمى من الواحد الأحد إلى الواحد الأحد، ككبار المتصوّفين. قليلون جدًّا من كان يُشركهم في وحدته وسكوته وتفكيره الباطني. لهؤلاء فقط - بين الملايين في مدينة الأبنية الشاهقة وقطارات الأنفاق والشوارع العريضة المكتظة، مدينة الركن والضحج - كان يفتح قلبه داخل ذاك المحترف الصغير في المبنى ٥١ من الشارع العاشر غربًا، وهو كان له «كعبة» وحرّمًا وانسحابًا إلى عزلة تُبعده عن الجلبة المرهقة المؤلمة في [نيويورك] ذاك الدردور الرهيب، في بابل العصر المجنونة بنجاحها، السكرى بجدواها.

أمّا في بوسطن، وإليها كان جبران يعود دومًا في عطلته السنويّة، وإلى استراحته المؤقتة من دُوار يومياته وعمله المتواصل، فكان استقباله حارًا من قلوبٍ مُحبّة بحنانٍ كثيرٍ ناضحٍ بالتذكارات. هناك أيضًا كانت تحيط به، أنّى توجّه، عنايةً لمساتٍ أنثويةٍ حنونةٍ حانية. لذا، عند وُصول نعشه، لاقاه جمعٌ من أصدقائه اللبنانيين والسوريين، على رأسهم الخورأسقف أسطفان الدويهي، حملوه إلى قاعة «جمعية سيدات المساعدة السوريات» غربيّ شارع نيوتن. وفي اليوم التالي (الثلاثاء) أقيمت الصلاة على جثمانه في كنيسة «سيّدة الأرز» المارونية على شارع تايلر حيث منزل شقيقته مريانا وفيه كان، أيام عطلته، يُمضي ساعاتٍ طويلةً في أحاديث عفويةٍ مع أصدقائه والزوّار.

كلمةٌ هنا عن موقف جبران من الدين الملتزم: رأى كثيرون تناقضًا أن تقام لجبران مراسمٌ دفنٍ دينيةً في كنيسةٍ ملتزمةٍ مارونيًا، هو الذي نوصّهُ نسفت المعقّدات

٦ إشارة واضحة إلى عبارته في «النبى»: «وإذا أحببت لا تقل: 'الله في قلبي' بل 'أنا في قلب الله'...».



الدينية التقليدية بجعل نعمة الله قصراً على قلة من المؤمنين المُخلصين، ما أغضب كبار المسؤولين من رجال السلطة الدينية. لكن الحقيقة أن ليس في الأمر أي تناقض: جبران، كما كبار المتصوفة، كان في قلب الدين. ولأنه كان دينا بعمق كامل، ثار على جميع القيود والحدود التي تهجر الروح عن مشاركتها الشرعية الحرة في ملاقاته الله. ونار الغضب التي جعلت يسوع يثور على تجار الهيكل والصارفة ويطردهم منه، هي ذاتها التي اندلعت في صدر جبران الذي، في نص من كتابه «التائه»، جعل الصاعقة تنزل على رأس مطرانٍ طردَ امرأةً غيرَ مسيحيةٍ جاءت تسألُه إن كان لها خلاصٌ من نار جهنم<sup>٧</sup>. ومثلما يسوع أنصف جابي الضرائب الذي اعترف ذليلاً بخطاياها أمام الله، وكما حكّم على الفريسي المتبجح الذي ادعى الاستقامة، هكذا كان جبران مثل ملايين الذين، من جميع الأعراق واللغات والمعتقدات، عرفوا الخلاص ولو انهم لم يعتمدوا «بالماء والروح». وقبله بمئات السنين كان الشاعر المتصوف الكبير ابن الفارض، مريدُ طريقة المتصوف الشيخ البقال، أنشد:

وَإِذَا إِلَى حَجْرٍ يَنْحِنِي عَبْدٌ بُوذَا  
فَإِنِّي إِلَى إِيمَانِهِ أَنْتَمِي وَبِهِ أَجَاهِرُ.

وبالاندفاع الصوفي الرائع ذاته إلى الحب الكوني، أنشد ابن عربي، وقد يكون أكبر شاعر صوفي في الزمن:

٧ ترجمة النص كما ورد في «التائه» بعنوان «وميض البرق»: «في يومٍ عاصفٍ دخلت امرأةً غيرَ مسيحيةٍ كنيسةً كان فيها أسقفٌ. وقفت أمامه سائلةً: «لست مسيحيةً فهل لي خلاصٌ من نار جهنم؟» حدّق الأسقف ملياً بها وقدّفها بجوابٍ «لا خلاصٌ إلا لمن اعتمدوا بالماء والروح». في تلك اللحظة انقضت على الكنيسة الكبرى صاعقةٌ مدويةٌ تبعها رعدٌ هائلٌ فاندلعت النارُ سريعاً في أرجاء الكنيسة. هرع رجال المدينة فأنقذوا المرأة وكانت قرب الباب. أما الأسقف فكان احترق وقضى طعم النار». وللتذكير: كتاب «التائه» هو الذي أملى جبران نوصه كلاًها على باربره يونغ، فكانت تدونها أمامه ثم تطبعها على ألتها الكاتبة وتعطيه إياها لمراجعتة الأخيرة قبل الطبع. لكن جبران توفي قبل أن يراه مطبوعاً، فصدر الكتاب بعد أشهر على غيابه، بعناية باربره، لدى منشورات «كنوف سنة ١٩٣٢».

فمرعى لغزلاًنٍ وديراً لزهبانٍ  
وألواح توراةٍ ومصحف قرآنٍ  
ركائبه، فالحبُّ ديني وإيماني

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ  
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةٌ طائفٍ  
أدينُ بدين الحبِّ أنى توجَّهتُ

كان ابنُ الفارض وابنُ عربي، المتصوّفان المُسلمان، أقربَ روحياً إلى جبران من أولئك المسيحيين.

وإذا هذان المتصوّفان الناسكان يُعتبران مُسلمين حقيقيين، فجبران يُعتبر مسيحياً حقيقياً، كما قبله صوفيون مسيحيون حقيقيون، كـ «المعلّم» إيكهارت<sup>٨</sup>، وبوهم<sup>٩</sup>، والمؤلف المغفل واضح «اللاهوت الألماني»<sup>١٠</sup>، وجميعهم متساوون في التشدّد بعقيدتهم، وفي كونيّة فهمهم الخلاص والإيمان. هكذا حتماً يكون جبران مسيحياً حقيقياً. ولو أنه مسلمٌ لكان مُسلماً حقيقياً، ولو أنه هندوسي لكان هندوسياً حقيقياً. فإنما الانتماء الحقيقي يكون إلى الدين لا إلى الكهنة والإكليروس، إلى يسوع لا إلى الكتبة والفريسيين في أيامه، وهكذا يكون فهمه الصحيح ثم نقله إنسانياً وإيمانياً إلى أتباعه رجالاً ونساءً.

غير أنّ جبران لم يكن مسيحياً فقط بل مارونياً بطريقة عاطفيّة عذبة. ففي الطقس الماروني مقارباتٌ وتذكاراتٌ تشدّه إليها، وتعني له الكثير. كانت تأخذه إلى طفولته الأولى، إلى ذكرياتٍ عن أبيه وأمه، وشقيقتيه وأخيه، وأقرباء وأصدقاء غمروه جميعاً بحبهم وحنانهم وحرصهم عليه خلال سنواته الباكّة في تلك البلدة الجميلة المشرفة على شير وادي قاديشا في شمالي لبنان. وبقيت في ذاكرته العميقة تتردد حيّة احتفالاتٌ وأعياد، وأفواجٌ هانئة من مؤمنين يلبسون ثياب

٨ إيكهارت فون هوشهايم (١٢٦٠-١٣٢٨) معروف بـ «إيكهارت المعلّم»: صوفي، فيلسوف، ولاهوتي ألماني.

٩ جاكوب بوهم (١٥٧٥-١٦٢٤) صوفي لاهوتي لوثيري، بروتستانتي له تجربتان صوفيتان غيرتا سياق حياته.

١٠ مخطوطة صوفية مسيحية، مجهولة الكاتب، تُعزى إلى راهب مجهول من فرنكفورت، ترجيحاً في القرن الرابع عشر، ثار على منع رجال الدين من ممارسة الطقوس الكاثوليكية.

العِيد الملوّنة، ومواسمٌ دينية، ومواكبٌ خاشعةٌ يتقدّمها كهنةٌ بالجُببِ السود، وأحياناً زيارةً مطرانٍ إلى البلدة، وربما البطريركُ ذاته، فتتحوّل البلدةُ كلّها مهرجاناً حقيقياً. في رأي جبران، يكون مارونياً ليس فقط - أو حُكماً - مَنْ هو من مذهبٍ محدّدٍ ذي طقوس وعقائد، بل هو مَنْ ينتمي إلى شعبٍ قديمٍ عريقٍ فينتسبُ إلى تاريخه ذاته، وآماله ذاتها، والمعمودية ذاتها بالدم والعذاب، والأفراح والأحزان إياها. ومن إنشاد التراتيل السريانية، وعبقِ البُحور، والعادات والتقاليد الدينية، كانت لجبران حالةٌ صوفيّةٌ تقويّةٌ لا يمكن أن يفهمها مَنْ يأخذها فقط بمحدودية مضمونها الحرفي.

كان جُوزيا رُويس<sup>١١</sup> يسمّي «الولاء الجماعي» تجاوزَ كلّ انتماءٍ إلى عقيدةٍ أو مذهبٍ، والسّموّ حتى بلوغِ جوهر القيمِ الروحية.

هكذا كان انتماءُ جبرانٍ إلى الكنيسة المارونية. غير أن هذا لا يحصره في حيزٍ طائفيٍّ مذهبي. إنه ينتمي إلى العالم كلّه. وبين كتبه ما تُرجم إلى نحو ٢٠ لغةً بينها اليابانية. ولا يبدون متناقضاً أن يكون مارونياً، كما ليس متناقضاً أن يقرأ كتبه البوذيون و الشنتويون<sup>١٢</sup>، وأن يكون معرّبٌ كتبه الإنكليزية أسقفاً أرثوذكسياً<sup>١٣</sup>.

لذا تعدّدت بعيدَ غياب جبران احتفالاتٌ ذكرى تدلّ على تنوعٍ مُحبّيه وقادري فكره مع أن معظمهم لم يعرفه شخصياً. أوّل تلك الاحتفالات أقيم، بعد ثلاثة أسابيع على وفاته، في القاعة الشرقية من متحف روريتش<sup>١٤</sup> (تقاطع الشارع ١٠٣ وريفر سايد في مانهاتن نيويورك) مساءً ٢٩ نيسان، حين التأم جمعٌ حميمٌ من الأميركيين

١١ فيلسوف أميركي (١٨٥٥-١٩١٦) صاحب نظرية «الفلسفة المثالية» القائمة على الولاء المثالي للقيم الروحية العامة، وتجاوز كلّ ممارسة طقسية أو مذهبية خاصة.

١٢ ديانة يابانية قديمة تقوم على عبادة عناصر الطبيعة.

١٣ هو الأرشمندريت أنطونيوس بشير (١٨٩٨-١٩٦٦) ولاحقاً متروبوليت نيويورك وأميركا الشمالية للكنيسة الأرثوذكسية.

١٤ على اسم الرسام والكاتب الروسي نيكولاي رُوريتش (١٨٧٤-١٩٤٧) وهو أسسه في نيويورك سنة ١٩٢٠ مركزاً ثقافياً متخصصاً في الأنشطة الموسيقية والقراءات الشعرية.

واللبنانيين والسوريين وأصدقاء ذلك الحالم الكبير التائه والنبي. قدّم الخطباء الدكتور تشارلز فليشر، وتوالى على المنبر كلٌّ من باربره يونغ، سلوم مكرزل، كلود براغدن، سيود حسين، ليونورا سفاير، ميسا نعيمه وآخرون. كان الاحتفال نسيجاً جميلاً من غربيين وشرقيين جاؤوا يكرمون ذكرى من نجح أكثر من أيّ سواه في تقريب الأوّلين من الآخرين. وكان لافتاً في الاحتفال أن يُشارك موسيقياً مسيحيّ ومحمديّ، سوريّ وعربيّ. فالأمير محيي الدين عزف على التشيلو مقطوعة «أرقد بسلام»<sup>١٥</sup>، وعزف أنيس فليحان<sup>١٦</sup> على البيانو مقطوعاتٍ كان لحنها من كلمات جبران، غناها في ذلك الاحتفال هيوبرت لِنسكوت.

الاحتفال التالي كان بعد نحو شهرٍ (الأحد ٢٤ أيار) نظّمته «الرابطة القلمية»، الحلقة الأدبية التي أسسها جبران وكان مرشدّها الروحي. جرى الاحتفال في مبنى الاتحاد الأميركي السوري (الرقم ١٢٣ - شارع شرمهّن في بروكلين).

في هذا التاريخ أيضاً (الأحد ٢٤ أيار) أقام أصدقاء جبران ومواطنوه في بوسطن احتفالاً بذكراه في مبنى البلدية (جادة شوّمْت)، خطّب فيه الأرشمندريت أسطفان الدويهي، رشيد عبدالنور، وديع شاكّر والياس شمعون<sup>١٧</sup>.

وفي نيويورك تقاطرت على جريدة «الهدى» مئات المراثي والمقالات بالعربية من جميع الولايات الأميركية، أفردت لها الجريدة مساحاتٍ واسعة على أيام متتالية. ولم تقصّر الصحافة الأميركية المحلية فنّعتُه، وخصّصت بعض الصحف مقاطع طويلة لسيرته وأعماله، فيما وكالة «أسوشياتد پِرس» طيّرت نبأ وفاته إلى كل العالم.

<sup>١٥</sup> أغنية ألمانية شهيرة للمؤلف فرانتر شوبرت (١٧٩٧-١٨٢٨)، على كلمات الشاعر الألماني فردريك روكرت (١٧٨٨-١٨٦٦).

<sup>١٦</sup> مؤلّف موسيقي أميركي من أصل لبناني (١٩٠٠-١٩٧٠)، وعازف بيانو وقائد أوركسترا.

<sup>١٧</sup> محام، صديق جبران، ساعده على الخلاص من مشكلة المبنى الذي أوقع جبران تحت ديون قاسية، كان اشتراه مع صديقه فارس معلوف. وشمعون أصبح لاحقاً (١٩٤٤) أوّل قاضٍ أميركي في ولاية ماساشوسِتس من أصل لبنانيّ.

ويلفت في احتفالات الذكرى تلك، أنّ اثنين منها أُقيما في مدينتين متباعدتين آلاف الأميال.

الأول في سيدني (أستراليا): حضره قنصلا الولايات المتحدة وفرنسا، وأربعة أعضاء من البرلمان الأسترالي، ووزير الداخلية. وتحدّث فيه نائب في برلمان ولاية نيو ساوث ويلز، ومواطنٌ سوريّ.

الاحتفال الآخر في جوهانسبورغ (جنوب أفريقيا): قدّاس في كنيسة سيدة لبنان. وألقى المرثية أسقف مقاطعة ترانسفال معلّناً أنّ رسالة جبران «إلى الأميركيين الشباب من أصل سوري» هي «في قلب الأدب الخالد، وتنطبق على الجيل الجديد من السوريين واللبنانيين في كل صَفْحٍ من العالم».

بين أميركيين كثيرين كانوا معجّبين بجبران ومقدّرين ذاك الصوفيّ السوري: القسّ الدكتور وليام نورمان غُثري، خادم رعية القديس مرقس في حيّ الباورِي<sup>١٨</sup>. كان غالباً يقف على المنصة ويقرأ مُختاراتٍ من «النبِيّ» ونصوصاً أُخرى من جبران، مُحاذاً بها قراءاته من نُصوص الكتاب المقدّس، وأحياناً يقدّمها لوحاتٍ مشهديةً إيمائيةً على مسرح الكنيسة. لذا كان بديهياً أنّ نَظَمَ في تلك الكنيسة احتفالين تذكاريّين لجبران، في ٢٥ تشرين الأول و٨ تشرين الثاني ١٩٣١، بأداءٍ مَشَاهِدَ مؤثِّرةٍ من «النبِيّ» و«التائه»، حضرهما في تلك الكنيسة الصغيرة وسطَ مناهاتن جمهورٌ كثيفٌ من الأميركيين والسوريين أصدقاء ذاك الراحل الكبير.

على أنّ المؤثّر أكثر من أيّ سواه، في هذه المأساة الحارقة، كان المشهد الأخير الذي جرى في بلاد هذا العرّاف والبطل الروحي، في لبنان وطن الأرز، حيثُ شاعرُ الأرز فتح عينيه على نور الحياة.

<sup>١٨</sup> ناحية في أسفل مناهاتن، والكنيسة فيه پروتستانتيّة هي ثانية أقدم كنائسه، ترقى إلى ١٧٩٥.

من مرفأٍ پروفيدينس<sup>١٩</sup> أقَلَعَت البَاخِرَة «سينايا» (التابعة لخطوط «فايبر» البحرية<sup>٢٠</sup>) وفي قلبها جثمان جبران خليل جبران في النعش ملفوفاً بالعلمين اللبناني والأميركي. كان على رصيف الميناء بين المودعين الكثيرين: نعوم مكرزل ناشر جريدة «الهدى» وهو ناشطٌ وطنيٌّ قائدٌ في الجالية اللبنانية ساند جبران في نشاطه الوطني والأدبي، سلوم مكرزل ناشر مجلة «العالم السوري»، ابراهيم حتي وكيل شركة خطوط «فايبر لاين» البحرية، يعقوب جورج روفيل ناشر مجلة «الأخلاق»<sup>٢١</sup>، الخورأسقف منصور أسطفان خادمٌ رعية سيدة لبنان للموارنة في بروكلن، باربره يونغ، مريانا شقيقة الشاعر، وأصدقاء وأنساء له في بوسطن رافقوا الجثمان، وأفرادٌ من الجاليتين السورية والأميركية في پروفيدينس.

على المقلب الآخر من المحيط الأطلسي، كانت تحضيراتٌ حثيثة ومؤثّرة تجري لاستقبال الجثمان كما يليق بعظمة الراحل الكبير ومكانته الفريدة أدبياً وروحياً في تاريخ ذاك البلد الصغير. هناك احتشدت وفودٌ أمّت بيروت من جميع المناطق السورية: من دمشق التاريخية، من حلب، من حمص، من حماة، من أنطاكية، من صيدا، من طرابلس، ومن الأراضي المقدسة، ومن كل بلدةٍ وقريةٍ ودسكرةٍ في لبنان. وكان لافتاً حضورُ رجالٍ ونساءٍ من بُشْرَي بلدة جبران خليل جبران في لبنان الشمالي، جاؤوا إلى بيروت بلباسهم المحلي المميّز، وغيوم حزينَةٍ من الأسى على وجوههم الأبية.

مهيّباً كان استقبالُ الجثمان على مرفأٍ بيروت بالمراسم الرسمية التكريمية: وزراءٌ ونوابٌ باللباس الرسمي، كهنةٌ وكبار رجالٍ إكليروسٍ بحُجُبِهِم التقليدية، وكثيرون جدّاً تقاطروا، رجالاً، نساءً، أطفالاً، كانوا أحبّاءً إلى قلب الشاعر الميت.

١٩ عاصمة ولاية رود آيلاند، جيء إليها بنعش جبران من بوسطن.

٢٠ وكيلها في نيويورك اللبناني ابراهيم حتي، وكان صديق جبران.

٢١ أصدرها شهريةً في مناهاتن من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٢ وكانت منبراً قوياً للأدب المهجري. بين كتّاب أعدادها الأولى: لويس صابونجي، طانيوس عبده، ميخائيل رستم، نعوم مكرزل، وشجعت الأقلام النسائية فنشرت فيها عفيفة كرم وفيكتوريا طنوس.

وصل الجثمانُ إلى مرفأٍ بيروت نهار الجمعة ٢١ آب ١٩٣١، وحُمِلَ في موكبٍ رسميٍّ وشعبيٍّ إلى كاتدرائية مار جرجس المارونية فاستقبلهُ المطران اغناطيوس مبارك رئيسُ أساقفة بيروت المَوارنة وكهنُتها بينما تتناهى من الكنيسة تراتيلٌ سريانيةٌ جميلة.

عند المساء أُقيمَ لجبران احتفالٌ وطنيٌّ في إحدى أكبر صالات المسرح في المدينة<sup>٢٢</sup>. ترأسهُ شارل دبّاس رئيسُ الجمهورية اللبنانية، وتوالى على المنبر راثينَ جبران: الكاتبُ الأديبُ أمين الريحاني، الشاعرُ خليل مطران، نقيبُ الصحافة خليل كسيب، محمد جميل بيهم رئيسُ جمعية «اتحاد الشبيبة الإسلاميّة»، النائبُ والكاتبُ والصحافي ميشال زُكُور، الشاعرُ أمين تقي الدين، ومُمثِّلو جمعياتٍ ونوادٍ وهيئاتٍ دينيةٍ ودُنيوية.

بعدها حانت الرحلة المُظفّرة الأخيرة إلى بُشَري، بدءًا بمشاهدَ بالغة التأثير لنسوةٍ نادباتٍ أمام النعش يذكُرُنَ بأولئك المتفجّعات اللواتي قرأنا عنهنَّ في العهد القديم. سار الموكب متوقّفًا على الطريق في محطات عدّة، بينها جيبيل (ببيلوس التاريخية) وفيها صبايا بشعورهنّ المُتطائرة وأزياهنّ التقليدية رُحَنَ يُنشدنَ مقاطعَ شعريّةً في تسبيح البطل العائد ميتًا كأنه حيٌّ عائِدٌ منتصرًا يستقبله دُؤوه على مدخل بلدته.

ومع ابتعاد أصواتِ مظاهر الاحتفاء الاستقبالية، وصلَ جثمانُ الصوفيِّ العاشقِ الصمتِ والوحدةِ والسُكونِ، وسُجِّيَ في دير مار سركيس، الصومعةِ الصغيرة التي كان جبران شغوفًا بها، ويتحدّث دائمًا عن رغبته أن يمضي فيها آخر سنوات حياته. هناك يستريح اليوم رُفاته الدُنيويُّ طيلة ما يُعطى أن يستريح أيُّ شيءٍ ثابتٍ في عالمنا المتغير.

وهناك، داخل كهفٍ صغيرٍ تحت كنيسة الدير، في تلك البلدة الساحرة الجمال المطلّة على وادي قاديشا الناضح بعَبق الإلهام في سَفْح غابة الأرز المستلقية على

<sup>٢٢</sup> هي تقصّد هنا مسرح «التياترو الكبير»، وهو بالضبط قُبالة مدخل كاتدرائية مار جرجس المارونية.

قمة الجبل، يقيف الزائر عند باب الكهف ويقرأ على لوحة خشبية هذه الكلمات بالعربية: «هنا يستريح رفات النبي جبران راقداً تحت أجنحة ملاك السلام»<sup>٣٣</sup>.

هكذا بلغت نهايتها مسيرة ذلك الشاب الحالم المصلح الذي، في فجر شبابه، رفع صوته غاضباً بعنفٍ على الظلم الوحشي لنظام اجتماعي مُجحِفٍ عانى من عوائقه فهاجر إلى بلادٍ جديدةٍ تبرّعت فيها عبقريته وأزهرت وأثمرت بدون عوائق، فشعّ نجمه في الغرب، وما هو ملكاً منتصراً عاد إلى أرضه الأم وشعبه الحبيب. وهكذا الأرض التي عادةً ترجمُ أنبياءها وتُشيعُ عن عرّافها الرؤيويين، استقبلت بأروع تجليات الحب والتقدير أحدَ أكبر أنبيائها وأحبهم إليها على الإطلاق<sup>٣٤</sup>.

عن مجلة «العالم السوري»

السنة السادسة، العدد السابع، نيسان ١٩٣٢

ص ٢٦ إلى ٣٣

٢٣ حين أصدر ميخائيل نعيمة سنة ١٩٣٤ كتابه «جبران خليل جبران - حياته، موته، أدبه، فنّه» (أمامي طبعته الثامنة - ١٩٧٨ - مؤسسة نوفل - بيروت)، أورد في ختامه فصل «المصطفى» موضوع هذه العبارة فدكره هكذا: «ربط جبران ظروف حياة المصطفى بظروف حياته فكانه صوّر نفسه بالغاً تلك الحالة في كل أحوال معيشته وأدوارها، وخلع عليه وشاح النبوة فكانه خلعه على ذاته أيضاً. قد يكون جبران لم يقصد هذا القصد، لكن ذلك ما تؤدّيه فاتحة كتاب «النبي» وخاتمته، وما أداه الكتاب كله إلى أذهان كثيرين من الناس وبالأخص أولئك الذين كتبوا فوق ضريحه في مار سركيس هذه الآية: «هنا يرقد نبينا جبران». وكأنما قام من يحاسبهم إلى أين يعود الضمير [المتصل «نا»] في «نبينا» فغيروا الكلمة إلى «بيننا»، وهي التي قرأها يوم زرت الضريح في صيف ١٩٣٢» (ص ٢٢١-٢٢٢).

٢٤ على امتداد هذا المقال المكتوب سنة ١٩٣٢ نسجت باربره يونغ وصفاً دقيقاً لبشري، طبيعة وموقعاً وهالة تأثير دائم في قلب جبران كأنها عاينت شخصياً، مع أنها لم تعرفها إلا بعد سبع سنوات من هذا الوصف النظري عن بُعد، حين زارت لبنان سنة ١٩٣٩، ما يوضح كم كان جبران يُحدثها دائماً عن لبنان وبشري بآيما شغف وآيما حنين. وما يشير بوضوح إلى أنها هي كاتبة هذا المقال (غير الموقع في «العالم السوري»)، كونها استعادت منه مقاطع وصفية كاملة للماتم ومواكب التشيع، في كتابها الصادر لاحقاً «هذا الرجل من لبنان» (١٩٤٥).



## باربره يونغ في لبنان

في الفصل الأخير (التاسع عشر) من كتاب باربره يونغ هذا الرجل من لبنان، وفي وصفها ليلتها الأخيرة في بيروت عشية عودتها إلى بلادها، وردَ هذا المقطع: «في سكون تلك الليلة خرجتُ وحدي إلى شُرْفَةِ الفندقِ الجَدَّابِ الصغِيرِ ذي اللافتة العريضة «أوتيل بسُول الكبير» (صورته ص ٢٧٨)، فوق تَكَسَّرِ الموجِ على الرصيف الجميل لجُونِ مار جرجس عند زاوية شارع شاتوبريان وجادّة الفرنسيين. رَدَدْتُ في صمتي ذينك الاسمين الفرنسيين الجميلين لشعوري برفضٍ غريبٍ أن أُغادر بيروت، أن أُغادر لبنان. فأنا جنْتُ إليه كي أمضي فيه سنواتٍ وأدرَسَ العربية فَأَتَمَكَّنَ من الترجمة، وكي يتلقَى حفيدي دروسَه الأولى هنا فأسمعه في طفولته ينطق بكلماتٍ عَرَبِيَّةٍ، ويغني أغنياتٍ عَرَبِيَّةً، ويعيشُ في الجو الذي كان ينتمي إليه جبران. كانت لي بُشْرِي جَوْهَرَةٌ جمالٍ بسيطٍ وصدقٍ فِطْرِي. كنتُ أنوي أن أعيش جزءاً من السَنَةِ في بُشْرِي، والآخرَ في بيروت. لكنها الحرب داهمَتُنِي».

زيارة لبنان جبران!

طويلاً حلمتُ بها. منذ هي معه في المحترف، تصغي إليه بحنينٍ غامضٍ، يحدثها بشغفٍ عن بلاده فتراها في بريقِ عينيه ونبرةِ صوته وتوقه للعودة إلى ذاك الـ«هناك» حتى أنها، من خلال كلماته، تكاد تتخيّل تلك البلادَ الجميلة التي أنجبت «هذا الرجل من لبنان».

ولأنه غاب قبل أن يعود ليرى لبنان فلم يَعُدْ إليه إِلَّا ليراهُ بدون النور في عينيه، قرَّرتُ أن تزور هذا اللبّان الذي لم يَغِبْ عن لسان شاعرها ولا عن كتاباته حين يروح يُملئها عليها.

بين غيابه (١٩٣١) والزيارة التي حَقَّقَتْهَا (١٩٣٩) ثماني سنوات. وبين زيارتها ووضَعِها كتابها (١٩٤٥) ست سنوات. وفي كتابها وصفت تلك الزيارة التي ظَلَّتْ ١٤ سنة مطبوعَةً في بالها وذكرياتِها وحنينها، حتى تَمَنَّتْ أن تَسْمَعَ حفيدَها كريستوفر (٤ سنوات) يَنطِقُ بالعربية التي كانت تسمعُها من جبران في المحترف ولم تكن تفهم منها إِلَّا الضوءَ في عينيه البارقتين من حنين.

لعل تلك الزيارة الوحيدة إلى لبنان أبرزُ حَدَثٍ في حياتها الجبرانية بعد جبران وقبل الحَدَثِ الآخَرَ الذي هو كتابُها عن هذا الرجل من لبنان.

احتفاءً بأهمية تلك الزيارة، أُورِدُ في ما يلي ثلاثة نصوصٍ بل شهادتٍ مباشرةً تابَعَتْ باربره يونغ في زيارتها بُشْرِي جبران وزيارتها في بيروت مدرسة «الحكمة» التي ضَمَّتْ أربع سنوات من صبا جبران.

هنا، إذًا، النُصوصُ الثلاثة:

- ١) شهادة الأديب فؤاد افرام البستاني الذي رافق الشاعرة في زيارتها بُشْرِي.
- ٢) شهادة جريدة «السياسة» التي أسهبت في وصف تلك الزيارة.
- ٣) شهادة الأب لاوون مقصود الذي رافق الشاعرة في زيارتها مدرسة «الحكمة».

## فؤاد افرام البستاني: زيارة باربره يونغ بشري بقلم شاهد عيان



في فصل «معلومات جديدة» (ص ٢٤) من كتاب مع جبران لفؤاد افرام البستاني<sup>٢٥</sup> ورد: «... ويكون من حظنا - وبالتالي من حظ الدراسات الجبرانية - أن نجتمع بالسيّدة بربارة يونغ<sup>٢٦</sup>، الأدبية الأميركية المعروفة، اجتماعاتٍ متتاليةً على ساعات مستطيلة، في بُشريّ وفي بيروت، في تشرين الأوّل سنة ١٩٣٩، فنستفيد منها ومن دفاتر جبران التي كانت تحملها في حقائبها، إفاداتٍ جمّة ووثائقٍ ثمينةً ذكرناها في فصل طويل ظهر في مجلة المشرق السنة ١٩٣٩».

وفي فصل «على ذكر جبران» من الكتاب ذاته (ص ٤١ إلى ٨١) ينشر البستاني مقالته المطوّلة ذاك في المشرق، أستعيده هنا بحرفيته وحواشيه لأهميته الوثائقية.

### على ذكر جبران

«إلى بربارة»... «إلى بربارة»!

كثيراً ما قرأ رواد متحف جبران في بُشريّ هذا التعبير باللغة الإنكليزية، وقّع

<sup>٢٥</sup> عنوانه الكامل: مع جبران: ١٩١٩-١٩٨٢. صدر في ١٠٤ صفحات حجماً صغيراً عن «منشورات الدائرة»، بيروت ١٩٨٣، لمناسبة المئوية الأولى لمولد جبران (١٨٨٣-١٩٨٣). وهذا الفصل (عنوانه الأصلي في الكتاب «على ذكر جبران - معلومات جديدة عن حياته وآثاره، جبران وبربارة، بربارة في قبر جبران ومتحفه، محاولات الكاتب والفنان، آراؤه في شؤون مختلفة، مرّضه ووفاته»)، كان البستاني نشره في مجلة المشرق (السنة ٣٧، العدد الثاني: نيسان/حزيران ١٩٣٩، ص ٢٤١ إلى ٢٦٨) أُعيد نشره هنا بإذنٍ خاصٍّ من مديرة «منشورات الدائرة» الدكتور حارث فؤاد افرام البستاني.

<sup>٢٦</sup> أورد البستاني اسمها «بربارة» (باللفظ اللبناني السائر) لا «باربره» بالكتابة الأميركية التي هي تعتمدها. وللأمانة أبقى في كامل هذا النص على الكتابة التي اعتمدها البستاني.

به المصوّر النابغة بعضَ رسومه الرصاصية والفحمية، ورفعها هديّةً «إلى بربرة». وكان الاختصاصيون بالشؤون الجبرانية يعرفون أنّ السيّدة بربرة يونغ، وهي من كيريات الأدبيات الأميركيّات، عرّفت جبران في آخر سنّيه، واهتمّت بعد وفاته بتركته الأدبية والفنية. بيد أنّ جمهور المعجبين بالشاعر الفنّان، العُير على جمع أخباره وذكرياته، ما كانوا ليتمثّلوا هذه الأميركيّة إلاّ شخصيّة غامضة لا تكاد تخرج من ضباب الأبعاد النيويوركيّة إلاّ لتلتحق بسرب أولئك السيّدات مشجّعات الأدب والفنّ بل الأدباء والفنّانين، من اللواتي تتردّد أسماؤهنّ دون أنّ تُمثّل على حقيقتها تلك الشخصيات الجذّابة.

### هكذا تعرّفت إليه...

في أحد أيام تشرين الأوّل سنة ١٩٢٣ كانت السيّدة بربرة يونغ تشهد حفلة نادرة في كنيسة القديس مرقس الإنجيلية الأسقفية في نيويورك. وكان القائمُ بتلك الحفلة السيد دافنپورت بطّبر، مدير مسرح غريب من نوعه في العالم، هو مسرح مجاني يعرض فيه الممثّلون والممثّلات أشهر الروايات في حفلات منظّمة شأن سائر المسارح، إنّما تمتاز بكونها مجانيّة، فلا الإدارة تنال شيئاً على تنظيمها، ولا الممثّلون ينالون أجرًا على أعمالهم. أعلنت هذه الجوقة أنّها ستقوم بقراءة مقاطع من «نبي» جبران في الكنيسة الأسقفية، وتّمت الحفلة على أكمل وجه بحضور المؤلّف نفسه. وكان بين جمهور المعجبين بالمقاطع المُلقاة السيّدة بربرة (أو «الست بربرة»، كما تعود أهل جبران وأصدقاؤه أنّ يسمّوها في ما بعد، وكما سندعوها جرياً على هذه العادة!) وهي لم تكُن تعرف جبران بعد، ولا شيئاً عن جبران.

انتهت الحفلة وخرج الناس كلّ بذكرياته وتأثيراته. وكان اتجاه الست بربرة إلى أول مكتبة تزوّد منها كتاب «النبي» فتُحیی ليلها بقراءته معجبةً متأثّرة، حتى إذا أقبل الصباح كان لـ «النبي» مبشرةً جديدةً تندفع في نشر تعاليمه وشرح آرائه بما أعطاهما الله من بلاغة حارّة ونبرة جذّابة، وبما أولاهما اهتداؤها الجديد من غيرة

وحماسة. وإذا بالمحاضرات تلي المحاضرات عن جبران و«نبيّه»، وبالقرارات بعد القراءات للمقاطع المؤثرة في المجتمعات الخاصة والعامّة.

ومرّت أشهر خمسة.

في شهر آذار من السنة ١٩٢٤، بعد أن قامت الست بربارة بقراءة آيات من «النبي» في «جمعية النساء» في الكنيسة نفسها، تقدّمت منها إحدى الأوانس تسألها إذا كانت تعرف جبران. هزّت الخطيبه رأسها متأسّفةً، وشُدّ ما كان استغرابها عندما سمعت من الأنسة المذكورة أنّ جبران في نيويورك. على أنها تردّدت في طلب التعرّف إليه خشية أن تمحو شخصيته الحقيقية تلك الشخصية المثلى التي كوّنها لها إحساسها الفني وخيالها الشاعر. كان عراقٌ شديد بين الاكتفاء بالمثل الأعلى الخيالي والفضول الأنثوي الدافع إلى الاطلاع على الجديد مهما يكن. حتى انتصر الفضول، طبعًا، لكنه اقترن بشيءٍ من الإيجاس والحدّر أُرضت به الست بربارة خيالها المكتفي بما تتمثّلُه عن جبران. عزّمت على مخاطبته بالتلفون لكنها تجنّبت سماع صوتٍ قد يُبدّد ما تصوّرت سماعه من نبرات «النبي»، فكتبت إليه رسالة إعجاب واحترام، وأخذت تعدّ الساعات مقدّرةً مدّة الذهاب، مؤمنةً بتسلّم جواب عن تلك الرسالة.

كان الجوابُ أسرعَ ممّا قدّرت. وكان شفهيًا حملَه سلُّكُ التلفون يسأل عن السيّدة بربارة يونغ ويدعوها إلى محترف جبران أو، إذا صحّ التعبير، يدعو جبران نفسه إلى مكتبها. فضّلت أن تذهب هي فتزوّر الشاعر الكبير في مهبط وحيه في «٥١ غربي الشارع العاشر». ولم يكّد ينتهي حديث المجاملات حتى أصبحت الست بربارة من أخلص أصدقاء جبران وأصدق معاونيه، سبع سنوات متوالية، يُفضي إليها بكل ما يخالجه قلبه، ويطلّعها على خفايا حياته الكئيبة، ولا سيما في آخرها، فتحنو عليه حنو الأمّ العطوف، وتعبّج به إعجاب الأخت الفخور، وتمثّل لأقواله امتثال البنّط المطيعة، يستشيرها في المشاكل الاجتماعية، يتكل عليها في الشؤون الأدبية، يرتاح إلى تعازيها في أزmatesه الصحية، يراها جنب سريه في المرض الأخير وفي الساعات القليلة التي قضاها في المستشفى، حتى إذا فارق هذه الفانية

أَخَذَتْ تَهْتَمُّ بِمَا تَرَكَه مِنْ مَخْطُوطَاتٍ. جَهَّزَتْ لِلطَّبْعِ ثَلَاثَةَ مَجَلِّدَاتٍ كَتَبَتْ مَقْدَمَةَ وَاحِدٍ مِنْهَا. رَتَّبَتْ آثَارَهُ الْفَنِيَّةَ فَأَظْهَرَتْهَا فِي مَعْرُضِ تَذْكَارِيٍّ، فِي مَحْتَرَفِهِ الْخَاصِّ، فَتَحَ أَبْوَابَهُ مِنْ كَانُونِ الثَّانِي إِلَى نَيْسَانَ ١٩٣٢. ثُمَّ هَيَّأَتْهَا مَعَ آثَارِ الْمُحْتَرَفِ جَمِيعِهَا حَتَّى شُحِنَتْ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهِ. وَهَذِهِ التَّذْكَارَاتُ فِي مُحْتَرَفِ الْفَقِيدِ، كَمَا كَانَتْ يَقْطُطُهَا مُؤَلِّمَةً فِي بُشْرِيِّ حَيْثُ رَأَيْنَا السَّتَّ بَرَبَارَةَ، كَأَنَّهَا مَخْطُوفَةُ الْحَوَاسِّ، تَنْتَقِلُ مِنْ زَاوِيَةِ إِلَى زَاوِيَةٍ، مِنْ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ، مِنْ قِطْعَةٍ خَشْبِيَّةٍ إِلَى كُرْسِيٍّ، إِلَى رِيْشَةٍ، إِلَى رَأْسِ تَمَثَالٍ مَهْشَمٍّ، وَتَقُولُ: «كَانَ يَجْلِسُ هُنَا، كَانَ يُسَيِّدُ كِتَابَهُ إِلَى هَذَا، كَانَ يَكْتُبُ بِهَذَا، كَانَ يَرَسُمُ عَلَى هَذَا...»، حَتَّى إِذَا وَقَعَتْ عَيْنَاهَا عَلَى دَفْتَرٍ بَيْنَ مَخْطُوطَاتِ جَبْرَانَ صَاحَتْ: «هَذَا خَطِّي. مَقَاتِعُ مِنْ يَسُوعَ ابْنِ الْإِنْسَانِ كَانَ يُمْلِكُهَا عَلَيَّ».

### ... وَهَكَذَا تَعَرَّفَتْ إِلَى وَطَنِهِ...

كَانَ مِنْ نَصِيْبِنَا أَنْ اجْتَمَعْنَا عِدَّةَ سَاعَاتٍ فِي ثَلَاثِ جُلُوسَاتٍ إِلَى هَذِهِ السَّيِّدَةِ الرَّاقِيَةِ، وَرَافَقْنَاهَا فِي رِحْلَةٍ خُشُوعِيَّةٍ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِ جَبْرَانَ<sup>٢٧</sup>، وَقَدْ جَاءَتْ لِنَقْضِي فِيهِ سَنَةً كَامِلَةً تَكْتُبُ فِي أَثْنَائِهَا حَيَاةَ الْفَقِيدِ. لَكِنَّ حَوَادِثَ الْحَرْبِ الْحَاضِرَةِ<sup>٢٨</sup> بَاغَتْهَا فِي عُرْضِ الْأُوقْيَانُوسِ فَاضْطَرَّتْهَا لِلرُّجُوعِ إِلَى نِيُويُورِكِ، وَأَرْعَمَتْهَا عَلَى أَنْ تَرْقُبَ بِصَبْرِ خَتَامِ الْمَأْسَاةِ الْعَالَمِيَّةِ الْجَدِيدَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ يُفْسِحُ لَهَا بَعْضَ الزَّمَنِ فَتَتِمَّ مَا بَدَأَتْ بِهِ.

<sup>٢٧</sup> فِي هَذَا الْكِتَابِ ذَاتِهِ (ص ٢٧ إِلَى ٣٤) فَصَّلَ بِعَنْوَانِ مَوْلُدِ جَبْرَانَ وَنَشَأَتِهِ سَرَدَ فِيهِ فُؤَادَ افِرَامِ الْبَسْتَانِيِّ أَنَّ جَبْرَانَ لَمْ يُولَدْ فِي بُشْرِيِّ بَلْ «فِي وَادِي الرُّطَلِ مِنْ نَاحِيَةِ الْهَرْمَلِ الَّتِي كَانَتْ تَابِعَةً قَائِمَقَامِيَّةً الْبَتْرُونَ عَلَى عَهْدِ الْمُتَصَرِّفِيَّةِ»، فَكَانَ الْوَالِدُ خَلِيلُ جَبْرَانَ، لِقَسْوَةِ الطَّقْسِ شِتَاءً فِي بُشْرِيِّ، يَنْزِلُ بِعَائِلَتِهِ لِلْمَشْتَى إِلَى قَرْيَةِ مَرْجَحِينَ فِي وَادِي الرُّطَلِ، حَتَّى إِذَا بَدَأَتْ بَوَادِرُ الرَّبِيعِ عَادَ بِعَائِلَتِهِ إِلَى مَسْقَطِ الرَّأْسِ فِي بُشْرِيِّ. وَوَلَادَةُ جَبْرَانَ فِي كَانُونِ الثَّانِي جَعَلَتْ الْبَسْتَانِيَّ يَنْحُو إِلَى هَذِهِ الْفَرِضِيَّةِ (الْوَلَادَةُ فِي مَرْجَحِينَ) وَكَانَ سَمِعَهَا مِنْ ابْنِ الْهَرْمَلِ رَئِيسِ مَجْلِسِ النُّوَابِ اللَّبْنَانِيِّ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ صَبْرِي حَمَادَةَ الَّذِي سَمِعَهَا تَوَاتُرًا مِنْ أَبْنَاءِ مَنطَقَةِ الْهَرْمَلِ.

<sup>٢٨</sup> تَذْكَيرًا: كَتَبَ الْبَسْتَانِيُّ هَذَا الْمَقَالَ وَنَشَرَهُ فِي الْمَشْرِقِ سَنَةَ ١٩٣٩ إِبَّانَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ.

بيد أنّ الأبحاث الجبرانية تستفيد الكثير من مرور السيّدة يونغ في بلادنا وإنّ مروراً سريعاً. فهناك صورٌ غيرٌ معروفة ومخطوطاتٌ غيرٌ منشورة أسعدنا الحظُّ بأنّ نطلّع عليها. وهناك معلومات نفيسة عن حياة جبران العامة والخاصة، وعن آرائه ومعتقداته ومظاهر روحانيته الغريبة، نغتنب بالوقوف عليها بواسطة شاهد عيانٍ بل طالبٍ متفهمٍ مُعجبٍ بأستاذه شاء أن يُسقط الأسانيد فنقل إلينا بحذافيرها تلك المحادثات المتتابعة بينه وبين المعلم الراحل. كانت الست بربارة تنقل لنا هذه الأحاديث من ذكريات الأعوام المتعاقبة كأنّها حصلت أمس، فتُحييها بابتسامتها أو بكآبتها، بخشوعها أو بمرحها، وتتمثّل المشاهد العديدة في محترف جبران وفي غيره من المجتمعات النيويوركية... وكلُّ هذا فيما السيّارة تقطع بنا أحاديث طريق أميون، أو تدور في المصاعد اللولبية المتراكبة من كوسبا إلى أعالي الجبل المقدس.

- هذا قاديشا الوادي المقدّس العابقُ بعطور النّسك والقديسين.

- أه! قاديشا!

برقت عينا الست بربارة، فهزّت حفيدها<sup>٢٩</sup> ذا السنوات الأربع، وهمست في أذنه: «كريستوفر، قاديشا»، مشيرةً إلى الوادي الرهيب. فردّد الطفل الكلمة مرّتين مبتسماً ابتسامه معنوية، وتابع دون أن يحوّل نظره عن الوادي:

- ومار سركيس؟ أين مار سركيس؟

- سنصل إليه عمّاً قريب.

- هذه مغارة القديسة مارينا...

وما همّنا بالاندفاع في إطلاع الست بربارة على هذه الأسطورة اللبانية الجميلة، حتى هزّت رأسها بثقةٍ وقالت:

<sup>٢٩</sup> حاشية للبهستاني: «أشارت بعض جرائدنا اليومية إلى وصول السيّدة يونغ وأبحاثها عن جبران، ذاكراً أنّها أتت بابنها لتعلّمه لغة جبران. ولمّا سألتها عن اسم «ابنها» هذا تبسّمت وأشارت إلى الطفل وإلى وجهها الصافي على رغم بعض التجعّات، وقالت: «ابني؟ عمره أربع سنوات، وعمري إحدى وستون سنة... هذا كريستوفر ابن بنتي». ولعلّها أول امرأة تذكّر عن عمرها رقمًا يتجاوز ما يعتقده المتأمّل فيها».

- أعرّف القصة. رواها لي جبران.

وكم كان انفعالها مؤثراً عندما أطلت بُشْرِي، وفوقها «وسام الأرز الأكر على صدر ظهر القضيبي»، كما يقول جبران. وما هي إن وضحت الخطوط وتقاربت الأبعاد حتى بان سنديان مار سركيس يصعد إلى ابيضاض الكهف حيث شاء الشاعر أن يستريح من متاعب الدنيا وتكالب أبناء الدنيا.

صعبه المرتقى تلك الطريق التي تُؤدِّي إلى القبر، شأن كل سبيل يتخذه الإنسان لإدراك شخصية ذاك النائم المُطمئن. إنها تفرض الرغبة الشديدة والجَلد المُتتابع إن لم تفرض الحُبّ البار.

- ما رأيك لو مُهدتْ وعُبدتْ فتقدّمتْ عليها السيّارات؟

- لا! لا! لا سيّارات ولا ضجّة قرب جبران.

قالت هذا، واللهثات تقطّع كلماتها. وأضافت:

- يجب أن يتعب من يودّ الوصول إلى جبران.

ما قطعنا الباب الخارجي لمدخل الدير حتى تولّأها الصمت الخاشع فتولّأنا الاحترام والهيبة، ناظرين إلى الآية اللاتينية المعروضة منذ أجيال: O beata solitudo, sola beatitudo. ومعناها: «أيتها الوحدة المغبوبة [أنتِ] الغبطة الوحيدة!».«

ولم يتخلّل ذلك الجوّ الرهيب إلا صوت الصغير، وكأنه غلّف بشيء من الغبطة الكئيبة، يردّد:

- مار سركيس! مار سركيس!

في القبر- المعبّد طلبت أن تترك وحدها.

خرجنا دقائق حفلت بالمناجاة الصامتة تهزأ بالمكان والزمان:

حسب الرفيقين نأى الأرض بينهما هذا عليها، وهذا تحتها بال!

(النابعة الذباني)



## ... وجثت عند جثمانه

في المتحف عرقت كل صورة ورسم وكل قطعة ودفتر. هذه وسادته. وهذا شمعدانه ذو السبع الشموع كان يصور على نوره. هذا الحاجز الخشبي المحفور صنعه بيده، وكذلك هذا المئكأ. وكأن حجَاب الرموز الغامض انشق أمام السيِّدة فلم تبق صورة غامضة في المتحف ولا حركة في الأشخاص لا معنى لها. بين صور الفقيده غير المنشورة رسم ملون يُمثل شخصين عاريين متجهين كل إلى جهة، وقد رُبطت يدهما برباط وثيق. كان الناس يُعجبون بهذه الصورة ولا يعرفون ماذا تمثل، شأن أكثر الصور الجبرانية. أما ذوو الاختصاص وأرباب الادعاء، فكانوا يشرحونها متفلسفين بأنها صورة الزواج الذي يربط بين الزوجين وإن تخالفت نزعاتهما حتى المعاكسة. وأما الست بربرة فقالت مبتسمة: «إنها رمز الحزن والفرح المرتبطين أبداً، على تعاكسهما، في حياة الإنسان». فإذا بالصورة تتخذ أمامنا حياة جديدة، وإذا بنا نرى أحد الشخصين انتشرت على قسماط وجهه الغبطة الهادئة، بينما تتخذ جبين الآخر بخطوط الكآبة الأليمة.

هي ساعة عذبة في متحف جبران، وددنا لو طالت إلى ما وراء الساعات والأيام والشهور، فتتمكّن هذه السيِّدة، وتمكّننا، من فهم رموز الشاعر وتصورات الفنان. ولا شك أن جبران كان يعبر عن فكره بالرسم والكتابة على السواء، كما يظهر من مخطوطاته ومسودات رسومه، بعضها في متحف بُشري والبعض الآخر في حقيبة الست بربرة. وقد أدت لنا بدرس ما فيها، فرأينا أن نُطلع مريدي جبران ودارسيه على ما لن يتسنى لهم الاطلاع عليه بعد سفر الكاتبة الأميركية.

## كنوزة في حقيبتها

تحتوي الحقيبة على كثير من الصور الأصلية، وعلى عدد من النسخ أصولها محفوظة في متحف «ميتروپوليتان» في نيويورك وهو من أعظم متاحف العالم، أو في متحف لندن، أو في مجموعات خاصة. وقد لاحظنا في بعضها، ولا سيما في

المحاولات، أن الكتابة كثيرًا ما اقتربت بالصورة فأظهرتها، مجموعتين، فكرة جبران. وهو أسلوبه في أكثر كتبه. من ذلك: صورة جبل شاهر بارز عمًا حوله من العناصر الطبيعية مكتنفٌ بكثير من الضباب، وقد كتّب على الصورة بالعربية: «إذا ماتت الأرض تحوّلت ماءً، وإذا مات الماء تحوّل هواءً، وإذا مات الهواء تحوّل نارًا.» وفي حقيبتها محاولة لرسم المسيح، عليها بالعربية: «مملكتي حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة منكم على اسمي بالحبّ والفرح».

الصورة والكتابة مقترنتان في نظره، لا فرق بينهما في أداء الفكر، وكذلك لا فرق بين أن يؤدّيه بالعربية أو بالإنكليزية، وإن كانت الإنكليزية، في رأيه وبالنسبة إليه، أسهلّ سبيلًا، وأرفع تعبيرًا، وأضبط دقائقي، وأعمق بلاغًا وتأثيرًا. يشهد بذلك كتاب النبي الذي كتبه أربع مرّات بالعربية فلم يرصّ عنه، حتى مرّقه وكتبه دفعةً واحدة بالإنكليزية. وتشهد بذلك أيضًا مخطوطاته، وفي صفحاتها العربية كثير من التنقيح والإصلاح والتحشية وإبدال المفردات مع بعض الأغلاط والأخطاء، بينما الصفحات الإنكليزية صافية، على الغالب، وسليمة من آثار التنقيح إلا ما يعرض من وضع كلمة موضع أخرى، أو تقديم تعبير على آخر. وسنعرض مقاطع من مخطوطاته العربية تُبرز أسلوبه في الكتابة والتنقيح. كان يستعين باللغتين معًا في إعداد أبحاثه، كما يتضح من الأوراق الإنكليزية، وكلُّ ما رأيناه منها: مقاطع من يسوع ابن الإنسان كتّب في رأس صفحةٍ منها بالعربية: «وصف مريم - تصفها إحدى جاراتها.» ثم تابع بالإنكليزية. وهذه صفحة كاملة بالإنكليزية، على أعلاها بالعربية: «فقال تلميذ: ترى هل أنا أكثر من قطرة ندى... إلخ. إلخ...».

ومن محفوظات الست بربارة الفنيّة: صورة عبّاس عبد البهاء، زعيم البهائيين. زار نيويورك سنة ١٩١٢ واجتمع به جبران في السابعة مساءً، فتأثّر بهيئته الساحية حتى إذا جنّه الظلام لم يقوَ على النوم. وظلّ مضطربًا يتململ متأملاً بوجه عبد البهاء إلى منتصف الليل فقام وأخذ يعمل، مستندًا إلى ذاكرته وحدها، حتى أخرج صورة تلك الهيبة على أتمّ ما يمكن، وقدمها صباح اليوم الثاني إلى صاحبها، فأعجب بها

كُلَّ الإعجاب<sup>٣٠</sup>. ولهذه المناسبة ذكرت الست بربارة أن جبران كثيرًا ما كان يصوّر من دون أمثلة أو نماذج (modèles) مستندًا إلى خياله الخصب وإلى تمارينه العديدة المتتابة. فهو كان من كبار المشتغلين تمرينًا ورياضةً في الإنشاء والتصوير.

ومن محتويات الحقيبة الأميركية: صورة امرأة نائمة، أو مائتة، بين الزهور. وهي من أوليات صور جبران، رسمها في بيروت ولم تستقل شخصيته بعد. ومن عهد شبابه: صورة جميلة جدًا تمثل المريمات الثلاث: مريم أم يسوع، ومريم المجدلية، ومريم أخت لعازر، وهي غاية في التأثير الأليم، اشتراها أحد سكان نيويورك وحفظت الست بربارة نسخة عنها. وكذلك تحفظ نسخة من «شجرة الحياة» (الأصل في بُشْرِي)، ومن «التجسد المتتابع» (الأصل في متحف متروبوليتان في نيويورك)، ومن رسم «المسيح» الذي زين مدخل [غلاف] يسوع ابن الإنسان، ومن «العائلة» (الأصل في بُشْرِي). ومن الصعب وصف الصور الباقية في محفظة الست بربارة لأن الحديث لا يُغني عن العيان، لعلّ أجملها: «رؤوس العميان»، وصورة شيخ شاعر في نيويورك تجلّت فيها الهيبة الوداعة فانسابت من خطوطها الطمأنينة والسلام. وكان الشاعر الأميركي المشهور إدوين ماركهام (Edwin Markham) شاهد هذه الصورة في المعرض الذي أقامته الست بربارة بعد وفاة الفنّان، فكتب عليها بخطه الكبير الواضح: «هذه الصورة بروحانيّتها أجمل الصور التي رأتها عيناى - ٩ نيسان ١٩٣٢».

وهناك أوراق عديدة متناثرة، فيها دروس وتمرين ومحاولات تصويرية يكثر فيها رسم الأيدي والأرجل والرؤوس والأجسام المتداخل بعضها في بعض، والعضلات خاصة. ويلاحظ المُطالع أن الفنّان ميلاً إلى تمثيل اليد المقفّعة بتقاطيعها الدقيقة. وهناك صورة يد كبيرة أصابها شديدة الانقباض وفيها الخواتم الضخمة

<sup>٣٠</sup> ربما أشكل الأمر على البستاني في نقل هذه الواقعة مترجمًا له (لم يكن يتقن الإنكليزية) أو أنّ يونغ ذاتها روتها مختلفة. ففي الفصل السابع «ضباة منحوتة في صورة» من كتابها هذا الرجل من لبنان أنّ الموعد مع جبران حدّده عبدالبهاء في السابعة صباح يوم من ١٩١٢، وأنّ جبران قال لها: «بقيتُ سهرانًا طول الليل ليَقيني أنّ لو نمّتُ طويلًا لن أستطيع السيطرة صباحًا على عينيّ ويديّ».

كأنه أراد أن يُمَثَّلَ بها الشِحِّ والحرص. وهذه الأوراق ترقى إلى سنين متتابعة، منها ما يتصل بجبران الفتى (بينها ورقة تحمل، مطبوعًا، عنوانَ فندق في باريس)، ومنها ما يرقى إلى آخر حياته.

## دفاتره الأربعة

المخطوطات التي شاءت السيِّدة يونغ أن تُطْلَعَنَا عليها هي في أربعة دفاتر. خطُّها واضحٌ جليٌّ في الغالب، على قسطٍ من الجمال، إنما يكثر فيه الحذف والتحشية والتنقيح، سواءً أكتبَ بالحبر أم بالقلم الرصاصي. ويلاحظ الدارس أن الكاتب يُسرِع في تدوين أول ما يخطر على باله من التعابير، حتى أنه ينسى بعض الحروف، ولا سيما الألفِ وسَط الكلمة فيكتب «وحد» بدل «واحد» ويكتب «سطان» بدل «سلطان» و«المزكشة» بدل «المزركشة». وقد لا ينتبه، في سرعته، لقواعد العروض ولا لأصول الإملاء والنحو أحيانًا، فيكتب الهمزة الواقعة بعد الألف مفتوحةً أبدًا دون كرسِّيٍّ مهما تكن حركتها: «شاءوا». ويقول: «ترى أن العقل سطانًا» وقصدُه «أن العقل سلطان». وكثيرًا ما نصب اسم «ليس» في «المواكب» في ردود الفتى:

ليس في الغابات عدلاً

ليس في الغابات عزمًا

ليس في الغابات علمًا

ليس في الغابات موتًا

ليس في الغابات سُكْرًا

ولكنه أصلح ذلك مرةً في «ليس في الغابات عزمًا» فضرب على الألف من «عزمًا». أما الغلطة النحوية في قوله «يدعى السيدُ الخطِرُ أو الوَقِرُ» فكأنه أراد تداركها لأنه وضع علامة استفهام فوق «الوقِر».

ويجب القول إنَّ من هذه الدفاتر ما يرقى إلى عهد تلمذة جبران. ومهما يكن، لا يجوز أن يؤاخَذَ كاتبٌ بما في مسوداته الأولى من خطِّ أو سهو. على أننا

رأينا وُصِفَ هذه الدفاتر الأربعة بشيءٍ من التفصيل، لعلَّ في بعضها فائدةً لطلّاب المباحث الجبرانية:

(١) دفترٌ صغيرٌ دون جلد، لا شك أنه كان من دفاتره المدرسية. عليه صُور تحارير: «إلى رئيس عام» و«إلى صديق» و«إلى بطريك»، وما شاكل من تلك «الصُور» و«التراجم» التي كان يتناقلها الطّلاب في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. أوليس عجباً أن تكون أكثر «الصُور الإنشائية» التي تمَرَّن عليها جبران من الرسائل الإكليريكية؟

(٢) دفترٌ ثانٍ أكبر من الأول. دون جلد. يحمل على ورقته الأولى: «من دفاتر جبران خليل جبران. ت أول ١٩٠٠» وتحتّها، على ثلاث مرات، هذان البيتان:

ألا يا مستعيرَ الكتبِ دعني      فإنَّ إعارتي للكتبِ عارٌ  
وجدتُ كتابي (كذا) في الدنيا حبيبي      حبيبي لا يُباع ولا يُعارُ

والدفتر مجموعة أبيات منتخبة من أقوال ابراهيم بن سهل، وابن معنوق، والشيخ سليم حنا الزاهر. وكلُّها من الشعر السهل المائع. وفيه تمارين إنشائية من نثر وشعر، أكثرها غير كامل، حافلةٌ بكثير من الاستعارات والتشابه. منها هذا المقطع: «أخذتُ اليراع وطيرتُ رائد الأفكار فسقطت على جذوع الألفاظ والتقطت أثمارها ورجعت إلى أعشاش الطُروس وولدت أفرآخها. تطايرت طيور الأفكار في سماء المعاني وسقطت على غصون اليراعة وغرّدت ألحانها. ارتفعت أبخرتُ (كذا) الأفكار بحرارة شمس الذكاء إلى فضاء المعاني ففاجئتُها (كذا) أرياح الإرادة الباردة واصقَطتُها (كذا) على الأقلام شوبوبًا (كذا) فسال على الطُروس مدادًا».

ومنها هذا المقطع: «أنا الآن في البيت الذي سكناهُ من سبعوات (كذا) أعوام، جالس على مقعد بقرب طاولة عليها نورٌ يبعث على الورقة التي أخط عليها كلامًا ربما لا تنظره عين ولا تسمعه أذن، ويشق كبد الظلمة بأسهم نارية. أرتجف بردًا لأن الشتاء قد أقبل يهز الريح عطفه ويسحب النسيم أذياله».

وواضح أن هذه من إنشاء تلميذ على نصيب وافر من الخيال والميل إلى الكتابة إنما لم تُصقل مواهبه بعد ولم يثبت ذوقه الفني.

وتلي ذلك محاولات شعرية غير موفقة.

في آخر الدفتر صفحة بخط تطوّر قليلاً فارتقى ارتقاءً الأسلوب الإنشائي: «أشباح تجيء وأشباح تروح. خيالات تطوف في فضاء وسيع، وأرواح تسير على مراسم المادة وفي مسارح المكوّنات. أفكار تتراوح بين هذه الدنيا وتلك، وشعائر تتماثل بين الحب والبغض. نفوس تطلب الانعتاق من أثر المادة، ومادة تروم السيادة على النفوس. قلوب ترى جمالاً فتعبده، وقلوب لا ترى الجمال ولا تعرفه. وفي هذه الأشباح وهذه الخيالات وهذه الأرواح وهذه الأفكار وهذه الشعائر وهذه النفوس وهذه المادة وهذه القلوب، محبة كانت منذ الأزل. ومن وراء كل هذه الأشياء قوة هي الله، والله في كل شيء».

(٣) دفتر عادي قليل الورق، مجلّد. مكتوب على صفحته الأولى من جهة اليسار: «من دفاتر جبران خليل جبران». فيه كتابات إنكليزية قليلة، ومحاولات شعرية بالعربية، منها:

ما جعلت الحديث<sup>٣١</sup> عهد التصابي  
وجعلت الأكفان بُرد الشبابِ  
فاقتنعت<sup>٣٣</sup> بوحشتي واكتأبي  
(وحجبت)<sup>٣٥</sup> عن العيون مُصابي  
قد وجدت الطروسَ خير الصّحابِ  
واتخذتُ النديم وجهَ الكتابِ

يا خليلي لو كنت تعلم ما بي  
ذاك حلم دفنته بفؤادي  
ما سلوتُ الحبيب لكن جفاني<sup>٣٣</sup>  
وبعدتُ عن الأنام وحيداً<sup>٣٤</sup>  
واتخذتُ الطروسَ صحباً فإني  
وجعلت المُدام جبرَ دواتي

٣١ كَتَبَ فوقها: «ما رجعت لِذُكْرِ»

٣٢ كَتَبَ فوقها «حتى سلاني»

٣٣ كَتَبَ فوقها «فاكتفيْتُ»

٣٤ كَتَبَ فوقها «حَجْوَلًا»

٣٥ الهلالان في الأصل

عاليات<sup>٣٦</sup> يخرقن صدر<sup>٣٧</sup> السحابِ

وأقمتُ من الخيال صروحًا  
وخلقتُ<sup>٣٨</sup> من الخيال بلادًا<sup>٣٩</sup>

وبعد هذه المقطوعة بيتان أعدَّهما ليُكْتَبَا تحت رسمه، على ما يظهر، وهما  
بعنوانهما: «تحت رسمي»:

يهوى الحياة وفي الحالين يكتئبُ  
فاتلوا عليه صلاةَ الحبِّ يضطربُ

هذا خيال فتى يهوى الحياة ولا  
فإن بديءُ جامدًا والصمت يملكه

وعلى صفحة أخرى، دون عنوان:

ممن تجاهل أو جهل  
يدني الوصال<sup>٤٠</sup> سوى الأمل  
عن لذة<sup>٤١</sup> العيش الهني  
وعن الرضا لن أتثني

يا نفس إياك المَلَلُ  
سيري على أمل فلا  
يا نفسُ قد أبعدتني  
فرضيتُ فيك قسمةً

وبعد هذا المقطع صوّر بالحبر الأسود الصيني شبه جَعَلٍ بشعٍ (نوع من  
الخناسف) بارزِ القرنين، وتحتته تابَعَ القصيدة:

يثني النفوس عن الهوى  
نثر الكواكب في الفضا

يا نفس لو كان النوى  
لتشوّش الشرع الذي  
يا نفس لو كان البعاد  
(ثم شطب هذا الشطر الأخير).

٣٦ كَتَبَ فوق هذا الصدر: «وأقمتُ الخيال صرحًا رفيعًا يتسامى إلى»

٣٧ كَتَبَ تحتها: «يلتئمن وجه»

٣٨ كَتَبَ فوقها: «وبرأت»

٣٩ انتهى هكذا بدون عَجْزٍ لهذا الشطر

٤٠ كذا في الأصل

٤١ أحاط هذه الكلمة بدائرةٍ وكتب تحتها «الأمانى»، مع أن هذا التصحيح يُضعف الوزن  
الشعري

٤٢ وَضَعَ فوقها «سكرة»

وفي الدفتر نفسه مقالٌ طويلٌ في عشر صفحات، كثيرُ الشطب والتحشية، حتى لا يكاد سطرٌ فيه يخلو من التنقيح. وأكبر الظن أنه مسوِّدٌ لمقالٍ صدر في «الهلal» جوابًا عن سؤال كانت تلك المجلة طرحته بشأن النهضة الشرقية وإمكان التضامن بين الأقطار العربية. وما أمكننا استخلاصه، من بين الإصلاحات والتعاليق والحواشي الكثيرة، مطلعُ المقال وهو:

«في عقيدتي أنّ ما نحسبه نهضةً في الأقطار العربية ليس بأكثر من صدى ضئيلٍ لما ندعوه، ونحن في غيبوبة، بالمدينة الغربية. ذلك لأن هذه النهضة المباركة<sup>٤٣</sup> لم تولد شيئًا من عندياتها، ولم يُبَنَ منها ما كان موسومًا بطابعها الخاص، أو ملونًا بصبغتها الذاتية. والإسفنجة التي تمتص الماء من خارجها وتنتفخ<sup>٤٤</sup> قليلًا، لا تتحوّل إلى ينبوعٍ ماءٍ حيٍّ. أما ذلك الذي يرى في الإسفنجة المنتفخة نبعًا حيّةً، فهو أحوج إلى طبيبٍ رمدي وعقاقيره منه إلى صاحب هذا المقال ونظرياته». ثم يقول إن «الشرق مقلدٌ للمدينة الغربية». ويزيد في جملة تدلُّ على أن المقال كتبه في أثناء الحرب العمومية: «ليس بحثنا هذا في ما إذا كانت المدينة الغربية صالحةً بحد ذاتها أو غير صالحة. فالمدينة الغربية قد وقفت في تموز سنة ١٩١٤ أمام منصّة القضاء السرمدي ولم تزل واقفة هناك. ولو انتدبني القضاء السرمدي لإصدار حكمه على المدينة لفضلت الساعة، وكنت بما أقوله على وفاق تام مع المفكرين الغربيين أنفسهم».

ثم يحمل على الذين يدعون الوطنية، ويتظاهرون بالاستقلال عن الغرب في بعض مظاهر الحياة، وهم في جوهر حياتهم مقلدون لكل ما يُخرجه الغرب. يأخذون بالتقليد ويدعون الابتكار. قال في آخر تلك الجملة: «ولكن لو قال لي هذا السياسي والوطني الحر، الذي يلعب دورين بليدين في وقت واحد، لو قال لي ولو بشيءٍ من النزاهة السطحية: «الغربُ سابقٌ ونحن لاحقون، وعلينا أن نسير وراء السائر وتندرج مع الدارج» إدًا لقلتُ له: «حسنًا تفعلون. إحقوا السابق ولكن

<sup>٤٣</sup> كُتِب فوقها «مختلفة»

<sup>٤٤</sup> كُتِب فوقها «وتنتفش»



الحقوه صامتين. سيروا وراء السائر ولكن لا تدعوا بأنكم غير سائرين، وتدرجوا مع الدارج ولكن كونوا مخلصين للدارج ولا تخفوا حاجتكم إليه وراء غربال الخزعات السياسية. وماذا يا ترى ينفعكم التضامن في الأمور العرضية وأنتم غير متضامين في الأمور الجوهرية؟ ماذا تجدي الألفة في المزاعم وأنتم متباينون في كل عمل من أعمالكم؟ هذا ما أقوله لمن يريد أن يسمع ولو بشيء من النزاهة. أما الطرشان، أولئك الذين لا يسمعون حتى همس نفوسهم، فلهم الحصة الكبرى من عطفي وشفقتي. وأما نصيبهم من صوتي فمثل نصيبي من آذانهم...».

وفي آخر المقال صفحة وافرة التنقيح يُستخلص منها ما يلي: «وفي عقيدتي أنه لو أُتيح لنا الوقوف<sup>٤٥</sup> على قمة من قمم التجرد، مستعرضين المدنيات الغابرة وما أحدثته من النهضات والوثبات، لرأينا أن نهضات (الشعوب) الأمم ليست بما أوجدته لمنفعتها الخاصة بل بما تركته إرثاً<sup>٤٦</sup> للأمم التي تأتي بعدها، وعلمنا أن زبدة العهد الذي كان فجره في بابل ومساءه (كذا) في نيويورك، هي في الحقائق الكلية الشاملة التي اكتشفها نبوغ الأمم وأثبتها، وفي الجمال المطلق الذي بان له في الحياة فألبسه قالباً خالداً وأوقفه برجاً ذهبياً<sup>٤٧</sup> أمام وجه الشمس. فإن كنا متدينين قلنا...<sup>٤٨</sup> وإن كان بنا ميل للآداب والفنون، وما الآداب والفنون من الدين إلا بمقام الشرح من المتن، رأينا رموز تلك النهضات العلوية ظاهرة بجلاء في الثور المُجَنَّح الكلداني، وفي أبي الأهوال، والهرم الأكبر، في مزامير داود وسفر أيوب، في الحكايات الهندية والفواجع اليونانية، في آيات علي ونظريات الغزالي ونفحات الفارض وغضبات (? المعري، وفي رؤيا<sup>٤٩</sup> دانتٍ وتماثيل ميكل انجلو ورسوم دافنشي وروايات شكسبير وأنغام بيتهوفن».

٤٥ كُتِبَ فوقها «لِفَرْدِ مَنْ أَنْ يَقِفَ»

٤٦ كُتِبَ تحتها «لا يزول»

٤٧ كُتِبَ أولاً «قوالب خالدة وأبراجاً ذهبية» ثم أصلحها

٤٨ كذا في الأصل

٤٩ كُتِبَ تحتها «قصيدة»

وفي هذا الدفتر صفحتان وافرتا التنقيح، شأن سائر الكتابات العربية، تدوران حول «العقل والروح» في بحث لا يظهر تامًا، يُستخلص منهما:

«إن العقول قشور الأرواح، فمن<sup>٥٠</sup> يعيش بعقله دون روحه لا ولن يعرف من الحياة سوى سطحياتها. ومن يحسب الروح ظلًا ضئيلاً ومآتي الروح سرابًا<sup>٥١</sup>، كان وجوده بعض الوجود<sup>٥٢</sup>، وكان وجدانه غلافًا للوجدان.

ويقولون لي: «إن المدنية الغربية قد قامت على دعائم العقل، والعقل شيء عملي إجرائي إيجابي<sup>٥٣</sup> وهذا ما جعل الغرب غنيًا قويًا غالبًا».

ويقولون لي: «فانظر إلى أثمار العقول ومظاهرها، من قطارات مسرعة وبواخر ماخرة وطائرات محلقة وآلات دائرة، تقوم الواحدة منها مقام ألف رجل، وتُنجز بساعة ما لا تُنجزه الأيدي البشرية بسبعة أعوام».

ويقولون لي: «ألا ترى أنهم بعقولهم قد سادوا ومادوا وقسموا الأرض كما شاءوا (كذا) وحكموا سكان الأرض كما أرادوا؟»

يقولون لي مثل هذه الأقوال باسطين البراهين المزركشة على سلطة العقل وميزته، ثم يختمون حديثهم بسؤالهم: «وماذا يا ترى أنتجت (كذا) ذلك الذي تدعوه روحًا، فإن كنت تحسب الغرب عقلي الطوية والشرق روحي المذهب، فانظر إذن إلى هذا وتهلل ثم التفت إلى ذلك وانذب».

يطلبون إليّ أن أنظر إلى عقل الغرب العامل لأرتعش<sup>٥٤</sup> حسدًا، ثم إلى روح الشرق لأنذب. ذلك لأنهم يتوهمون أن الغرب بدون روح وأن الشرق بدون عقل.

٥٠ كَتَبَ أَوْلًا «الذي» ثم أصلحها فوقها بـ«مَنْ»

٥١ في الجملة الأصلية «نفحة في الفضاء» ثم أصلحها بـ«السراب»

٥٢ كَتَبَ فِي الْأَصْلِ «نصف وجود»

٥٣ كَتَبَ أَوْلًا «عملي» ثم وضع فوقها «إجرائي» وأردفها بلفظة «إيجابي»

٥٤ كَتَبَ تَحْتَهَا أَوْلًا «لأغتبط»

ومن هذا الوهم يسحبون (?) ويستنتجون الأسباب مما يدعونه تقهقرًا في الشرق<sup>٥٥</sup> وتقدمًا في الغرب<sup>٥٦</sup>.

أما نحن، نحن الموحّدون، نحن السكارى بخمرة وحدة الحياة وفرديتها، نحن لا نجزيّ الأرض إلى شرق وغرب، أو إلى قبلة وشمال. ولا نفصل<sup>٥٧</sup> بين عنصر من الناس وعنصر آخر. نحن نرى الطبيعة مظهرًا واحدًا من مظاهر الله الأوحد. نحن نرى الأرض كتلةً واحدة، والبشرية عنصرًا واحدًا، وأعمال البشر عملاً واحدًا.

نحن لا نفصل بين شيءٍ وشيءٍ، حتى ولا بين العقل وهو القشور، والروح وهو اللباب، ولكننا نميِّز بين هذا وذاك فنقول: العقل سطحيّ وقتي وهو لازم<sup>٥٨</sup>. أما الروح فباطنيّ أبديّ وهو ألزم. غير أننا في كليتنا نتساهل بعض الأحيان مع المُجرّئين<sup>٥٩</sup>، ونقول نعم هناك قسم في هذه الفكرة يعرف إصلاحًا بالشرق وهناك قسم آخر يدعى تميّزًا بالغرب».

وفي آخر هذا الدفتر - أو في أوّل من جهة اليمين - مسوّدَةٌ رسالةٌ قد تكون موجّهةً إلى مَيّ كما يُستدلُّ من النصّ. والمعروف أنّ جبران كان يكتُب مسوّداتٍ لرسائله. قال: «ها قد رجعت من لبنان، فأنا بالطبع أهنئك بذهابك إلى لبنان، ولا أدري ما إذا كان عليّ أن أهنئك برجوعك سائمةً إلى مصر. لبنان. لبنان. قولي لي ماذا وجدت في لبنان؟ لو بعثت إليك بالرسائل التي تجيئني من أبسط اللبنانيين ومن أكثرهم (تركيبًا)<sup>٦٠</sup> لَمَا فكّرت قط - لو كنت أنت أنا - (هلاً غفرت لي هذا الافتراض) بالذهاب إلى قرنة من قراني الشرق».

٥٥ كُتِب فوقها «الشرقيين»

٥٦ زاد فوقها «بين»

٥٧ كُتِب أولاً «ولا نفصم البشرية» ثم أصلحها

٥٨ زاد فوقها «ولكنه» إنما لا رابط لها

٥٩ كتب فوقها «الجزئيين»

٦٠ كذا في الأصل

٤) دفتر كبير أَكثَرُهُ أبيض. يبدأ من اليسار بمقاطع كثيرة من «آلهة الأرض» باللغة الإنكليزية. تليها محاولات تصويرية، منها صورة امرأة تحضن طفلاً وتُرضعه، رسَمَها بالرصاص على شكل دوائر متتابعة متداخل بعضها في بعض فأنت على كثير من الغموض والوضوح معاً. ثم رسم حيَّة برأس امرأة جميلة. وفيه أيضاً محاولات لكتابة اسم «بربارة» بالعربية، نظن أن الست بربارة هي التي قامت بها، وقد علّمها جبران أن تكتب اسمها بلُغَتِهِ. ولكنها، في إحدى هذه المحاولات، نسيت الراء الثانية فأتى الاسم هكذا: «برباة».

أول الدفتر، من ناحية اليمين، حافل بكثير من عناوين أشخاص بالإنكليزية. ثم هذا المقطع:

أريد أن أموت قبل من أحب، كيلا أُجَنَّ إذا مات قبلي.  
وأريد من يحبني أن يموت قبلي كيلا يحزن لموتي قبله.  
وتحتة، وهي مسوَّدة قطعة معروفة بعنوان «الأرض»:

تنبثق الأرض من الأرض رُغْمًا<sup>٦١</sup>  
ثم تسير الأرض فوق الأرض تيهًا وكبرًا  
وتنشئ<sup>٦٢</sup> الأرض من الأرض القصور والبروج والهيكل  
وترسم الأرض على الأرض الأساطير والتعاليم والشرائع  
ثم تملُ الأرض أعمال الأرض فتحوك<sup>٦٣</sup> من هالات الأرض الاحلام والاشباح  
ثم يراود نعاس الأرض أجفان الأرض فتنام نومًا هادئًا عميقًا أبدئيًا  
ثم تنادي الأرض قائلة للأرض: «أنا البدء وأنا النهاية»<sup>٦٤</sup> وكل ما بي فيي، وسأبقى  
ظافرة<sup>٦٥</sup> رحمًا وقبرًا حتى تضمحل الكواكب وتحوّل الشمس إلى رماد.

٦١ كُتِبَ فوقها «كرهًا وقسرًا»

٦٢ كُتِبَ فوقها «وتقيم»

٦٣ كُتِبَ فوقها «على»

٦٤ كُتِبَ تحتها «فتبُدع»

٦٥ كُتِبَ فوقها «أنا الرحم وأنا القبر»

٦٦ كُتِبَ فوقها «قوية هائلة»

وفي صفحة ثانية مسوَّدةٍ قطعةٍ كاملةٍ ننشرها كاملةً في ما يلي:

تسير اليوم مستندة على ساعده، وبالأمس كانت على ساعدي  
وتجلس بجانبه في ظلال الغصون، وبالأمس كانت بجانبني  
وتشرب الراح من كأسه، وبالأمس كانت ترشفها من كأسِي  
وترمقه بعين ملؤها الحب، وبالأمس كانت ترمقني  
قلت لصديقي: «ألا فانظرها مكتئة على ساعده، وبالأمس كانت على ساعدي». .  
فقال: «وغداً على ساعدي». .  
قلت: «تأملها جالسة إلى جانبه، وبالأمس كانت إلى جانبي». . فقال: «وغداً  
إلى جانبي». .  
قلت: «تبصَّرها تشرب الراح من كأسه، وبالأمس كانت ترشفها من كأسِي». .  
فقال: «وغداً من كأسِي». .  
قلت: «انظرها ترمقه بعين ملؤها الحب، وبالأمس كانت ترمقني». . فقال:  
«وغداً ترمقني». .  
قلت: «اسمعها تهمس أغاني الغراب في أذنه». . فقال: «وغداً في أذني». .  
قلت: «انظر فهي تعانقه، وقد كانت بالأمس تعانقني». . فقال: «وغداً تعانقني». .  
قلت: «انظر فهي تقبل شعره، وقد كانت بالأمس تقبل شعري». . قال: «وغداً  
شعري». .  
قلت: «ما أغربها امرأة». . قال: «هي كالحياء يملكها (؟) كل الناس<sup>٦٧</sup>، وكالموت  
تتغلب على كل البشر، وكالأرض (؟) تضم كل البشر». .

وهنا هذه القطعة التامة الدالة على ميل جبران إلى التوحيد، أو الوحدة الرامية  
إلى الحلولية التي تكلم عنها في قطعة سابقة:

تجزئة سطح الأرض شغل الساسة  
وتجزئة النفس شغل الفلاسفة  
وتجزئة القلب شغل الشعراء  
وتجزئة السماء شغل الكهَّان

٦٧ كُتِبَ فوقها «البشر»

ولقد وجدثني غريبًا بطبعي وأحلامي عن هؤلاء المشتغلين بالتجزئة والتقسيم،  
منصرفًا إلى الوحدة النفسية والعقلية والدينيوية والسماوية.

تلي ذلك شذرات وحكم:

العلم طريقٌ، من سار عليها لا يستطيع الوقوف يومين متتابعين  
في مكان واحد.

لم تحكُم أمةٌ أمةً أخرى إلا وألقت الفتن بين عشائرها.

لو لم يكن في الأرض غير شجرة واحدة لعبدها الناس.

ليس أمرٌ من فقر يأتي بعد الغنى.

نعرف ألم أجسادنا بعقولنا فلو (صرفنا)<sup>٦٨</sup> عقولنا عن أجسادنا

لما شعرنا بالألم.

(العقل)<sup>٦٩</sup> يتموِّج مثل كل قوة غير محدودة، قد تستشرف سبيلًا

إلى إرسال تموجات (عقلية)<sup>٧٠</sup> إلى مكان بعيد.

ولعل أهم ما في هذا الدفتر: مسودات «المواكب»، أو أكثر «المواكب». وإن

في درسها فوائد جمة تطلِّعنا على تطوُّر فكر جبران، واضطراب القوالب في التعبير

عنه، حتى استقرارها نهائيًا على الشكل المطبوع وإن ليس بالشكل الأمثل.

وهذه أبيات تُشير إلى طرُق إصلاحها في المسودة، وقد وضع الكلمات

المصلحة فوق الأصلية. ثم نقابل بينها وبين النص المنشور مطبوعًا.

نبدأ بالمقطع المعروف بـ«العلم». جاء في الدفتر:

والعلم في الناس سبيل بان أولها  
أما أواخرها فالدهر والقدر

الراح

وأكثر العلم مثل الجهل أيسره

وأفضل حلم

وسزت ما بين أبناء الكرى سخروا

٦٨ الهلالان في الأصل

٦٩ الهلالان في الأصل

٧٠ الهلالان في الأصل

وَأَنْبَلُ الْعِلْمِ وَحِي لَوْ أَبْحَثَ بِهِ  
فِي إِنْ رَأَيْتَ أَخَا الْأَحْلَامِ مِنْفَرِدًا  
النَّبِيَّ الْغَدَّ  
فَهُوَ الْكَلِيمُ وَبُرْدُ الْغَابِ يَحْجِبُهُ  
وَهُوَ الْغَرِيبُ عَنِ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا  
وَهُوَ الْغَرِيبُ عَنِ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا  
الشَّدِيدُ  
وَهُوَ الْبَعِيدُ وَإِنْ أَبْدَى مَلَائِنَهُ

وَسَرَتْ مَا بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ سَخِرُوا  
عَنْ قَوْمِهِ وَهُوَ مِنْبُودٌ وَمَحْتَقَرٌ  
عَنْ أُمَّةٍ بِرِدَاءِ الْأَمْسِ تَأْتِزُ  
لَامَ النَّاسِ أُمَّ عَذَرُوا  
وَهُوَ الْمَجَاهِدُ غَابَ حَضَرُوا  
وَهُوَ الْأَبِيُّ جَاءَ النَّاسُ أُمَّ هَجَرُوا  
وَهُوَ الْبَعِيدُ

أما في «المواكب» المطبوعة فقد جاء هذا المقطع:

وَالْعِلْمُ فِي النَّاسِ سَبِيلُ بَانَ أَوْلَهَا  
وَأَفْضَلُ الْعِلْمِ حِلْمٌ إِنْ ظَفَرَتْ بِهِ  
فِي إِنْ رَأَيْتَ أَخَا الْأَحْلَامِ مِنْفَرِدًا  
فَهُوَ النَّبِيُّ وَبُرْدُ الْغَدِّ يَحْجِبُهُ  
وَهُوَ الْغَرِيبُ عَنِ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا  
وَهُوَ الشَّدِيدُ وَإِنْ أَبْدَى مَلَائِنَهُ

أَمَّا أَوَّخَرُهَا فَالْدَهْرُ وَالْقَدَرُ  
وَسَرَتْ مَا بَيْنَ أَبْنَاءِ الْكُرَى سَخِرُوا  
عَنْ قَوْمِهِ وَهُوَ مِنْبُودٌ وَمَحْتَقَرٌ  
عَنْ أُمَّةٍ بِرِدَاءِ الْأَمْسِ تَأْتِزُ  
وَهُوَ الْمَجَاهِرُ لَامَ النَّاسِ أَوْ عَذَرُوا  
وَهُوَ الْبَعِيدُ تَدَانَى النَّاسِ أُمَّ هَجَرُوا

أما البيت الثاني في المخطوطة: «وأكثر العلم...» فلم يظهر في هذا المقطع من «المواكب»، بل نقله المؤلف إلى مقطع الحب.

وهذا مقطع «العدل»:

وَالْعَدْلُ فِي الْأَرْضِ يُبْكِي الْجَنِّ لَوْ سَمِعُوا  
فَالسَّجْنُ وَالْمَوْتُ لِلْجَانِينِ  
فَالْمَوْتُ لِلْمَجْرِمِينَ إِنْ صَغَرُوا  
مِنْبُودٌ (؟) وَمَمْتَهَنُ  
فَسَارِقُ الزَّهْرِ مَذْمُومٌ وَمَحْتَقَرُ  
وَقَاتِلُ الْجِسْمِ مَقْتُولٌ (بِفَعْلَتِهِ)

وَيَسْتَضْحِكُ الْأَمْوَاتُ  
بِهِ وَيَضْحَكُ أَهْلُ النَّارِ لَوْ نَظَرُوا  
وَالْمَجْدُ وَالْفَخْرُ وَالْإِثْرَاءُ إِنْ كَبَرُوا  
الْخَطْرُ؟  
وَسَارِقُ الْحَقْلِ يَدْعَى السَّيِّدَ الْوَقْرُ  
وَقَاتِلُ الرُّوحِ لَا تَدْرِي بِهِ الْبَشَرُ

وهذا هو في «المواكب» المطبوعة:

والعدل في الأرض يُبكي الجن لو سمعوا  
فالسجن والموت للجانين إن صغروا  
فسارق الزهر مذموم ومحتقر  
وقاتل الجسم مقتول بفعلته

به ويستضحك الأموات لو نظروا  
والمجد والفخر والإثراء إن كبروا  
وسارق الحقل يدعى الباسلُ الخطِرُ<sup>٧١</sup>  
وقاتل الروح لا تدري به البشرُ

وهذا مقطع «الحب»:

والحب في الناس أشكال وأكثرها  
والحب إن قادت الأجسام موكبه  
كأنه ملك في الأسر معتقل  
والطير لا يبني عشًا وهو في قفصٍ

كالعشب في القيط لا زهر ولا ثمرُ  
إلى الرغائب والأغراض ينتحرُ  
يأبى الحياة وأعداء له ظفروا  
كلاً ولا

أما في «المواكب» المطبوعة فجاء على هذا الشكل:

والحب في الناس أشكال وأكثرها  
وأكثر الحب مثل الراح أيسره  
كأنه ملك في الأسر معتقل

كالعشب في الحقل لا زهر ولا ثمرُ  
يُرْضَى وأكثره للمدمن الخطِرُ<sup>٧٢</sup>  
يأبى الحياة وأعانًا له غدروا

أما أجوبة «الفتى» المعروفة في «المواكب»، فكأنه كان يؤلفها معًا. فهي في  
الدفتري كلها متتابعةٌ بعد أن تتابعت مقاطع «الشيخ» قبلها.

وفي الدفتري المذكور مسوِّدةٌ قصيدة لا عنوان لها، نشرها كما هي مع التعليقات  
التي وضعها الشاعر على بعض الألفاظ بقصد إبدالها:

في هدوء الليل يمشي مبطًا  
يمشي منفردًا كأن الأرض لم

وهو مثل الليل هولاً قد بدا  
تري إلهً عظيمًا

تحتضن إلهً فردًا سيِّدا

٧١ وفي بعض الطباعات الصادرة بعد وفاة جبران أصلح الخطأ النحوي فجاء «وسارقُ الحقل  
لَهُو الباسلُ الخطِرُ»

٧٢ هو البيت المنقول من مقطع العلم



تلمس (الأطلال) أطراف السحاب  
من شعاع ورياح وضباب  
سيره هل أنتِ جنُّ أم بشر  
رنة الهزة: أنا كل القدر  
معتزًّا

يوم ضمّنتي ذراع القابله  
لا ينال العيش إلا نائله  
بعد أن تذبّل أزهار الربيع  
ضجة البحر  
لهجة القبر: أنا الموت المريح  
أيقظ النائم من غفلته  
لم ينلني مات في علته

وينتهي القسم العربي من الدفتر بعملية حسابية على الثقل النوعي، غايتها معرفة كمية الفضة والذهب في خاتم مرگب من المعدنين.

### أضواء جديدة على شخصه وشخصيته

هذا أفضل ما في الدفاتر المذكورة من معلومات أدبية وفنية أفادتنا الكثير من تطوّر فكرة الشاعر المصوّر. والأفضل منها: معلومات حيّة شخصيّة كانت تفيضها علينا الستّ بربارة بدون انقطاع، وفي حديثها نبرة الإعجاب والاحترام، رأينا أن نقلها، مصادرَ ووثائقَ للدروس الجبرانية، ونعرضها على طريقة موضوعية، تاركين استخراج الأحكام لمن يُعنى بدرس جبران درسًا شاملًا في المستقبل.

قالت الست بربارة:

«عاش جبران في نيويورك ٢٢ سنة وحيدًا دون خادم. سكن أولًا محترفًا ضيقًا يُوافق دَخله، حتى إذا مرّت عليه سنتان أو ثلاث انتقل، في البناية نفسها، الرقم ٥١ غربي الشارع العاشر، إلى المحترف الواسع الذي ظلّ فيه حتى آخر حياته. كان

يكتسب من تصويره. وقد عُرف أمره فأقبل عليه الكثيرون حتى أصبح معدّل دَخْله من الصورة الواحدة ٢٥ دولارًا. ومن الذين صَوَّرهم فشُهرَ بهم: مورييس مترلنك، وهنري دي روشمون في باريس، وعَبَّاس عبد البهاء في نيويورك. وظلَّ يصوِّر بالزيت حتى سنة ١٩١٥ حين ارتفعت أسعار موادِّ التصوير بما يفوق مقدوره فترك الزيت إلى الفحم والرصاص وبقي عليهما حتى وفاته.

أمَّا الكتابة فكان يلهو بها أوَّل الأمر ولا يأمل منها ربحًا، حتى نشر «المجنون» بالإنكليزية سنة ١٩١٨، فكان فاتحة الشهرة ومدخل الثروة. ولم يلبث جبران المصوِّر أن تضاءل أمام جبران الشاعر المفكِّر في نظر الأميركيين. وظل ذوو الاختصاص بالفن التصويري يقدِّرون الفنان المصوِّر على احترامهم المؤلِّف النابغة.

## هو وأُمُّه و«النبى»

وأخذت الست بربارة تفيض في احترام الأميركيين آثاره الكتابية، من «المجنون»، إلى «يسوع ابن الإنسان»، إلى «آلهة الأرض»، مما يعرفه الجمهور، وتوقَّف خاصَّة عند «النبى» الذي كاد يحتكر إعجابها إذ كان سبب اتصالها بالمؤلِّف. أطلعتنا على معلومات بشأنه تشير إلى إخلاص جبران لفنِّه إخلاصًا نادرًا، كما تدلُّ على احترامه أُمُّه وتقديره مواهبها. وهنا ملخَّص ما جاء في كلامها:

«كانت أُمُّ جبران من النساء الذكيَّات العاقلات، من أولئك اللبنانيات ذوات الشخصية القويَّة، اللواتي يؤثرن في أولادهنَّ أثرًا عميقًا يجاوز أثر الآباء، ويرافق الأبناء في جميع مظاهر حياتهم. كانت عارفةً باللغة الإنكليزية ونالت، في أثناء إقامتها في أميركا، كثيرًا من تلك الثقافة الاختبارية التي يُنضجها التوازن العقلي على مهل، فعدت تفهم ابنها حقَّ الفهم، وتُعجب به لا إعجاب الأمِّ بـ«غزالها» بل إعجابها بفتى نابغ يخرج عن مستوى الجمهور من البشر. تعرف أنه مدعوٌّ لتمثيل دور في أدب بلاده وفنِّها، ولكنها تشعر، على رغم محبة الأمِّ، أنه لم ينضج بعد للقيام بهذا التمثيل. وكان جبران يعرف منها هذا الحبَّ العطوف، ويشعر بهذا البصر البعيد، فيعرض عليها آثاره الأولى ويتقيَّد بأحكامها وآرائها، كما ظلَّ يختلج احترامًا لذكراها

ويردّد أقوالها طول عمره بعد أن ودّعته الوداع الأخير سنة ١٩٠٣، وظل يُعيد أقوالها لست بربرة حتى وفاته. وجمعت الكاتبة الأميركية من أقوال الأمّ الراحلة وأحاديثها كُتبيًا صغيرًا لتُنشره مع ترجمة جبران.

ألّف جبران «النبى» أوّلاً باللّغة العربيّة وعرّضه على أمّه فخورًا. بعد أن سمعته الأمّ متنبهةً لم يمنعه إعجابها من القول: «إنه كتاب عظيم لكنه سابق لأوانه. فكّرته رائعة عميقة لكن تعبيرك عن هذه الفكرة لا يزال بحاجة إلى الاختمار يا جبران. أرى أن لا تنشره اليوم». فتركه جبران خمس سنواتٍ توفيت في خلالها والدته. وعاد إلى «النبى» يكتبه من جديد بالعربية أيضًا. ولكن لم يكده ينتهي منه حتى تمثّل له حُكم أمه ولم ير أنه بلغ النضج الكافي فمزّق الكتاب دون أن يقرأه كاملاً. ثم كتبه بالعربية للمرة الثالثة وتركه يختمر. ومرت عشر سنوات. ولما عاد إليه يقرأه من جديد لم يرض عنه فمزّقه وكتبه رأسًا بالإنكليزية وقد تجاوز الخامسة والثلاثين واتّسع أفق تفكيره واستقرّ ذوقه الأدبي، فكان ذلك «النبى» الذي تجاوز الإعجاب به جمهور الأدباء إلى أكابر رجال الدين والدنيا، فزُتلت منه المقاطع في الهياكل الإنجيلية، وقام بتنظيم أناشيده حاخامو اليهود في كُنسهم، وقال عنه الرئيس ولسون: «إنه أعظم كتاب بعد الإنجيل». وكان من نصيبه أن نُقل إلى أكثر من عشر لغاتٍ منها العربية. على أن جبران لم يكن راضيًا عن هذه الترجمة العربية ولم يكن يخفي عدم رضاه هذا. لكنه كان قد مزّق الأصل العربي الذي وضعه هو لهذا الكتاب، ولم يجد مجالًا لوضعه من جديد بلغة بني قومه».

### يسوع ابن الإنسان بين سهول جبيل ومضيق رأس الشقعة

وعلى ذكر كتاب «النبى» وما تضمّنه من آراء دينية وموقف رجال الدين منه، انتقلنا إلى الكلام عن «يسوع ابن الإنسان» وعن آراء جبران في الدين ورجاله. فأخذت الست بربرة في حديث شائق كانت تفضّعه نبرات إعجابها بالشاطئ اللبناني، فيما السيارة تنهب بنا سهول جبيل والبترون وتلتف في مضائق رأس الشقعة. قالت الست بربرة: «كان جبران مسيحيًا كُليًا في الكثير من معتقداته

وتصرفاته، ولا سيما في بُغضه الرياءَ والمُرائين، أولئك الذي حاربهم المسيح طول حياته إذ كانوا يتمثلون له بأشخاص الفريسيين، وأراد جبران أن يحاربهم كذلك متمثلين له برجال الإكليروس. على أنه كان يستثني قليلاً من أفراد الإكليروس عرفهم بصدق تقواهم وإخلاص نيّاتهم، فكان يستقبلهم ويعطف على مشاريعهم الخيرية. وقد عرفت الست بربرة من هؤلاء المُستثنين: الأب الدويهي نزيل بوسطن. كان جبران، كلّما زار أخته مريانا في بوسطن، يجتمع بالأب أسطفان الدويهي فيُحَيِّيان الليل في الأحاديث. وكثيراً ما كان يهبط الأب الدويهي نيويورك فيزور جبران في محترفه ويتحدثان إلى ساعة متأخرة من الليل. وللراهبات في احترام جبران مركزٌ خاص. كان لا يفوه بكلمة في انتقادهنّ، ولا يُجيز لأحد أن يتعرّض لهنّ في حضرته. كنّ يعرفنّ منه هذا العطف فلا يتأخّرن عن طرُق باب محترفه كلما كنّ في حاجة إلى إسعاف. لم يحدث له أن ردّ إحداهنّ خائبةً. كانت له لذة خاصة في عمل الخير، على شكل تخفيف مصاعب الحياة عن المُتعبين، تشهد بذلك أخته مريانا التي طالما كلّفها أن توزع الإحسان من قِبَلِه على فقراء اللبنانيين في بوسطن، كما كان يتولّى الواجب نفسه بواسطة الراهبات في نيويورك، تشهد بذلك وصيّته، وهو ترك فيها القسم الأكبر من منتجات كتبه في سبيل فقراء مسقط رأسه بُشْرِيّ.

## هو والسياسة والسياسيون

وكما كان جبران يكره الرياء في الدين، كان يكرهه في المجتمع أشدّ الكره، ولا سيما في السياسة. ولهذا تجنّب الدخول في جميع «الجمعيات» و«الأندية» و«المحافل» وما إليها من مجتمعات كان يُنشئها مُتاجرون بالمذاهب السياسية من اللبنانيين والسوريين، وهم كثيرون في جميع أنحاء المهاجر. روت لنا الست بربرة حادثة تدلّ على كره جبران السياسة، وعلى قوته البدنية ولا سيما في يديه. قالت: «جاءه في إحدى الليالي سوريٌّ معروف بين بني قومه. أخذ يداوره في الحديث قاصداً إدخاله في مشروع سياسي «وسخ» (والكلمة للست بربرة) حتى أطال وأضجر. فما كان من جبران، وقد تأثر حتى تشنّجت أعصابه، إلّا أن صرفه

بلباقة، ورجع مضطرباً نحو مكتبه، وعليه دليل التلفون (وهو في نيويورك مجلّد ضخم) فتناوله، وبلمحة بصر، مزّقه بين يديه من الدفة إلى الدفة، متمنياً لو أمكنه أن يستبدل به رقبة ذاك السياسي الوسخ. وبقي الدليل قطعيتين في محفوظاته مدةً طويلةً شاهداً على قوّته وعلى ما نواه لرقبة ذاك السياسي».

## هو والدين والإيكروس

أما الكنائس فلا تذكر بربارة أن جبران دخلها قبل وفاته. بيد أنه ذهب مرّتين إلى الكنيسة الإنجيلية الأسقفية بتكليف قسيسها لإلقائه الإرشاد الأسبوعي. ولا يستغربن السامع وقفه جبران يلقي المواعظ في الهيكل، فصاحب «النبى»، في آخر أيامه، كاد يلتحق ببطله فيتوحّدان في نظر الكثيرين من معجبي الأميركيين. وهو، في نيويورك المادية، يمثّل برجاً من أبراج الروح. وكثيراً ما اتّجه نحوه مريدو الروحانيات بل زعماءها يأخذون رأيه، ويهتدون بهديته، كما جرى لكريشنا مورتى.

- ومن هو كريشنا مورتى؟

- كريشنا مورتى شاب روحاني ثقّفته سيدة أميركية اسمها آني بيزنّت فاعتكف على التأمّلات النفسية، حتى نضجت فكرته واختمر أسلوبه، فقام يخطب في المجتمعات ويدعو الناس إلى التقوى والصلاح والفضيلة. سار ذكره في أنحاء أميركا فكثرت تّباعه، وألّف جمعية لتبشير الهنود بالدين المسيحي. كان لا بدّ من أن يختلف بعض مريديه حول شخصيته الغريبة: منهم من قال إنه رسول بعثه المسيح إلى هذا العالم ليخفف من شروره وويلاته، ومنهم من زعم أنه المسيح بالذات، وتجاوز بعضهم إلى الرغبة في التّعبد له. اضطرب كريشنا من موقف تّباعه، وطفق يشرح لهم أنه رجل عاديّ ألّهته محبة المسيح فأراد خدمته. ولما لم يفلح وكاد يتملّكه اليأس لجأ إلى جبران يستشير، وعرض عليه مخطوطة كتاب في الروحانيات. قرأ جبران الكتاب مع الست بربارة في ليلة واحدة. وعندما عاد كريشنا مورتى أرجع إليه جبران مخطوطته مع الثناء الحقّ. ونصح له أن يتابع خطته ولا يهتم بما يقول

الناس عنه حسنًا كان أو سيئًا. أما كريشنا فحاول من جديدٍ إِفهام أتباعه غايته الحقيقية. ولما لم يُفلح للمرة الثانية حلَّ الجمعية وسافر وحده إلى الهند.

## هكذا كانت وفاته

- وجبران، كيف كانت وفاته؟ هل مات كاثوليكيًا؟

- كان جبران يشعر بتعبٍ في قلبه ومعدته، وأمعائه خاصة، مع انحطاط شامل في سائر جسمه. وليس من سرطان ولا أيِّ مرضٍ آخر، بشهادة تقارير الأطباء في المستشفى. إنما الشغل المتواصل أنهك قواه، وأضرَّ به عدم الانتظام في حياته. كان يُهمَل الجسد إهمالًا تامًّا، ويقول: «لا قيمةٌ إلَّا للروح، ولا يستحقُّ هذا الغلاف المادي شيئًا من الاهتمام». لم يرَ طبيبًا ولم يشأْ أن يتناول دواءً حتى اشتدَّت به الأدوية فوقَّع مغشيًا عليه في إحدى الليالي بينما كان يشتغل في محترفه وليس عنده أحد. عرف الجيران بالأمر فأسرعوا وأنعشوه بما حضرهم.

لم يكونوا يعرفون عنوان الست بربرة فتلَّفنوا إلى سيِّدة تعرفها. وفي دقائق حضرت الست بربرة وبعض أصدقاء الشاعر، وكان قد عاد إليه رُشده. حاولوا إقناعه بالذهاب إلى المستشفى فأبى. ولم يُفلحوا إلَّا صباحَ اليوم التالي، فنقلوه إلى مستشفى كاثوليكي أقام به ساعاتٍ معدودةً.

ورأت الست بربرة أن من واجبها إطلاع كبار اللبنانيين على أنَّ جبران في المستشفى، فتلَّفنت إلى الأستاذ سلوم مكرزل وكلفته القيام بما يراه موافقًا. ولم يلبث السيد مكرزل أن جاء المستشفى يصحبه كاهن ماروني. كان جبران قد دخل في غيبوبة الموت، إنما «لا يزال في وعيه الداخلي» كما قال الأطباء. أقبل الكاهن يخاطبه بالعربية ويسأله أسئلة لم تفقه منها محدثنا إلَّا لهجتها الاستفهامية وكلمة: «يا جبران». ولما لم يفز الكاهن بجوابٍ، هزَّ المُحتضِر بعنفٍ أثار احتجاج الست بربرة، فلم تتمالك من الخروج عن لطفها المعتاد. بعد قليل جاء الطبيب وأعلن الوفاة.

وهنا أفاضت الست بربارة، تقطعها نبرات الأسف واللوعة، في وصف الجنازة الفخمة في بوسطن، حيث كانت الجماهير تزدهم خارج الكنيسة إلى مسافات بعيدة، حتى أنها أوقفت سير المركبات مدة عشرين دقيقة. كان المزدحمون، عند مرور النعش، يَحْرُونَ راكعين. وعند عَرْض الجثمان مرَّ جميع الحاضرين من أمامه يتأسفون، مودِّعين الراحل بعباراتٍ مؤثِّرة لم تفهم منها تلك الرفيقة الأمينة إلا كلمة: «حبيبي جبران!»

## عن ماري هاسكل

- وماري هاسكل؟ تلك التي كثيراً ما يُلفظ اسمها في الكلام على جبران؟  
- ماري هاسكل سيِّدة فاضلة أَحَسَّنت إلى جبران في نشأته فَمَكَّنَتْه من متابعة ثقافته الفنية والأدبية. لا صحة لِمَا يُقال من أنها كانت ترغب في الزواج منه. جبران هو الذي عَرَضَ عليها هذه الفكرة لأنَّه، عندما أصاب نصيبه من الغنى، أراد أن يكافئَ المُحسِنَةَ إليه، وشاء أن يترك لها ثروته. عرض عليها الزواج في هذه الغاية لا غير. رفضت العرض بلطفٍ وقد سُرَّت بفكرة الاعتراف بالجميل. سُرَّ جبران بالرفض كذلك لأن اقتراحه لم تُملِه العاطفةُ الحبيبة. بعد ذلك تزوجت السيِّدة هاسكل وعاشت مدَّةً مع زوجها، وهو توفي قبل أربع سنوات، ولا تزال هي تتمتع بالصحة في مدينة سافانا من ولاية جورجيا، ولا تزال محافظةً على ذكرى تلك الصداقة الممتينة التي كانت تربطها بجبران. وإني أعرف الكثيرات من صديقات جبران يحفظن ذكراه باحترامٍ قد لا يعرفه الكثير من أصدقائه.

## هو والنساء

وأرادت الست بربارة أن تلبِّي داعي الفضول قبل أن نجسُر بالسؤال فتابعَت:  
- أوَّكِّد لكم أن جبران كان في جميع علاقاته روحانيًا ساميًا يترفع عن الشهوات البشرية. كان حُبُّه ذاك الحبَّ الصوفيَّ الشديد الهيام، المُغدِّي بالفنِّ

والجمال المُتفلّتين من القيود الأرضية. هو روحانيٌّ في نظراته، في أحاديثه، في علاقاته جميعها. يُذيب نفسه في هذه الرفرفات نحو العلاء، كما يُذيب جسده في الشغل المتواصل والمعيشة الزاهدة المتقشّفة. لا أعرف له علاقة غرامية واحدة. ولم يُطلِعني قطُّ - وهو أطلعني على الكثير من شؤونه - على أنه أحبُّ حبًّا شهوةً في حياته! إنما أطلعني على حادثة تأثّر منها مدة طويلة، أروها لكم بدون تعليق: دُعي مرّةً، وهو في أُبهة مجده الأدبي بعد ظهور «النبى»، إلى حفلة شاي في دار أحد كبار اللبنانيين، ضمّت الكثير من مشاهير الأميركيين والأميركيات، لأن جبران كان ذا علاقات حسنة مع كبار القوم في المهجر، من أسرة الرئيس روزفلت إلى مثيلاتها من سُراة المجتمع. وكان بين المدعوين سيّدةٌ أميركية واسعة الثقافة أَعْجَبَت جبران بحديثها المُشبع بدقة الاطلاع وبذوقها الفني الصحيح فانصرف إليها على طريقةٍ لفتت أنظار المدعوّين. وعندما ودّعها شدّ على يدها علامة الإعجاب. أمّا هي فلم يُوافق سوء ظنّها حُسن نيّته. بعد يومين تلقى منها دعوة إلى حفلة شاي. سرّ وتهياً للموعد المذكور. وشدّ ما كانت دهشته المُؤلّمة عندما وصل إلى البيت فلم يَجِدْ مِنَ المدعوّين سواه. وكان أول ما تَمَتّت شفتاه في اضطرابه:

- أَلَمْ يَصِلْ أَحَدٌ مِنَ المدعوّين بَعْدَ؟

- لا مدعوّين غيرك. نحن وُحْدنا.

عند ذاك تلمّس قوى نفسه جميعها وقام معتذراً، مودّعاً، متلخّثاً، مضطرباً. وكان آخرَ عهدِه بتلك السيّدة التي لم يَشَأْ أَنْ يَدُكِرَ اسمها حتى لي.

## هي وميخائيل نعيمه

بعد وفاة الفقيد أتاني ميخائيل نعيمه (وهنا اضطربت الست بربارة مُمتعِضةً) يطلب مني أَنْ أُطلّعه على حياة جبران السريّة. ابتسمتُ، على رغم انفعالي الداخلي، وقلتُ:

- لم تكن لجبران حياتان. عاش جبران ومات في وضح النهار. فانظروا واخفوا.



ولمّا أعاد الكرّة وأخذ يداورني كي أُطْلِعَهُ على شيءٍ ممّا يريد أن يَنْسِبَهُ إلى جبران، قلتُ له:

- أنا رفيقته ومعاونته سبع سنواتٍ ولا أعرف له فيها إلا حياة الشغل الدائم والجهاد المُضني والمعيشة الروحانية. إن لم تُعجِبِكَ هذه الحياة، فاطلُبْ غيري. ذهبَ ولا أعرف ماذا نَشَرَ في كتابه، غير أن اللبنانيين والسوريين المُهاجرين أظهرُوا سخطهم على هذا الكتاب عندما اطلَّعوا عليه في نيويورك.

### ... وعادت مشبعةً بالذكرى

كانت بربارة يونغ أمينةً على ذكرى جبران، مُخلصةً له في حياته ومَماته. رافقتُه في عمله، رافقتُه في مرضه، رافقتُه في جنازته المَحمولة إلى بوسطن، ورافقتُه في ترتيب تَرِكْتِهِ الفنية وطبع مُخلفاته الأدبية. فلا أقلَّ من أن تُرافِقَهَا ذكرى زيارَتِها قبرَ جبران في عُرْض الأوقيانوس الفسيح وهي تُجاِبُه الطوارئ والمُفاجآتِ في هذه الأيام العصيبة، راجعةً إلى بلادها بعد حجّها القصير إلى مهبط وَحي جبران!

جريدة «السياسة»:   
 باربره يونغ في بُشْرِي تزور بيت جبران ومتحفه   
 «بلادٌ جميلةٌ ساحرةٌ لا عجب إنْ أُنبتت كل يوم جبراناً»



الساعة ١٠:٠٠ صباح الأحد ٨ تشرين الأول ١٩٣٩ وصلت باربره يونغ إلى بُشْرِي يرافقها الأمير موريس شهاب (مدير المتحف الوطني)، وفؤاد افرام البستاني (مدير الدروس العربية في كلية القديس يوسف) وديفيد أزرُق (أستاذ في الجامعة الأميركية - بيروت). كان في استقبالها وجّهاء من البلدة وأعضاء من لجنة جبران مُرحِّبين بـ «صديقة جبران الأميركية التي تزورنا».

صباح الجمعة ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٩ صدر العدد ٣٧ (السنة الأولى) من جريدة «السياسة» (كان يصدرها في بيروت ابنُ بُشْرِي نايف سكر) وعلى صدر صفحتها الأولى بالخط العريض: «باربره يونغ في بُشْرِي موطن جبران»، وفي عنوان ثانوي: «الكاتبة الأميركية تذرّف الدموع أمام البيت الذي وُلد فيه صاحب «النبى»، وتمكّنتُ عشر دقائق ساجدةً أمام ضريحه مناجيةً روحه».

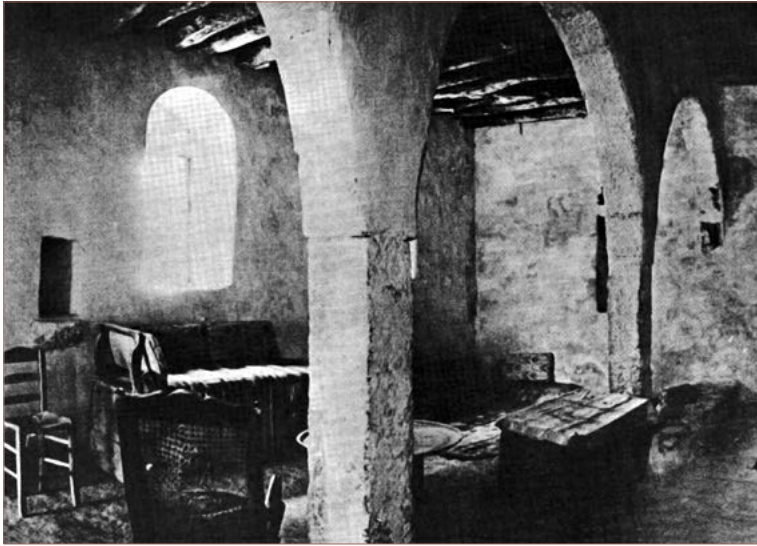
وأنقل هنا حرفياً تفصيل الزيارة كما جاء في الجريدة:

«قبل أن تأخذ الشاعرة الأميركية قسطاً من الراحة، طلبت أن تَحجَّ إلى البيت الذي أبصر جبران فيه النور، فكان لها ما أرادت. وما هي إلا دقائق حتى كانت واقفةً أمام ذلك البيت البالغ خمسة أمتار عرضاً وعشرة طولاً، الحزن يحتل كلَّ قسمة من وجهها، والدموع تَبْرُق في عينيها. ثم حرّكت شفيتها قائلةً:

- في هذا البيت وُلد جبران خليل جبران! وفي إحدى حناياه المعتمة فتح عينيه رسولاً ملهماً.



البيت من خارج...



... ومن داخل

وراحت تسأل:

أين أخشابُ سقف البيت؟ هل أتلفتها الأيام؟

وأين حجارةُ الجدران؟ هل بعثرتها العواصفُ في الآفاقِ رَمادًا؟

وأين الخزائنُ الخشبيةُ التي طالما حدّثني عنها جبران، وكانت تحوي الجوز

والزبيب والتين المجفّف فاكهةَ الشتاء؟

وأين جرّة العسل والخمر، وموقد النار الترابي الذي كان يلتهم قضبان الزرزون  
 بينما العواصف في أشدّ ثوراتها وصراخها وعويلها؟  
 وطبقُ القش الذي كانوا يتناولون عليه الأطعمة، أين هو؟  
 والجرنُ الحجريّ المقتلَع من سفح جبل الأرز، ما مصيره؟  
 وأين الكوّة التي كان جبران يضع فيها كُتُبَه المدرسية؟  
 وأين الساحةُ المجاورةُ التي كان يلعب فيها؟  
 وشجرةُ الجوز التي كان يستظلُّها حالماً عند الظهر، والتي عليها ربطه أبوه  
 مرةً بعنفٍ قاصّاً له لانهماكه الدائم بالتصوير؟  
 وأين الجارُ الذي كان على أرغنه في الليل ينفخُ أنغاماً لبنانية شجية؟ ماذا حلَّ  
 به؟ كان جبران يستلذُّ أنغامه ويقضي الليل ساهراً يُصغي إليه.  
 أين الطريقُ التي كان كلُّ صباح يرى عليها قطعان البقر والغنم والماعز مسرعةً  
 إلى الحقول الفسيحة والمروج الخضراء؟  
 أين صخورُ مار جرجس ومغاوُرُ وادي قاديشا؟ أين يقع دير مار سركيس والأرز  
 المقدس؟ وجبلُ ظهر القضيّب الذي يكُلُّ الثلجُ هامته؟  
 من أين يتفجّر نبع «نبات»، و«القوس»، و«مار سمعان»؟  
 وفي أيِّ ناحية يقع حقل «الحريم»، و«بُنحلي»، و«شاغورة»؟  
 وفي أيِّ من هذه الحقول تنبتُ زهورُ البنفسج، و«بخور مريم»؟  
 كل ذلك سألتُه باربره يونغ، وهي واقفةٌ حزينَةٌ دامعةٌ أمام البيت المتهدّم  
 الصغير الذي أنجب شاعرها جبران.

### في متحف جبران ومغارة قاديشا

طلبتُ أن تنتقل إلى المتحف فأخذوها إليّ. وما إن رأتهُ حتّى أسفت لعدم  
 وجود متحفٍ فنيٍّ يضمُّ رسوم جبران الخالدة. طلب إليها الحاضرون تفسيرَ بعض  
 الرسوم الرمزية، ففعلت.

ثم توجَّهت إلى مغارة قاديشا يرافقها الخوري أنطونيوس جعجع. وكانت في الطريق تُظهر شديد إعجابها بالمشاهد الخلَّابة حولها. عندما دخلت المغارة تساءلت إن كانت لم تزل باقيةً في هذا العالم أم أنها انتقلت إلى عالمٍ سحريٍّ. ثم خرجت وشفاتها تُتمتِّمان هذه الكلمات: «إن بلادًا جميلةً ساحرةً كهذه، لا عجب إذا أنبتت في كل يوم جبرانًا».

عادت باربره من المغارة إلى منزل أحد مشايخ آل عيسى الخوري، وتناولت فيه الغداء مع المطران عبدالله خوري، ورئيس لجنة جبران سليم رحمة، والمونسنيور بادري، ورهط من أبناء البلدة.

### عند ضريحه

بعد الغداء توجَّهت الكاتبة إلى زيارة ضريح جبران في دير مار سركيس، يصحبها جمهور كبير. وعندما دخلت الكنيسة التي يرقد فيها جبران بلغ تأثرها أشدَّه فطلبت إلى مرافقيها أن يتركوها على انفراد. خرجوا فبقيت وحدها في الكنيسة. سجدت أمام ضريح جبران في خشوعٍ نحو عشر دقائق تُناجي روحه. ثم نهضت وخرجت إلى فسحة الدير تتأمل الأمكنة الجميلة التي طالما حدَّثها عنها جبران في نيويورك.

### عند البطريك

قَبَلت باربره جدرانَ المعبد الذي يضمُّ رُفات صاحب «النبى»، وتركت دير مار سركيس متوجَّهةً إلى الدير لزيارة غبطة البطريك [أنطون عريضة] يرافقها رئيسُ اللجنة وبعض أعضاءها. استقبلها غبطته في حفاوةٍ وإكرام، وطلب إليها أن تبقى في بُشريٍّ مدةً أطول تفسِّر خلالها بعض الرموز المبهمة في اللوحات وترتّب المتحف ترتيبًا فنيًا، فاعتذرت لاضطرابها إلى العودة. وعندما مكثت لدى غبطته نحو خمس عشرة دقيقة، قفلت عائدة إلى بيروت.»

## الدفاتر الأربعة

وفي هذا العدد نفسه، أوردت «السياسة» مقطعاً (عاطفياً في حينه وطريفاً) عن كيفية وضع جبران كتابه «النبى»، فذكرت أنه «كتبه للمرة الأولى باللغة العربية سنة ١٩٠٢، وقرأه على أمه فقالت له: «الأسلوب ضعيف جداً، يا بُنيّ، بالنسبة إلى الفكرة» فمزق جبران كتابه، ثم عاد إلى كتابته ثانيةً وثالثةً وكان مصيره في المرتين الأخيرتين كالمرة الأولى. وبعد الحرب عاد إلى كتابته باللغة الإنكليزية فكان أن ظهر «النبى» بتلك اللغة، يتداوله العالم في إعجابٍ ما بعده إعجاب».

على أن هذا الوصف «العاطفي» (غير المستند إلى حقائق تاريخية) أعقبه في العدد نفسه من الجريدة كلامٌ مهمٌ يُضيء على ناحيةٍ توثيقية من جبران، هنا نصّه كما وردَ حرفياً في الجريدة:

«كانت السيدة باربره يونغ تحمل في حقيبتها أربعةً من دفاتر جبران الخاصة:

١) دفتر صغير من دون جلد، لعلّه من دفاتر جبران المدرسية، فيه صور تحارير «إلى رئيس عام، إلى بطريك، إلى أسقف، إلى صديق»، وما شاكل. وتكثر فيه صور الرسائل الإكليريكية بنوع خاص.

٢) دفتر ثانٍ أكبر من الأوّل، من دون جلد، على ورقته الأولى «من دفاتر جبران خليل جبران - تشرين الأوّل ١٩٠٠» وتحت هذه الجملة على ثلاث مرات هذان البيتان:

ألا يا مستعير الكتب دَعي فإنّ إعارتي للكتب عارٌ  
وجدتُ كتابي في الدنيا حبيبي (كذا) حبيبي لا يُباع ولا يُعارُ

وفي هذا الدفتر مجموعةٌ شعريةٌ منتخبةٌ من أقوال ابراهيم بن سهل، وابن معتوق، والشيخ سليم حنا الزاهر، وكلّها من شعر «ساحة الملوك». ويلى ذلك تمارينٌ إنشائيةٌ من نثرٍ وشعر، أكثرها غيرُ كاملة، حافلةٌ بكثير من الاستعارات والتشابه.

٣) دفتر عادي، قليل الورق، مجلّد، يتضمن كتاباتٍ إنكليزيةً، وشيئاً من المحاولات الشعرية بالعربية. منها بيتان مكتوبان بعنوان «تحت رسمي»:

هذا خيالٌ فُتِيَ يَهْوَى الحياةَ ولا يهوى الحياة، وفي الحالين يكتئبُ  
فإن بدا جامداً والصمتُ يملكه فاثلوا عليه صلاةَ الحبِّ يضطربُ (كذا)

وفي هذا الدفتر مقالٌ طويلٌ في عشر صفحاتٍ كثير التنقيح والتحشية، والأرجح أنه مُسَوِّدَةٌ مقال نشره في «الهلal» بشأن النهضة الشرقية وإمكان التضامن بين الأقطار العربية.

وفي آخر هذا الدفتر مُسَوِّدَةٌ رسالَةٍ غير كاملة، من الأرجح أنها إلى «مَي»، يقول فيها «ها قد رجعت من لبنان. أهنتك بذهابك إلى لبنان. ولا أدري ما إذا كان عليّ أن أهنتك برجوعك سالمَةً إلى مصر. لبنان، لبنان، لبنان، فولي ماذا وجدت في لبنان؟ ولو بعثت إليك بالرسائل التي تجيئني من أبسط اللبنانيين ومن أكثرهم تركيبيًا، لما فكرت قط - لو كنت أنتِ أنا - (هلاً غفرت لي هذا الافتراض؟) بالذهاب إلى لبنان، أو إلى أية قرنة من قراني الشرق».

٤) دفتر كبير أكثره أبيض، يبدأ من اليسار بمقاطع كثيرة من «آلهة الأرض» باللغة الإنكليزية، ويلى ذلك محاولات تصويرية، منها رسم امرأةٍ تحتضن طفلًا وتُرضعه، وقد ظهر الرسم بدوائرٍ رصاصيةٍ غاية في الغموض والوضوح معًا. وفي هذا الدفتر مُسَوِّداتٌ قصائدٌ ومقالاتٌ معروفة، أشهرها «المواكب». ومن الملاحظات المدونة: «تجزئة سطح الأرض شغل الساسة، وتجزئة السماء شغل الكهّان. وأنا بطبعي وأحلامي غريبٌ عن هؤلاء المشتغلين بالتجزئة والتقسيم، منصرفٌ إلى الوحدة النفسية والعقلية والديوية والسماوية»<sup>٧٣</sup>.

### عودة مسرعة

ثم تصف جريدة «السياسة» ختامَ زيارة الشاعرة باربره يونغ ربوع لبنان، كما يلي:

<sup>٧٣</sup> وُصِفَ محتويات الدفاتر بهذا التفصيل وردَ حرفياً في مقال فؤاد افرام البستاني، وقد يكون هو من نشر في الجريدة هذه التفاصيل قبل نشرها في «المشرق».

«في الثاني عشر من تشرين الأول عادت باربره يونغ إلى نيويورك قبل أن تُتمَّ المهمة التي جاءت من أجلها. وقد وصلتنا معلومات عن سبب عودتها المسرعة، فإذا هي: في لندن سيِّدة ألمانية معجبةٌ بجبران جدَّ الإعجاب. لما علِمَتْ أَنَّ باربره يونغ رافقت جبران في السنوات الأخيرة من حياته، راسلتها إلى نيويورك مقترحةً عليها أن تسافر إلى لبنان وتضع كتابًا مطوَّلًا عن جبران، وقدمت لها مبلغ ألفي دولار لقاء نفقات الرحلة. وافقت باربره يونغ على الاقتراح، قبضت سلفهً من المبلغ قيمتها خمسمئة دولار، وتركت نيويورك في منتصف آب الماضي. فاجأها خبر إعلان الحرب وهي في عرض البحر، فلم تعبأ لذلك وتابعت سفرها إلى بيروت. في لبنان نفذت منها السلفه فراسلت تطلب بقية المبلغ من تلك السيِّدة الألمانية فاعتذرت هذه عن ذلك بسبب نشوب الحرب. عندئذٍ رأت السيِّدة يونغ أن تعود إلى بلادها ملتجئةً إلى رئيس الجامعة الأميركية في بيروت المستر بايارد دودج الذي مدَّ مواظنته الشاعرة بمبلغ يُساعدها على بلوغ نيويورك»<sup>٧٤</sup>.

## باربره وماري والرسائل

هذه الإضاءة من سنة ١٩٣٩ في جريدة «السياسة» تكشف كم تبدو باربره يونغ أُمينةً على رسالة جبران، متكرسةً له في غيابه مثلما تكررست له في صومعته سبع سنوات حتى آخر يوم من حياته (الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١). وتذكر أن فيما كانت نهارئذٍ تساعده كي ينزل درج البناية نحو سيارة إسعافٍ تنتظر لتُقَلَّه إلى مستشفى سانت فنسنت (على بُعد شارعين من «الصومعة») طمأنها: «لا تخافي يا باربره، أنا في حالة جيدة». لكنه لم يكن كذلك أبدًا. فتلك كانت آخر كلماته، وكانت باربره آخر وجهٍ أغمض عليه جبرانُ عينيه عند الثانية بعد الظهر حين دخل

<sup>٧٤</sup> لم تذكر باربره هذا الأمر في كتابها بل عرّت عودتها إلى اندلاع الحرب و«دعوة الحكومة الأميركية جميع رعاياها في لبنان إلى مغادرته فوراً». وختمت كتابها بوقوفها ليلاً على «شرفة أوتيل بسول الكبير المطلّة على خليج سان جورج» منتظرةً أن يطعَ الفجر كي تُبحرَ من ميناء بيروت عائدةً إلى نيويورك.



في الغيبوبة الأخيرة فلم تلحفه واعياً شقيقته مريانا التي جاءت ملهوفةً بالقطار من بوسطن.

عن النحات خليل جبران، في كتابه «خليل جبران: حياته وعالمه»، أن باربره حضرت مراسم دفن جبران في بوسطن (كنيسة «سيّدة الأرز» - الثلاثاء ١٤ نيسان). ونهار الجمعة ١٧ نيسان جاءت إلى محترفه في نيويورك «لإخفاء كل أثر من جبران يحول دون أن يبقى منه ما ترويه هي عنه». لكن ماري هاسكل كانت سبقتها إلى المحترف مع مريانا وزكيّة رحمة (ابنة ملحم جبران ابن عمه) للبحث بين أوراقه عن نسخة وصيته التي كان سنة ١٩٣٠ أودعها مكتب إدغار سپاير. ووجدت ماري بين الأوراق مخطوطات جبران التي كانت عملت عليها إمّا معه وإمّا وحدها ثم أعادتها إليه. ووجدت رُزماً ملفوفةً مرتبةً هي مجموعة رسائلها إليه<sup>٧٥</sup>.

ولو لم تأخذ ماري هاسكل رزمة الرسائل لكان الخطر كبيراً أن تبادر باربره يونغ إلى إتلافها كي تبقى وحدها النجمة المعلّقة على ذاكرة الجبرانين. وواضح أن باربره لم تكن مطلّعةً منه على علاقته الطويلة (١٩٠٤-١٩٣١) بماري هاسكل. ولا حتى ميخائيل نعيمة كان يعرف الكثير عن علاقة جبران بماري هاسكل حتى التقاها نهار المأتم في بوسطن وأبدى لها نيّته وضّع سيرة في العربية عن جبران. سألته ماري موافاتها إلى «منتجع طومسون» قرب محطة القطار «غراند سنترال ستايشن» قبل أن تستقل قطار نيويورك صباح ٢١ نيسان ١٩٣١ وتعود إلى زوجها

<sup>٧٥</sup> نسقناها لاحقاً مع رسائله إليها وأودعناها مكتبة جامعة نورث كارولينا في تشابل هيل، وجمعت ما لديها من لوحات كان جبران أهداها إليها فقدّمها إلى متحف «أكاديمية تليفير للفنون والعلوم». تلك الرسائل واليوميات حققت فرجينيا حلو قسماً كبيراً منها وأصدرته سنة ١٩٧٢ في نيويورك بعنوان «نبي الحبيب»، وكان توفيق صايغ نشرها على عددين من مجلته «حوار» (العدد ٢٢، السنة الرابعة، العدد الرابع: أيار/حزيران ١٩٦٦، ص ٥ إلى ٤٨، والعدد ٢٣، السنة الرابعة، العدد الخامس: تموز/آب ١٩٦٦، ص ٥ إلى ٤٣)، ثم عاد فأصدرها مجموعة في كتابه «أضواء جديدة على جبران» (١٩٦٦)، فأضاءت تلك الرسائل واليوميات صفحات ساطعة ما كان يمكن لولاها أن يبلغنا من حياة جبران وأفكاره وشجونه ما بلغنا.

العجوز في سافانا. هناك اجتمعت به أربع ساعاتٍ دون خلالها نعيمه معلوماً عن علاقتها به وعن مرحلة جبران في بوسطن (قبل أن يلتقيه نعيمه سنة ١٩١١ في نيويورك). ومن الساعات الأربع في تلك الجلسة بنى نعيمه معظم ما ظهر لاحقاً في كتابه عن جبران. وهو لم يُشر إلى ذلك اللقاء الوحيد مع ماري، ولا أشار إلى باربره يونغ إلا بأنها: «طويلة القامة، عظيمة الهيكل، زعفرانيّة اللون، حادّة الأنف، غارقة العينين. هي شاعرة أميركيّة في النصف الأوّل من عقدها السادس، عرقت جبران آخر سبع سنواتٍ من حياته، فتقرّبت منه وكانت تساعد في نسخ مؤلّفاته، وقد التقيتها مرّةً عنده».

## الأب لاؤن مقصود: شهادتان

سنة ١٩٣٩ كان الخوري لاؤن مقصود مديرَ الدروس العربية في «الحكمة» (الأشرفية) المدرسة التي قَصَدَهَا جبران أربع سنواتٍ (١٨٩٨-١٩٠٢) ودرَسَ فيها متمكِّنًا من مواد الدراسة، وخصوصًا اللغة العربية مُتَمَلِّمًا فيها على الخوري يوسف الحداد الذي ترك في نفس تلميذه أثرًا طويلاً.

ولأن الخوري لاؤن كان في المدرسة نهارَ زارتها باربره يونغ واستقبلها ورافقها، فذكرياته إِذَا شهادةً شاهد عيان على تلك الزيارة التي كَتَبَ عنها نصِّين، كما يلي:  
الأوَّل مخطوطٌ: «كرمي لجبران»، ورقة بين مذكِّراته الخاصة، هي حاليًا في حوزة ابن شقيقه الأستاذ فارس مقصود (رئيس مدرسة «الحكمة» - مار الياس، كليمنصو)، وأتاح لي مشكورًا نشرها في هذا الكتاب كما هي: تكاد تُتَلَفُّها السنوات الثمانون (١٩٣٩-٢٠١٩)، أنقلُ نَصَّها بتشكيله المؤاتي وأتركُ نَصَّها الأصلي للصورة المنشورة بكتابتها الأولى.



باحة داخلية في معهد «الحكمة»:  
إحدى عُرف الطَبقة الأرضية درس فيها جبران  
(مائية بريشة أنطوان مطر)



معهد «الحكمة» في فجر القرن العشرين  
(مائية بريشة أنطوان مطر ١٩٩٨ - في مرور  
١٠٠ سنة على دراسة جبران في المعهد)

النص الآخر مطبوعٌ: «باربره يونغ تحجج معهد الحكمة»، صدر في المجلة المدرسية التي أصدرتها مدرسة «الحكمة» (فرع كليمنصو) - السنة التاسعة، عدد نهاية السنة المدرسية ١٩٨١-١٩٨٢.

وهنا النصان/الشهادتان بحرفيّتهما :

## كُرمي لجبران بربرة يونغ تحجج لبنان ومعهد «الحكمة»

ولجّت مكتبي في «الحكمة» عام ١٩٣٩، بوصفي مديرًا للدروس العربية فيها، امرأة عوان<sup>٧٦</sup>، نصّف<sup>٧٧</sup>، يرافقها مراهق، وعلّقت: «أنا أميركية. تعرّفتُ النابغة جبران، فأملى عليّ الإعجاب والاحترام بنبوغه وذكائه، فعشقتُ، عبر شخصيته، لبنان الساحر، وأتيت أحجج هذا البلد الجميل، مهد الوحي والإلهام. وقد استصحبْتُ ابني<sup>٧٨</sup> هذا، بُغَاءَ أَنْ<sup>٧٩</sup> ينهل من روافد «الحكمة» محرابِ الوطنية ومحامد الأخلاق. بيد أن الأوضاع العالمية المتأزمة جعلتني أترّثُ، حتى إذا زالت كوابيس على الصدور جائمة، أرجعتُ ابني إلى معهدكم هذا».

ثم طلبتُ أن أدلّها إلى قاعةِ درسٍ فيها واضعُ كتاب «النبى» فهديتها، وكانت المقاعد لا تزال هي إيّاها، فالّحتُ أن أُحدّد بالضبط الطاولة التي إليها جلس جبران فأحجمتُ لصعوبة التحديد. فانتقتُ إحدى الطاولات، وأمّرتُ ابنها أن يبوسها فنقدتُ

٧٦ متوسطة العمر.

٧٧ نحو منتصف العمر.

٧٨ يبدو أن جوابها أشكل على الخوري لاوون. الواقع أن باربره يونغ، بعد طلاقها من زوجها ولا صبي لها، انصرفت إلى تربية ابنتها الوحيدة. وفي مراجع عدّة صورة لها مع ابنتها في مُحترف جبران. ومن مقال فؤاد افرام البستاني في مجلة «المشرق» مُرافقاً باربره يونغ في السيارة ذاتها إلى بُشري، أن من كان معها هو حفيدها كريستوفر ابن الأربع سنوات.

٧٩ بُغَاءَ أَنْ: صيغة من «بُغِيَّةَ أَنْ». وواضح من النص أن الخوري لاوون متضلّع في اللغة العربية بقاموسها العريق.

من قوره. ثم انتَحِيَا إحدى الزَوَايا، وَأَعْمَصَا العُيُونَ كُرْمَى لذكرى جبران، وَعَلِقَا  
يُتَمْتِمَانِ، لَعَلَّهُمَا تَلَوَا بَعْضَ آيَاتِ مِنْ كِتَابِ «النَّبِيِّ».

فَسَأَلَتْهَا: «مَنْ تَكُونِينَ؟» فَأَخَذَتْ قَلَمًا وَوَرِيقَةً وَدَوَّنَتْ: «بَرَبْرَةَ يُونِغ». وَوَدَّعَتْ  
أَسَفَةً تُدَعِّدُهَا بَارِقَةً أَمَلِ العَوْدَةِ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِ جبران. وَبَرَبْرَةَ يُونِغَ هِيَ الأَدِيبَةُ  
الأَمِيرِكِيَّةُ الشَّهِيرَةُ، العَالِمِيَّةُ الصَّيْتِ، صَدِيقَةُ جبران الحَمِيمَةِ، وَمَصْدَرُ مَوْحِيَاتِهِ وَإِلْهَامَاتِهِ.

كرمي جبران  
بربره يونغ تحب لبنان وعهد أكمة  
ولدت مكتبة "أكمة" عام 1929، بربره يونغ  
للدروس العربية في "امرأة عنوان" لطف يرافقه مرافق  
وعملت: انا اميركية تعرفت النابغة جبران، فاملى علي  
الرحماء والاهتمام بيونغه وذلائه ففقت. عبر تحفته  
لبنان انا امر وايت اجمع هذا البلد اجمع عهد الوهي والاهتمام  
وقد استصعبت ابن هذا بغاء ان يهن من روافد "أكمة" كمراب  
الوطنية ومجاهد المصطفى. بيد ان الازواج العالمية المتأثره جعلت  
اتتت حتى اذارات كوييس على الصمود جامعة. رجعت ابن الامل هذا  
فتم طلت ان ادلا القاعدة درسيك واطع كتاب "البي"  
فهدتكم وانتم المقاعد لا تزال هي اياها، فالكنت ان احد باللفظ  
الطولة التي لا جلت جبران، فاحجت للعبوة التمديد. فاشقت احد  
الطولات، وامرت ان ان يوك، فنقت من فوره. ثم اتتيا احد  
الزوايا، وانمضا العيون، كرمي لذكرى جبران، وعلقت يمتان،  
لقلها تلوا بعض آيات من كتاب "البي"  
فألا من تكونين؟ فأخذت قلمًا وورقةً ودوّنت: بربره  
يونغ، وودّعت أسفةً تدعّدها بارقةً امر العودة الى مسقط رأس جبران  
وبربره يونغ هي امريكية الشهيرة، العالمية الصيت، صديقة  
جبران الحميمية، ومصدر موحياته وإلهاماته.  
لدون مصدود

شهادة الأب لاون مقصود بخطه

## لاون مقصود باربره يونغ تحجُّ معهد «الحكمة»

للخوري لاون مقصود  
مدير الدروس العربية في «الحكمة» سابقاً

كان ذلك يوم أحد من عام ١٩٣٩، لعلّه عيد العنصرة. عند التاسعة صباحاً قرع حاجب المدرسة البابَ قائلاً: «سيّدة أجنبية في بهو الاستقبال تطلب أن تقابل المدير<sup>٨٠</sup>».



مطلع مقال الأب مقصود  
في عدد «الحكمة» المدرسي

فإذا بامرأة عوان، نصّف، تطلّ يرافقتها مراهق في الخامسة عشرة، لا تتكلم إلاّ الإنكليزية. فجلست وعلقت:

– أنا أميركية، تعرّفت النابغة جبران، في العالم الجديد، فأملى عليّ الإعجاب، وفرض الاحترام بنبوغه وحِدّة ذهنه. فعشقتُ عبر شخصيته الثرية الشاملة لبنان الساحر وسماءه الموحية. وأتيتُ أحجُّ هذا البلد الجميل، مهدّ الجمال والإلهام، وفاءً

٨٠ يلفتني في هذا النصّ أمران:

- ١) باربره في الفصل الأخير من كتابها روت أنّ الذي استقبلها هو الأب يوحنا مارون، وكان معها حفيدُها كريستوفر (٤ سنوات) وديفيد أزرُق أستاذ العلوم في الجامعة الأميركية، وهو رافقها في زيارتها إلى بُشريّ والمدرسة مترجمًا ودليلاً.
- ٢) في هذا النصّ بعضٌ مما جاء بحرفيّته في النصّ المخطوط الأوّل، لكنّ الخوري مقصود وسَّعه أكثر بتفاصيلٍ إضافيةٍ عن تلك الزيارة.

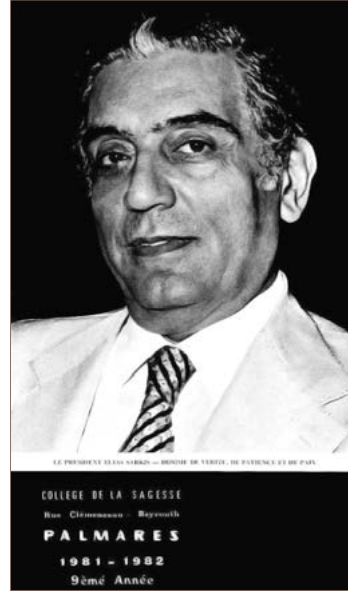
لوعِدِ قَطْعَتُهُ لجبران وألزمته نفسي. وقد استصحبْتُ ابني هذا، بُغَاءَ أَنْ ينهل دروسه من روافد معهدِ «الحكمة» دارِ الوطنية ومحامدِ الاخلاق، من يَنابيحِ أروى جبرانٍ منها ظمأه، وَعَبَّ حَتَّى الثَّمَالَةِ أَدَبًا وسجايا. بيدَ أَنَّ الأوضاعَ العالميةَ المُتأزِّمةَ، وقد غزا هتلر حديثًا مرفأً دِنزِيغٍ واجتاحت جحافلُه بولونيا، حالةٌ تُنذر بحربَ عالمية ضَرُوسٍ جعلتني أَتَرِيثُ. سأثُوبُ الآنَ وابني آسَفَةً إلى مسقطِ رأسي. فإذا صفا الجو السياسي، وانقشَعَت غيومُ الاكفهار المهدِّدة بالانفجار، وزالت همومٌ على الصدور جائمةً، وهواجسٌ مقلقةٌ مرعبة، وبان كابوس حرب عالمية طاحنة، رجعت بِابني إلى معهدكم هذا ليرتوي من مناهلِ كَرَعِ جبرانٍ منها فأصبح نادرةَ الزمان، وحيد عصره ونسيج وحده.

ثمَّ طَلَبْتُ أَنْ أَدُلِّهَا إلى قاعةٍ دَرَسَ فيها واضعُ كتابِ «النبي»، فهدَيْتُهَا إلى مباني مدرسة «الحكمة» القديمة، وولَجْنَا قاعةً أَمْضَى فيها جبران السنةَ الدراسيةَ النهائية. وكانت المقاعد لا تزال هي إِياها: سوداء ضخمة، حَفَرٌ عليها بعض الطلبة الحروف الأولى من أسمائهم. فسألْتُني، مُلِحَّةً، أَنْ أُحَدِّدَ بالضبط الطاولةَ التي إليها جلس جبران طالبًا. أَحْجَمْتُ لصعوبة التحديد فانتَقَتِ الطاولة الثالثة إلى يمين الداخل وأَمَرْتُ الولدَ أَنْ يجلسَ إليها ويوسِّها، فقد يكون النابغة جبران إليها جَلَسَ عهدَ الدراسة، فنَفَّذَ من قُورِهِ. ثم أشارتَ إليه فانفردا في إحدى الزوايا، وأَغْمَضَا العيون بضع لحظاتٍ للتبَحُّر والتأمل، بل إِكرامًا واحترامًا لذكرى النابغة الذي نقلهما إلى الشرق. وأَمَرْتُ ابنها أَنْ يحذو حذوها، وعلقًا يتمتتان. لعلَّهما تَلَوَا صلاةً أو آياتٍ من كتابِ «النبي».

وقفلنا إلى المكتب في بناء «الحكمة» الجديد. وهناك رَغِبْتُ إِلَيْي أَنْ أَكْتُبَ اسم جبران بالعربية فدَوَّنْتُ: جبران جبران. تفرَّسْتُ واعتَرَضْتُ تقول: «ليس هكذا كان يوقِّع بالعربية رسالات وِجْهها إِلَيَّ بالإنكليزية يوم كان في العالم الجديد». فشحذتُ الحافظةَ والقريحةَ وسَطَّرْتُ: جبران خليل جبران، فارتاحت وطفحت بهجةً وحُبورًا وقد سُرِّيَ عنها كأنها وجدَت ضالَّةً منشودة. سألتُها: «مَنْ تكونين؟» فأخَذَت قلمًا وورقةً وكتبت بالإنكليزية Barbara Young بربرة يونغ. وودَّعَت

وابنها، آسفةً تدغدغها بارقة أمل في العودة إلى الربوع اللبنانية الساحرة، مسقط رأس النابغة جبران، إلى معهد «الحكمة» حيث جال واضح كتاب «النبي» وترعرع وتلقّى دروسه.

في اليوم التالي زارني الصديق الشيخ فؤاد حبيش، رحمه الله، فرويتُ له ما حصل فصاح عاتبًا: «ويك! لقد أضعت ساحة العمر، وحرمت القراء اللبنانيين، بل العرب جميعًا، حديثًا صحفيًا<sup>٨١</sup> عالميًا غاية في الفائدة والخطورة والطرافة واللذة: إنها الأدبية الأميركية الذائعة الصيت، صديقة جبران الحميمة، ومصدر إلهاماته وبدائعه».



غلاف المجلة المدرسية التي نشر فيها الأب لاوون مقصود نصه عن زيارة باربره يونغ مدرسة «الحكمة».  
مدرسة «الحكمة» - فرع كليمانصو  
عدد السنة التاسعة ١٩٨١ ١٩٨٢

٨١ يقصد الشيخ فؤاد هنا حديثًا لمجلته «المكشوف» (أسسها سنة ١٩٣٥ وكانت فترتتد منبر كبار الشعراء والأدباء).



## شاعرة أميركية قرّرت العيش في لبنان

باربره يونغ، صديقة خليل جبران، قرّرت أن تعيش في بُشْرِي وتكتب سيرة شاعر الأرز وتُمنسح سنويًا بالإنكليزية لوحاتٍ من «النبى» أمام «حُجاج» المتحف

### مقابلة أجرتها أليس مكرزل<sup>١</sup>

في كتيّبٍ عن سيرة جبران<sup>٢</sup>، كتبت باربره يونغ: «في بُشْرِي، على بُعد نصف كُرّة أرضية من هنا، وقريةً من أرز الربّ، يرقد جثمان جبران الذي كان، أكثر من أيّ آخر، شاعرَ الأرز».

هناك، بين تلك الأجواء المقدّسة من الجمال والحقيقة، اختارت باربره يونغ أن تجعل بيتها الدائم.

١ هي وُسطى بنات سلوم مكرزل الخمس (بعد ماري وروز، قبل يُمنى وليلى). كانت تُسهم بالإنكليزية في تحرير مجلة والدها سلوم «العالم السوري» (The Syrian World) إلى أن تخلّى عن تحريرها لزميله فيها حبيب كاتبه، وانصرف منذ ١٩٣٢ إلى إدارة جريدة «الهدى» مباشرة إثر وفاة مؤسسها شقيقه البكر نعيم.

٢ المقصود هنا طبعةً أولى مُصعّرةً لكتيّبٍ من ٤٨ صفحة كانت باربره يونغ أصدرته «على حسابها الخاص» سنة ١٩٣١ لدى «المطبعة السورية الأميركية» (نيويورك) بعد أربعة أشهر على وفاة جبران، ثم عادت فوسّعت ذلك الكتيّب إلى كتابها المعروف «هذا الرجل من لبنان» وأصدرته سنة ١٩٤٥ لدى منشورات «كنوف» (نيويورك)، راويةً فيه رحلتها سنة ١٩٣٩ إلى لبنان (زائرةً المتحف في بُشْرِي، ومدرسة الحكمة في بيروت) ومُفصّلةً وسع صفحاته جلساتها الطويلة مع جبران في محترفه مُدوّنةً ما كان يمليه عليها من نصوص، ثم طباعةً إيّاها على ألتها الكاتبة.

صحيحٌ أنها اتَّخَذَتْ قرارها العيشَ في لبنان بعد وفاة جبران، لكنها كانت تحلم به قبل سنوات. وها هي، كما مُصَادَقَةً مع الذكرى الأولى لوفاة الشاعر<sup>٣</sup>، ستغادر هذه الشواطئَ الغريبةَ، متوقفةً بعض الوقت في أوروبا، ثم تكمل إلى بُشْرِي لتعيشَ «لبنانيةً بين أهل جبران اللبنانيين»، فتسكنَ هذه البلدة الصغيرة حيث جبرانُ الطفلُ رَسَمَ وَجَبَلَ، وحيث جبرانُ الفتى صَمَمَ مندُذِذٌ أن تكونَ له حياة فنية. قالت لي باربره: «أشعر أنني أعود إلى بيتي لأعيش فيه. وَعَفْوِيَّةٌ قولي أحياناً «حين أعود إلى لبنان» تُشير إلى رغبتِي أن أعيش هناك. وهذا أروع ما يحصل في حياتي. في بُشْرِي سيكون لي بيتي الصغير، أمامه عريشةٌ وشجرةُ زيتون، سطحُهُ بساطٌ حين أنام عليه ذات ليلةٍ دافئةٍ يمكنني أن أمدَّ يدي وأقطفَ نجمةً أدسُّها تحت مخدَّتي».

بعد برهةٍ صمتٍ أضافت: «كثيرون تنبأوا أنني سأعودُ إلى هنا بعد حفنةٍ سنوات، لكنني واثقةٌ أنني لن أعودَ من هناك. لم أكن يوماً منسجمةً مع أنماط العيش الغريبةَ، بوسائلها ووسائطها وأدواتها، فيما تَسْحَرُنِي من زمانٍ هناك تلك الحياةُ اللبنانيةُ بِجمالها وبساطتها».

لمستُ في صوت باربره يونغ دفتاً شرقياً أليفاً يعكس هناءةً لبنانيةً ذات رضى عميق. وتخيَّلْتُها هناك في لبنان ترتدي ملابسَ محليةً جمالها يناسبُ قامةَ باربره الممتلئة الطويلة.

استرسلتُ تحدَّثُني عن كمال سُورها أن تكون بين لبنانيين وسوريين تحب أن تسمعهم ينادونها «بُرْبَارَة» باللهجة العربية مُشدِّدين لفظهم على حَرْفِي «با» الأوسَطَيْن في اسمها. ولاحظتُ أنَّ لديها منذ الآن مؤونةً كلماتٍ عربيةٍ تلفظُها فلا تَلَحُنُ ولا تجد في لفظها صعوبةً يواجهها الأميركيُّ عادةً في لفظه كلماتٍ

٣ توفي جبران في ١٠ نيسان ١٩٣١ وصدر هذا الحديث في عدد نيسان ١٩٣٢.

٤ كان جبران، إبَّان طفولته في بُشْرِي، يَجْبُلُ بالطين أشكالاً بدائيةً تشير إلى ميوله الفطرية الفنية الباكرة.

عربيةً، ما يذكُرُها بقول جبران لها ذات يوم: «أشعر أنكِ ستنتطقين بالعربية في أي لحظة».

طبعًا هي مقتنعةٌ أنّ الأمر ليس بهاتين السهولة والعفوية، لكنها عازمةٌ، منذ وصولها إلى لبنان، على تلقُّن العربية في بضع سنواتٍ حتى تُتقِنَهَا بما يتيح لها أن تترجم إلى الإنكليزية كتاباتِ جبران العربية كُلِّها. هي تعرف أنّ كتاباتِ له عربيةً مترجمةً إلى الإنكليزية لكنها لا تحمل بَصمةَ جبران، وعشاقُ كتاباته الإنكليزية لا يرضون بها خاليةً من بصمته. وما يؤهِّلُ باربره يونغ لترجمة جبران إلى الإنكليزية، أنّها ضليعة بمهاراته الأسلوبية في الإنكليزية. روتَ لي أن جبران قال لها يومًا: «أنتِ أفضل من يترجم كتاباتي العربية إلى الإنكليزية»، وأنه، وهو يُملي عليها كتابه «يسوع ابن الإنسان»، كان إبَّانَ نشوة انفعاله يتوقَّف بين عبارة وأخرى ويلقي قولاً بالعربية ثم يترجمه بعفويةٍ إلى الإنكليزية. لَحَظَاتِيذٍ، من خوفها أن تقطع عليه انسيابَ أفكاره، كانت تتجنَّب أن تطلب منه الإعادة كي تدوّن ذلك القول. غير أن تلك الأقوال باقيةٌ في قلبها وواجدةٌ تعابيرَ لها في صفحات ترجماتها عن العربية.

في بُشْرِي لن تقضي وقتها كُلَّه في دراسة العربية وفي الترجمة. فهي رهنَت حياتها، تطوُّعًا، لنشر اسم جبران وعبقريّة نتاجه لدى مَنْ لم يعرفوه بعد. ولهذه الغاية تصمّم، بين أمور كثيرة، أن تُعيد في بُشْرِي تأثيث مُحترف نيويورك تمامًا كما عاش فيه جبران ١٨ سنة يكتُب ويرسّم. وستجعل في دير مار سركيس متحفًا تعرض فيه أعماله من رسوم بالقلم الرصاص، وتخطيطات، ووجوه، وزيتيات، ومحفورات خشبية، وكنوزِ ذخائرٍ وأغراضٍ فنيةٍ كان جبران يجمعها ويحبُّها.

في أعلى آمال باربره يونغ أنّ تجعل مَسْرَحَةَ فصول «النبى» سنويًا أجمل تكريمٍ دائمٍ لذكرى «شاعر الأرز» على أرضه اللبنانية وبأصوات أهل بلدته بُشْرِي. ستكون المَسْرَحَةُ بالإنكليزية ليتابعها «الحجاج» الأجانب ولأنّ الإنكليزية لغة عالمية. لذا عشاق جبران بالآلاف في كلِّ العالم سيهتأون بفرصة حضور «النبى» في هذا الإطار البديع. أما ريع هذا العمل فسيكون لتحقيق آمالٍ وأحلامٍ كان جبران يُضمِرُها لوطنه

الحبيب، منها تطويرٌ كبير للزراعة في لبنان وتحسيناتٌ أخرى دَوَّنَتْها باربره يونغ في قلبها وتُضمّر أن تحقِّقها له<sup>٥</sup>.

كان جبران في صباه ينتقل على سهوة حسانٍ بين فُلوات الأرض المقدسة التي يقال إنَّ يسوع مرَّ بها. وتأمل باربره أن تمشي على الدروب ذاتها فتزورَ الأماكن التي مرَّ بها جبران. سوف تزور مدرسة «الحكمة» حيث درَّس الخوري يوسف الحداد الذي وصفه لها جبران بـ «الوحيد الذي علَّمني ما أفادني». وفي هذه المدرسة اليوم لوحةٌ تحمل باعتزازٍ شهادةً أنَّ جبران درس فيها<sup>٦</sup>.

كثيرون هنا من متابعي باربره يونغ المعجبين بأدبها يخشون أن تتخلَّى كلياً عن كتاباتها ونشاطها كي تنفَّذ مخطَّطها الجبراني فحترمهم من الجمال والشاعرية في كتاباتها شعراً ونثراً. أما هي فواثقة أنها لن تُهمل كتاباتها الخاصة، وتؤمن عميقاً بأنَّ سيكون لها من جمالاتِ لبنان الفريدة ومناخه الرائع ما سيُلهمها أفكاراً أهمَّ وكتاباتٍ أجمل. وكتابها الأخير «يهودا... الرجل الذي لم يستطع أن يموت» تجري أحداثه في لبنان، وفيه نصوصٌ شعريةٌ عالية الحيوية لأنها كتبتَه بحماسةٍ عن أرضٍ لم تكن تعرفها بعد. فكيف إذًا حين سيكون جديدها «كتاب آدم» وكتاباتٌ أخرى تضمّر أن تكتبها، في إطار تلك الأرض المقدسة!

حيوية باربره يونغ لا تعرف التعب ولا الاكتفاء. علامتها: اهتمامها بخير الآخرين. فعدا كتاباتها عن جبران ونصوصها الخاصة، ستكتب سلسلة مقالات عن شعب لبنان وتقاليد لبنان وتراث لبنان كي تُفنع بها العالم الغربي ليقينها أن منذ منتصف القرن التاسع عشر لم تُكتب عن لبنان مقالاتٌ مُنصَّفة. هذا ما اكتشفته باربره يونغ من

<sup>٥</sup> لم تحقِّق باربره يونغ زيارتها لبنان، كما كانت تحلم بها، إلا بعد سبع سنواتٍ من هذا الحديث. قصَّدت بُشْرِي في ٨ تشرين الأول ١٩٣٩، وزارت معهد «الحكمة» إنما بدون ابنتها بل اصطحبت حفيدها كريستوفر (٤ سنوات). كما لم تحقق حلمها بالسكن الدائم في بُشْرِي لأنَّ شرارة الحرب العالمية الثانية أرغمتها على العودة سريعاً إلى نيويورك.

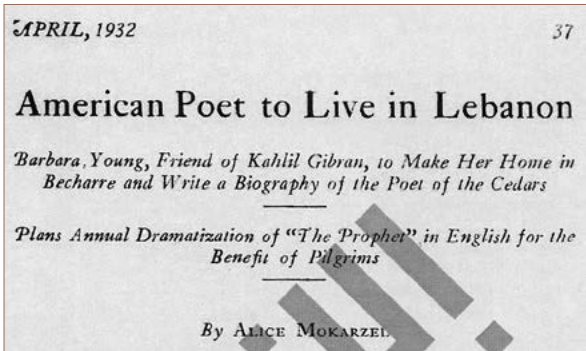
<sup>٦</sup> بعد سنواتٍ على هذا الحديث جدَّت إدارة المدرسة أبنيتها فزالَت اللوحة وانهدم الجناح حيث كانت الغرفة التي درَّس فيها جبران.

قراءتها مراجعَ في المكتبات ولدى بعض المؤسسات، وأحسَّت بالحاجة إلى الإضاءة عليه حيال غيابه عن معظم الكتابات بالإنكليزية.

في الرابع من أيار المقبل ستُبحر السيدة يونغ، ومعها ابنتها، إلى إنكلترا لتحلَّ ضيفاً على السير هنري وزوجته السيدة دُجاپ في لندن. وستختتم هذه «الإقامة القصيرة» لتستخدمها كالعادة بنشاطٍ في خدمة جبران: إقامة معرض في لندن لـ ٧٥ رسماً بالقلم الرصاص. وستعرض بعدئذٍ هذه الرسوم في باريس التي تعتبر أن لجبران فيها شهرةً وتقديراً كرسّام. ولن تحمل معها إلى أوروبا لوحاتٍ زيتيةً لأنَّ هذه سُحِنت رأساً إلى هناك، إلى لبنان.

هذا الـ «هناك» سيكون عالمًا غريبًا وغامضًا على أصدقاء لباربره يونغ، منهم من عرفوها لسنواتٍ، ومنهم من عرفوها حديثًا. لكنهم جميعًا نعموا ب صداقتها وتأثروا بروحها الكريمة وفكرها المعطاء.

قبل فترةٍ كانت كتبت: «في الاستذكار غني، وثقَّة بالخلود قد لا نتنبَّه أن نسأل عنها». ونحن، بهذه المقولة الجميلة، وبأمل أن قد نكون نحن أيضًا معها في لبنان، نودُّع باربره يونغ الغنية بتذكارات صداقتها، ونؤكِّد لها ثقةً لدينا بقرارها لن تُضعفها فينا المسافة ولن تُطفئها أبدًا.<sup>٧</sup>



مطلع حديث أليس مكرزل مع باربره يونغ، كما صدر في «العالم السوري» (ص ٣٧ - العدد ٧ - نيسان ١٩٣٢) ضمن ملحقي خصصه سلوم مكرزل في هذا العدد لمرور سنة على غيابه صديقه جبران.

<sup>٧</sup> عن مجلة «العالم السوري» - نيويورك - السنة السادسة - العدد السابع - نيسان ١٩٣٢ (ص ٣٧ - ٤١).

## باربره يونغ وإندرو غريب

بين لقاءات كثيرة عقدتها في الولايات المتحدة مع مَنْ عرفوا جبران شخصياً في سنواته الأخيرة، ونشرتها تباعاً في مجلة «النهار العربي والدولي»<sup>١</sup> ثم أصدرتها لاحقاً في كتاب<sup>٢</sup>، زرتُ إندرو غريب<sup>٣</sup> أوَّل مَنْ ترجم من جبران، على حياته، نوصه العربية إلى الإنكليزية بمواقفة خطية من جبران.

طويلاً كان حديثي معه عن علاقته بجبران، أقتطف منه هنا ما تذكّر لي<sup>٤</sup> عن علاقته بباربره يونغ.

### علاقته مع جبران...

عن مناسبة لقائه جبران، قال لي:

- ذات يومٍ من ١٩٢٦ قرأتُ لجبران في جريدة «مرآة الغرب» مقطوعةً «وعظمتني نفسي». أعجبني فترجمتها إلى الإنكليزية ونشرتها هنا في جريدتنا

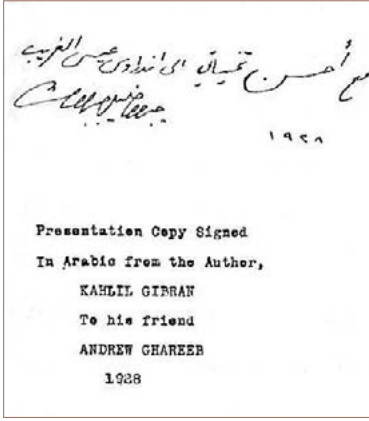
١ بين ١٩٨٣ و ١٩٩٠.

٢ «جبران خليل جبران - شواهدُ الناس والأمكنة» - منشورات درغام - بيروت ٢٠١٢.

٣ صباح الأحد ١٧ حزيران ١٩٩٠ في بيته: بلدة تشيكوبي قرب مدينة سبرنغفيلد - ولاية ماساشوستس.

٤ كان يومها في الثانية والتسعين. وهو ولد سنة ١٨٩٨ في عيتا الفخار (جنوب لبنان) وتوفي في سبرنغفيلد (ماساشوستس) نهار الأحد ١٢ آذار ٢٠٠٠، عن مئة وستين.

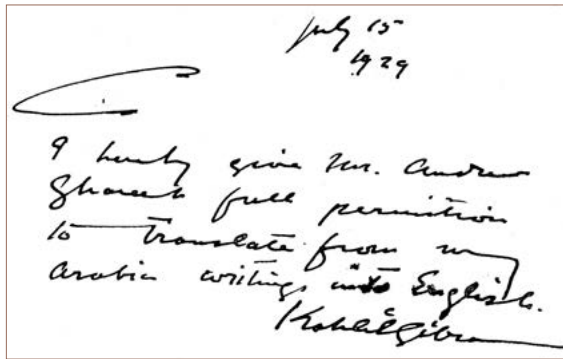
المحلية «سُپرنُغفيلد ريببليكان» (Springfield Republican) مع مقالٍ عن جبران. أرسلتُ الترجمة إلى صديقي ميخائيل نعيمة في نيويورك - وكان له مكتب في مجلة «السائح» لعبدالمسيح حدّاد - فأجابني برسالةٍ رضىً وتهنئةٍ مرفقةٍ بقصيدتين له إنكليزيتين لأنشرهما في «سُپرنُغفيلد ريببليكان». بعد أيامٍ دعاني إلى الغداء في نيويورك وَعَرَفَنِي بنسيب عريضة الذي لمستُ لديه، منذ ذاك اللقاء، تعلُّقه بجبران ووفاءه له. سنة ١٩٢٨ قرأتُ لجبران كذلك في «مرآة الغرب» مقطوعة «أيُّها الليل» فترجمتها إلى الإنكليزية وأرسلتها مُجدِّداً إلى نعيمة فأطَّلَعَ جبرانَ عليها وكتب إليّ: «جبران أَحَبَّ ترجمتكَ وسألني عنكَ فأخبرته أنك لبنانيٌّ تُحِبُّ كتاباته وتنقلها إلى الإنكليزية، فقال إنَّ ترجمتكَ قريبةٌ جدًّا من الأصل، وطلبَ أن يتعرَّف بك». بعد شهرٍ كنتُ في نيويورك، وتوجَّهتُ بعد الظهر إلى لقاء نعيمة في مكتب «السائح» (٢١ ركفور ستريت في أسفل مانهاتن) وصادف عند وصولي أن كان يهااتف جبران. أخبره أنني معه في المكتب فسأله جبران أن أذهب إليه. وهكذا كان: سريعاً بالصابواي إلى الشارع العاشر غرباً، فإلى المبنى رقم ٥١، الطابق الأعلى حيث جبران. كان بابه مفتوحاً (كما لاحظتُ دائماً في ما بعد). استقبلني بمريول الرسم. كان وحده. أذكره لحظتني كأنه الآن أمامي: شحوبٌ في وجهه، أناقته في مظهره، بعثرةٌ في الستوديو (كان يدعوه «الصومعة»)، موقدة هريمه في الوسط ممثلةً رماداً عتيقاً بارداً. سألتني عني، عن عملي، عن عائلتي، عن تفاصيل كثيرة. كان حنوناً في أسئلته، حانياً في إصغائه، كأنَّ أمري يهيمه جدًّا. فهمتُ في ما بعد أنه هكذا كان دوماً كثيرَ الاهتمام بمواطنيه اللبنانيين. شعرتُ أن استثناسه بي وبترجماتي كتاباته العربية يعود في جزء منه إلى كوني لبنانياً. ثم سألتني أن أقرأ عليه ما ترجمتُ له. أصغى بصمتٍ عميقٍ وتأثَّر شديد. عند قراءتي لمقطوعته «الشهرة»، حين وصلتُ إلى السطر الأخير: «... فلم أجد على الرمل سوى عمّاي»، أعجبته أن أترجم كلمته العربية «الجهل»: «العمى» بالإنكليزية فقال لي: «هذا بالضبط ما أردتُ قوله. أنتَ ترجمتَ فكرتي لا كلمتي. أنا



سعيدٌ بترجمتك». وقام فأهداني نسخةً من كتابه الجديد «يسوع ابن الإنسان» وكتب لي عليه إهداءً بالعربية «مع أحسن تمنياتي الى اندراوس عيسى الغريب». قبل انصرافي سألتني باهتمامٍ عن صورة هالته في الجالية اللبنانية ووفّع كتاباته في أهلها وماذا يقولون عنه وعنهما. كان شديد الحرص على رأي الناس فيه، وبقيَ على ذنك الحرص والتسأل في

جميع زياراتي اللاحقة إليه. ذات زيارةٍ إهداء جبران (بالعربية) صديقته إندرو أهديته من مجموعتي الخاصة كتابًا قيمًا قديمًا نادرًا، فيه رسومٌ وأشعارٌ فارسية قديمة أعرف أنه يقدرها. شكرني بعمقٍ بالغ وقام فأهداني نسخةً من طبعةٍ جديدة لـ «النبى» كانت صادرةً حديثًا، كتب إهداءه إليّ بالعربية.

في زيارتي إياه نهار الإثنين ١٥ تموز ١٩٢٩ سألتُهُ إذا كان راضيًا عن عملي. لم يناقشني مرةً في أيّ كلمةٍ من ترجماتي نوصه. طلبتُ منه أن يُعطيني إذنًا خطيًا بترجمة مجموعةٍ من نصوصه العربية إلى الإنكليزية. لم يتردد لحظةً. قام إلى طاولته وكتب لي بالإنكليزية إذنًا ووفّعه. وجعلتُ أنشرُ ترجماتي إلى



تفويض جبران إلى إندرو ترجمة نصوصه العربية إلى الإنكليزية (١٥ تموز ١٩٢٩)



الإنكليزية نصوصه العربية في جريدة «سُپرنغفيلد ريببليكان» وفي المجلة الشهرية «غولدن بوك ماغازين» *The Golden Book Magazine* (نيويورك).  
 وحين أرسلتُ إلى هذه الأخيرة ترجمتي مقطوعة «الأرض» طلبَ مني رئيس التحرير أن ينشر الأصل العربي مع ترجمتي الإنكليزية. أرسلتُ له النصَّ العربي منشورًا في مجلَّة «السائح» فصدر مقلوبًا لأنَّ عامل المطبعة لم يكن يعرف العربية. حَزَنَ جبران لكنه تفهَّم الأمر ولم يغضب. كان سَموحًا ومنشغلًا دائمًا بغامضٍ آخَرَ كأنَّه ينتظره ولم يأتِ بعد.

في زيارتي قبل الأخيرة وعدَّته بأن أترجم إلى الإنكليزية مقطوعته «الصوفي» وأن أطلعَه على جميع ترجماتي نصوصه العربية إلى الإنكليزية. رحَّب بالفكرة واتَّفَقنا على أن أزوره الجمعة في ٢٠ آذار (١٩٣١). نهارئذٍ، وأنا في طريقي إليه مساءً (لم أكن أدري أنَّ تلك ستكون زيارتي الأخيرة) سمعتُ صوتًا يناديني في أحد شوارع مانهاتن المكتظة. التفتُ فإذا به صديقي سلوم مكرزل. قلتُ له إنني ذاهبٌ لزيارة جبران كي أطلعَه على ترجمتي الإنكليزية مقطوعته الجديدة «الصوفي» قبل أن أرسلها إلى «غولدن بوك ماغازين». أصرَّ أن يأخذها وينشرها في مجلته «العالم السوري» (*The Syrian World*) فأعطيته إياها. أكملتُ طريقي إلى جبران، وكانت جلسةٌ لنا طويلةً لم يتكلَّم خلالها كثيرًا بل كان يُصغي إلى ترجمتي الإنكليزية نصوصه ولا يعلِّق. حين انتهيتُ بادرني: «سأسعى إلى ناشرٍ يُصدر لك هذا الكتاب. عملك قريبٌ جدًّا من ذاتي. أنتَ لم

To Andrew Sharut  
 with the kindest regards  
 of his friend  
 Khalil Gibran  
 1931

إهداء جبران صديقه إنندرو كتاب «آلهة الأرض»

(٢٠ آذار ١٩٣١)

تترجم جسد الكلمات بل روحها». وقام إلى طاولته فأتى بنسخة من كتابه الجديد «آلهة الأرض» (كان صدرَ في ذاك الأسبوع بالذات) وكتب لي إهداءً وقدمه إليّ واعدًا أن يُهديني أحدَ رسومه. لاحظتُ على وجهه شُحوبًا غيرَ عاديٍّ.

سألته إن كان يشعر بالأم أو انزعاج أو مرض، فأشاح عن الجواب ببسمة ذات غصة، وسألني كالعادة عن رأي أبناء الجالية بكتاباته. كان جوابي على حجم انتظاره وفضوله لمعرفة مدى شهرته الواسعة. عندها قال لي بصوت عميق: «يا إندرو: كل شهرتي بين أهلنا، هنا في أميركا كما في العالم العربي، لم تأتني بمردود قرش واحد لحقوق نشر أو طبع عن كل ما نشرته في العربية من مقالات وكتب. ينشرون لي ولا أعرف. ينقلون مقالاتي وكتاباتي ولا يستأذنونني. يطبعون مؤلفاتي العربية ولا يرسلون إليّ قرشاً واحداً بينما أنشر هنا بالإنكليزية فيأتيني مردود من مقالاتي وقصائدي في الصحف والمجلات ومن كتبي المنشورة لدى «كنوف». ولولا بيعي بعض رسومي ولوحاتي لكنت الآن في عوز». ثم أحنى رأسه وغرق في صمت طويل.

قبل أن أغادره في تلك المسوية من أذار قال لي: «سأسال ألفرد كنوف إن كان يُصدرُ ترجماتك نصوي الإنكليزية في كتاب. عد إلي بالمخطوطة كاملة في آخر أيلول، مطلع موسم النشر فأكون كلمته بالأمر».

ودعته وانصرف، وأنا منشغل البال على شحوبه وهن مشيته، لكنني لم أجدس يومها أن تكون تلك آخر مرة أراه.

بعد ثلاثة أسابيع، ظهر السبت ١١ نيسان ١٩٣١، كنتُ خارجاً من مقهى في سبرنغفيلد فسمعتُ بائع الصحف ينادي: «طبعة إضافية... طبعة إضافية لآخر خبر». تقدّمتُ منه وابتعتُ نسخة من «نيويورك تايمز» فإذا على صفحتها الأولى من تلك «الطبعة الإضافية» نبأ وفاة جبران. كان لموته وقعٌ مأساويٌّ عليّ وعلى الجالية اللبنانية.



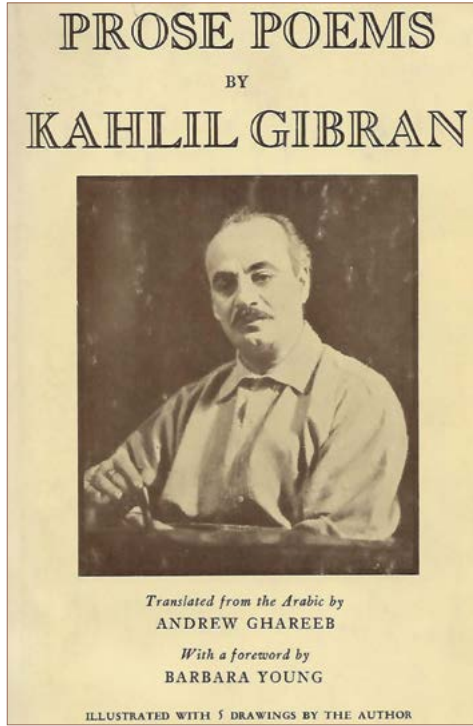
### ... وعلاقته مع باربره يونغ

أصغيتُ إلى إندرو لاهت النفس طوال حديثه. وخشية أن يتعب من الكلام فيتوقف قبل أن أعرف كيفية نشر مترجماته، بادرتُ:

- ولكن كنوف عاد فنشرَ كتابك بعد وفاة جبران.

- (بسملة حزينة): صحيح. ولكن كيف!!! بعد أشهرٍ على وفاة جبران حملتُ المخطوطة إلى كنوف فبادرني: «عليك أن تُراجع باربره يونغ. هي اليوم الوكيلُ على آثاره وهي منقّدةٌ وصيّته». اجتمعتُ بها للمرة الأولى (والوحيدة) في «صومعة» جبران وكانت معها ابنتُها. وجدتها امرأةً طويلةً على بدانة، قويّة الشخصية، وكنتُ أعرفُ أنها لازمت جبران منذ ١٩٢٥ وعرضت عليه أن تكون سكرتيرته. اشترطتُ عليّ، كي تسمحَ بطبع كتابي لدى كنوف، أن تكتبَ هي مقدّمة الكتاب. أحببتها أن صديقي ميخائيل نعيمة طلبَ أن يكتب هو المقدّمة، فرفضت في حدّةٍ وقسوةٍ وأجابت صارمةً: «إذن لن يصدر الكتاب ولن أسمح لك بنشره». قلتُ لها إنني أصدره عند أيّ ناشرٍ آخر بما أنني أحمل تفويضًا خطيًا من جبران، وأريتها التفويض فانتفضت: «هذا يتيح لك الترجمة لا النشر. أنا وحدي المؤلّجة بالنشر، وأنا أُعطي الإذن الأخير». وقعتُ في حيرة: كان نعيمة عادٍ إلى لبنان سنة ١٩٣٢ وكنتُ أنا أيضًا أتهدّي للعودة إلى لبنان، فلم يعد لي إلّا القبول. وهكذا كان: صدرَ الكتاب نهار الإثنين في ٨ تشرين الأوّل ١٩٣٤ مع مقدّمةٍ منها ذكرّني فيها بإيجازٍ عابرٍ أنني نجحتُ «باستيعاب الأصل العربي لروح جبران وبنقل سخره إلى الإنكليزية». وأجرت تعديلاتٍ على ترجمتي بعض المقطوعات (منها «أيها الليل»)، ساكبةً عليها بعض النثرية مُخفّفةً من ترجمتي الإنكليزية شطحات جبران الشاعريّة كما كتبها في الأصل العربي. وبعدها عدتُ إلى لبنان كان كنوف يرسل إليّ حقوق الترجمة مرّتين كلّ عام (في أول كانون الثاني وأول تموز) بمعدّل أربعة آلاف دولار سنويًا وهو مبلغٌ استمرّ يرُدني سنواتٍ طويلةً مع تكرار طبعات كتابي الذي أصبح من مجموعة جبران الكلاسيكية، ويباع مع سائر كتبه الواسعة الانتشار.





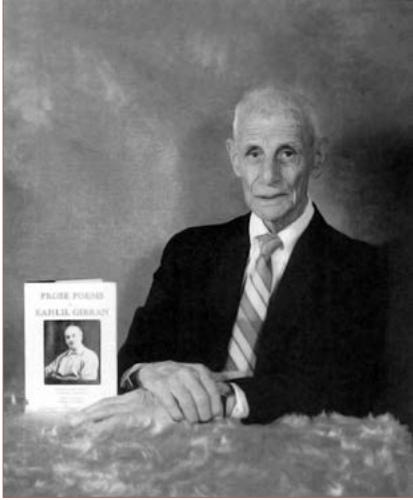
غلافُ الكتابِ وذُكْرُ مقدمةِ باربره يونغ  
(الطبعةُ الأولى ٨ تشرين الأول ١٩٣٤)

حيال صداقة إندرو ونعيمه، ومعرفتي «الودَّ المفقود» بين نعيمه وباربره يونغ، حاولتُ استيضاح موقفِ نعيمه مباشرةً من إندرو فأجابني بدون تحفُّظ:  
- لدى عودتي إلى لبنان أخبرتُ نعيمه بأمرِ باربره يونغ فهزَّ برأسه شاردًا. وفهمتُ أنه كان على خلافٍ معها ويعتبرُها مسؤولَةً عن اختفاء وصية جبران الأولى التي ذكَّرَ فيها أنه خصَّص مبالغ لأصدقائه في «الرابطة»<sup>٥</sup>، فلم تظهر بعد وفاته إلا الوصيةُ الثانيةُ وليس فيها أثرٌ مما كان جبران ذكَّره لرفاقه في «الرابطة»<sup>٦</sup>. وقد يكون لباربره يونغ، بشخصيتها المتسلطة، ضلعٌ في نص

٥ - أسرَّ لي إندرو أن جبران كان يساعدهم مادِّيًا بشكلٍ شخصيٍّ فرديٍّ، ويدعم مؤسَّساتهم الصحافية بشكلٍ دوريٍّ، وهذا ما يفسِّرُ تشتُّتهم بعد وفاته، وتوقُّف مجلاتهم وصحفهم، وبلوغ الأمر حدَّ خلافاتٍ شخصيةٍ بينهم، وعودة نعيمه النهائيةً إلى لبنان.

٦ - في كتاب نعيمه لاحقًا (١٩٣٤) عن جبران («جبران خليل جبران - حياته، موته، أدبه، فنُّه» - مؤسَّسة نوفل - بيروت - الطبعة الثامنة - ١٩٧٨ - ص ٢٧٦-٢٧٧) ذكَّرَ أن جبران كتَب وصيَّتَيْن.

الوصية الجديدة<sup>٧</sup>. وهي بلغت من الحدّة أنها، حين كان جبران يحتضر، استدعت نعيمة إلى المستشفى مُكرهةً عبر سلّوم مكرزل بعدما كان جبران دخل في الغيبوبة الأخيرة فلم يبلغ منه نعيمة إلا «غر.. غر.. غر..»<sup>٨</sup>. وبلغ بنعيمة نفورُه منها أنه لم يُسمّها في كتابه بل ذكّر أنّها «شاعرةٌ أميركية عرقت جبران في سنواته الأخيرة». وفهمتُ منه أيضًا أنها بعد غياب جبران «رابطت» في محترفه مُتحمّجةً بالخوف عليه من السرقة، وراحت تطبع نُسخًا من لوحاته وتبيعُها في معارض متفرقة على اسم جبران بحجة تمويل مشاريع لطبع آثاره المخطوطة.



تلك كانت، في حديثي إلى إندرو غريب ذلك الأحد ١٧ حزيران ١٩٩٠، مقاطع مما كان له مع باربره يونغ، حول كتابه «قصائد نثرية» الذي صدر في منشورات كنوف<sup>٩</sup> تتصدّره مقدّمها، وهذه ترجمتها الحرفية:

إندرو غريب وكتابه يوم زرته في بيته  
(١٧ حزيران ١٩٩٠)

٧ هذا الأمر نقله إندرو متأثرًا برأي صديقه نعيمة لأن جبران في وصيته لم يذكر أبدًا باربره يونغ. وهذا من التجني لأن الوصية كانت لدى مكتب المصرفي إدغار سپاير ولم يكن أحدًا اطّلع عليها. كان جبران كتبها نهار الأربعاء ٣٠ تموز ١٩٣٠ وكما يقتضي القانون أقسم أمام سپاير أنه كتبها وهو يتمتع بكامل قواه العقلية، وأرسل في تموز نسخة منها إلى شقيقته مريانا في بوسطن. وفتحت في مكتب سپاير نهار الجمعة ١٧ نيسان ١٩٣١ (بعد أسبوع على وفاة جبران) بحضور مريانا وماري هاسكل وزكية جبران دياب.

٨ الكتاب ذاته، ص ١٧ إلى ٢٢.

٩ Prose Poems by Kahlil Gibran – Translated from the Arabic for the first time by Andrew Ghareeb, with a foreword by Barbara Young – Alfred Knopf publisher – 1934 – New York – 96 pages

## BEFORE SUICIDE

From the Arabic of Kahlil Gibran

By ANDREW GHAREEB

(Mr. Ghareeb's Arabic translations, which are familiar to readers of the SYRIAN WORLD magazine, appear frequently in the Springfield Republican of Mass. and the Golden Book Magazine of New York.

The following translation is published for the first time in the SYRIAN WORLD and is not to be reprinted without Mr. Ghareeb's permission. Ed.)

ترجمة إندرو غريب مقطوعة «قبل الانتحار»  
صدرت الترجمة الإنكليزية  
في مجلة «العالم السوري»  
وصدر النص العربي الأصلي  
في كتاب «العواصف» (١٩٢٠)

It was but yesterday in this solitary  
quiet room,  
The woman sat whom my heart loved,  
Upon these soft rose-colored cushions,  
Her lovely head reclined,  
And from a crystal cup partook a  
draught of wine,  
Mingled with a drop of attar.

### مقدمة باربره يونغ

قال جبران يوماً: «الترجمة فنٌ مستقلٌ في ذاته، سرُّه إعادةُ خلقٍ تُحوِّلُ سِحْرَ لغةٍ إلى سِحْرِ لغةٍ أُخرى».

أن يقارب مترجمٌ كتاباتِ سيِّدٍ في أيِّ لغةٍ، يعني أن يواجهَ عمليةً ذاتَ صعوباتٍ معقَّدةٍ يُمكن تخطِّيها حين تصدرُ تلك الكتاباتُ مبهورةً بحكمةٍ ملهمةٍ ووقوَّةٍ سماويَّةٍ.

هذه المجموعة من القصائد النثرية<sup>١٠</sup> تصدر بالإنكليزية للمرة الأولى، تولَّاهَا المترجمُ عربونَ نذرٍ مُخلصٍ وإيمانٍ عميقٍ بقوَّةٍ وأهميَّةٍ في النصوص الأصلية كما صاغها بالعربية جبران خليل جبران.

١٠ اختارت منها باربره يونغ للنشر ١٢ مقطوعة فقط بين مجموعةٍ نُصوص كثيرة كان إندرو غريب ترجمها وزوَّدها بها.

فهذا الشاعر، المولود في بُشْرِي من أبوين لبنانيّين قبل ٥١ سنة<sup>١١</sup>، عاش حياةً غريبةً بوحدها وانفرداها، مع أنه، في كل محطةٍ من حياته، كان ذا علاقاتٍ متعددة مع كثيرين: من بائعي الكشّة إلى أصحاب السُلطة. ثمة حالةٌ يستحيل تحديدها واضحةً، كان دائماً وأبداً يعيشها وحيداً كما عاشها فقط عظماءٌ قليلون مرّوا على هذا الكوكب. لكنّ نادرين بينهم واعون أنّ جبران كان واحداً من الكبار في تاريخ العالم. إن لديه إرثاً يرقى إلى أسلافه الفينيقيين الكلدنيين، غنياً بسلالات باهرة من عباقرة ومثقفين نسج جبران من فكرهم العريق ثوباً ارتداه كرامةً وولاءً. من هنا أنّ كلّ نقشةٍ من قلمه وكلّ رقشةٍ من ريشته، كانت وليدةً قوّةٍ ملهمةً. لذا لم يكتب سطرًا واحدًا عاديًا أو بدون نبض، فكان أنّ تركّ على الورق والقماش ذخراً من الكنوز الفريدة.

كتب جبران تلك النصوص بالعربية القريبة إلى قلبه، مع أنّ مهارته بالإنكليزية هي التي جعلت اسمه، منذ سنواتٍ، أحد ستّة كتبوا أسطع لغة إنكليزية. وعند الإقرار أمامه بتفوّقه في اللغة التي تبنّاها، كان يبتسم ويقول: «لستُ إلاّ ضيقاً على هذه اللغة. تعاملتُ معها باحترامٍ ولم تكُن لي دالّةٌ عليها كما أبناؤها». إذًا، بهذا الاحترام العالي ذاته، كان على المترجم أن يقارب هذه المغامرة الكبرى بترجمة جبران إلى الإنكليزية. ثقافته العميقة وكبره ونبل رؤياه الروحانية تجعل المشروع جريئاً غير عاديّ. لذا أجزم أنّ أيّ ترجمةٍ تتناول نصوصه إلى الإنكليزية لن تكون بالروعة التي كان سيأتها جبران لو هو ترجمها. جبران الإنكليزية مساوٍ جبران العربية، وكلاهما مختلف كلياً وجوهرياً عن أيّ كتابةٍ إنكليزيةٍ أو عربيةٍ أُخرى.

النصوص المترجمة في هذا الكتاب ليست سوى محاولةٍ تقربُ إلى عالم الإنكليزية قصائد الشاعر الثرية الأولى بالعربية في أسلوبٍ جديدٍ تفرّد به جبران وأطلقه بذاك اللسان العربي العريق. فهو خلق مدرسةً في أسلوب الكتابة طالت

١١ كانت تكتب هذه المقدمة سنة ١٩٣٤، قبيل إرسال المخطوطة إلى كنوف لنشرها.

الخيال العالي للشرق الشعري العالي الثقافة، وبه عُرف رائدًا في عالم العربية المتّسع إلى نحو ثلاثمئة مليون نسمة.

هذه الترجمة قام بها جادًا وفيًا مواطنٌ لجبران شاب<sup>١٢</sup>، مريدٌ له جَدَبْتُهُ مسحةٌ صوفيةٌ لدى جبران فحاول إخراج الترجمة الإنكليزية بجمالها النادر في أصلها العربي. وطرّزت هذا الجهدَ لمسهُ كاتبةً أميركيةً عايشَت سنواتٍ إنكليزيةً جبران، وسمعتُهُ مرارًا يلقي تلك القصائد بالذات مسبِّحًا عليها، بترجمته الخاصة، إنكليزيته الطلقة السلسة.

علّ في هذه القصائد المترجمة يبقى بعضُ الوهج من تلك النار المقدّسة التي غدّت أصولها العربية.

علّ تُكتشف فتكشفُ بعضَ قبسٍ من وعي الشاعر عميقًا جمال الحياة وصدقها، وإيمانه العلويّ بأنَّ «لنا الخلود».

علّها في بعض إيقاعاتها الرائعة تنبض بأصداء نبضاتٍ في قلب شاعرها.

هي ذي بعض آمال إندرو غريب من هذه الترجمة، وآمالي.

فإن تمّ ذلك يكون ناجحًا هذا العمل، لا ومضةً عابرةً تتيه في عالم ومضاتٍ

إلى زوال.

باربره يونغ



## أَيَّامُهُ الْأَخِيرَةُ فِي نِيُورُوكْ<sup>١</sup>

مفاجئًا ومأساويًا كان موتُ شاعرنا الحبيب جبران خليل جبران. لفظَ نَفْسَهُ الأخيرَ في الحادية عشرةٍ إِلَّا عَشْرَ دقائق ليلة الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١ في مستشفى سانتِ فِنْسِنْت - نِيُورُوكْ، وكانَ نُقِلَ إليه صباحَ اليوم ذاته.

في المستشفى، نحو الثانية بعد الظهر، دخل في غيبوبةٍ عميقةٍ أخيرة لم يَصْحُ منها. حول سريرهِ: شقيقته مريانا وكانت وصلت من بوسطن، وأصدقاءً مقربون. وحتى آخر يومٍ قبل نقله إلى المستشفى كان جبران ذا عزمٍ واثقٍ تميَّز طوال حياته بسيطرة فكره على جسده. فحتى الخميس كان يعمل على إنجاز رسوم وكتابات. وكان في محترفه، على الشارع العاشر غربًا، ذا ورشة عمل متواصل لا يهدأ.

سوى أنه، صباح الخميس، كانت السيدة آنَّا جوهانسِن (المسؤولة عن خدمات المبنى) حملت إلى جبران فطوره البسيط على عاداتها كلَّ صباح، فدعرت من وهنه الجسدي. هاتفت السيدة ليونوبل جاكوبس (جارة جبران سابقًا سنواتٍ طويلةً في المبنى) فهرعت هذه فورًا إلى المحترف ومعها طبيبٌ مختصٌ أمرَ بنقل المريض إلى المستشفى. لكنَّ جبران، بعزمه العنيد، وافقَ أن ينتقل إلى المستشفى إنما صباح الجمعة.

١ عن مجلة «العالم السوري» العدد الخامس، نيسان ١٩٣١، ص ١٩ إلى ٢٢.

بُعِيدَ ظهر الخميس وصلت باربره يونغ إلى المحترف وأَقْلَقَهَا وَضَعَهُ المنهار، فبقيت عنده وَحَدَّثَهَا عن اهتمامه بما يعمل عليه: مؤلفات ينوي كتابتها، ورسوم ينوي إنجازها.

في الثامنة والنصف مساءً عادت السيدة جاكوبس ومعها الطبيب، فعاد جبران يصرُّ ألا يذهب إلى المستشفى إلا صباح الجمعة.

ليلة الخميس ظلَّ حتى ما بعد منتصف الليل يحدث باربره يونغ عن بلاده الحبيبة، عن أمه، شقيقته مريانا، عن رسوم له يريد إنجازها، وقال لها: «على هاتين اليدين إنجاز أعمال مهمة قبل استراحتهما»، ثم غطَّ في نومٍ غير مستقرِّ.

صباح الجمعة، فيما وصل الممرضون لنقله إلى المستشفى، لاحظ دُعْرًا وقلقلًا على وجه باربره يونغ فبادرها: «لا تخافي. أنا بخير». بلغ المستشفى عند العاشرة

والنصف فاستُدعي له فورًا طبيب الطوارئ. وكانت مريانا تَبَلَّغَت الخبر فهرعت إلى أول قطار من بوسطن، برفقة نسيبها: روز دياب

HERALD TRIBUNE

## Kahlil Gibran, Philosopher and Poet, Dies at 47

'Genius of the Age' to the  
Arabic-Speaking World,  
Succumbs at St. Vincent's

Wide Following in U. S

Rodin, Bragdon Acclaimed  
Him as Writer and Artist

(Reprinted from yesterday's late editions)  
Kahlil Gibran, Syrian poet, philosopher and artist, died in St. Vincent's Hospital Friday night of a tumor of the abdomen. He was forty-seven years old. Mr. Gibran had a studio at 51 West Tenth Street. He was unmarried. Surviving is a sister, Miss Marianna Gibran, of Boston.

Kahlil Gibran was to some 60,000,000 persons whose tongue is Arabic the genius of the age. But he was a man whose fame and influence spread far beyond the Near East. He painted the great figures of the western world and exhibited his work at the Paris Salon and in New York. His writings have been translated into twelve languages. Two years ago his birthday was celebrated by admirers in countries from Germany to South America.

Had Wide Following in America

وفاة جبران كما ظهرت في الصحافة النيويوركية

## Kahlil Gibran, Arabian Genius, Dies in New York

Kahlil Gibran, philosopher, poet and painter, who was regarded by the Arabic-speaking world as the genius of the age, died today in New York at the age of forty-seven. He had lived in the United States since young manhood. Among the eminent persons whose portraits he painted were Rostand, Sarah Bernhardt, Charles W. Elliot, Edwin Markham and Auguste Rodin, who compared his drawing and poetry with the works of William Blake. In the last twelve years Gibran wrote mostly in English. Among his works in that tongue are "The Madman," "The Forerunner," "The Prophet" and "Sand and Foam."

وزوجها عساف جورج، فلم تصل إلى شقيقها إلا بعد دخوله في الغيبوبة الأخيرة بلا أمل أن يفتح عينيه ليراها.

بُعِيد الظهر جرى كشف طبي آخر واستُدعي إلى سريره على عجلٍ طبيبٍ اختصاصيٍّ. إنما لم يعد من أملٍ بصحوة. كان صراعه مع المرض استنفد آخر نبضٍ من قواه. انهار غائبًا كليًا عن الوعي حتى لم يعد أيُّ عملٍ طبي يمكنه بعد أن يُنقذه. في الخامسة اتصلت باربره يونغ بمكتب مجلة «العالم السوري» وأخبرت رئيس تحريرها (سلوم مكرزل) عن حالة جبران معتبرةً من واجبها أن تُعلم أصدقاء جبران بخطورة وضعه.

انتشر الخبر مفاجئًا أصدقاء جبران: فقبل أيام قليلة كان زاره سلوم مكرزل وسمع منه كلامًا متفائلًا، بصوتٍ ملؤه العزم والأمل. كان كتابه الجديد «آلهة الأرض» صدر حديثًا، وقال له إنه يعمل على كتابٍ جديد ليصدر في الخريف<sup>٢</sup>.

هذا الشعور المؤلم انتاب سلوم مكرزل من هولٍ حدثٍ يحصل لرجلٍ عظيمٍ على المستوى الوطني. اتصل بميشا نعيمه، وهرع وإياه إلى المستشفى ليفاجأ، مصدومًا، بأن جبران لم يعد واعيًا. وجد في الغرفة السيدات باربره يونغ، آدال واتسون، ليونيل جاكوبس، وزوجة وليام براون مالوني، وهنَّ كاتبات وفنانات أميركيات معروفات كنَّ رافقته في سنواته الأخيرة. كان بادياً على وجوههنَّ حزنٍ فاجع كأن لم يصدّقن أن الموت يمكن أن يخطف جبران. فهو لهنَّ، ما لكل لبناني وسوري، أخٌ فقدانه خسارةٌ بليغة.

٢ هو كتاب «التائه». كان جبران وقّع على العقد لتأليفه مع ناشره النيويوركي كنفوف في تشرين الثاني ١٩٣٠ كي يصدر في خريف ١٩٣١. أرسل مخطوطته الاثنين ١٦ آذار إلى ماري هاسكل كي تنظر فيها. وصلتها الثلاثاء ٣١ آذار. كتبت إليه السبت ٤ نيسان: «منذ الثلاثاء أقرأ مخطوطة «التائه» بكل تأنٍ». والاثنين ٦ نيسان كتبت إليه: «سعيدة جدًا بكتابك الجديد. أنهيتُ قراءة مخطوطته وسأعيدها إليك قريبًا جدًا». لكن هذا الـ «قريبًا جدًا» تأخر، فجبران لم يعش كي يرى مخطوطته مصححة إذ توفي بعد ذلك بأربعة أيام. وبعد وفاته بأشهر صدر الكتاب سنة ١٩٣٢ بعناية باربره يونغ التي ألغت جميع تصحيحات ماري هاسكل وأعادت النص إلى أصله كما كان كتبه جبران.

تَوَثَّرُ أَوْلِيكَ السَّيِّدَاتِ الْأَمِيرَكِيَّاتِ الْأَرْبَعُ كَانَ صَاعِقًا: مَعْقُولٌ أَنْ النُّورَ لَنْ يَشِعَّ  
بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ عَيْنِي جَبْرَانَ، وَصَوْتَهُ لَنْ يَعودُ يُخَاطِبُهُنَّ بِكَلِمَاتِهِ الدَّافِئَةِ الْحَنُونِ؟  
حَاولُنْ مَخَاطَبَتَهُ فِي لُغَتِهِ الْخَاصَّةِ آمَلَاتٍ أَنْ يَتَجَاوَبَ مَعِ إِنْعَاشِهِ بِذِكْرِيَّاتِ شَبَابِهِ،  
إِنَّمَا بَدَأَ وَاضِحًا أَنْ اللُّغَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي يَفْهَمُهَا جَبْرَانَ لِحَظَاتِيذٍ كَانَتْ نَدَاءَ الْمَلَائِكَةِ.  
اتَّصَلْتُ إِدَارَةَ الْمَسْتَشْفَى بِالْخُورَاسْقِفِ مَنْصُورِ وَاكِيمِ، رَاعِي أِبْرَشِيَّةِ مَارِ يَوْسُفِ  
الْمَارُونِيَّةِ فِي نِيُويُورِكِ، فَوَصَلَ لِيَجِدَ جَبْرَانَ دَخَلَ فِي غِيُوبَتِهِ الْأَخِيرَةِ.

انْتَهَى عِبُورُ جَبْرَانَ الْأَخِيرُ فِي هَدُوءٍ وَصَمْتٍ وَبِدُونِ أَلَمٍ. كَانَ إِلَى سَرِيرِهِ عِنْدَ  
ذَلِكَ النَّفْسِ الْأَخِيرِ: بَارْبِرَهُ يُونُغَ وَمِيْشَا نَعِيمِهِ، وَفِي غُرْفَةِ الْإِنْتِظَارِ الْمَجَاوِرَةِ: السَّيِّدَاتِ  
جَاكُوبَسَ وَمَالُونِي وَوَاتْسُونِ مَوَاسِيَّاتٍ شَقِيْقَتَهُ مَرِيَانَا وَنَسِيْبِيَّيْهَا، فِي انْتِظَارِ أَمَلٍ، وَلَوْ  
هَارِبٍ، يَعيدُ إِلَى الْحَيَاةِ هَذَا الشَّقِيْقَ وَالصَّدِيْقَ.

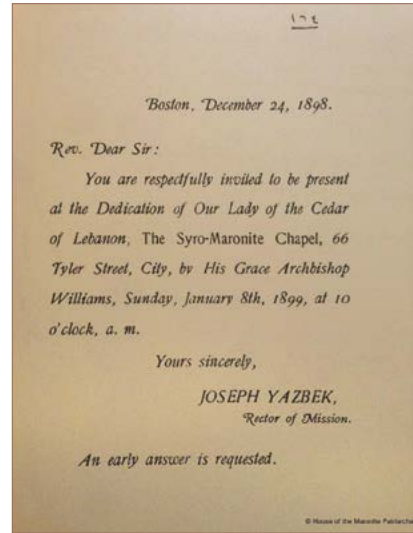
صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِيِ، السَّبْتِ ١١ نَيْسَانَ، صَدَرَتْ صَحَافَةُ الْمَدِينَةِ بِأَعْمَدَةٍ مَطْوَلَةٍ  
عَنْ حَيَاةِ جَبْرَانَ، وَأَذَاعَتْ نَبَأَ مَوْتِهِ عَلَى الْعَالَمِ وَكَالَهُ «أَسُوشِيَانْدِ پُرس».

قَبْلَ ظَهْرِ السَّبْتِ فِي الْمَحْتَرَفِ كَانَ الْمَشْهَدُ مَوْثَرًا جَدًّا: مَرِيَانَا تَنْتَحِبُ مَسْتَذْكِرَةً  
لِحَظَاتٍ مَعِ شَقِيْقِهَا مَبْلَلَةً بِدَمُوعٍ لَا تَتَوَقَّفُ، مَنْتَقِلَةً إِلَى عَيُونِ الْمُحِيطِينَ بِهَا  
يَوْمَذَلِكَ. هُنَا كَتَبَهُ، رَسُومُهُ، مَنحُوتَاتُهُ الْخَشْبِيَّةِ، أَغْرَاضُهُ الْكَثِيرَةُ فِي الزَّوَايَا، جَدْرَانِيَّاتُهُ  
ذَاتُ الرُّسُومِ الدِّيْنِيَّةِ مَعْلَقَةٌ عَلَى الْجَدْرَانِ، أَدَوَاتُ عَمَلِهِ: أَقْلَامُهُ، رِيْشَاتُهُ، كُلُّ مَا يَرْمِزُ  
إِلَى عَمَقِ إِيمَانِهِ وَمَعْتَقَدِهِ الرُّوحِيِّ، أَوْرَاقٌ كَثِيرَةٌ مَكْدَسَةٌ عَلَى طَاوَلَتِهِ أَوْ مَنْتَشِرَةٌ  
حَوْلِهَا عَلَى الْأَرْضِ وَالرُّفُوفِ، عَلْبَةُ سَجَائِرِ الْفَارِغَةِ كَتَبَ جَبْرَانَ عَلَى كَرْتُونِهَا عِبَارَةً  
بِالْعَرَبِيَّةِ: «قَدْ يَكُونُ الْوَهْنُ قَمَّةَ الطُّمُوحِ». لَدَى رُؤْيَاةِ تِلْكَ الْعَلْبَةِ قَالَتْ مَرِيَانَا: «كَانَ  
أَخِي يَمْنَعُنِي مِنْ رَمِيِ عَلْبِ السَّجَائِرِ الْفَارِغَةِ أَوْ قُصَاصَاتِ الْوَرَقِ. كَانَ يَكْتَبُ أَفْكَارًا  
وَكَلِمَاتٍ عَلَى أَيِّ مَا يَقَعُ تَحْتِ يَدِهِ».

طِيلَةُ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ بَقِيَ الْجَثْمَانُ فِي قَاعَةِ بَيْتِ الْمَوْتَى (عَلَى جَادَةِ لِكْسِنُغْتُونِ)  
مَحَاطًا بِأَكَالِيلِ الْأُورِكِيدِ وَالزَّنْبِقِ، يَتَوَافَدُ حَوْلَهُ بِدُونِ انْقِطَاعٍ لِإِلْقَاءِ النَّظَرَةِ الْأَخِيرَةِ  
مِنَّا تُ الْخَاشِعِينَ الْوَاجِمِينَ، مِنْهُمْ أَصْدِقَاءُ مَقْرَبُونَ، وَأَكْثَرُهُمْ مَعْجَبُونَ لَمْ يَسْبِقُ أَنْ

رأوا شخصياً ذاك المبدع الموهوب من الشرق، إنما جاؤوا ليودِّعوه تقديراً لكتبه وكتاباتهِ. من جميع الجنسيات جاؤوا، بصمتٍ واحترام، لأن شهرة جبران لم تقتصر على جمهور لغةٍ واحدةٍ أو عِرْقٍ واحد، فبيّن كُتبه ما تُرجم إلى نحو عشرين لغة. كانوا من نخبة الأوساط الأدبية والفنية الأميركية وغير الأميركية، بينهم السيدة كورين روزفلت روبنسن التي نهضت من سرير مرضها كي تزور جثمان صديقها، ليونورا سَباير، روز أونيل، مارغريت سائغر، أليس رافايل، ناتالي سدغويك كولبي، وحملت روز أونيل رسائل أسف وتعزية من ويتير باينر، دانيال لونغ، أوريك جونز، وهم شعراء وأصدقاء من حلقة جبران في سنواته السعيدة.

صباح الإثنين تمَّ نقل الجثمان إلى بوسطن لدفنه في المقبرة التي تضم رفات أمه. ورافق شقيقته المفجوعة أصدقاء أميركيون وأعضاء من «الرابطة القلمية»، الحلقة الأدبية التي أسسها جبران وكان عميدها<sup>٣</sup>.



وثيقة تكريس كنيسة سيدة أرز لبنان  
«السريانية المارونية»  
في شارع تايلر حيث كان جبران ساكناً  
وهي الكنيسة التي تم فيها جناز جبران.  
الوثيقة دعوة بتاريخ ٢٤ كانون الأول ١٨٩٨  
لحضور تكريس الكنيسة في ٨ كانون الثاني ١٨٩٩.

٣ صدر هذا النص في «العالم السوري» بدون توقيع. لكنني، من الحنان الجَمِّ في أسلوبه ودقّة المعلومات فيه، أوكدُ أنه من كتابة باربره يونغ لأن مقاطع كاملة منه عادت فصدرت حرفياً في كتابها «هذا الرجل من لبنان» سنة ١٩٤٥.

## ساعاته الأخيرة كما عاينتها باربره يونغ

الخميس ٢٣ نيسان ١٩٣١ (أي بعد ١٣ يومًا على وفاة جبران) كتبت باربره يونغ رسالة إلى السيدة مارغريت لي كروفنس<sup>١</sup> تصف فيها الساعات الأخيرة من حياة جبران بين خروجه الأخير من المحترف ووفاته في المستشفى. وهي الشهادة الوحيدة الموثقة لتلك الساعات الصعبة لأن باربره آخر من كان معه بعدما عاشت لديه سبع سنوات، ولفظ نفسه الأخير مغمضًا عينيه أمام عينيها.

مما جاء في الرسالة:

«... أمضى جبران الأسابيع الأخيرة ملازمًا فراشه معظم الأيام، لا يرتدي ثيابه إلا نادرًا جدًا للخروج عند الضرورة. أمضيت معه عشيّة الفصح (السبت ٤ نيسان ١٩٣١) وبدأ على بعض تحسن: كان صوته جامدًا، نهض من فراشه ومشى بضع خطوات. كان ناحلاً هزيلًا، ونظرته غائرة في ذلك وجهه العذب.

كنت اعتدت أن أهاتفه يوميًا.

١ كانت تستضيفه وزوجها فردريك إلى منتجعهما الصيفي في ستامفورد (كونيتيكت). وضع لها جبران أكثر من رسم «لوجهها الوهاج» (كما كان هو يسميه). وهي اشترت عددًا من لوحاته ورسومه. كان زوجها فردريك اشترى من الناشر ألفرد كنوف قسم النشر المدرسي. وفي ذلك المنتجع الصيفي الهانئ «كنت أسترجع ملامح من مغاني طفولتي»، كما قال لماري هاسكل فدونتته في دفتر يومياتها (الجمعة ٢٣ أيار ١٩٢٤).

صباح اثنين الفصح (٦ نيسان) اتصلتُ به. كان صوته عاديًا. قال لي إنه سيستقبل مساءً بعض الأصدقاء السوريين.

الثلاثاء كان صوته ضئيلاً. قال لي إن لديه رسائل يودُ أن يُملئها عليّ، وبعدها سينام باكراً. قلت له إنني في الغد (الأربعاء) سأكون خارج المدينة إذا كان يشعر أنه مرتاح. ضحك وأجابني: «سأكون مرتاحاً».



مستشفى سانت فنسنت

من هذا الباب خرج نعش جبران إلى «بيت الموتى» في مانهاتن - نيويورك صباح السبت ١١ نيسان ١٩٣١.

الخميس اتصلتُ به فأرعبني صوته. هرعتُ لديه مذعورةً فوجدتُ أن زوجة ناطور البناية<sup>٢</sup> اتصلتُ صباحًا بالسيدة ليونيل جاكوبس<sup>٣</sup> فاستدعت هذه على عجلٍ طبيياً فحَصَهُ ونَصَحَ بضرورة نقله صباح الجمعة إلى مستشفى سانت فنسنت. أمضيتُ ليلة الخميس إلى سريره أقوم بما يمكنني فعله لهذا الغالي الحبيب. كان يحدثني قليلاً ويغفو قليلاً، ويبدو مرحاً ما استطاع.

صباح الجمعة، قبل دقائق من وصول سيارة الإسعاف، تبدل فجأةً بشكل مخيف. وفيما كنتُ أساعده على النزول إلى درج الطبقات الثلاث، لاحظ دُعري الشديد فقال لي: «إبقي معي. لا تتركيني. ولا تخافي، سأكون بخير».

كانت تلك آخر كلماتٍ تَلَفَّظَ بها واعياً قبل أن يدخل في الصمت الكبير بضع ساعاتٍ ليلفَظَ نَفْسَهُ الأخير تلك الليلة عند الحادية عشرةً إلا عشر دقائق. أرسلتُ برقيةً عاجلةً إلى شقيقته مريانا في بوسطن، فلم تتمكن من الوصول إلا عند الثامنة مساءً وكان جبران دخل في غيبوبته الأخيرة».

٢ السيدة آنا دُجوهانسُن، وكانت تحمل إليه يوماً فطوره الصباحي.

٣ كانت وزوجها من سكان المبنى ذاته مدة طويلة. وهي كاتبة ونحاة وأستاذة فنون ورسامة معروفة برسم الوجوه. وضعت رسماً لوجه جبران وعرضته في أحد معارضها. ثم نشرت هذا الرسم لاحقاً في كتابها «ثلاثون رسماً لكتّاب وشُعراء» (١٩٣٧).

## مأتمه في بوسطن

بقلم باربره يونغ

في جَوْ من الحب المَنسوجِ حُزناً أبعدَ مما يُمكن وصفُه بالكلمات، كان استقبالُ جثمان جبران في بوسطن عند المحطة الجنوبية في قطار الساعة الخامسة بعد ظهر الاثنين ١٣ نيسان ١٩٣١. كانت أَرْصَفُ المحطة وقاعاتُ الانتظار مُمتلئةً بمئاتِ باكينَ جاؤوا يستقبلون جثمانَ شاعرهم الحبيب، على كلِّ نَعْرٍ منهم تَمْتَمَةٌ واحدة: «حبيبي».



بوسطن - شبان لبنانيون يحملون نعش جبران خارجين من محطة القطار الجنوبية لدى وصوله من نيويورك



صديق جبران كاهن رعية «سيدة الأرز» في بوسطن الخورأسقف أسطفان الدويهي بإسكيمه الكهنوتي، كان منتظرًا وُصولَ مريانا جبران وأنسابها وأميركيين وسوريين رافقوا الجثمان من نيويورك. عند إخراج النعش تقدّم جمعٌ من أعيان بوسطن، يتقدمهم الياس ف. شمعون، صديق جبران ومستشاره القانوني، لّفوا النعش بالعلم اللبناني الجميل وحملوه على أكتافهم إلى شارع نيوتن غربًا حيثُ مركز «جمعية سيّدات المساعدة اللبنانيات-السوريات». وفي قاعتها الكبرى تقاطرت حول الجثمان البارد مئاتُ قلوبٍ حارّةٍ ووجوهٍ كئيبةٍ جاءت تتأمّل وجهه الهادئ، وتعبّر عن حزنها الجارح بدموعٍ حارقةٍ وكلماتٍ حنونةٍ ودافئةٍ.

وأبلّغ من أيّ تعبيرٍ يتّسع له كلامٌ كانت صفوفُ طويلةً طويلةً لمُعزّين من كلّ عمرٍ ومكانٍ ينتظرون دورهم في مَمَرِ الغرفة الطويل، الخفيفِ الضوء، المُسوّرة بأكاليل الزهور، الصامتةِ وسَطِ شموعٍ يرتعش لهاؤها عند مقدّمة النعش وأَسفله، فيما حول النعش على الصّفين شبّانٌ من نادي بُشريّ، مسمّرون في وقفتهم ساعاتٍ طويلةً بقيةَ النهار فالمساء وطوال الليل يحرسون موطنهم الغافي.

١ قاض لبنانيٌّ أميركيٌّ من أعيان بوسطن. حضوره المأتم شكّل لاحقًا موضوعَ جدلٍ سنة ١٩٥٣ مع الشاعر يوسف الخال (كان عامنيد في نيويورك يعمل مترجمًا لدى الأمم المتحدة) إذ نشرّت له مجلته «هيرالد» (واشنطن) في عدد نيسان ١٩٥٣ (ص ٥) مقالًا منقولًا عن «نشرة الشرق الأدنى» يؤكّد فيه الخال أنّ الكنيسة المارونية عاقبت جبران بالحرم الكنسي على مقالاته العربية ضد الإكليروس. فأجابه القاضي شمعون من بوسطن في العدد التالي من المجلة ذاتها (أيار ١٩٥٣ ص ٧) ناقضًا ادّعاء الخال ومؤكّدًا، لقرب علاقته بجبران صديقًا ومستشارًا قانونيًا له طيلة سنوات، أنّ جبران لم يكن مُلحدًا ولم تحرّمه الكنيسة، وفي مرضه الأخير هو الذي طلب نقله إلى «مستشفى الرحمة» (مستشفى سانت فنسنت في نيويورك) الذي تُديره «راهبات المحبة». ف«هو إذًا لم يكن فريسيًا بل مؤمنًا بربه في صمت، بعيدًا عن الطقوس الإكليريكية». وإذ ردّ الخال مؤكّدًا الحرم عاد شمعون فردًا على الخال بعنف (ص ٧ في عدد تموز ١٩٥٣) واصفًا المأتم بكامل طقوسه الدينية في كنيسة «سيدة الأرز» برئاسة الخورأسقف أسطفان الدويهي الذي قال لشمعون إنّ جبران لم يكن ولا مرّةً واحدةً في حياته محرومًا في الكنيسة المارونية، وإن رؤساءها أوعزوا إلى من يلزم بتأمين مراسم الجنّاز كاملةً في كنيسة مار جرجس-بيروت، وبمرافقة الجثمان إلى بُشريّ حتى وُضعه في دير مار سركيس للآباء الكرمليين. وجاء وصفُ شمعون مراسمَ مأتم جبران في بوسطن مطابقًا تمامًا وصفَ باربره يونغ إياه كما ورد في هذا المقال.

في اليوم التالي، الثلاثاء، شَقَّ الموكبُ المَهيبُ شوارعَ المدينة بلُوعًا شارعَ تايلر حيث كنيسة «سيدة الأرز»، وسَطَ صفوف كثيفةٍ من الواجمن الذين بينهم مَن كانوا، عند مرور النعش أمامهم، يَحْرُونَ راعين على الرصيف يُصَلُّون، فيما رجالُ شرطةِ السير البوسطنيون يقفون ويُوَدُّون التحية لمرور النعش المغمور بالعلم.

ضاقت الكنيسة الصغيرة بمئات الأصدقاء، ولم يجد معظمهم مقاعد داخلها فوقفوا خارجًا إلى جدرانها صامتين يُصغون إلى مراسم المأتم الذي ترأسه الخورأسقف الدويهي وسط تراتيلٍ شَجِنَةٍ مؤثِّرةٍ من الجناز الماروني، وصوتٍ شجِيٍّ جميلٍ صدَحَ مرافقًا الأرغن الصغير، كان صوت الصبية نجبية مراد التي كان جبران مرارًا يحب أن يُصغي إلى غنائها مؤمنًا بموهبتها واثقًا من مستقبلها الفني.



بوسطن - نعش جبران في محطة القطار الجنوبية قبل نقله إلى كنيسة سيدة الأرز لمراسم الجناز. من اليسار في الصف الأمامي: مريانا (شقيقة جبران)، زكية جبران دياب، مرون جورج (زوجة عساف جورج)، روز جبران، أماليا جبران پارنت (شقيقة عساف جورج). من اليسار في الصف الخلفي: باربره يونغ، عساف جورج، مايكل قبلان، نقولا جبران، الخورأسقف أسطفان الدويهي.



جناز جبران في صحافة  
بوسطن المحلية  
(١٥ نيسان ١٩٣١).

إلى جانب الشموع في الكنيسة خادم كاهن المذبح: فتى  
كان جبران يحضنه<sup>٢</sup>، خائنه مراراً عيناه السوداوان فلم يستطع  
أن يُخفي عن وجنتيه دموعاً لم تنقطع.

الجمعيات التي شاركت في المآتم كانت: «جمعية سيدات  
المساعدة اللبنانيات-السوريات»، «جمعية التعليم السورية»،  
«جمعية مار جرجس الأنطاكية»، «جمعية الكنيسة الدمشقية»،  
«جمعية ماساشوستس السورية للمواطنين الأميركيين»، «نادي  
جبل لبنان» فرع بوسطن، و«رابطة التقدم اللبنانية» في نيويورك.  
عند الضريح حيث مُدّد صاحبُ اللباس الزائل في انتظار  
انتقاله المُتوقَّع إلى وطن الأرز<sup>٣</sup>، كان حشدٌ كثيفٌ من الأصدقاء  
يُصغون في سكوتٍ بليغٍ إلى عباراتٍ من الحب والحزن والوداع  
الأخير في صوت الخورأسقف الدويهي وأصوات مواطنين  
لجبران رافقوا جثمانه من نيويورك وجاؤوا إلى بوسطن يُلقون

٢ هذا الفتى، أظنُّ ولا أجزم، قد يكون خليل نقولا جبران (والدهُ نقولا ابن عم جبران) وهو  
الذي وضع لاحقاً (١٩٧٤) مع زوجته جين كتابَ «خليل جبران - حياته وعالمه»، أكملَ  
سيرةً حثَّيذ عن جبران، مستنداً إلى وثائق ومخطوطاتٍ ورسائلٍ أعطتهُ إياها مريانا بعد  
وفاة شقيقها. وجبران كانَ عرابَ هذا الصبيِّ في المعمودية، وهو أعطاه اسم خليل عند  
ولادته في بوسطن سنة ١٩٢٢. إذًا كان في التاسعة عند وفاة جبران، وقد يكون هو الفتى  
الذي دكَّرتُه باربره يونغ في هذا المقال «فتى كان يحضنه جبران». كان الفتى يبكي طوال  
مراسم الجناز لفقده «عمي خليل» الذي كان يحبه كثيراً، فيذهب إلى «عمتي مريانا»  
كلِّما يَجِيءُ جبران من نيويورك إلى بوسطن بضعة أيامٍ يقضيها مع شقيقته مريانا فيتقاطر  
أفرادُ العائلة لزيارته، ومنهم ابنُ عمِّه نقولا وزوجته رُوز والصغير خليل (كما كتبَ هذا  
الأخير لاحقاً في الصفحة ١١ من مقدمة كتابه المذكور في هذه الحاشية).

٣ يومئذٍ لم تكن مريانا قررت بعدُ أن تنقلَ الجثمان إلى لبنان تنفيذاً لوصية شقيقها التي لم  
تكنَ نهارئذٍ فُتحتَ ليعرَفَ ما فيها. وهذا يدلُّ على مساررةٍ أكيدةٍ بين باربره يونغ وجبران  
في «صومعته» حين كان يسرُّ إليها تكراراً بشوقه إلى لبنان ورغبتَه في العودة إليه. لذا  
استخدمت هنا عبارة «في انتظار انتقاله المُتوقَّع إلى وطن الأرز». وهو ما حصلَ لاحقاً:  
صباحَ الخميس ٢٣ تموز، بعد ثلاثة أشهرٍ من نهار المآتم.

آخرَ نظرةٍ على حضوره الجَسَداني... عبارات لم أسمع في حياتي أرفعَ منها حنانًا ولا أعمقَ حزنًا.

في مخطوطة جبران «حديقة النبي» غير المنتهية، عبارة: «كثيرًا أحببتُ العالم، وهو كثيرًا أَحَبَّنِي»<sup>٤</sup>. ذلك أنه بقلبه الكبير كان يَحْدُسُ أنه بُودِلَ بحُبِّ عميقٍ خالدٍ لأجله بَدَلَ ذاته للعالم بلا حساب. هذا الحب العميق هو الذي سيكون، بعد غيابه، تكريمه ومكافأته.

ولعلَّ هذه الكلمات من كتابه «آلهة الأرض»، تكون أفضل ما يُنقَش على ضريحه:

إله قلبي الذي بين ضلوعي البشرية، ينادي إله قلبي الذي في الأثير  
الهاوية البشرية التي كانت تُضعفني، تنادي الآن الألوهة  
الجمال الذي نشدناه منذ مطالعنا، ينادي الآن الألوهة.  
أنصتْ وفهمتُ النداء، وها أنا أذعن.  
الجمال طريقٌ يودي إلى الذات المطعونة بيدها  
فاعزفْ على أوتارِك، أنو أن أمشي هذا الطريق  
الطريق الممتد طويلًا طويلًا إلى فجرٍ آخر<sup>٥</sup>.

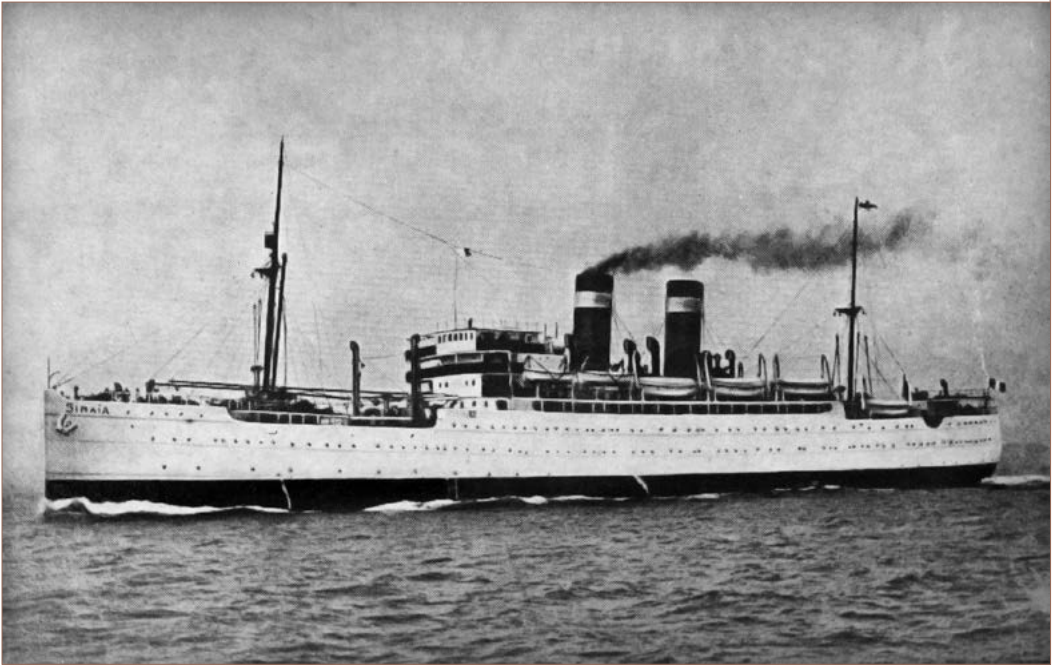
♦ عن مجلة «العالم السوري»  
العدد الخامس - نيسان ١٩٣١ - ص ٢٣، ٢٤، ٢٥

٤ تعرف باربره جيدًا هذه المخطوطة لأنها كانت تدوّن ما يمليه عليها جبران من فقرات ومقاطع، وكانت شبهً منتهية. لذلك لا أحد سواها يعرف ما فيها. وهي عادت فنسقتها وأصدرتها كتابًا سنة ١٩٣٣ لدى منشورات كنوف واتهمها كثيرون (!؟) بأنها أضافت إليها نصوصًا من تأليفها في نسق الأسلوب الجبراني.

٥ بـ «الفجر الآخر» نقّشًا على ضريحه، تُؤكّد باربره يونغ على إيمانها، مثل جبران، بالتقمص وانتقال الإنسان من هذه الحياة إلى حياةٍ أخرى.

## شاعرٌ يعودُ إلى وطنه

مراسم مؤثرة تودّع جثمان جبران في ارتحاله من أميركا وتستقبله على أرضه الأم



الباخرة سينايا التي أقلت جثمان جبران من مرفأ بروفيدينس إلى مرفأ بيروت

١ عن مجلة «العالم السوري» - السنة السادسة، العدد الأول، أيلول ١٩٣١ ص ٩ إلى ١٢. وهذا النص، في وصف هذا الاحتفال الوداعي، عادت باربره يونغ فأوردته في كتابها «هذا الرجل من لبنان» (الفصل السابع عشر: «جاهزٌ أنا للرحيل»). وفي الكتاب (الصادر عام ١٩٤٥) تعديلات في بعض التفاصيل عن هذا النص هنا في المجلة، ربما لابتعاد الكتاب أربع عشرة سنة عن صدور هذا المقال وفيه مشاركتها شخصياً في هذا الاحتفال الوداعي.

# وداع جثمان جبران على مرفأٍ بروقيدنس... بقلم باربره يونغ



## A Poet Returns Home

*Touching Ceremonies Attending the Departure of Gibran's body  
From America and Its Reception in the Land of His Birth*

### *Farewell Ceremonies to Gibran's Body in America*

By BARBARA YOUNG

"Come for leave-taking, O sons of my mother,  
Bring now the children with their finger tips  
of lily and of rose.  
Let the aged come to bless my forehead with  
their withered hands.  
And call the daughters of the meadow and  
the field.  
That they may behold the shadows of the  
unknown pass beneath my brows,  
And hear in my last breath the echo of  
infinity.  
Lo, I have reached the summit;  
I have outstripped the cries of men,  
And I hear naught save the vast hymn of  
this eternity."

Gibran

المقطع كما ظهر في مجلة «العالم السوري»  
جبران<sup>٢</sup> (صفحة ٩ - عدد أيلول ١٩٣١).

تعالوا وِدْعُونِي يَا بَنِي أُمِّي!  
قَرَّبُوا إِلَيَّ الْأَطْفَالَ بِأَصَابِعِهِمُ الزَّنْبِقِيَّةِ الْوَرْدِيَّةِ  
وَلِيَّاتِ الشُّيُوخِ فَيُبَارِكُوا جَبِينِي بِأَيْدِيهِمُ الذَّابِلَةَ  
دَعُوا بَنَاتِ الْمَرْجِ وَالْحَقُولِ  
يَقْتَرِبْنَ وَيَرِنْنَ ظِلَّ الْغَامِضِ يَمْرُ تَحْتِ حَاجِبِي  
وَيَسْمَعْنَ صَدَى الْأَبْدِيَّةِ يَتَرَدَّدُ فِي نَفْسِي الْأَخِيرِ  
هَا إِنِّي بَلَّغْتُ الْقِمَّةَ مُتَقَدِّمًا عَلَى صَرَخَاتِ النَّاسِ  
لَا سَامِعًا سِوَى أَنْشُودَةِ الْخُلُودِ الْمَهِيَّةِ!

٢ هذا المقطع أُوردته باربره يونغ في كتابها «هذا الرجل من لبنان» (الفصل السابع عشر: «جاهزٌ أنا للرحيل») ذاكراً أنه «من قصيدة لجبران غير منشورة» مع أنه صادرٌ سابقاً بالعربية في مقطوعة «جمال الموت» من كتاب «دمعة وابتسامة» (نيويورك ١٩١٤، وهو بواكير مقالاتٍ أسبوعية نشرها له أمين الغريب على الصفحة الأولى من جريدته «المهاجر» في زاوية «دمعة وابتسامة»). فهل وجدته بالإنكليزية بين أوراق جبران وكان هو نقله عن أصله العربي؟ أم هي طلبت ترجمته إلى الإنكليزية؟ المترجم هنا ليس مذكوراً. ولأنها تجهل العربية، والنص منشورٌ في هذا العدد من «العالم السوري»، أرجح أن يكون أحدٌ من المجلة (أَيكون ناشراً سلوم مكرزل؟) هو من ترجم لها المقطع إلى الإنكليزية، إنما لا بحرفيته كما ورد في الأصل العربي. وكان جبران في «دمعة وابتسامة» أهدى هذه المقطوعة إلى ماري هاسكل في أول النص كما يلي: «مرفوعة إلى MEH». وأرجح أن من ترجم لها المقطع لم يلفتها إلى الإهداء وإلا قد تكون أجمت عن اقتطافه لمقالها هنا، بسبب ما وقع بين المرأتين من برودة بعد يومين على ماتم جبران، عند اكتشاف باربره رسائل جبران إلى ماري في إحدى زوايا المحترف، ومبادرة ماري إلى توضيها وحملها معها عائدةً إلى بيتها في سافانا (جورجيا).

صباح الخميس ٢٣ تموز انطلقت عودة جبران خليل جبران الصامتة إلى أرضه الأم. ففي فجرٍ موشى بالضباب الذي كان يحبه جبران، نُقِلَ جثمانه من المقبرة الموقّنة في بوسطن إلى رصيف المرفأ في بروفيدينس<sup>٣</sup>، كي يُبحر منه للمرة النهائية في آخر رحلاته الأرضية.

تحت رذاذٍ رماديٍّ لطيفٍ سار باكراً موكبٌ طويلٌ من السيارات في وداع الشاعر الرسام وشقيقته مريانا ونسييها عساف جورج وعقيلته اللذين سيكملان معها السفر إلى بيروت فبشري. ومن عرف جبران يذكُر شغفه بالمطر والثلج وبـ«كل ما ينهمل من الجو» وترداده آلاف المرات، عند ارتطام الرياح والعواصف بنافذته العالية: «كم أشكر الربّ على هذا وعلى ما يحرّره من ذاتي». وإذا بهذا المطر ينهمر عليه اليوم بعدما تحرّر كل ما كان في ذاته.

في بروفيدينس لاقى الموكب كاهنها الأب فيليب ج. نجم بسلسلة سيارات جاءت من المدينة كي تواكب العائلة والأصدقاء إلى المرفأ، في طليعتها سيارة شرطة كانت تفتح الطريق لموكب الجثمان موقفة حركة السير لتفادي أي عرقلة في مسيرة الموكب.

في سيارة الأنسة جبران وعساف جورج وعقيلته، كان أيضاً الخورأسقف أسطفان الدويهي وكاتبه هذه السطور<sup>٤</sup> والسيدة زكية جبران دياب. وفي السيارات المواكبة كان نقولا جبران وعقيلته، والده عساف جورج المُسنّة، وشقيقته أميليا جبران پارنت وزوجها، وأصدقاء كثيرون لجبران من سنوات طويلة.

على رصيف المرفأ مئات أصدقاء معلومين وغير معروفين اجتمعوا لحضور جناز الوداع. أُخرج النعش ووضِع على منصةٍ مغطى بالعلمين الأميركي والبناني.

<sup>٣</sup> عاصمة ولاية رود آيلند. من أقدم المدن الأميركية. أسسها القس الإنجليزي روجر وليامز سنة ١٦٣٦ وسماها على اسم «العناية الإلهية» (Providence). وفي هذه المدينة وُلد الشاعر الياس أبو شبكة سنة ١٩٠٣ إبّان زيارة كان والدها يقومان بها هناك لدى خال أمه الياس فرزان، وعادا منها إلى البلدة الأمّ زوق مكاييل.

<sup>٤</sup> أي باربره يونغ، لكنها لم تذكر اسمها مع سائر الأسماء لأنها وقّعت باسمها الصريح هذا المقال في المجلة.

وكان بين الحضور أيضًا نعوم مكرزل رئيس تحرير جريدة «الهدى»، جاء من نيويورك مع أصدقاء أوفياء لجبران بينهم الأب منصور أسطفان خادم رعية بروكلين، سلوم مكرزل رئيس تحرير مجلة «العالم السوري»، وابراهيم حتي وكيل شركة «فابر لاين» للخطوط البحرية، وجورج روفال رئيس تحرير مجلة «الأخلاق».

افتتح احتفال الوداع نعوم مكرزل ملقيًا خطابًا تكريميًا عن «عبقريّة هذا المواطن وقوّته، وملاقاة الموت باكراً». تلاه خطاب الخورأسقف الدويهي الذي باسمه ونيابةً عن السوريين في بوسطن وبخاصّة رعية كنيسة «سيدة الأرز»، عبّر عن «التقدير الكبير لتذكّار هذا الرجل البسيط والعظيم» عاش بينهم طويلاً مثال الأخ والصديق، ونقل إلى مريانا جبران حبّهم وإخلاصهم واستعدادهم لخدمتها في وحدتها وحاجاتها الإنسانية.

بعد ذلك ألقى الخورأسقف الدويهي والأب أسطفان خطبتين بالعربية في لهجة حماسة وأسى جعلت الذين لا يعرفون العربية يأسفون أنهم لم يتابعوا ما جاء فيهما، إلاّ سماعهم ترداد اسم «جبران» و«لبنان» و«بشريّ»، كلمات راحت تتردّد رنينًا عميقًا في القلوب المصغية.

### Syrian Poet's Body

#### Starts For Homeland

PROVIDENCE, R. I., July 24 (AP)—

The body of Kahlil Gibran, Syrian poet, artist and philosopher, who died in New York last April, will be taken back to Syria aboard the Fabre liner Sinai.

It was accompanied on its journey by Miss Marianna Gibran of Boston, the poet's sister, and Mr and Mrs Asaf George, also of Boston.

Gibran will be buried in his native town of Bechara in Lebanon, where a national shrine, containing his manuscripts and paintings will be erected.

Before the casket was placed aboard the ship, services were held at the pier in the presence of more than 200 Lebanese from New York, Boston, Providence and Fall River.

جريدة «فيتشبرغ» (ص ١١ في عددها صباح الجمعة ٢٤ تموز) نقلت عن وكالة «أسوشياتد پرس» (AP) خبر احتفال الخميس بوداع جثمان جبران على مرفأ بروفايننس (وهي الجريدة المحلية في فيتشبرغ: مدينة رئيسة في ولاية ماساشوسيتس)



الأب نجم خادم رعية بروفيدنُس خطب بالإنكليزية وشكّلت كلماته «قناعة عميقة بمكانة راقية سوف ترتقيها أعمال جبران بين الشعراء والرسامين في العالم»، مع تأكّيده على «القوة والجمال الدائمين لتأثير جبران على فكر البشر وحياتهم».

وبعدما قرأت السيدة ماري قهوجي قصيدة رثاء بالعربيّة، ألقت كاتبه هذه السطور كلماتٍ لجبران مقطوفةً من الصفحات الأولى لكتاب «النبى»: «كان المصطفى، المختارُ الحبيبُ الذي هو ذاته فجرٌ يومه، ينتظر منذ اثني عشر عامًا في مدينة أورفليس وصولَ سفينته كي تُعيده إلى جزيرة مولده... وإذا به يلمحها في البعيد آتيةً تحترق الضباب... هتف في قلبه: «كيف أمضي هانئًا بدون حزنٍ؟ لا. لن أُغادر هذه المدينة دون جرح في الروح... إنما لا يمكنني البقاء أطول: البحر الذي ينادي إليه الجميع، ناداني وعليّ أن أبحر». وحين بلغ أسفل التلة، وجد سفينته اقتربت من المرفأ، على مقدّمها بحارة من أرضه الأم، فهتف لهم: «أبناءً أُمي الدهرية، يا قاهري الأمواج، كم أبحرتم غالبًا في أحلامي وها جئتم في يقظتي التي هي حلمي الأعرق. جاهزٌ أنا للرحيل، وتوقّي للإبحار ينتظر هبوب الريح على الأشرعة. ألا نفتحها واحدة بعدُ في هذا الجو الهائئ، ونظرهً واحدة بعدُ إلى ما ورائي، وترونني بينكم بحرًا بين ملاحين. وأنت، أيها البحر اللامتناهي، أيها الأم التي لا تنام، يا مَنْ وحدك سلامٌ وحريةٌ للنهر والجدول معًا، همسةً واحدة بعدُ في هذا المدى، دفقةً واحدة بعدُ من هذا الجدول، وآتي إليك نقطةً لامحدودةً في هذا المحيط اللامحدود».

بعد قراءتي هذا النصّ من جبران، تكلم سلوم مكرزل بشعورٍ عميقٍ وتقدير كبير عن إنجازات جبران وعن الشعور بالفخر والسعادة التي يشعر بها اللبنانيون أنّ هذا الرجل كان منهم، وأن يرتبط اسمه وثيقًا بالشعب السوري، وأن يكون جبل لبنان الصغير أعطى هذا العصر أحد أعظم مفكريه وسيشهد له الجميع في أنحاء العالم. وشبهه مكرزل جبران بالمصطفى، النبي، المختار الحبيب الذي جمعت فيه معرفهً «جميع تلك العناصر التي بين الولادة والموت».

بعد كلمة وجيزة من الياس شمعون (محايم من بوسطن) ألقى الخورأسقف الدويهي صلاة الوداع الأخير، وأُنزل النعش فأُدخل إلى السفينة<sup>٥</sup> فيما آلات النفخ تعزف مقطوعات «نشيد الموت» من «تائهاوزر»<sup>٦</sup>، و«موت آسا» من «بير جنت»<sup>٧</sup>، وأنشودة «بتُّ أقرب إليك يا ربي»<sup>٨</sup>.

وبإقلاع السفينة من المرفأ عند الثانية بعد الظهر انغلق آخر فصل أرضي من حياة غنية في أرض غربية من حجارة وفولاذ، مُخلِّفةً سكوًا في المدى، وفراعًا في القلوب والأماكن التي عرفته ولن تراه بعد اليوم، لكنها خلَّفت تذكاراتًا حيًا باقياً ينبض في كلماته: «تذكروا دومًا أن سَاعودُ إليكم... قليلًا بعدُ، ويجمع تَوْقي حفنةً زبدٍ وغبارٍ لتكوين جسدٍ آخر».

٥ هي السفينة «سينايا» (من شركة «فابر لاين» الأميركية للنقل البحري)، وكان وكيلها صديق جبران طويلًا: ابراهيم حنّي، مكتبته في الطبقة الأولى من بناية فاعور (منتصف شارع واشنطن)، وكان مكتبته ملتقى معظم اللبنانيين. في هذا المكتب التقى جبران للمرة الأولى المونسنيور منصور أسطفان الذي كان هو من أطلق عنوان «البدائع والطرائف» على المجموعة التي أشرف في القاهرة على إصدارها لجبران بتكليف من الناشر يوسف توما البستاني سنة ١٩٢٣، أي سنة صدور «النبي» في نيويورك (من حديثي مع المونسنيور أسطفان نشرته في كتابي «جبران خليل جبران - شواهدُ الناس والأمكنة»، ص ٣٧-٤١، منشورات درغام، بيروت ٢٠١٢).

٦ أُوبرا وضعها سنة ١٨٤٥ المؤلف الموسيقي الألماني ريتشارد فاغنر (١٨١٣-١٨٨٣)، وهذا النشيد يستعيد رحلة الحجاج إلى روما تأبين يطلبون المغفرة عن خطاياهم.

٧ مشهد وداعي حزين من هذه المسرحية التي وضعها الكاتب النرويجي هنريخ إبسن (١٨٢٨-١٩٠٦).

٨ وضعتها الشاعرة الإنكليزية سارة آدامز (١٨٠٥-١٨٤٨) من رواية في العهد القديم عن النبي يعقوب الذي رأى في الحلم سُلّمًا إلى السماء فأراد أن يرتقيه كي يكون أقرب إلى رؤبة وجه الرب.

## ... واستقبال جثمانه في لبنان: مشهد مؤثر



أخيراً سلّم البحرُ أمانته الثمينة إلى أرضها الأم، وعاد جثمان جبران ثانيةً إلى حياةٍ جديدةٍ تَبْصُ بها قلوب مواطنيه في الأرض التي شَهِدَتْ ولادته الأولى، فإذا لـ «شاعرِ الأرز» أن يستريحَ إلى الأبد بين تلالٍ مقدّسة تفتّحت عيناه فيها على النور والجمال، وإذا بعودته النهائية إلى الوطن محفوفةً بحُزنٍ لا يُبديه إلاّ شعبٌ عاطفيٌّ كاللبنانيين الباقين على تقاليدهم بيثُ عاطفتهم مُطلّقةً التعبير في الأفراح والأتراح. فاستقبال جثمان جبران لم يقتصر على اندفاعٍ عاطفيةٍ لأبناء بلده فحسب بل توسّع إلى احتفالات لم تشهدها من قبلُ جبال لبنان طوال تاريخها.

بادرت الحكومة وصفوف الشعب إلى إكرام هذا الابن الحبيب الذي أكرمَ وطنه عاليًا في حياته. تناوَب رجالُ الدين والعلمانيون معًا على إيفائه التقدير والاحترام. وتخلّت عن فروقاتها وخلافاتها جماعاتٌ وجمعياتٌ خيريةٌ من مذاهبٍ مختلفةٍ في رغبةٍ جماعيةٍ عفويةٍ وتحريكٍ وطنيٍّ واسعٍ تكريمًا لهذا العبقريّ العظيم الذي أطلّعه أرضهم الأم.

صباح الجمعة ٢١ آب وصلت إلى مرفأ بيروت السفينة التي تحمل جثمان جبران<sup>٩</sup>، فكان في استقبالها وفدٌ رسميٌ أدّى مراسمَ تحية الشرف عند إنزال النعش من السفينة معطًى بعلم لبنان لنقله إلى عربةٍ مدفَعٍ رسمية. وعند ملامسة النعش أرض الميناء وفَتَحِه للتدقيق التقليدي، تقدّم وزيرُ المعارف جبران تويني وعلّق على صدر الشاعر وسامَ الفنون الجميلة، منحتُه إيّاه الحكومة بمرسوم خاص بعد وفاته. ثم تهيأ جبران ليدخل عاصمة بلاده.

عن وصفٍ صحفٍ بيروت موكبَ الجنازة من المرفأ حتى الكاتدرائية المارونية<sup>١٠</sup> أنّ المدينة كلّها تلاقّت هناك لاستقبال جبران العائد إلى وطنه. ومن متابعةٍ صور

<sup>٩</sup> الرحلة البحرية من مرفأ بروفيدينس إلى مرفأ بيروت استغرقت أربعة أسابيع (الخميس ٢٣ تموز - الجمعة ٢١ آب ١٩٣١).

<sup>١٠</sup> كاتدرائية مار جرجس في وسط بيروت.

فوتوغرافية صدّرت في صحفٍ مصرية مصوّرة، يتبيّن أنّ لا مبالغة في ذاك الوصف، وأنّ تقديرَ مواطني جبران كان فعلاً كما لم يسبق له مثيل في تاريخ المدينة.

مشى في الموكب من المرفأ إلى الكاتدرائية: وزير الداخلية<sup>١١</sup>، ممثّلو المفوضية العليا الفرنسية، عناصرٌ بحرية وعسكريّة من جيش الاحتلال الفرنسي، وخلفهم ممثلون عن السلك القنصلي، وأعضاء جمعيات خيرية من الطوائف المسيحية والإسلامية واليهودية، وآلاف تلامذة المدارس صبياناً وصبايا.

عند بلوغ الموكب مدخل السراي أدّت له التحية سرّيّة عسكريّة فيما فرقة من الضابطية تعزف الموسيقى طوال مسيرة الموكب. وعند مدخل الكاتدرائيّة بادر المطران إغناطيوس مبارك إلى رشّه بالمياه المباركة وترتيل رتبة البخور بالسريانية لغة الطقس الماروني. وبعد مراسم الجناز تركّ الجثمان داخل الكاتدرائية طوال الليل يحرسه فريق من شبّان بُشّريّ حضروا إلى بيروت لاستقبال العائد إليها.

ذاك عن الاحتفال الديني. أما الاحتفال العلماني الكبير على شرف جبران فكان مساءً في مسرح المدينة الأبرز<sup>١٢</sup> الذي اختارته اللجنة المنظّمة. ولم يكن الاحتفال بحضور أركان الحكومة وحسب بل ترأّسه رئيس الجمهورية اللبنانية شارل دبّاس، وتوالى على منبره كبار رجال الأدب في البلاد، بينهم الرّحالة والكاتب المعروف أمين الريحاني، الشاعر الشهير خليل مطران، نقيب الصحافة خليل كسيب، رئيس جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية جميل بيهم، النائب والشاعر والصحافي ميشال زكّور، الشاعر ورجل الدولة أمين تقي الدين، إلى ممثلين كثيرين هيئات مدنيّة ودينية. وتخلّلت الاحتفال أغنيات بالعربيّة من كتابة جبران وّصع ألحانها لهذه المناسبة وديع صبرا وملحنون آخرون معروفون.

ولعلّ أكثر المشاهد تأثراً مواطنون تجمّعوا لمرور الموكب في المدن والبلدات الساحلية والجبلية وصولاً إلى بُشّري. وفي محطّات هيئت مُسبّقاً كان الموكب

١١ موسى نمور.

١٢ المعروف بـ«التياترو الكبير» أو الـ«گران تياتر».

يتوقف كي يتقدم المنتظرون بتحيةة تكريمهم جثمانَ جبران. من تلك التجمُّعات ما لم يكن مؤثراً بعفويته وحسب بل تقويًا برمزيته التقليدية. فالمواطنون انحدروا من قراهم الجبلية البعيدة كي يلاقوا الموكب ويواكبوه إلى حدود كل مدينة ساحلية. وهذا المشهد تكرر في نحو عشرين محطةً طوال الأُميال الخمسين<sup>١٣</sup> بين بيروت وبُشري.

ليت جبران كان حيًّا ليعاينَ عاداتٍ لبنانيةً مميزةً طالما أحبَّها وها هي تنعقد على شرفه. فعند محطات مختلفة طوال الطريق إلى بُشري كان شبانٌ بزِيهم التقليدي المزركش يتبارزون بالسيف والترس أمام الموكب الجنائزي المتقدم بطيئًا. وفي محطات أخرى كان آخرون يؤدون أغاني إيقاعيةً أو قصائد رثاءٍ باللغة المحكية المعروفة لدى اللبنانيين. وذروة التعبير عن الحزن كانت مع نسوةٍ نائحاتٍ يندبن بتفجعاتٍ وهنَّ يقرعن صدورهنَّ.

غير أن محطة لافتة شهدت مغايرةً عن تلك المشاهد المذكورة. ففي مدينة قرب جبيل - بيبلس التاريخية ومقرَّ عبادة الإلهة الفينيقية عشتروت - خرَّجت لمُلاقة الجثمان صبايا يرتدين عباءاتٍ فضفاضةً تنهمل على أكتافها خُصلات شعرهنَّ الطويل. غنَّين مدائح لجبران تُنشد عادةً للمكرم حيًّا لا ميتًا. رحَّبن به «عريسَ أحلامهنَّ الجميل» العائد فنثرنَّ الزهور وسُع الطريق أمام الجثمان، رشَّسنَّ العطور على النعش، ورقصنَّ أمامه كما في عرسٍ بخطواتٍ تستعيد حفلات زفافي كانت تقيمها العذارى قبل آلاف السنين في معبد الإلهة عشتروت على ذاك الشاطئ بالذات.

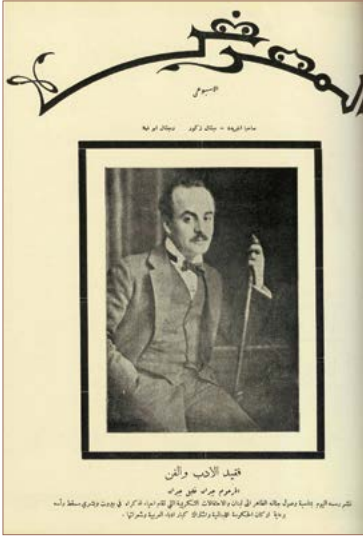
وساهم سكانٌ كثيرون عبْر مدن أخرى في استقبال الموكب. ولدى بلوغه مدخل البحاص، مفترق الطرق بين الطريقين الساحلي والجبلي، انضمَّ إليه نحو مئتي سيارة وفارس. وفي البحاص استقبل المشيِّعين رسميًا محافظُ لبنان الشمالي، حيث بُشري، وأكمل مرافقًا الموكب صعودًا. وعند مدخل بُشري تشكَّل حشدٌ من كلِّ رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ يدرج، رافق مسيرة عودة جبران المهيبَّة.

<sup>١٣</sup> نحو ٨٠ كلم.

## «معرض» ميشال زكور يحتفي بجبران

تفرّد ميشال زكور في احتفاءٍ جليلٍ لائقٍ بوصول جثمان جبران إلى بيروت، فخصّص للحدّث ثلاثة أغلفةٍ متتاليةٍ من جريدته «المعرض»: قبل وصول الجثمان، وعند وصوله إلى بيروت، وبعد وصوله إلى بُشْرَي، وفق الترتيب التالي:

غلاف العدد ٩٦٣ - الأحد ١٦ آب ١٩٣١: صورة جبران في صباهُ حاملًا سيفًا على كتفه، مع العنوان التالي: «جبران خليل جبران في موطنه عهد صباهُ»، وتحتّه هذا المقطع: «وَجَدَ هذا الرسمَ البديع، الذي لم يُنشرَ بعدُ في منزل سيّدَة مُسنّة في بُشْرَي، وهو يمثّل فقيده الثبوغ اللبناني جبران خليل جبران في أيّام فُتُوته في بُشْرَي، وقد ليس غنبارًا لبنانيًا وحمل سيفًا على كتفه».



غلاف العدد ٩٦٤ - الأحد ٢٣ آب ١٩٣١: صورة جبران في شبابه يتكئ على العصا، مع العنوان التالي: «فقيده الأدب والفن المرحوم جبران خليل جبران»، وتحتّه هذا المقطع: «ننشرُ رسمه اليوم بمناسبة وصول جثمانه الطاهر إلى لبنان، والاحتفالات التكريمية التي تقام إحياءً لذكراه، في بيروت، وبُشْرَي مسقط رأسه، برعاية أركان الحكومة اللبنانية واشتراك كبار أدباء العربية وشعرائها».

غلاف العدد ٩٦٥ - الأحد ٣٠ آب ١٩٣١: ثلاث صُور مع العنوان الجانبي التالي: «مهرجان جبران»، وتحتّه هذا المقطع شارحًا الصُور الثلاث: «في الأعلى: أعضاء لجنة تكريم جبران أحاطوا بالنعش وتظهِر إلى قُربه شقيقة الفقيده الأنسة مريانا وبعض نسيبتها. في الدائرة: حضرة رئيس الجمهورية وإلى يساره حضرة وزير الداخلية وبينهما النائب الأستاذ عبدالله اسحق في اللوح أثناء حفلة بيروت. في الأسفل صورة أُخذت في بُشْرَي تمثّل الأنسة مريانا جبران، ومن حولها حضرة وزير الداخلية، وسيادة المطران عقل المندوب البطريركي، ومندوبو المفوض السامي والأميرال وقائد الجيش الأعلى الفرنسي».



وفي بُشْرِي، كما في بيروت، أُقيم احتفالان مُميّزان لوداع جبران. سُجِّي الجثمان في كنيسة القديس يوحنا لرُتبة الجَنَاز، ونهار الأحد ٢٣ آب كان احتفالاً في قاعة البلدة برئاسة وزير الداخلية موسى نَمور أُلقيت خلاله قصائد وحُطِب.

آلاف الذين توافدوا إلى بُشْرِي للتكريم الأخير كانوا جميعهم ضيوف البلدة إقامةً طوال يومين. والذين لم تتمكّن البلدية من تأمين إقامةٍ فندقيّةٍ لهم، استضافهم أهالي بُشْرِي في بيوتهم، وهذه ظاهرةٌ حفاوةٍ تقليديّةٍ عريقةٌ في مواسم الأفرح والأتراح، تجلّت يومها في مظهرها الأرقى.

سوف يبقى جثمان جبران مسجّى في كنيسة القديس يوحنا إلى أن يُشَيّد قبرٌ ملائمٌ له. وقرّرت بلدة بُشْرِي ترميم بيت جبران الوالدي، وهو حالياً خرباً، وتحويل البقعة حوله حديقةً عامة. وبلّغني أنّ سيّاحاً أميركيين بدأوا يقصّدون بُشْرِي في «حجّ خاص» كما سمّوا زيارتهم بلدة مَوْلِدِ شاعر الأرز الذي عرفوه في أميركا.

عن مجلة «العالم السوري»، السنة السادسة، العدد الأوّل، أيلول ١٩٣١ (ص ١٤-١٧).

«العالم السوري» - السنة السادسة - العدد الأوّل -  
أيلول ١٩٣١.

خصص فيه سلّوم مكرزل ثلاثة نُصوص لوداع  
صديقه جبران:

- ص ٩: شاعر يعود إلى وطنه - بقلم باربره يونغ.
- ص ١٢: في وداع جبران - بقلم سلّوم مكرزل.
- ص ١٤ (إلى ١٧): مراسم استقبال جثمان في لبنان.

PUBLIC LIBRARY	
669814 A	
ASTOR, LENOX AND TILDEN FOUNDATIONS	
R 1933 L	
<b>THE SYRIAN WORLD</b>	
<i>Published monthly except July and August</i>	
by THE SYRIAN-AMERICAN PRESS	
104 Greenwich St., New York, N. Y.	
By subscription \$5.00 a year.	Single Copies 50c.
Entered as second class matter June 25, 1926, at the post office at New York, N. Y., under the act of March 3, 1879.	
VOL. VI. NO. 1.	SEPTEMBER 1931
<b>CONTENTS</b>	
	PAGE
<i>New Year—New Policy</i> .....	3
AN EDITORIAL ANNOUNCEMENT	
<i>Our Contributors</i> .....	6
<i>Our Plans for the Future</i> .....	5
<i>A Poet Returns Home</i> .....	9
<i>Farewell Ceremonies to Gibran's Body in America</i> BARBARA YOUNG .....	9
<i>Farewell, Gibran</i> .....	12
SALLOUM A. MOKARZEL	
<i>Touching Reception of Gibran's Body in Lebanon</i> .....	14

## من بيروت إلى بُشْرِي: الرحلة الأخيرة

تولّت صحفٌ لبنانية عدة، يوميها والأسبوعي، وصفَ ماتم جبران: أوّلاً في بيروت (الجناز في كنيسة مار جرجس المارونية ثم الاحتفال الخطابي في «التياترو الكبير» قبالة الكنيسة)، ثم في بُشْرِي (احتفالان تأبينيّان). هنا برنامج الاحتفالات كاملاً في بيروت وبُشْرِي كما ورد في مجلة «الدبور» الأسبوعية (مطلع آب ١٩٣١).

## استقبال رفات الرجل الخالد

### نظام الحفلات التأبينية

بيان الحفلات المُعدّة لاستقبال جثمان جبران في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ٢١ الجاري، فيسير الموكب من المرفأ ماراً بشارع فوش فشارع ويغان فساحة الشهداء فالكاتدرائية المارونية، وتشترك الهيئات الرسمية وسائر الجمعيات على اختلاف طوائفها في موكب الاستقبال. وبعد الصلاة عن نفس الفقيد العزيز، يُودَع الجثمان في الكاتدرائية إلى صباح السبت حين يُشَيَّع بموكب حافل إلى مسقط رأسه بُشْرِي.

### بيان حفلة بيروت التأبينية

- موسيقى
- كلمة الافتتاح : الأستاذ جبران تويني وزير المعارف والفنون الجميلة
- كلمة اللجنة : عريف الحفلة الأستاذ توفيق حسن الشرتوني
- كلمة الصحافة : الأستاذ خليل الخوري كسيب نقيب الصحافة
- الأستاذ جرجي نقولا باز : سيرة جبران
- الأستاذ خليل مطران : قصيدة
- الأستاذ أمين الريحاني : خطاب
- نشيد «هوذا الصبحُ فقومي ننصرفُ»، نظم الفقيد، تلحين الأستاذ وديع صبرا، يُنشدُه السيد كرياكوبولو



- كلمة الأستاذ ميشال زُكُور: نائب جبل لبنان
- الأستاذ بشارة الخوري : قصيدة
- كلمة الأستاذ محمد جميل بيهم رئيس جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية
- الأستاذ حليم دموس : قصيدة
- نشيد «يا نفسُ لولا مطمعي»، نظمُ الفقيه، تلحين الأستاذ وديع صبرا، يُنشدُه السيد سليم تركيَّة
- الأستاذ أمين تقي الدين : قصيدة
- الأستاذ إدمون وهبه : أخلاق جبران
- الأستاذ الياس أبو شبكة : قصيدة
- الشيخ نجيب عيسى الخوري: كلمة شكر بالفرنسية عن شقيقة الفقيه
- الأب فرنسيس رحمة : كلمة شكر بالعربية عن أهالي بُشْرِي
- موسيقى

## بيان احتفالات بُشْرِي

### حفلة التابئين الأولى بعد وصول الجثمان

- كلمة الافتتاح : عريف الحفلة الأستاذ يوسف جعجع
- كلمة الأستاذ سليم غنطوس
- كلمة الدكتور حسين رشيد سريّ الدين
- الدكتور عبد المسيح محفوظ: قصيدة
- عزفُ قطعة من «مواكب جبران» على الناي
- كلمة المونسنيور السمعاني
- ناصيف بك طريه : قصيدة
- كلمة الأمير كامل شهاب
- الأستاذ وهيب الخوري: قصيدة
- نشيد «يا نفس لو لم أغتسل بالدمع» نظمُ الفقيه، تلحين الأستاذ وديع صبرا، يُنشدُه السيد سليم تركيَّة

- كلمة الأستاذ سليم أبو جمرة
- كلمة الأستاذ حليم شبيعة
- كلمة الأستاذ يوسف صقر
- الأستاذ فؤاد مفرج : قصيدة وكلمة شكر عن اللجنة

### حفلة التأبين الثانية في مسرح بُشْرِي

تحت راية وزير الداخلية الأستاذ موسى بك نمور

- موسيقى
- كلمة الافتتاح : الأستاذ موسى بك نمور وزير الداخلية
- كلمة اللجنة : عريف الحفلة رئيس اللجنة الأستاذ حبيب كيروز
- كلمة الأستاذ يوسف السودا نائب جبل لبنان
- الأستاذ سابا زريق : قصيدة
- نشيد «هوذا الصبحُ فقومي ننصرفُ»، نظم الفقيه، تلحين الأستاذ وديع صبرا، يُنشده السيد كرياكوبولو
- كلمة الشيخ مصطفى الغلاييني
- كلمة الشيخ ابراهيم المنذر
- الأستاذ بولس سلامة : قصيدة
- كلمة الأستاذ جورج يزبك
- الشيخ حميد معوض : قصيدة
- عزف قطعة من «مواكب جبران» على الناي
- كلمة الأستاذ فريد أنطون
- كلمة السيدة حُبوبة حداد
- الأستاذ ميشال برباري : قصيدة
- كلمة الأستاذ يوسف نصر
- الخوري أنطونيوس جعجع: كلمة شكر عن أهالي بُشْرِي
- موسيقى

## رفاقه في «الرابطة» ولاءً ورتاءً

في «قانون» الرابطة القلمية كما دَوَّنَه ميخائيل نعيمة بعد جلسةٍ في محترف جبران مساءَ الثلاثاء ٢٨ نيسان ١٩٢٠ تأسَّست فيها الصيغة الجديدة لـ «الرابطة القلمية»<sup>١</sup>، جاء: «ليس كلُّ ما سَطَّرَ بِمِدادٍ على قرطاسٍ أدبًا، ولا كلُّ مَنْ حرَّرَ مقالًا أو نظَمَ قصيدةً موزونةً بالأديب... وهذه الروح الجديدة ترمي إلى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني...».

ذاك كان مبدأ «الرابطة». فهل جميع أعضائها انتفضوا فعلاً على «الجمود والتقليد» وسَعَوْا إلى «الابتكار»؟

في هذا الفصل بحثُّ عن قصائدٍ لبعض أعضاء «الرابطة» في مناسبتين، الأولى: احتفال تكريمي دعا إليه رفاق جبران في «الرابطة» مساءَ السبت ٥ كانون الثاني ١٩٢٩ عشيةً ذكرى مولده (السبت ٦ كانون الثاني ١٨٨٣) وبِمَرُورِ رُبْعِ قرنٍ (١٩٠٤-١٩٢٩) على مسيرته الأدبية، والمناسبة الأخرى: احتفال تَأْبِينِي بَعِيدِ وفاة جبران، نظَّمْتَهُ كذلك «الرابطة القلمية» (الأحد ٢٤ أيار ١٩٣١ في بروكلن).

١ نشأت صيغةً سابقةً لـ «الرابطة القلمية» في نيسان ١٩١٦ ضُمَّت، إلى جبران: أمين الريحاني، أمين مشرق، الياس عطاالله وآخرين، لكنها لم تَعِشْ سوى بضعة أشهرٍ لانشغال أعضاء منها بـ «لجنة إعانة المنكوبين في سوريا وجبل لبنان» (تموز ١٩١٦) انتخبت نجيب كسباني رئيسًا، أمين الريحاني نائبًا الرئيس، جبران خليل جبران كاتبَ أسرار.

اللافت أن أولئك «الرابطين» لم يخرجوا كثيرًا عن «الجمود والتقليد» اللذين عملَ عليهما عميدُهم في كتاباته العربية التي سطعت بتجديده اللغوي والمضموني معًا. قصائدُهم التكريمية جاءت، إلى حدِّ كبير، مدّاحةً تبجيليَّةً بأسلوبٍ تقليدي عتيق، وقصائدُهم الرثائية جاءت نواحةً متفجّعةً بأسلوبٍ ذي أشكالٍ تقليديةٍ عتيقة وتراكيبٍ عتيقةٍ سائدةٍ وكلماتٍ عتيقةٍ بائدة. وفي المناسبتين عبّروا عن عاطفتهم بقاموسٍ شعريٍّ مألوفٍ مكرَّرٍ مضمونًا عاديًّا، وبتنثُرٍ عروضيٍّ منظومٍ شكلاً لفظيًّا باردًا. ومع أن لجبران نصوصًا تكريميةً<sup>٢</sup> ورثائيةً<sup>٣</sup> في أكثر من مناسبة، لكنه لم يتوسَّلْ أيَّ مبالغةٍ في المديح، ولا أيَّ تفجُّعٍ في الرثاء، بل جاءت نصوصه أدبيةً راقيةً توازي نُصوصه الوجدانية الإبداعية الأخرى، لأنه تناولها بأسلوبٍ مبتكرٍ من زاوية مغايرة عن تقليدية المديح والرثاء.



في هذا الفصل أربعٌ من هذه القصائد لأربعة «رابطين»: إيليَّا أبو ماضي<sup>٤</sup>، نسيب عريضة<sup>٥</sup>، نذرة حدّاد<sup>٦</sup>، رشيد أيُّوب<sup>٧</sup>، أوردُها كما صدرت في مؤلَّفاتهم.

٢ منها نصُّه «الشاعر البعلبكي» لاحتفال تكريم خليل مطران (جامعة القاهرة - نيسان ١٩١٣). قرأته مي زيادة، ثم نشره في مجموعة «العواصف» (١٩٢٠).

٣ منها نصُّه في رثاء معرَّب «الإلياذة» سليمان البستاني (نيويورك - حزيران ١٩٢٥، نشرته جريدة «الهدى» الخميس ٩ تموز ١٩٢٥)، ونصُّه عند غياب جرجي زيدان (١٩١٤) صدر في «الهلل» (القاهرة) ثم نشره في «العواصف».

٤ وُلد في المحيثة سنة ١٨٩٠، انتقل إلى نيويورك سنة ١٩١١ وتوفِّي في بروكلن سنة ١٩٥٧.

٥ وُلد في حمص سنة ١٨٨٧، انتقل إلى نيويورك سنة ١٩٠٥، وتوفِّي في بروكلن سنة ١٩٤٦.

٦ وُلد في حمص سنة ١٨٨١، انتقل إلى نيويورك سنة ١٨٩٧، وتوفِّي في بروكلن سنة ١٩٥٠.

٧ وُلد في بسكنتا سنة ١٨٧٢، انتقل إلى نيويورك سنة ١٩٠٥، وتوفِّي في بروكلن سنة ١٩٤١.



## إيليا أبو ماضي: الكأس الباقية (رثاء)

دمعة على جبران



أَيُّهَا الشاعِرُ الَّذِي كَانَ يَشْدُو بَيْنَ ضَاحٍ مِنَ الْجَمَالِ وَضَاحِكُ  
جَلَلٌ أَنْ يَصِيدَكَ الْقَدْرُ الْأَعْمَى وَيَمَشِي مَقْصُهُ فِي جَنَاحِكُ  
مَوْكِبُ الشَّعْرِ تَائِهٌ فِي فِضَاءٍ لَيْسَ فِيهِ سِوَى حَظِيمِ سِلَاحِكُ  
وَالْبَسَاتِينُ، وَالْبَلَابِلُ فِيهَا، تَتَغَنَى حَزِينَةً لِرِوَاكِكُ  
قَنَعْتُ بِالنَّوَّاحِ مِنْكَ فَلَمَّا زَالَ عَاشَتْ بِذِكْرِيَاتِ نِوَاكِكُ  
وَالدَّجَى، وَالنَّجُومُ تَسْطَعُ فِيهِ، وَاجْمُ حَسْرَةً عَلَى مِصْبَاحِكُ  
تَلْمَسُ الْعَيْنُ، أَيْنَمَا لَمَسَتْهُ، جَمْرَاتِ التِّيَاحِينَا وَالتِّيَاحِكُ  
قَد تَوَلَّتْ جَلَالَةَ السَّحْرِ عَنْهُ وَاضْمَحَلَّتْ مَذْصَارَ غَيْرِ وَشَاحِكُ



هَبِطْتُ رَبَّةَ الْحَيَاةِ لَكِي تَسْكَبُ خَمْرَ الْجَمَالِ فِي أَقْدَاحِكُ  
فَإِذَا أَنْتَ فِي السَّرِيرِ مَسْجَى صَامِتٌ كَالطِّيُوفِ فِي أَلِوَاكِكُ  
فَتَوَلَّتْ مَذْعُورَةً تَلْطُمُ الْوَجْهَ وَتَبْكِيكَ، يَا قَتِيلَ سَمَاكِكُ!  
سَبَقَتْهَا الْإِلَهَةُ الْمَوْتِ كِي تَحْظَى وَلَوْ بِالْيَسِيرِ مِنْ أَفْرَاحِكُ  
وَيَحَهَا! وَيَحَ حَبَّهَا مِنْ أَتِيمِ طَرَدْتَنَا وَلَمْ تُقِمِ فِي سَاحِكُ  
أَيَّبَسَتْ رِوَضَكَ الْجَمِيلَ، وَلَمْ تَظْفَرْ بِغَيْرِ التُّرَابِ مِنْ أَدِوَاكِكُ  
ذَهَبَ الْمَوْتُ بِالْكَؤُوسِ جَمِيعًا غَيْرَ كَأْسِ مَلَأْتَهَا مِنْ جِرَاحِكُ

«الخمائل»<sup>٨</sup>

<sup>٨</sup> صدرت طبعته الأولى في نيويورك سنة ١٩٤٠ عن مطبعة «مرآة الغرب». وكان أبو ماضي قبل ذلك نشر هذه القصيدة في مجلته «السمير» مُصَدَّرًا بِهَا عَدَدًا خَاصًّا عَنْ جِبْرَانَ (السنة الثالثة، العدد الثاني، أيار ١٩٣١) وفاءً لغيابه الباكر. ومن كتاب هذا العدد الخاص: مي زيادة وفيليب حتي.



## نسيب عريضة: قصيدتان (ولاء ورثاء) إلى جبران خليل جبران في حفلة يوبيله الفضي



٥ كانون الثاني ١٩٢٩

أَنْصِتُوا، أَنْصِتُوا! فَقَدْ سَمَعَتْ أُذُنِي نَجِيًّا يَخْفَى عَلَى الْأَذَانِ  
أَنْصِتُوا، أَرْهَفُوا الْمَسَامِعَ يَا قَوْمُ! أَلَا تَسْمَعُونَ رَجْعَ أَغَانٍ؟  
يَخْتَفِي تَمَّ يَنْجَلِي كَهْتافِ الْبُوقِ حِينًا... أَمْ ذَاكَ صَوْتُ جَنَانِي؟  
صَوْتُ مَنْ؟ مَا أَظُنُّهُ صَوْتُ فَرْدٍ بَلْ جَمُوعٍ هَتَافُهَا كَالْأَذَانِ  
إِنَّهُمْ قَادِمُونَ... قَدْ قَرَّبَ الصَّوْتُ وَضَجَّتْ بِهِ النَّوَاحِي الدَّوَانِي  
هَلْ رَأَيْتُمْ كَمَا أَرَى؟... تِلْكَ أَشْبَاحٌ تَغْتِي نَشِيدَهَا بِحَنَانٍ  
قَدْ دَنَتْ... فَافْسَحُوا الْمَجَالَ وَهُبُّوا بِاحْتِرَامٍ لِمَلْتَقَى الضِّيْفَانِ  
هُوَذَا مَوْكِبُ الْخِيَالِ وَفِيهِ نُوبَةٌ الْمَلْهَمِينَ مِنْ قَحْطَانِ  
قَدْ أَتَوْنَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ يَسْعُونَ سِرَاعًا إِلَى حَمَى الْفَنَّانِ  
ذَاكَ وَفَدِ الْأَرْوَاحِ مِنْ عَالَمِ الشَّعْرِ إِلَى عِبْقَرِيَّتِنَا جَبْرَانَ



أُمْرَاءَ الْقَرِيضِ، يَا مَتْنَبِي، يَا مَعْرِي، يَا فَارِضِي، يَا ابْنَ هَانِي  
يَا امْرَأَ الْقَيْسِ، يَا صَرِيحَ الْغَوَانِي يَا ابْنَ عَشْرِينَ، يَا بَدِيْعَ الزَّمَانِ  
وَالْأُلَى تَحْتَ رَايَةِ الشَّعْرِ سَارُوا يَقْطَعُونَ الزَّمَانَ بِالْأَلْحَانِ  
أَنْتُمْ الْيَوْمَ بَيْنَنَا، لَا تَرَاكُمُ بَعْيُونَ الْأَجْسَامِ بَلْ بِالْجِنَانِ  
قَدْ نَفَضْتُمْ عَنْكُمْ غِبَارَ اللَّيَالِي وَحَضَرْتُمْ بِالرُّوحِ فِي الْمَهْرَجَانِ  
دَوْرَكُمْ حَانَ، فَاسْتَعِدُّوا وَهُبُّوا لِنَحْيِي صَفِينَا الْبَنَانِي  
أَضْفَرُوا مِنْ غَارِ الْجِنَانِ أَكَالِيلاً لِرَأْسِ تَثُورٍ فِيهِ الْمَعَانِي  
وَاقْطَفُوا مِنْ أَزْهَارِ «طُوبَى» أَضَامِيًّا لِقَلْبٍ تَصْبُو إِلَيْهِ الْأَمَانِي  
يَحْمِلُ النَّارَ وَالضِّيَاءَ فَيُعْطِي مِنْهُمَا لِلرُّورِيِّ بَلَا أَثْمَانِ

قد عَصَّيْ بِنَاتُ صَدْرِي وَعَقَّتْنِي بِرَغْمِي مَوْلِدَاتِ بَيَانِي  
فَهَبُونِي مِنَ الْبَلَاغَةِ شَيْئًا وَانْطِقُوا، إِنْ قَدِرْتُمْ، بِلِسَانِي

«الأرواح الحائرة»<sup>٩</sup> ص ٢٣٠ - ٢٣٢



## عَمِّ صَبَاحًا

إلى روح جبران خليل جبران في حفلة ذكره الأربعينية

٢٤ أيار ١٩٣١

هوذا المذبح المقدس، فاركعْ وعليه ذبيحةُ الحزن فارفعْ  
يا فؤادي، واجعل أساكْ بخورًا وخذِ النارَ من ضلوعكْ واخشعْ!  
لا تكنْ نائحًا، فتوحكْ للأرض... فكُنْ صامتَ الأسي وترفعْ!  
وانطلقْ فوق عالمِ الحس، وانظرْ نورَ جبران! في ذرى الخلدِ يلمعْ



عَمِّ مساءً، جبران! إنكْ تسمع... عَمِّ مساءً يا غائبًا ليس يشعْ  
أمساءً أقول؟ بل عَمِّ صباحًا فشموسُ الخلودِ حولكْ تسطعْ  
كلنا خالَ حزنه أعظمَ الحزن... ولم يحترقْ، ولم يتصدعْ  
باهرٌ أنت في علوكْ لكن نحن عُمي وطرفنا يتطلعْ  
أفلا ومضةً تُشدِّدُ عزمًا؟ أفلا آيةً لصحبكْ ترفعْ؟



عَمِّ صباحًا، يا ساقِي النفسِ كأسًا من حنينٍ يُذيبها حين تُجرعْ  
هل أتاكِ الصدى - صدى المتنادين على الدربِ قائلين: اسمعْ اسمعْ

٩ صدرت طبعته الأولى، مع مقدمة من حبيب ابراهيم كاتبة، في نيويورك سنة ١٩٤٦ عن مطبعة جريدة «الأخلاق» (مؤسسها ورئيس تحريرها يعقوب روفائل).

صوتنا ذاك: صوتُ ركبٍ أضاعوا فيك نبراسهم وصلُّوا ببلقغ  
إيه يا ماهد الطريق التي سرنا عليها تقفو خطاه وتتبغ!  
يا دليلَ السارين، قد عسعس الليلُ وركبُ الأرواح يكبو ويسكغ  
إرفع الصوت، قد تبعناك لكن فُتْنَا في الطريق، والقفر مصيغ  
إرفع الصوت، قد توغلت في السبق عسانا على الصدى تتشجغ  
طرت من بيننا بأجنح عزم... ومهيص جناحنا ليس يُرفغ  
ومراقبي الوصول شقت على الحي وفيها حظو لمن كان يطمغ  
قد بسطنا الأيدي إليك... عليها من بخور الرجاء طيب تصوغ  
ووقفنا نرتيك نظماً ونثرًا بلسان الورى... وهل ذاك ينفع؟  
أفيرثي بعجمة الأرض روح صار أعلى من المشاعر أجمغ؟  
أفيصغي إلى المهامس برق يمتطي العاصفات، والرعد لعلغ؟



أيها الشاعرُ الإلهي طوبى لك... فالأوج حيثُ روحك ترتغ  
أسكت البين شدو نايك لكن لم يزل لحنه يرن ويستمغ  
وأناشيدك الحسان ستبقى خير إرث لأمة تتفجغ  
قد رأيناك سابقًا، فنيًا، فشهيدًا كأس التالم يجرع  
وعلمنا أشياء منك فكانت عبرة العقل إذ رأيناك تُصرغ  
سمة الوحي حُرقة واشتياق وصراع به الأشاوس تخضع  
وجزاء النبوغ: إكليل مجد قد تندى من مدمع بعد مدمع



أرز لبنان، طاطج الهام واخشغ! سكت الشاعر الذي كنت تسمغ  
سيساميك في جوارك قبر هو في قلبه أعز وأرفغ

«الأرواح الحائرة» ص ٢٣٧ - ٢٤١





## ندرة حدّاد: قصيدتان (ولاء ورتاء)

### شمسان من نور

إلى جبران خليل جبران في حفلة يوبيله الفضي

٥ كانون الثاني ١٩٢٩

وكما سباني حسنُها، أشجاني  
تعبث بقوّتها يدُ الحدثانِ  
خُلقت: بلا عيبٍ ولا نقصانِ  
مَن جاد عن ميلٍ إلى الإحسانِ  
لا تستفيد... فما لها عَيْنانِ  
خُلقت ولم تضجرُ من الدّورانِ  
نحو الغروبِ كعادةٍ مفتانِ  
وتغيّبُ عني رؤيةَ الأغصانِ  
وجعلتُ قلبي في مكانٍ لساني:  
إحسانك الوافي لكلِّ مكانِ  
مشكورةً في السرِّ والإعلانِ  
إلا الحفيظُ وطيبُ النّسمانِ  
شمسَ النفوسِ وشمسَ كلِّ أوانِ  
عن كوكب الأدياء: عن جبرانِ  
فضح الخفيِّ كعاشقٍ غيرانِ:  
في حبِّه... والحبِّ دينُ ثانِ  
وجدّ الهوى حلواً مع الكثمانِ  
الدينا... فما يهواه ليس بفانِ  
كأيننه شوقاً إلى الأوطانِ  
أبداً تبرّد غلّة الظمانِ

الشمسُ حتّى في الغروبِ جميلةٌ  
لم تسلب الأجيالَ بهجتها ولم  
فكانها خُلقت لتبقى مثلما  
تعطي بلا مَنٍّ، وأفضلُ واهبٍ  
تهبُ العيونُ ضياءها، لكنّها  
وتدورُ مُشرفةً على الأحياءِ مذ  
راقبتها تدنو بكلِّ سكينَةٍ  
حتى إذا كادت تغيّبُ عن الحمى  
أرسلتُ طزفي للسماءِ مخاطباً  
«يا شمسُ قد تمّ النهارُ فتابعي  
سيرتي فأين طلعتِ كنتِ مفيدةً  
ثم انثيتُ وليس لي من مؤنسٍ  
ورفيقةً لم تنسَ في خلواتها  
مالت تحدّثني وكلُّ حديثها  
فأجبتها وأنا الغيورُ هوئى وما  
«يا نفسِ، مَن تهوينَ ليس موجّداً  
كتمّ الهوى عمداً وزبّ متيّم  
يهوى ولكن غيرَ ما يهوى بنو  
يهوى الغديرَ لأنّ فيه أنةً  
يهوى السواقي الجارياتِ لأنها

إِسْ النظام ومصدرُ الإِتقانِ  
قصرٌ ولكنْ من هوىِّ وحنانِ  
صوتُ الخلودِ يرنُّ في الآذانِ  
إياه في الآلامِ والأحزانِ  
ظلمَ البُغاةَ وقسوةَ التيجانِ»

يَصْبُو إلى مرأى النجومِ لأنَّها  
يَصْبُو إلى العَشِّ الصغيرِ لأنَّه  
يَصْبُو إلى صوتِ البحارِ لأنَّه  
هو في الفراشِ مع المريضِ مشارِكٌ  
هو في القيودِ مع السجينِ المشتكي



قلْبِكَ في حياتكِ والمُحِبُّ يعاني  
تصبو وما تنوي، لَكَلِّ لسانِي  
بجديدها والناسِجِ الفَتانِ  
ولقد بنيتُ فكنتُ أفضلَ بانِ  
لم يجتمع في صدركِ الضَّدانِ  
لكن لنا في شرقنا شَمسانِ  
هذا الوجودِ، وأنت في الوجودانِ  
«أوراق الخريف»<sup>١٠</sup> ص ٨١ - ٨٦

جبران، هذا بعض ما عاناه  
لو شئتُ أذكرُ كلَّ ما تهوى وما  
ألْبستُ أُمَّتَكَ الجديدَ ففاخرتُ  
ولقد هدمتُ فكنتُ أفضلَ هادمِ  
والخيرِ وحده في فؤادكِ كامنِ  
والشمسُ واحدةٌ على كلِّ الورى  
شمسان من نورٍ: فتلك تُضيءُ في



## كنت حياً وهكذا ستكونُ

إلى روح جبران خليل جبران في حفلة ذكره الأربيعينية

٢٤ أيار ١٩٣١

إِنْ عَلِمْنَا أَنَّ الحِياةَ المَنونُ  
انتقاماً... ولا أقول: يخونُ  
هرمٌ طالَ عمره وجنينُ

كُلُّ صعبٍ من الخطوبِ يهونُ  
لا أقولُ: الزمانُ يغدرُ بالناسِ  
خُلِقَ الحيُّ مائتاً فسواءٌ

١٠ صدرت طبعته الأولى، مع مقدمة من رفيقه في «الرابطة القلمية» وليم كاتسفلينس، في نيويورك سنة ١٩٤١ عن مطبعة طوبيا. وهو الكتاب الوحيد الذي صدر للشاعر.

وحياة الإنسان حلمٌ غريبٌ  
فريقٌ يرى المصيرَ نعيمًا  
وفريقٌ يرى النهايةَ قبرًا  
إنما العاقلُ المُحبُّ وإن شكَّ  
فلكلِّ أحبَّةٍ سبقوه



ومصيرُ الإنسانِ سرٌّ مَصُونٌ  
يلزُمُ النفسَ يومَ عَنَّا تَبيِنُ  
كُلُّ ما فيه ضجعةٌ وسكونُ  
تمنّى أنَّ الخلودَ يقينُ  
ولكلِّ أشواقه والحينُ

ما بكينا جبران من صدمة الموتِ  
ما بكينا شبابه إذ توارى  
دمعةُ الحزنِ في المآتمِ لا تبقى  
كم سلا المُعولونَ ميتًا عزيزًا  
كُلُّ حيٍّ على البسيطةِ إمَّا  
وشبابُ الفتى، وقبلًا صباهُ  
يتخلّى عنهنَّ قسطًا فقسطًا  
نحنُ نبكي فقيدنا وسنبيكه  
نحنُ نبكي روائعًا خسرتها  
نحنُ نبكيه شاعرًا علويًا  
شعرهُ حكمةٌ وحبٌّ تغتتهُ  
ونبيًا لم يظطهذه بنو الدنيا  
وفقيرًا قد شاد للشرقِ مجددًا  
وهزارًا إذا شدا فالمعاني  
وغديرًا في الروضِ يجري وفيها  
ونديمًا مع الندامى وقورًا  
هكذا اختارتِ المنيةُ من طابَ

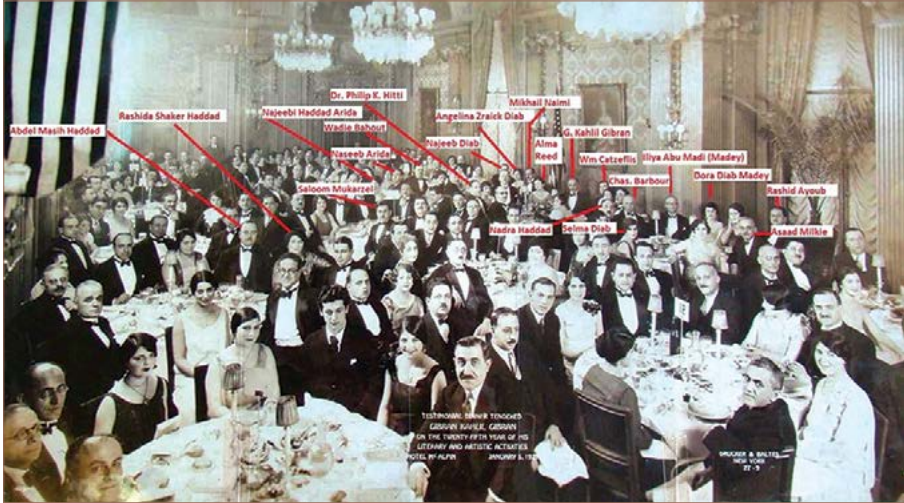
ودمعُ الباكينِ غيثٌ هتونُ  
وشبابُ الإنسانِ كنزٌ ثمينُ  
طويلاً... ولو أصرَّ الحزينُ  
بعد حينٍ وكم تناسى الخدينُ  
دافنٌ غيره... وإمَّا دفينُ  
وقواه... ودائعٌ ودُيونُ  
لا حريضٌ تبقى له لا ضنينُ  
كما يبكي الفاتنَ المفتونُ  
يومَ ولى، آدابنا والفنونُ  
قد أَرانا السماءَ كيفَ تكونُ  
العذارى كأنه تلحينُ  
ولم ينسبهُ إلى الكفرِ دينُ  
لم يثدّه بماله قارونُ  
نسماتٌ والسامعونَ غصونُ  
ما يُزيلُ الأسى وفيه الأئينُ  
وجميلٌ مع الوقارِ المجونُ  
ثمارًا... والأطيبُ المعيونُ



أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُطَّلُ عَلَيْنَا  
 يَا أَخِي هَا إِنَّ الْمَنَايَا اسْتَرَدَّتْ  
 فَتَعَرَّيْتُ مِنْ حَيَاتِكَ طَوْعًا  
 تَارِكًا بَعْدَكَ الْمُحِبِّينَ صِرَعِي  
 فَكَأَنَّ الْمُصَابَ حَلَّ عَلَى الْكُلِّ  
 لَا أَدُمُ الدُّنْيَا وَإِنَّ تَكُ سَجْنًا  
 جَمَعَتْنَا كَالطَّيْرِ فَوْقَ الرُّوَابِي  
 لَا تَخَفْ أَنْ يَطْوِلَ بَعْدُكَ عَنَّا  
 كُنَّا رَاحِلٌ رَحِيلَكَ... لَكِنْ  
 فَاتْتِظَرُّنَا... فَإِنَّا عَنْ قَرِيبٍ  
 فُودَاعًا جَبْرَانَنَا.. يَا خَلِيلًا  
 كُنْتَ حَيًّا وَهَكَذَا سَوْفَ تَبْقَى  
 لَيْسَ مَا قَلْتُهُ لَكَ الْيَوْمَ تَأْيِينًا

من مكانٍ فيه السلامُ قَطِينُ  
 مِنْكَ مَا كُنَّا بِهِ مَدْيُونُ  
 لِنُظَامِ أَحْكَامِهِ لَا تَلِينُ  
 طَعْنَاتِ الْأَسَى وَلَا مَنْ يُعِينُ  
 فَكُلُّ فَوَادِهِ مَطْعُونُ  
 فَمَعَ الْحَبِّ تَسْتَطَابُ السَّجُونُ  
 تَتَغَنَّى... وَذُو السَّهَامِ كَمِينُ  
 لَمْ يَطُلْ عُمُرٌ مِنْ بَرَثَةِ الشَّجُونُ  
 لَيْسَ نَدْرِي مَتَى الرَّحِيلُ يَحِينُ  
 سَنَلَاقِيكَ... وَالزَّمَانُ ضَمِينُ  
 عَشَقْتُهُ قَلُونَنَا وَالْعِيُونُ  
 وَحَبِيبًا وَهَكَذَا سَتَكُونُ  
 فَذَكَرَكَ وَحَدَّهَا التَّأْيِينُ

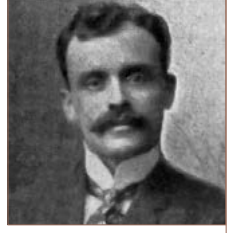
«أوراق الخريف» ص ١٨٩ - ١٩٤



احتفال أعضاء «الرابطة القلمية» بعميدهم جبران عشية ذكرى مولده،

وفي يوبيله الفضي - ٢٥ سنة كاتبًا ومؤلفًا.

الاحتفال في فندق ماك آلين الفخم في نيويورك - مساء السبت ٥ كانون الثاني ١٩٢٩.



## رشيد أيوب: ستبقى العميد

إلى روح أخي جبران شوقي وحنيني



لم يبقَ يا جبرانُ إلاَّ الخيالُ      قد حالَ هذا البُعدُ دونَ العيانُ  
حتى إذا خُضتُ الليالي الطوالُ      أطلقتُ للأحلامِ فيها العنانُ  
وطرْتُ في مركبي  
إلى حمى الكوكبِ  
ولم أزلُ حتى حطَّطتُ الرحالُ      عند أولي الأبوابِ ووسط الجنانُ  
لَمَّا مشوا في مهرجانِ الجلالُ      أَلَم تَرَ «الدرويش» في المهرجانِ؟  
يمشي مع الموكبِ  
يتلو كتاب «النبى»  
وينفخ النايَ بلحن الرها      تذكّر عهدٍ من قديم الزمانُ



يا نجمةً عَنّا خفاها الضبابُ      ولم تزلُ بين الدراري تدورُ  
غراءً توحى من وراء الحجابُ      فتملاً الدنيا بهاءً ونورُ  
من وحيها المُنزَلِ  
تاللهُ لَم تُأفلي  
وَوُزْدَةٌ فاحت طواها الترابُ      ولم نزلُ نشتمُ منها العطورُ  
وإن ذكرناها فتحنا الكتاب      ثم اجتمعنا بين تلك السطورُ  
تاللهُ لَم تذبلي  
كلًا ولم تهملِي  
بلى جناكِ الموتُ فوَاحَةً      وتوجَّ التاريخُ حتى النشورُ



من أين للعلياء يا ابنَ الفنونُ  
 ومَنْ إذا هدَّتْ قواه الشجونُ  
 مثلك إن أضتته أبدى ارتياخ  
 رنا إلى الدنيا بعين السَّمَاخ  
 وسهْمُها صَائِبُ  
 وقلْبُهُ ذَائِبُ؟  
 حتى اذا وفيتَ عنك الديونُ  
 أطفأ شخص الموت سُج العيونُ  
 من كِبِدٍ قد أوهنتها الجراخ  
 منك كما يطفئُ عند البراخ  
 سَرَاجُهُ الرَّاهِبُ  
 إذا انقضى الواجبُ  
 ورحت ترعاك نجوم الدجى  
 حتى بلغتَ المجد عند الصباح



رابطةٌ كانت تضمُّ الرفاقُ  
 ولم تزلْ من بعد هذا الفراقُ  
 وأنتَ مبنها وبيتُ القصيدُ  
 وإن يكنْ جبران عنها بعيدُ  
 وليس من أُوْبَةٍ  
 حتى ولا زُورَةٍ  
 فنحنُ أصحاب الحواشي الرِّفاقُ  
 إن أبطأ الموتُ بحُكم اللِّحاقُ  
 ووَجَدْنَا في كل يوم جديدُ  
 فروحُ جبران ستبقى العميدُ  
 والطيْرُ في الجنَّةِ  
 تقولُ إن غنَّتِ  
 أهلاً بفئانٍ قضى عمره  
 ولم يَمُتْ في الفنِّ إلا شهيدُ  
 «هي الدنيا» ١١ ص ٣٣٥ - ٣٣٨

١١ صدرت طبعته الأولى في نيويورك سنة ١٩٤٠، مع مقدمة من شكر الله الجرّ صاحب مجلة «الأندلس الجديدة» في ريو دي جانيرو (البرازيل).

## «الصومعة»

في هذا المبنى [الرقم ٥١ - الشارع العاشر غربًا] سكنَ جبران آخرَ ٢٠ سنة من حياته (١٩١١-١٩٣١) على مرحلتين: الأولى منذ الجمعة ٢٢ أيلول ١٩١١ حين اتخذ غرفةً ضيقةً في الطبقة الثانية من المبنى، إيجارُها الشهريُّ ٢٠ دولارًا، والأخيرة بعدما كتب نهار الجمعة ١٤ شباط ١٩١٣ إلى ماري هاسكل: «أمامي فرصةٌ لاستئجار



ستوديو أوسع في هذا المبنى ذاته. هو جميل وفسيح، وأكبر بثلاث مرات من الستوديو الذي أنا فيه حاليًا. النور فيه جيّد يدخله من الشمال والجنوب ومن السقف، كما في محترفات باريس. مُلائمٌ جدًّا للعمل. فضاؤُهُ فسيح. إيجاره الشهريُّ ٤٥ دولارًا، ويلزمني نحو ٥٠ دولارًا كي أنظفه وأجهّزه. أنا حائرٌ منذ

الإشارة إلى الشارع العاشر غربًا



المبنى ٥١ (سنة ١٩١٤)  
كما كان حين سكنه جبران

أيام ولا أعرف ماذا أُقَرَّر. هل أَسْتأجِرُهُ إذا تركوه لي؟  
أجيبني ولو بكلمة موجزة على بطاقتك الشخصية.  
أعرف أنك مشغولة جدًا». فأجابته صباح اليوم  
التالي (السبت ١٥ شباط) في رسالة عاجلة: «أكثرُ  
ما أفرَحني في رسالتك أمس: ذَكَرْتُ أَمْرَ الاستوديو  
بـ٤٥ دولارًا. إذْهَب فورًا صعودًا نزولًا وفي كل  
اتجاه، واستأجِرُهُ يا حبيبي قبل أن يُفِلت منك».  
... واستأجِرُهُ وانتقل إليه نهار الخميس ١ أيَّار  
١٩١٣، وفيه بقي حتى وفاته.

هذا المحترف الذي اشتهر بـ«الصومعة» كان  
يجمع أصدقاءه، يتسامرون، يقرأون له نتاجهم،  
ويُصغون إلى آرائه.

وفي هذا المحترف ولدت الصيغة الثانية لـ«الرابطة القلمية» مساء الثلاثاء ٢٨  
نيسان ١٩٢٠، وانتخبه رفاقه عميدهم.  
كثيرون وصفوا تلك «الصومعة».  
أكتفي هنا منهم باثنين: رفيقه ميخائيل نعيمة، وصديقه المونسنور منصور  
أسطفان.

## (١) وصفُ نعيمة

«الصومعة قائمة في الطبقة الثالثة والأخيرة من بناية قديمة شعرت حين  
دخلتها كأنني داخلٌ ديرًا. ممراتها كالسرايب، ينيرها مصباح ضئيلٌ من الغاز فيطرح  
أخيلةً على جدرانها المظلمة. سعدنا سلاّم خشبية تدور دوراتٍ لولبية، وتتنُّ تحت  
أرجلنا حتى نكاد نجفل من أُناتها. أخيرًا وقفنا إلى اليسار من رأس السلم، أمام باب  
خشبيّ قاتم اللون، في وسطه حلقة من الحديد ما طرقتنا بها عليه حتى انفتح، وبان





المبنى ٥١ (سنة ١٩٣٨) بعد سبع سنوات على وفاة جبران

من ورائه جبران في جَبَّة التصوير وهي من الكَتَّانِ التِّبْنِيِّ اللّون وأشبهُ بقميص واسع يُلبَس من فوق الرّأس ويصل حتى الركبتين.

جلستُ على ديوان قديم وجلس رفيقاي [نسيب عريضة وعبدالمسيح حداد] على كرسيين قديمين لم يكن في الصومعة كراسٍ غيرهما. جلس جبران على دكَّة التصوير الخشبية وهي من نحو مترٍ مرَبَّعٍ بعُلُوٍّ شبرٍ أو أَقَلِّ. أمانًا في الحائط الشرقي شَبُه موقدٍ افرنَجِيّ في قلبه وجاقٌ حديديٌّ صغيرٌ للتدفئة بالحطب أو بالفحم الحجري. وفوق رُفِّ الوجاق قنديلٌ من الغاز كان نورنا الأوحد في تلك الليلة.

أخذتُ أتأمل الصومعة وما فيها: طولها نحو ثمانية أمتار، وعرضها نحو ستة. إلى يسار الموقد سريرٌ واطىٌّ صغيرٌ من الحديد بغير قوائم ناتئة عند رأسه وقدميه، عليه حرام من الصوف ووسادات مختلفة الأشكال والألوان. هو سرير جبران. وبجانبه خزانة صغيرة عليها كتبٌ وأوراق. إلى يمين الموقد منُصب التصوير ووراءه منضدة

عليها كتبٌ وأوراق. إلى يمين المقعد، حيث أنا، طاولةٌ خشبيةٌ مستديرةٌ عليها كذلك كتبٌ وأوراقٌ ودفاترٌ ومحابرٌ وأقلامٌ، بالقرب منها محافظٌ متفاوتة الحجم من الكرتون الأسود، هي محافظُ الصور.



داخل «الصومعة»: الاستوديو في لقطة عامة

في الحائط الشمالي شبابيك ثلاثة عليها ستائرٌ سود. ومثلها في الحائط القبلي. عند متوسط الحائط الشمالي رفوفٌ اصطفَّ عليها نحو المئتين من مختلف الكتب. في الجهة الشمالية من السقف العالي نوافذٌ من زجاجٍ عليها ستائرٌ سودٌ تُزاح عند الحاجة إلى إدخال النور. على

الحائط الغربي قطعةٌ كبيرة من نسيجٍ قديمٍ العهد تمثل يسوع المصلوب. وفي الزاوية الشمالية من ذاك الحائط بابٌ يُودِّي إلى مَخْدَعٍ صَيِّقٍ، في جهته اليمنى حنفيةٌ ماءٍ ومغسلةٌ وبضعةٌ صحنون وملاعق وقنانٍ وطاساتٍ خشبيةٌ ولوازم القهوة ووجاقٌ صغير للطحخ على الغاز. وفي جهته اليسرى مستودعٌ لثياب جبران، فوقه رفٌّ تجمَّعت عليه جرائد ومجلات قديمة وأشياء كثيرةٌ سواها علاها الغبار»<sup>١</sup>.

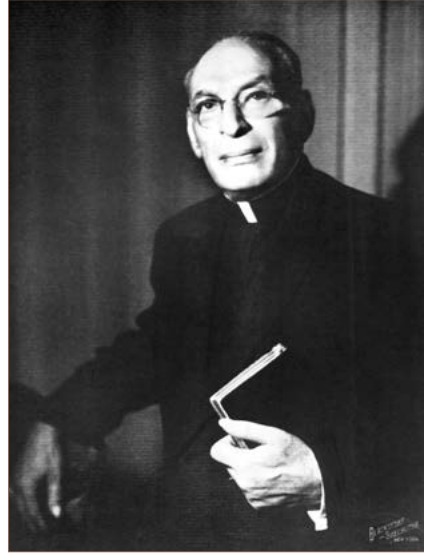
## ٢) وصفُ المونسنيور منصور أسطفان

«البنية قديمة من ثلاث طبقات. لها من فوقٍ قرميدٌ عتيق، ومن تحت مدخلٌ واسع عن جانبيه درجٌ مزدوج. صعَدنا إلى الطابق الأول فالثاني فالثالث، وانعطفنا

<sup>١</sup> ميخائيل نعيمه، «جبران خليل جبران»، مؤسسة نوفل، الطبعة الثامنة ١٩٧٨، ص ١٥٢ و١٥٣. وهو وصفُ الصومعة حين زارها للمرة الأولى ذات ليلةٍ من ١٩١٦ برفقة نسيب عريضة وعبدالمسيح حداد.

يسارًا في رواقٍ طويلٍ مظلمٍ قليلًا. أولُ بابٍ من تلك الناحية كان بابَ جبران. لم نطرقهُ. كان مفتوحًا، فدخَلنا.

الباب وسَطَ غرفةٍ وحيدة، مستطيلةٍ على طولٍ لافتٍ وعرضٍ ضيقٍ. قُبالة الباب عند الحائِطِ المقابلِ طاولتان: على اليمِنى شرشَفٌ أبيضٌ فوقَه تمثال العذراء (من نحو ٢٠ سنتم) تحمل الطفل على زندها، عن جانبيهِ شمعدانان نحاسيان فيهما شُموع ذائبة، وعلى الطاولة اليسرى كأسٌ وصينية وشمعدانان نحاسيان آخران فيهما شُموع ذائبة فوق الشرشَف الأبيض.



المونسنيور منصور أسطفان



زاوية من الاستوديو (متحف جبران)

في الركن، كسائر البيوت الأميركية، موقدةٌ لإشعال الحطب أو الفحم الحجري أو الفحم الخشبي، أمامها إسكَمَلَةٌ صغيرةٌ عليها صدرٌ نحاسيٌّ عريضٌ مستديرٌ يحمل ركوةً نحاسيةً للقهوة، حولها ثمانية فناجين في قوالبٍ نحاسية.



هنري زغيب في «غرفة» جبران اليوم كما هي في متحفه  
مثلما كانت عليه بأغراضها جميعها في «صومعة» نيويورك

إلى الزاوية اليسرى من باب المدخل: تَحْتُ واطئٌ بسيطٌ، حِرامُهُ سَجَّادَةٌ  
عَجَمِيَّةٌ، فوقه تمثال المسيح المصلوب، عن جانبه إلى الحائط لوحة زيتية قديمة  
وكبيرة (بالحجم الطبيعي) للنسوة اللاتي رافقنَ المسيح إلى الجلجلة.



سريره الواطئ وملونه (متحف جبران)

إلى يمين الباب (النصف الأيمن من الغرفة) لوحاتٌ مُختلفة الأحجام، أدواتٌ تصوير، ورسومٌ غيرٌ مكتملة.

ليس في الغرفة حَمَّام، لأنَّ هذا كان مشتركاً للطابق كله كما حال هذه الأبنية المَتَّفِسة.

فيما نغادر الغرفة، بادرتُ نعوم: «كان ناسكاً هذا الرجل. يعيش في صومعة»<sup>٢</sup>.



المبنى ٥١ في صورة قديمة عند مطلع القرن العشرين. المبنى ٥١ كما هو اليوم بعدما بلدية نيويورك هدمت المبنى القديم

<sup>٢</sup> من حديثه إليّ في منزله (غوسطا-كسروان) مساء الأربعاء ١٤ أيلول ١٩٨٣، أوردته كاملاً في كتابي «جبران خليل جبران، شواهدُ الناس والأمكنة»، منشورات درغام، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٢، ص ٤٠ و٤١. وهو وصّف الصومعة حين زارها، برفقة نعوم مكرزل صاحب «الهدى»، صباح السبت ١١ نيسان ١٩٣١، غداة وفاة جبران في المستشفى عند الساعة ١٠:٥٥ من الليلة السابقة.

## من حصاد الذكريات

نيويورك قبل ٤٥ عامًا

بقلم وليم كاشفليس  
عضو الرابطة القلمية

من أقوال الرومان: «الوقت يطير». ويخال لي، وأنا أرجع بالذكريات القهقري عبر السنين، أن الوقت حقًا «يطير»، وأنني وصلت إلى مرفأ نيويورك «أمس» على متن الباخرة الأميركية «كنغستون»، في حين أن هذا الـ «أمس» كان في الواقع أيلول من سنة ١٩٠٢، أي قبل ستة وأربعين عامًا!

ولا أزال أذكر أن الأثر الذي تركته نيويورك في نفسي لدى إقائي عليها النظرة الأولى، كان غير جميل. فقد استهجنْتُ منها منظر بناياتها الشامخة، تنطح السحاب هنا وهناك من غير تناسبٍ ولا انسجامٍ مع ما يحيط بها من البنايات والمنازل. وها أنا، بعد أن قضيتُ فيها معظم أيام حياتي، لا أزال عند رأيي الأوّل فأقول إنها دون باريس واسطنبول جمالاً وروعةً وفتنةً.

لمّا وطئتُ قدمي أرض نيويورك لم يكن للمهاجرين من الشرق الأدنى أسماء إقليمية - كـ «سوريّ» و«لبنانيّ» و«فلسطينيّ» - بل كانوا جميعهم «سوريين» في نظر الأميركيين. أما في أحيائهم الخاصة فكانوا «أبناء عرب» أو «أبناء عرب»، وكانوا يعدّون دولاراتهم بالأحاد والأنصاف والأرباع، فصاروا اليوم يعدّونها بالآلاف ومئات الألوف وبالملايين.

١ عن مجلة «الأديب» - كانون الثاني ١٩٤٩، ص ١٣، ١٤، ١٥.

## حالة المهجر الأدبية

حين يذكر القارئ العربي مهجر الولايات المتحدة، تتبادر إلى ذهنه أسماء أعلام النهضة الأدبية المهاجرة المباركة الذين تألقوا في سماءه تألق النيرات: جبران خليل جبران، أمين الريحاني، ميخائيل نعيمة، نسيب عريضة، وسواهم من هذه الطائفة الكريمة. غير أنني، لمّا حططت رحالي في نيويورك، كان هؤلاء حُلماً جميلاً بعدُ في ذمة الزمان. فالشاعر رشيد أيوب وسليم كسباني ووديع باحوط وندر حداد كانوا منصرفين إلى التجارة بعيدين كل البعد عن هياكل ربة الشعر والأدب. أما ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وإيليا أبو ماضي وعبد المسيح حداد فكانوا لا يزالون في الوطن القديم، وأمين الريحاني كان يتعلم فن التمثيل وأحياناً ينشر مقالاتٍ تمنى بعدئذ لو استطاع مَحَوها من الوجود. وأما جبران فكان في بوسطن مُنصباً على إتقان فن الرسم، وينشر حيناً بعداً آخرَ مقالاتٍ بأسلوب مبتكر في جريدة «المهاجر» (New York) لصاحبها الكاتب القدير أمين الغريب.

## أنا وجبران قبل نيويورك...

أذكر أنني اجتمعتُ بجبران لأول مرة في الوطن القديم. كنتُ في بستانٍ لنا مع بعض الرفاق في الفيحاء (طرابلس). وإذا بصديقنا المرحوم عزيز بك راجي الضاهر يدخل علينا ومعه فتى نحيل الجسم حسنُ الهندام. عرفه إلينا وقال عنه إنه شاب جاء من الولايات المتحدة حديثاً لمتابعة دروسه في مدرسة «الحكمة». ألفتنا شاباً مثقفاً حلو الحديث فأنسنا به وأحببناه. كان هذا الشاب جبران خليل جبران.

## ... وفي نيويورك

ثم كررت السنون، ولم نجتمع ثانيةً إلى أن ساقَت التقادير ركابي إلى بلاد العم سام. وذات ليلة كنت زائراً صديقي المرحوم نجيب دياب صاحب جريدة «مرآة الغرب» في منزله في بروكلن. قال قائل: «جاء جبران من بوسطن، وهو ضيفٌ على

الأستاذ أمين الغريب. هيّا بنا نزورهما». وقال لي آخر: «... وأنا سأعرفك بجبران» فقلت: «دع عنك هذا الأمر. لعلّه يتذكّر اجتماعنا السابق». وفعلاً، ما كادت تقع عينا جبران عليّ حتى ناداني باسمي وذكّرني باجتماعنا في فيحائنا العزيزة، وكان قد مضى عليه نحو عَفْد من السنين! ومنذ ذلك الحين تمكّنت بيننا صداقةً متينة لم تنقطع طوال ثلاثين سنة، إلى أن قطعَها يد المنون.

## ولادة الرابطة القلمية

لا شك في أن القارئ يودُّ أن يعرف كيف تأسست «الرابطة القلمية» وما هي الغاية منها. وإني، على الرغم من ضيق المقام، راسمٌ في ما يلي خطوطاً رئيسة لا تزال عالقة في الذاكرة: كان من عادة بعض أدياء نيويورك أن يجتمعوا، بعد الانتهاء من العمل، في إدارة إحدى الجرائد العربية<sup>٢</sup> لتبادل الرأي والاستئناس. فلما جاء جبران نيويورك من بوسطن للإقامة الدائمة فيها، وجاءها ميخائيل نعيمة من سياتل (في ولاية واشنطن) أخذنا جميعاً نشعر بوجوب عقد جلسات منظمة. قرّر رأينا على تأسيس رابطة قلمية تكون غايتها تشجيع الإنتاج الأدبي العصري، والتعاون مع العناصر الأدبية المجدّدة في الأقطار العربية لرفع مستوى الأدب وخدمة أمتنا بأقلامنا. ولم تكن «الرابطة» جمعيةً أو نادياً بالمعنى المعروف بل كانت مجلساً يضم رفاقاً تألفت أذواقهم وانسجمت منازعهم الأدبية والفكرية. والحقيقة أن تنظيم «الرابطة» يعود الفضل الكبير فيه إلى «ميشا» نعيمة<sup>٣</sup>. فهو، لو لم يكن كاتباً وشاعراً، لاستحقَّ أن يكون قائداً عسكرياً. فإنه رجل إداري مدقّق ومنظّم من طراز عال.

أقف هنا لأقول كلمة صريحة، وهي أن لم يتوهّم أحد من عمال «الرابطة» أنه زعيم أو مبدع في حقل الأدب، أو انه يفضل سواه من الأدياء المعاصرين

٢ يقصد الكاتب هنا مجلة «السائح» لعبدالمسيح حدّاد، بعدما كانت احتجبت مجلة «الفنون» لنسيب عريضة وكانت إدارتها أيضاً ملتقى الأدياء.

٣ اسم ميخائيل نعيمة تحبباً بين رفاقه.



الناهضين. كنا جميعًا نُعجَب بمواهب الأدباء المجدِّدين في لبنان وسوريا ومصر والعراق، ونُقَدِّرُها حقَّ قَدْرِها، ونشعرُ أنَّ من واجباتنا تشجيعُ الأدباء المجدِّدين لينطلقوا من القيود الأدبية المرهقة التي تحُول دون إظهارهم مواهبهم الكامنة، ولذلك صمَّنا على أن تكون «الرابطة» ذاتها هي القدرة الصالحة والدليل إلى سواء السبيل. وكانت مطامحنا لا تعرف حدًّا. كنا نأمل أن نجتمع من المال ما يُمكننا من زيادة الإنتاج الأدبي المفيد لا في المهجر فقط بل في لبنان ومصر وسوريا وسواها، بطبع المؤلفات القيِّمة على نفقة «الرابطة». على أن هذا الحلم الجميل لم يتحقَّق لأنَّ المغتربين - بأغلبيتهم الساحقة - كانوا ولا يزالون تحت تأثير ما يصح أن نسمِّيه «نفسية القرية»، أي أن نظرهم إلى واجباتهم الاجتماعية لا يتجاوز القرية أو البلدة التي هاجروا منها، كترميم كنيسة، أو إنشاء مدرسة أو مصحَّح، أو ما أشبه ذلك من المشروعات المحلية المحدودة المرمى. أما الأفق البعيد للإنسانية الشاملة فهذه كانت ولا تزال غامضة عليهم. على أنني غير متجاوز حدَّ الإنصاف بقولي إن «الرابطة» قد أدَّت خدمة جليَّة للأدب العربي، وكانت مصدرَ اتجاهات فكرية وأدبية هامة ظهر أثرها جليًّا في الإنتاج الأدبي المعاصر.

## جبران والريحاني

كان جبران والريحاني صديقين لا يفترقان مدة طويلة، يصاحبان كبار الأدباء الأميركيين وفنانينهم. ولكن «أبناء الحلال» - وأعني طبعًا أهل النَميمة - لم يتركوهما حتى أفسدوا عليهما صداقتهما فتحوَّلت الصداقة إلى فُتور فَنُفور. وأذُكُر أنني اضطررتُ مرَّةً، إذ كنت عريفًا لحفلة وديع شكري بخاش، إلى أن أُمْنَع كليهما من الخطابةِ مخافةً أن تصير خطبتهما مناظرةً شخصية مبطنَّة بما لا يحب لهما أصدقاؤهما. لكنهما، غفرَ اللهُ لهما وأوسعَ لهما في رحمته، تصالحا بعد ذلك، وإنما بقي في القلب بقية من المرارة.



تأكيداً ما ورد في مقالة وليم كانتسفليس عن قوة العلاقة بين الريحاني وجبران، هوذا مقطع من رثاء الريحاني صديقه جبران كما صدر في جريدة «الهدى» اليومية - نيويورك (عددها ١٧٤ - السنة ٣٤ - الخميس ١٧ أيلول ١٩٣١ - ص ٤ و ٥) بعنوان «الريحاني يبكي جبران»، نقلاً عن جريدة «رحلة الفتاة» في لبنان، ومطلع النص: «جبران أخي ورفيقي وحببي... إنَّ للشهرة يوماً، وإنَّ للحُزن يوماً، والباقي للُبنان (...)، وإنَّ ترابي غداً في وادي الفريكة يناجي ترابك في الوادي المقدس».

## بعض صفات جبران

كان جبران طيّب القلب، رقيق العاطفة، صادق المودّة، لم يخُن في حياته صديقاً ولم ينكث لأحد عهداً. أحياناً عاب عليه بعضهم الشذوذ، وأنا على يقين من أن هذا البعض لم يقصد الشذوذ لكن خياله الحادّ كثيراً ما كان يُؤثّر فيه تأثير الخمرة. فأنا عرفتُ جبران في مواقف كثيرة تدفّقت عليه الألحان فغصّ بها ولم يتمكّن عندها من التعبير عنها لفظاً ولا كتابةً. وإذا صحّ أنّه قال مرةً إنه «وُلد في بلاد الهند»، فعندي أنّه قال هذا القول من قبيل المجاز كأنّه أراد أن يقول إنه ابنُ العالم كله، لكنه لم يحسن التعبير وليس من قبيل التنصّل من لبنانيته. فقد كان جبران فخوراً جداً بلبنان ولبنانيّته. وأظنّه الوحيد الذي، بين أدباء «الرابطة»، لم يتجنّس بالجنسية الأميركية.

## جبران والانتقاد

من الغرابة أن جبران، على الرغم من رحابة صدره ورحابة عقله، كان يكره كرهًا شديدًا انتقادَ الناس إياه، ويتألم منه غاية الألم حتى وإن كان مصدره الحاسدون والمتعنتون. وكان من أكره الانتقاد عليه: انتقاد اللغويين. وعندي أن سبب نقمة جبران الحقيقي هو ثورته على الجهل والتعنت والرجعية والتعصب، وغيرته على رسالته الروحية التي كان يؤمن بها إيمان المسيحي بسرّ التجسّد والمسلم برسالة محمد. وكان رقيق العاطفة، سريع التأثر، يترقق الدمع من عينيه لدى أقل مناسبة. وإني في حياتي كلّها لم ألق إنسانًا أسرع إلى ذرف الدمع من جبران خليل جبران. فقد كان مرهف الإحساس لدرجة قصوى.

## جبران النديم

أما جبران الرفيق والنديم فلم يكن في الدنيا أحلى منه ولا أخف منه ظلًا. متى دارت الكأس وجلسنا نتنادم، أشرق وجهه الملائكي بنور المحبة والبهجة فبدا محاطًا بهالة من السحر والفتنة. كان يساهم في تبادل الدعابة والنكات لكنه كان عفيف اللسان. كنا جميعًا - باستثناء ميشا نعيمه - نتناسى عقّة اللسان أحيانًا، ولا سيما إذا اقتضت النكتة ذلك. أما جبران، فطوال صداقة ثلاثين سنة، لم أسمعهُ يتفوّه بكلمة واحدة تستحي أن تتلفظ بها العذراء المحتشمة. وكانت تروق له نكات رشيد أيوب، أمير الندماء وزين المجالس، وإذ كان جبران يشارك فيها، كان رشيد أيوب يتلفّت إليه متظاهرًا بالغضب ويصيح: «وإنت كمان يا عميد كيت وكيت؟» فيغرق جبران في الضحك ويلدّ له سماع تلك الشتائم الحلوة من فم الدرويش الحبيب النديم الذي لن تخلق الأيام له خلفًا.

## حُب جبران رفاقه

لأنسى وجه جبران حين كان أحد الرفاق يقرأ علينا مقالًا أو قصيدة قد أتمّها حديثًا وأعجبت جبران، فكان في ذلك الموقف فرحًا معتزًا، شأنه شأن الأم تراقب

خطوات طفلها الأولى. كان جبران يحب رفاقه جميعهم. لكني أرجح أن أقربهم إلى قلبه الكريم كان نسيب عريضة فعبد المسيح الحداد. وهو اختصر اسم عبد المسيح فكان يدعوه «عبدول»، وكان شديد الإعجاب بعبقريته نسيب وغازة علمه ودمائة أخلاقه.

تلك أيام هنيئة حلوة مرّت مرور أحلام الشباب بين ثلوج الشتاء المتراكمة. وأسأل نفسي: «أحقيقه كانت جميلة ولذيذة؟ لا يزال طعمها في فمي وبلسمها في قلبي».

في ذمة الله من تولى من إخواني الأحبة، وفي حفظ الله من بقي منهم حيًا يُفيد الإنسانية بثمرات قلبه وعقله.

نيويورك - وليم كاتسفليس



فندق پنسيلفانيا الفخم (نيويورك) في صورة له من أول عهده بعدما اكتمل بناؤه (نحو ١٩١٩).



مأدبة عشاء لوليم كاتسفليس على شرف صديقه جبران - فندق پنسيلفانيا - نيويورك - السبت ٢٤ أيار ١٩٣٠.  
وليم إلى يمين الصورة وجبران إلى يسارها.  
ولعله آخر ظهور عام لجبران قبل دخوله في فترة الآلام التي ظلّت تُرهقه وتُنهكه حتى قضت عليه بعد ١١ شهرًا من تلك المأدبة.

## غادرَ وطنه لبنانياً، ولبنانياً عاد إليه

ثلاث قرن في الولايات المتحدة ولم يطلب الجنسية الأمريكية

الذي كتَبَ مُجاهراً: «لو لم يكن لبنان وطني لاتخذتُ لبنان وطني»...  
... والذي كتَبَ: «لبناني وطنٌ أدخلهُ بالروح عندما أمَلَّ النظرُ إلى وجه هذه  
المدينة السائرة على الدواليب... وأنا مقتنعٌ بلبنان وأبنائه، وفي اقتناعي عذوبة  
وسكينته وطمأنينة»...

... ظلَّ على ولاءٍ للبنانه، ووفاءٍ لـ «المدينة السائرة على الدواليب».  
لم يُنكر فضلَ نيويورك عليه لكنه عاش فيها ثلاثِ قرنٍ حتى لحظة وفاته فيها  
بما سوى بطاقة «الإقامة الدائمة»<sup>١</sup> دون تقدُّمِهِ بطلب الحصول على جنسية بلادها.  
ها هو إذًا: لم يبقَ حُبُّه لبنانَ تنظيراً بل ظلَّ لبنانَ صدىً قوياً لريشته وخيالاً  
حيّاً لقلمه، فلم تغب عن خلفية زيتياته خيالاتُ بشرِّي وتلالِ الأرز ووادي قنوبين،  
ولا غاب لبنان عن كتاباته العربية وحتى عن كتبه الإنكليزية.  
تلك كانت إرادته.

وُصولاً إلى إطارٍ تاريخيٍّ لإرادته تلك، بحثتُ عن وثائقٍ ثابتةٍ تؤكِّدُ أنه عاش  
لبنانيَّ الولاء ومات لبنانيَّ الانتماء، دون الإقلال من أهمية أن يظلَّ المهاجرُ لبنانيَّ  
الوفاء والولاء ولو حملَ جنسيةَ البلاد التي هاجر إليها وعملَ فيها وبادلها الوفاء لما  
تكون قدَّمت له من فرصٍ حياتيةٍ ومهنية.

١ معروفة في التداول العام Green Card وهي رسمياً Permanent Resident Card.

في سياق هذا الإطار التاريخي عثرتُ على أربع وثائق:

(١) بطاقة حكومية من دائرة الجنسية والهجرة الأميركية تشير إلى أنه لم يتقدّم منها بطلب التجنُّس.

(٢) عبارة وردت في مقال رفيق له في «الرابطة القلمية» وليم كاتسفليس يذكر أنه لم يطلب الجنسية الأميركية.

(٣) إشارة في كتاب الباحث المُدقّق روبرن ووترفيلد تفيد أن جبران لم يلتحق بالخدمة العسكرية لأنه ليس مواطناً أميركياً.

(٤) شهادة مباشرة من الكاتبة جين جبران زوجة النحات البوسطني خليل جبران الذي آلت إليه وثائق جبران بعد وفاته.

وأكرّر أن لم يكن يقلل من لبنانيّة جبران لو انه حَمَلَ الجنسية الأميركية.

الغاية من هذا الفصل تبيان أن انتماءه اللبناني جعله يُبقي على بطاقة وثيقته اللبنانية، ويذكر في وصيته حصّة من تركته لبلدته بَشْرِي، ويطلب أن يشتري دير مار سركيس ليُمضي بقية حياته فيه. وهذه العناصر جميعها تَأَمَّنَت فَأَثْبَتَ حَيَاتِيًا وعملياً قَوْلَتَهُ النظرية «لو لم يكن لبنان وطني لاتخذتُ لبنان وطني».

وفي ما يلي تفصيل الوثائق الأربع.

## (١) بطاقة التسجيل

### المعلومات العامة

الرقم المتسلسل : ٣٩

رقم الطلب : ٢٨٣٢

الاسم الكامل : جبران خليل جبران

عنوان الإقامة : المبنى ٥١، الشارع العاشر غرباً، مدينة نيويورك

العمر : ٣٥ سنة

الولادة : ٦ كانون الثاني ١٨٨٣

العرق : أبيض  
الجنسية الأمريكية : لم يتقدّم بطلب الحصول عليها  
الجنسية الأصلية : تركية  
المهنة الحالية : رسّام، شاعر  
ربّ العمل : لا أحد  
مكان العمل : المبنى ٥١، الشارع العاشر غرباً، مدينة نيويورك  
أقرب الأنساب: ماري خليل جبران (شقيقته)  
عنوانها : المبنى ٧٦، شارع تايلر، بوسطن، ماساشوستس  
التوقيع : جبران خليل جبران (توقيعه بعد الإقرار بقراءة هذه المعلومات أعلاه  
وتأكيد صحة ما ورد فيها).

#### وصف صاحب البطاقة

الطول : قصير  
الجسم : نحيل  
العينان : بُنيّتان  
الشعر : أسود  
تشويه جسدي: كلاً، غير مُصرّح  
توقيع الموظف مُسجّل البطاقة: وليم بِلر  
التاريخ : ١٢ أيلول ١٩١٨

#### ما مناسبة هذه البطاقة؟

بين ١٩١٧ و١٩١٨ طلبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من جميع الذكور المولودين بين ١٨٧٢ و١٩٠٠، مواطنين أميركيين أو سگاناً غير مُجنّسين، أن يملأوا هذه البطاقة بجميع المعلومات المطلوبة فيها.

ففي ٦ نيسان ١٩١٧ دخلت الولايات المتحدة الحرب ضد ألمانيا. وفي ١٨ أيار ١٩١٧ أتاح القانون لرئيس الجمهورية الأميركي أن يزيد من عدد الجنود في

المعركة، فطلبت الحكومة، لغاية إحصائية، أن يملأ هذه البطاقة جميعُ الذكور على أرض البلاد ممّن بين الثامنة عشرة والخامسة والأربعين من العمر، ذلك أن فترة ١٨٨٠-١٩١٨ شهدت دخولَ أفواجٍ بالآلاف من المهاجرين الوافدين. لذا كان على الجميع، أميركيين أو غير مُجنّسين أميركيًا، أن يملأوا تلك البطاقة، سواء التحقوا بالخدمة العسكرية أم لم يلتحقوا.

تمّ تسجيل البطاقات على ثلاث مراحل:

(١) بطاقة المرحلة الأولى في ٥ حزيران ١٩١٧: فيها ١٢ سؤالًا، للمولودين بين ١٨٨٦ و١٨٩٦.

(٢) بطاقة المرحلة الثانية في ٥ حزيران ١٩١٨: فيها ١٠ أسئلة، للمولودين بين ٦ حزيران ١٨٩٦ و٥ حزيران ١٨٩٧.

(٣) بطاقة المرحلة الثالثة في ١٢ أيلول ١٩١٨: هي الأوسع استفهامًا وفيها ٢٠ سؤالًا، للمولودين بين ١١ أيلول ١٨٧٢ و١٢ أيلول ١٩٠٠ (وهي التي ملأها جبران ووقّع عليها).

جميع هذه البطاقات الأصلية، موقّعة من مالئها شخصيًا، موجودةٌ حاليًا في قسم الحرب العالمية الأولى لدى «مؤسسة المحفوظات الوطنية» (ولاية جورجيا)، ونُسُخُ أشرطةِ الميكروفيلم موجودة لدى الفرع المحلي للمؤسسة في كل ولاية.

### بطاقة جبران

من هذا الشرح أعلاه، ومن إلزامية أن يملأ البطاقة كلُّ ذكّرٍ على أرض الولايات المتحدة ولو لم يكن أميركيًا، ومن الخانة رقم ١٤ حول «الجنسية الأميركية» والجواب فيها: «لم يتقدّم بطلب الحصول عليها»، يتّبتُّ أن جبران أمضى حياته في الولايات المتحدة حاملًا فقط «بطاقة الإقامة الدائمة» لغير الأميركيين. وباعتبار تاريخ البطاقة سنة ١٩١٨، يكون مضى عليه في البلاد ٢٣ سنة (مع سنواته الأربع



في لبنان). ولو كان، طيلة إقامته الطويلة تلك، يريد الحصول على الجنسية لكان تقدّم بطلبها ونالها.

REGISTRATION CARD	
SERIAL NUMBER 39	ORDER NUMBER 2833
1 <i>Gibran Kahlil Gibran</i>	
2 PERMANENT HOME ADDRESS 51 W. 106th St. NEW YORK, N.Y.	
Age in Years 35	Date of Birth 6 1883
RACE	
White <input checked="" type="checkbox"/>	Negro <input type="checkbox"/>
Oriental <input type="checkbox"/>	Indian <input type="checkbox"/>
Citizen <input type="checkbox"/>	Natives <input type="checkbox"/>
U. S. CITIZEN	
Native Born <input type="checkbox"/>	Naturalized <input type="checkbox"/>
Citizen by Father's Naturalization Before Registrant's Majority <input type="checkbox"/>	Declarant <input type="checkbox"/>
Alien <input type="checkbox"/>	Non-declarant <input checked="" type="checkbox"/>
15 If not a citizen of the U. S., of what nation are you a citizen or subject? Turkey	
PRESENT OCCUPATION	EMPLOYER'S NAME
16 Artist + Poet	17 None
18 PLACE OF EMPLOYMENT OR BUSINESS	
51 W. 106th St. NY NY NY	
NEAREST RELATIVE	
Name	19 Mary K. Gibran (sister)
Address	20 76 Tyler St. Boston Mass
I AFFIRM THAT I HAVE VERIFIED ABOVE ANSWERS AND THAT THEY ARE TRUE	
P. M. G. O. <i>Gibran Kahlil Gibran</i>	
Form No. 1 (Rev. 1918)	

REGISTRAR'S REPORT	
DESCRIPTION OF REGISTRANT	
HEIGHT	BUILD
Tall Medium Short	Slender Medium Stout
22 23 24	25 26
COLOR OF EYES	COLOR OF HAIR
27	28
29 Has person lost arm, leg, hand, eye, or is he obviously physically disqualified? (Specify.)	
no	
no	
I certify that my answers are true; that the person registered has read or has read to him his own answers; that I have witnessed his signature or mark; and that all of his answers of which I have knowledge are true, except as follows:	
<i>Lina and Boce</i>	
Date of Registration SEP 12 1918	
Div. Pl. 2 10th St.	
Local Board No. 158 for the City of N. Y.	
50 Washington Square	
(STAMP OF LOCAL BOARD)	

بطاقة جبران وفيها يظهر (في الخانة رقم ١٤) أنه لم يتقدّم بطلب الجنسية الأمريكية

## ٢) شهادة وليم كاتسفليس

في مقالٍ نشره وليم كاتسفليس<sup>٢</sup>، وهو من رفاق جبران في «الرابطة القلمية» وأحد أقربهم إليه، سرّك ذكرياته عن جبران وجاء في المقال: «كان جبران فخوراً جداً بلبنان ولبنانيته. وأظنُّه الوحيد الذي، بين أدباء «الرابطة»، لم يتجنَّس بالجنسية الأمريكية.»

٢ «من حصاد الذكريات - نيويورك قبل ٤٥ عاماً»، مجلة «الأديب» - السنة الثامنة - العدد الأول - كانون الثاني ١٩٤٩، ص ١٤.

### ٣) إشارة روبن ووترفيلد

ذَكَرَ روبن ووترفيلد<sup>٣</sup> في الفصل الثامن («أصدقاء وخصوم») من كتابه عن جبران<sup>٤</sup> ما ترجمته: «لم يلتحق جبران، كميخائيل نعيمة، بالخدمة في الجيش الأميركي، لأنه لم يكن يحمل الجنسية الأميركية. مع أنه، بين ١٩١٠ و١٩١١، كان مستعداً أن يكون أميركياً فترةً أبدى لماري هاسكل استعدادَه للزواج منها، إنما لا وثيقة تُثبت أنه أقدم على طلب الجنسية».

### ٤) شهادة جين جبران

في رسالة شخصية مني إلى جين جبران<sup>٥</sup> (الأقرب نسباً وحياءً إلى صاحب «النبى») سألتها عن نَيْل جبران الجنسية الأميركية فأجابتنى (١٦ آب ٢٠١٩) حرفياً: «لم يكن جبران مواطناً أميركياً ولا شقيقته مريانا. ونهار الجمعة ٦ كانون الثاني ١٩١١، في ذكرى مولده الثامنة والعشرين، نشر في «مرآة الغرب» مقطوعة «نحن وأنتم» تتصدّرها بالإنكليزية عبارة To M.E.H. حاول عبثاً مع ماري ترجمة المقطوعة إلى الإنكليزية، وغمر ماري شعوراً أن تتعلّم العربية... وفي ذاك الشهر ذاته عرض عليها جبران أن يكون زوجها عبر تسوية وضعه رسمياً وشرعياً باستعداده أن يطلب الجنسية الأميركية. لكنّ حجة هذا العرض كانت ضعيفةً وغير كافية لتفنعها بالزواج منه فسقط الموضوع من التداول. وأظنها المرة الوحيدة التي ورد ذكر التجنس في

٣ بريطاني (ولد سنة ١٩٥٢)، كاتب و مترجم، له مجموعة كتب للأطفال. يعيش حالياً في اليونان منصرفاً إلى التأليف. صرف سنواتٍ طويلةً باحثاً في سيرة جبران ومؤلفاته، وكتابه عنه من أبرز المراجع الأكاديمية.

٤ «نبى - حياة خليل جبران وزمانه» (بالإنكليزية)، نيويورك ١٩٩٨، ص ٣٢٤-٣٢٥، الحاشية رقم ٧٥.

٥ كاتبة أميركية وضعت، وزوجها النحات البوسطني خليل جبران، كتاب «خليل جبران، أبعد من الحدود» (طبعة جديدة ٢٠١٧)، ولعلّه أكثر سير جبران توثيقاً لأن جميع أوراق جبران ومخطوطاته وأعراضه آلت إليهما بعد وفاة جبران من شقيقته مريانا. وهو طبعةٌ مزيدة لكتابهما الأول عن جبران (١٩٧٤).

رسائل ماري ويومياتها. وجبران، على أيّ حال، كان فخورًا جدًا بوطنه وبلبنانيّته كما يظهر من مطلع مقطوعته «إلى المسلمين من شاعرٍ مسيحيٍّ»<sup>٦</sup>: «أنا لبناني ولي فخرٌ بذلك، ولست بعثماني ولي فخرٌ بذلك أيضًا. لي وطن أعتزُّ بمحاسنه ولي أُمَّةٌ أتباهى بمآتيها، وليس لي دولةٌ أنتمي إليها وأحتمي بها».

وفي قراءة ما أرسلته لي جين جبران، يتأكد ذكرها أنّ حجة جبران لماري بالتجنُّس أميركيًّا «كي ترضى بالزواج منه»، كانت حجةً ضعيفة ولم تكن هي التي ستُعْري ماري وتُفْنِئها به زوجًا، لأنّ لإعراضها عن الزواج منه سببًا آخر: فبعدما في يومية الأحد ١٩ شباط ١٩١١ كتبت: «قلتُ في المحترف لشارلوت [تِلر] إنّنا، أنا وجبران، نريد أن نتزوَّج حين تأتي الفرصة فأجابني أنها تمتّ ذلك منذ التقتّه في باريس»، عادت ماري فكتبت في دفترها يوم الجمعة ١٤ نيسان ١٩١١: «فكرتُ أنّ يدَ الله تقودَ خطاي كي أكون زوجته. لكنّ فارق السنّ يعلو حاجزًا بيننا<sup>٧</sup> وعائقًا دون زواجنا»، وفي اليوم التالي (يومية السبت ١٥ نيسان) سرّدت جلسة بينهما صرّحت له فيها باكية: «توقفتُ نهائيًّا عن تفكيري أن أكون زوجتك، مع أنني أُرغب في ذلك... أنا سأكون قريبًا على طريق الأفول فيما أَمَامَكَ طريقُ قِمةٍ تتسلّفها».

وهذا يُؤكّد ما كتبتّه لي جين جبران<sup>٨</sup> أنّ مُجرّدَ التجنُّس أميركيًّا ليس هو السبب الذي كان يُفْنِئ ماري بالزواج من جبران. وهكذا يكون غادرَ وطنه لبنانيًّا، ولبنانيًّا عاد إليه.

٦ نشرها في «الفنون»، السنة الأولى، العدد الثامن، تشرين الثاني ١٩١٣، ص ٣٧ - ٣٩.  
٧ الفارق بينهما عشر سنوات (ولدت سنة ١٨٧٣ وولدت سنة ١٨٨٣). وعند كتابة هذه اليومية كانت هي في الثامنة والثلاثين وهو في الثامنة والعشرين.

٨ في كتاب «خليل جبران، أبعد من الحدود» ورد في الصفحة ٣٥٩ عن يوميات ماري هاسكل: «كان جبران أبدي استعدادَه للتجنُّس أميركيًّا إِبَّانَ أحاديثه مع ماري عن إمكان زواجهما. إنّما بعد ذلك لم يعد يرد في يومياتها أيُّ ذكْرٍ لموضوع التجنُّس».

## ... مع أنه دخل أميركا بغير اسمه وفيها فقدَّ اسمه اللبناني

إِبَّانِ اشتغالي على البحث عن وثائق لهذا الكتاب، وصلَّتي وثيقة (أكيدة لأنها مصوَّرة عن الأصلية)، هي نسخة «مانيفست» الباخرة التي رست في مرفأِ إيليس آيلند (مانهاتن - نيويورك)، وترجَّلَ منها جبران وأُمُّه كاملة وأخوه بطرس وشقيقتاه مريانا وسلطانة. ومن هذا «المانيفست» يتبيَّن أن الفتى جبران (١٢ سنة) لم يدخل أميركا باسم عائلته جبران بل رحمة، عائلة أخيه البكر بطرس الذي يبدو كان هو مَنْ تقدَّم إلى تسجيل اسمه في دائرة الهجرة، فتسجَّلت على اسمه العائلة كلُّها باسم Rhamé (كذا).

وهنا التفاصيل أترجمها حرفياً كما ظهرت في «المانيفست»:

سفينة المهاجرين الهولندية على خط «سپارنْدَام» - رقم الرحلة ٢٧٣ - مرفأُ الإقلاع: روتردام خط مرفأِ بولونيا (شمالي فرنسا، ١٣٠ كلم عن باريس). مرفأُ الوصول: نيويورك. تاريخ الوصول: ١٧ حزيران ١٨٩٥.

رقم المسافر: ٢٧١. الاسم: بطرس رحمة. العمر: ٢٠ سنة. الجنس: ذكْر. المهنة: تاجر. الوُجهة المقصودة: نيويورك.

رقم المسافر: ٢٧٢. الاسم: كامي Camé (كذا). العمر: ٤٠ سنة. الجنس: أنثى. المهنة: - . الوُجهة المقصودة: نيويورك.

رقم المسافر: ٢٧٣. الاسم: جبران. العمر: ١١ سنة. الجنس: ذكْر. المهنة: - . الوُجهة المقصودة: نيويورك.

رقم المسافر: ٢٧٤. الاسم: ماريانا. العمر: ٩ سنوات. الجنس: أنثى. المهنة: - . الوُجهة المقصودة: نيويورك.

رقم المسافر: ٢٧٥. الاسم: سلطانا (كذا). العمر: ٧ سنوات. الجنس: أنثى. المهنة: - . الوُجهة المقصودة: نيويورك.

وسبقَ أسماء العائلة في اللائحة رقمُ المسافر ٢٧٠ باسم جريس حنا (٦ سنوات)، وتلاها الرقمُ ٢٧٦ باسم الياس ابرهيم (٢٥ سنة - مُزارع).



الباخرة «سپارندام» التي جاءت فيها كاملة رحمة وأولادها (من مرفأ بولونيا) وبلغت ميناء نيويورك صباح الإثنين في ١٧ حزيران ١٨٩٥.

No.	NAME IN FULL.	Age.		Sex.	Calling or Occupation.	Country of which they are Citizens.	Native	Intended Destination or Location, State or Territory.	passengers other than Cabin, whether Citizens of the United States.
		Years.	Months.						
268	Jain Sabet	46	-	m	farmer		Spain	Newark	100
269	Lavina Hamad	15	-	f	widow			Newark	1
270	Janis	6	-	m	"				1
271	Portos Akhmed	20	-	m	merchant				1
272	Cam	16	-	f	widow				1
273	Julrad	11	-	m	"				1
274	Mariamid	9	-	f	"				1
275	Sultani	7	-	m	"				1

«مانيفست» الباخرة وفيه تظهر أسماء العائلة باسم «رحمة»

السيناريو الممكن أن تلك الأسرة وقفت بأفرادها مجتمعين أمام موظف الأمن العام الذي قد يكون خاطب الأم ولم تفهم لجهلها اللغة، فتوجّه إلى بكر الأسرة العشريني الراشد بطرس لعله يفهم أو يحسن التعبير. ولما كان بطرس من عائلة رحمة (كونه ابن كاملة من زوجها الأول بابن عمّها حنا عبدالسلام رحمة) كان من الطبيعي تسجيله في خانة عائلة رحمة. وإذ يكون الموظف سأله عن السيّد معه ومن معها، فيكون أجابه أنها أمه ومعها أخوه وأختاه، تلقائياً سجّل الجميع باسم عائلة «رحمة»، فيكون جبران دخل الولايات المتحدة باسم «جبران رحمة» لا «جبران جبران».

في بوسطن، ولغرابة التكرار في السائد الأميركي بين الاسم الأول واسم العائلة (جبران خليل جبران)، سجّته مسؤولة مدرسة كوينسي باسم كليل جبران (لصعوبة لفظ الخاء في الإنكليزية) ما اضطرّه إلى اعتماد اسمه هكذا طيلة حياته الشخصية والأدبية في أميركا.

SALOON, CABIN, AND STEERAGE ALIENS MUST BE COMPLETELY MANIFESTED.									
LIST OR MANIFEST OF ALIEN PASSENGERS FOR THE UNITED STATES									
Required by the regulations of the Secretary of Commerce and Labor of the United States, under Act of Congress approved February 20, 1907, to be delivered									
S. S. <i>New Amsterdam</i> sailing from <i>Boulogne-sur-Mer</i> on <i>23rd October</i> 1900									
No.	Name	Age	Sex	Occupation	Country	Native	Destination	Passenger	Remarks
1	Jain Sabet	46	m	farmer	Spain		Newark	100	
2	Lavina Hamad	15	f	widow			Newark	1	
3	Janis	6	m	"				1	
4	Portos Akhmed	20	m	merchant				1	
5	Cam	16	f	widow				1	
6	Julrad	11	m	"				1	
7	Mariamid	9	f	"				1	
8	Sultani	7	m	"				1	

## ميخائيل نعيمة يقرأ «النبى»

حين وضع ميخائيل نعيمة سيرة صديقه جبران<sup>١</sup>، جعل كتابه في ثلاثة أقسام: «الشَّفَق»، «العَسَق»، «الفجر»، وملحق بوثائق خاصة.

القسم الثالث خَصَّصَ منه الفصل الثاني («المصطفى») لكتاب «النبى» ساردًا فيه وقائع تراوحت بين الموضوعي والشخصي في أسلوب أدبي غالبًا مزدوج البث، فرأى أن جبران «اختار لكتابه قالبًا جميلًا يليق بما يحمله» ويكمل «لكنه، وللأسف، لم يكن كلُّه من صياغة جبران، فشكَّله الإجمالي مستعارًا من نيتشه وزرادشتيه». ويضيف أن «كما زرادشت هو نيتشه نفسه، كذلك المصطفى هو جبران نفسه». ويروي: «قبل أن سلّم جبران «النبى» إلى الناشر بشهرٍ أو شهرين، أعطاني نسخةً منه مطبوعَةً على ماكنة الكتابة، وأرسل مثلها إلى ماري هاسكل لتنظر فيها وتهديه إلى كلماتٍ قد يكون أساء استعمالها. النسخة التي أعطاني إياها كان قصده منها - وإن لم يكشفه لي بالتمام - أن أدرس الكتاب درسًا وافيًا وأقول فيه كلمةً عند صدوره. وكان قد قرأ لي كلَّ موعظةٍ من مواعظه عند فراغه من تأليفها، ما خلا الفاتحة والخاتمة. لكنني، بعد أن قرأتُ الفاتحة والخاتمة، ورأيتُ جبران يُحدِّث عن نفسه في تلك وهذه، استنكرتُ منه أن يصوّر نفسه نبيًا حتى تحت نقاب من التمويه الفني. فلو انه اتخذ من المصطفى بوقًا لا غير لأفكاره وأشواقه، لهان الأمر.

١ جبران خليل جبران - حياته، موته، أدبه، فنه، بيروت ١٩٣٤، ٣٢٨ صفحة قطعًا كبيرًا.

لكنه خَلَع عليه وشاح النبوءة فكأنه خَلَعه على ذاته أَيضًا. قد يكون أن جبران لم يقصد هذا القصد لكن ذلك ما تَوَدَّيه فاتحهُ الكتاب وخاتمته، وذلك ما أَدَّاه الكتاب كلُّه إلى أذهان الكثيرين، وبالأخص أولئك الذين كَتَبوا فوق ضريحه في مار سركيس هذه الآية: «هنا يَرَقِد نَبِيُّنا جبران». وكأنه قام لهم مَن يحاسبهم عن الضمير «نا» في «نَبِيُّنا» إلى أين يعود، فغَيَّروا الكلمة إلى «بَيْننا»، وهي التي قرأَها عندما زرتُ الضريح في صيف ١٩٣٢».

تلك الـ «أنا» التي رافقت كتاب نعيمه عن صديقه جبران، استخدمها في السيرة أحيانًا بما عاينهُ من جبران وأحيانًا بما سمعَ منه، فجاء بما أثار غضب الرفاق في «الرابطة القلمية» على مبالغٍ وِصِفَاتٍ استهجنوها، ما دعا نعيمه إلى حذفها حين أصدر الطبعة الإنكليزية من كتابه سنة ١٩٥٠، فكان في توجُّهه إلى قرَّاء الإنكليزية نقابٌ من الاحترام أَدَّاه إلى صديقه الغائب، هو الذي كان أقرب الرفاق إليه.

في السياق ذاته، وإلى قرَّاء الإنكليزية كذلك، توجَّه من جديد بنقابٍ احترامٍ عالٍ إلى صديقه جبران حين طلبتُ منه مجلة «آرامكو» كتابةً مقالٍ بالإنكليزية، فخصَّصه لـ «النبي» وسردَ أجمل ما يمكن أن يكتب صديقٌ وفيٌّ عن صديقه الغائب.

هنا ترجمتي الحرفيَّةُ هذا المقال من الإنكليزية:

## هذا الكُتَيْبُ الغريب

«غريبٌ هذا الكُتَيْبُ يا مِيشا!»

بعد أربعين سنةً<sup>٢</sup> ما زالت هذه الكلمات ترنُّ جليَّةً في بالي. قالها لي جبران ذاتَ ليلةٍ بُعِيدَ طباعة كتابه الإنكليزي الثالث «النبي»، وهو عملٌ صوفيٌّ موجزٌ. كنا وحدنا تلك الليلة مسترخيين في «الصومعة» (كما كنا نسميها، هو وأنا وحلقة صغيرة من كُتَّاب وفنانين عرب مهاجرين) أيُّ مُحترَف جبران المتواضع في

٢ الأربعون هنا هي السنواتُ الفاصلة بين جلسة نعيمه وجبران في مطلع ١٩٢٤ وكتابتِهِ هذا المقال سنة ١٩٦٤.

مانهاتن، على الشارع العاشر غربًا، في الطبقة الثالثة من بناية هي إحدى أُبنية مكتظة متلازّة في الجهة الغربية من ذاك الشارع بين الجادّتين الخامسة والسادسة. تلك «الصومعة» - بأثاثها المتواضع كأَيِّ صومعة - لم تكن للصلاة والتأمّل بل للتأليف والعمل. هي غرفةٌ وحيدة، فيها سريرٌ جبران ليلاً وفسحةٌ استقبله نهارًا، وثلاثُ كراسٍ ومنضدةٌ صغيرة عليها آلهُ الهاتف. ويكتظُّ المحترّف بملفّاتٍ كثيرة من الرسوم والكتب والأوراق وأدوات العمل الإبداعيّ: فراشٍ، أُنابيب ألوان، أقلام، ريشات، ومحابر.

تلك الليلة، ما إن وصلتُ حتى مدّ لي جبران رسالةً، وبومضةٍ غبطةٍ في عينيه بادرنّي: «اقرأ هذه يا ميشا». كانت تلك رسالةً من رئيسِ كليّة كولورادو الجامعية مستأذِنًا جبران بحفرِ عبارةٍ من «النبّي» على الجرس الكبير عند جبين كنيسة الكليّة. والعبارة: «الأمس ذاكرةُ اليوم الذي حُلّمه غدُه».

وإذ قرأتُ الرسالة وأعدتُها إلى جبران معلقًا بكلماتٍ دافئةٍ مُهنّئة، رمقني بعينين شبه دامتعتين وصوتٍ عريضٍ: «إنه كُتِبَ غريبٌ يا ميشا».

اليوم، بعد نصف قرنٍ من تلك الليلة، يثبُتُ أنّ نظرة جبران إلى كتابه كانت صائبة.

فهذا الكتابُ ذو المناخ الفلسفي والتفّس الصوفيّ، من نحو عشرين ألف كلمة، قلّما كان يشي أنّ سيثير انتباه القراء. مع ذلك، ثبّت أنه آثارهم.

في مطلع صدوره استقطب انتباه قلةٍ متفرّقةٍ من المهتمين، بينهم في نيويورك، مثلًا، خادمُ كنيسةٍ صغيرةٍ في حيٍّ من أشدّ أحياء المدينة فقراء، سمع بـ«النبّي» فاستأذن جبران باختيار فقراتٍ منه لتلاوتها في الكنيسة. وإذ وافق جبران، أخذ شبانٌ وصبايا من تلك الرعية يقرأون مسرحيًا فقراتٍ من الكتاب في أمسياتٍ معيّنة من الأسبوع. كان الإقبال يتزايد على حضور تلك الأمسيات فسرى في المدينة خبرٌ أنّ في الكنيسة برنامجًا استثنائيًا من كتابٍ استثنائيٍّ. أخذ الحضور يزداد، وإذا بكثيرين من الحاضرين اشتروا نسخًا من الكتاب، ما زاد في انتشاره. ولم يتنبّه



جبران إلى ذاك الانتشار حتى وصلته يوماً رسالة من صديقٍ له يخبره فيها عن كبير إعجاب ملكة رومانيا بكتابه، وكانت وصلتها نسخته من أحدهم.

هكذا، مع توالي هذا الانتشار، أخذت شهرة الكتاب تتسع تدريجياً، وأخذ الناشر يَغنم من تنامي شهرته ومن الإقبال عليه فيُصدره طبعةً تلو طبعة. ومع انفجار الحرب العالمية الثانية إذاً بالكتاب، فجأةً ولسببٍ لا تفسير له، يزداد الإقبال عليه، ربما لأن رسالته النابعة من ألمٍ نابحٍ ذاتياً طالت غيرياً أولئك الذين آلمتهم تلك الحرب. وهكذا ارتفعت أرقام مبيعاته حتى بلغت اليوم أكثر من مليون نسخة، وترجماته أكثر من عشرين لغة.

طبعاً جبران لم يعيش حتى يُعاين تنامي هذه الشهرة بعد غيابه. كل ما عاينه أن عبارةً من كتابه حُفرت على جرسٍ عند جبين كنيسة الكليّة في كولورادو، وكل ما عرفه أن بعد سنواتٍ من الضنى وحيداً في صومعته بلغه صدى من وتره فبات بإمكانه أن يقول: «ها إنّي لفتُّ سَمعَ العالم وأهواءه. لم أعد صوتاً في صحراء، ولا شمعةً مضاءةً لأعمى».

في حديثنا تلك الليلة عن الكتاب، لم أستطع إلا الإعجاب بتلك اليد السحرية التي تنسج مصير الإنسان. فها هنا في ركنٍ صغيرٍ من المدينة الكبيرة المُسمّاة نيويورك، رجُلان وُلدا في وطنٍ بعيدٍ هو لبنانُ ذو الشهرة العريقة من العهد القديم، أحدهما جبران وُلد عند سفح جبل الأرز في الطرف الشمالي من سلسلة جبال لبنان الجميلة، وأنا ولدتُ عند سفح جبل صنين المهيّب في وسط السلسلة ذاتها. ومع أن المسافة بين هذين الكائنين لا تزيد عن خمسين ميلاً، لم نلتق في لبنان بل في هذه المدينة الكبرى على ضفاف نهر الهدسون. وتمّ ذلك سنة ١٩١٦.

وُلد جبران في عائلةٍ فقيرةٍ من قريةٍ بُشريّ الصغيرة، وأمضى طفولته في رحاب الطبيعة بين الأودية العميقة وقمم الجبال والينابيع البلورية في شمال لبنان، وهي منطقة غنيّة بترانيم الطبيعة وتماوُجٍ متواصلٍ بين الأنوار والظلال. في العام ١٨٩٥، وكان في الثانية عشرة، سافرت والدته إلى أميركا بحثاً عن حياةٍ أفضل

مصطحبةً إياه وأخاه من أمه وشقيقتيه الأصغر منه. استقرت العائلة في الحي الصيني. وهناك اكتشفت مُدرسةً موهبةً جبران في الرسم والتلوين ونصحته بدراسة الرسم. بعد سنتين شعر بالحاح حاجته أن يتمكّن من لغته العربية الأم، فعاد إلى لبنان أربع سنوات للدراسة. ومن لبنان انتقل إلى باريس سنةً لدراسة الفنون، ثم عاد إلى بوسطن حيث فاجأه موتُ شقيقته الصغرى ووالدته وأخيه بمرض السل، ثم انتقل نهائيًا إلى نيويورك. كانت بوسطن محطة مهمة في حياة جبران لأنه فيها التقى الأنسة ماري إليزابيت هاسكل خلال المعرض الأوّل لمحاولاته الفنيّة. كانت الأنسة هاسكل مديرةً مدرسة كمبردج للبنات، فأصبحت راعيته الرئيسة. ساعدته في العودة إلى باريس لدراسة الفن، وشجّعته لاحقًا في سنواته الصعبة وحتى آخر يوم في حياته. وتظهر أهمية هذه المرأة في حياته من خلال إهدائه إياها كتابه «الأجنحة المتكسرة» وكتاباتٍ أخرى بالعربية، وفي وصيته بعد وفاته إذ ترك لها كامل مقتنيات صومعته.

لم يكن جبران مجهولًا تمامًا في نيويورك. سبقته شهرته ككاتب مبدعٍ واعدٍ، ووصلت إلى الجاليتين اللبنانية والسورية في بروكلين ومانهاتن. ونشرت عددًا من قصصه وكتاباته المختلفة مجلّاتٍ عربية في نيويورك، ومجلّاتٍ أخرى حملت اسمه إلى الدول العربية في العالم القديم كان لها تأثيرٌ على جيل الشباب كنجم ساطع متألّق في سماء الأدب العربي الجديد.

إلا أن جبران لم يكن مكتفيًا بالتوسّع في العالم الثقافي الضئيل الانتشار في دنيا العرب. بدأ يفكر جدّيًا في غزو العالم الأنكلوساكسوني الأكثر اتساعًا وتأثيرًا. كانت خطوته الخجولة الأولى نحو هذا الاتجاه بكتيب عنوانه «المجنون» سنة ١٩١٨، تلاه بعد سنتين كتيبه الثاني: «السابق» وهو عنوان اختاره جبران عمدًا كما تمهيدًا لكتابه «النبى». لم يكن لديك الكتيبين تأثير كبير في أميركا. وسنة ١٩٢٣ صدر ذاك «الكتيب الغريب».

يرتكز كتاب «النبى» في تركيبه على هيكلية بسيطةٍ للغاية مصطنعةٍ للغاية: المصطفى، اسم عربي معناه «المختار»، استعاره جبران للإشارة إلى شخص غريب

عاش اثني عشر عامًا في مدينة تدعى «أورفليس». وكان ينتظر سفينة «لإعادته إلى الجزيرة حيث وُلِدَ». وإذ هو على قمة في أورفليس، رأى السفينة من بعيد. نزل إلى المدينة لملاقاتها فالتقى سَكَّانَ المدينة في ساحةٍ أمام الهيكل جاؤوا لوداعه، بينهم امرأةٌ تدعى الميترَا «كانت أوَّلَ من سعى إليه وأمنتَ به منذ يومه الأول في مدينتهم»، فتوسَّلت «نبي الرب» أن يحدثهم، قبل مغادرته، في كلِّ ما أظهر له «عمًا بين الولادة والموت». قالت له الميترَا: «حدَّثنا عن الحب». وقال آخر: «حدَّثنا عن الزواج». وراح المصطفى يحدثهم بإيجازٍ عن الحب والزواج والعمل والموت والأولاد، وعن مواضع تهمُّ القلب البشري.

ليست الهيكلية هي التي ميَّزت «النبي» بل تحرُّكه روحٌ ورؤيا تجعلانه يتفاعل في روح عاطفية عالية الإحساس اختبرت تجارب إنسانية تراوحت من أقصى الاكتئاب إلى أقصى التمجيد. وفيه أيضًا موسيقى تتراقص على أنغامها الكلمات، وألوانٌ تحيي الحروف الميتة وتجعلها تتمايل في استرسالٍ على الإيقاع في أشعةٍ تخترق الظلام كما البرق يخترق الغيوم. وفيه أخيرًا تنفتح أبواب القلب أمام العالم وترى معجزاتٍ سبَّكتها يدُ المعاناة السحرية. كلُّ هذا، وأكثر بعد، جعل من «نبي جبران» تحفةً فنيَّةً.

لكي نفهم «النبي» تمامًا، يجب استبيانُ عناصرِ فلسفيةٍ في صياغته، وتأثيراتٍ مختلفة على فكر جبران المتناضح تدريجًا.

في بداية حياته الأدبية شاء جبران أولًا أن يجعل قلمه سوطًا ضدَّ مَنْ رآهم قيِّدوا الحرية المادية والروحية في شعبه. فبلدته بُشْرِي هي وسط منطقة تهيمُن عليها عائلاتٌ أثرياء وزعماء دينيين. رافقه هذا الأمر في طفولته فصباه، وحين عاد إلى لبنان تمرَّد ضدَّ تلك الهيمنة، جاعلاً ذاته متمردًا محرِّصًا شعبه على التمرد ضد تقاليد رآها معاديةً حرِّيَّةً تكشف عن مواهبهم الغنية. وبعد سنوات وقع جبران تحت تأثير «هكذا تكلم زردشت» للفيلسوف الألماني نيتشه الذي تخلى فيه عن الحضارة المسيحية. وعكس أسلوب جبران ومحتوى كتاباته الأولى تشاؤمٌ نيتشه

المريز حتى أنه شبّه شعبه مرةً بـ «الأضراس المسوّسة»<sup>٣</sup>. بل ذهب أبعد: في مقاله بالعربية «حفّار القبور»<sup>٤</sup> قارن الرجالَ بديدانٍ وجثثٍ تنتظر من يدفنها. ومن تلك المرحلة الباكّة أيضاً، حين كانت تتأكله المرارة، كتاباه الأولان بالإنكليزية «المجنون» و«السابق»، وفي كليهما يستنكر غيابَ الإنسان وعماه. لكنه عبّر من تلك المرحلة إلى فلسفةٍ أكثر سلاماً وإنسانية هي فلسفة الفيدا (كتابات مقدّسة هندوسية) وإلى الأناجيل المسيحية، وخصوصاً موعظة الجبل، فوجد المعنى الأعمق للحياة عبّر عنه في منطق الفلاسفة بل في تعابير الشعر الصافي. وكانت تلك هي المرحلة الأخيرة التي هيمنت عليها روح موعظةٍ على الجبل نفثها في كتاب «النبى».

وفي الكتاب أيضاً تأثيرات أخرى، أحدها عقيدةُ التقمّص الهندوسية التي تظهر في أربعة مقاطع على الأقل، لا سيما في قوله: «إذا تلاشى صوتي في آذانكم وزالت محبتي من قلوبكم، سأعود إليكم». وثمة أيضاً إشارة إلى «الكائن اللامحدود» في كل إنسان. يقول المصطفى لأهالي أورفليس: «تعرفون العظمة من الإنسان العظيم فيكم»، وواضح أنّ «الكائن اللامحدود» عند جبران ليس سوى نسخة من «الرجل المتفوّق» لدى نيتشه. وإذا صحّ التشبيه يكون جبران حقّق إنجازاً رائعاً عن الأيقونة الألمانية بجعل صيادي السمك في الجليل صيادي بشر.

من هذه التأثيرات ولدت رسالة «النبى» أنّ نهاية الإنسان لا تقتصر فقط على ما يتعلق بالعظمة والقدرة الكلية والوجود والخلود، وأنّ الحب القليل والإحسان والرحمة والتسامح والفضائل الكريمة عناصرٌ ضروريةٌ للحياة الصحيحة كما الخبز والماء والضوء والهواء عناصرٌ ضروريةٌ للجسم، والتحوّل عنها كدعوة الألم إلى دخول الذات، وفي ذلك يقول المصطفى لأهالي أورفليس: «هذا الكثير من آلامكم هو الجرعة المرّة التي بواسطتها يكون للطبيب الحكيم الساهر في أعماقكم أن يشفي أسقام نفوسكم المريضة».

٣ مقال نشره لاحقاً في مجموعته «العواصف».

٤ هو المقال الأول في «العواصف».

في «النبى» جانبٌ آخرٌ لا يراه معظم الناس: هو الجانب الشخصى. فجيران يفتح قلبه ويتحدّث عن أمور شخصية في حياته. وهذا الجانب محجوبٌ شفافاً بأسماء مصطنعة مثل المصطفى، أورفليس، الميترا، الجزيرة حيثُ وُلد المصطفى، السفينة والبحارة، وباستخدام أرقام وتواريخ محددة مثل ١٢ عامًا في أورفليس. وبإزالة الحجاب يظهر أن جيران هو المصطفى، ونيويورك هي أورفليس، وماري هاسكل هي الميترا، ولبنان هو جزيرةُ المصطفى حيث ولد، والاثني عشر عامًا في أورفليس هي الإثنا عشر لجبران في نيويورك<sup>٥</sup> عند صدور الكتاب.

بقراءة الكتاب على ضوء ما سبق، لا تعود مقدمته وخاتمته مجرد أدب جميل بل تصحان عناصر نابضة عاشها قلب جيران العالى الإحساس لدرجة استجابته داعمًا عند الإشارة إلى الحزن الإنساني. وتلك هي الوحدة القاسية التي عاشها جيران في نيويورك عند مطلع أيامه فيها. لذا يعبر عن عطشه الكبير إلى الاعتراف الأوسع عندما يقول المصطفى على وشك مغادرة المدينة: «كيف أمضي بسلام عن هذه المدينة من غير كآبة؟ كلاً! لن أبرحها إلا وفي روعي جرح. طويلة كانت أيام ألمي بين جدران هذه المدينة، وطويلة كانت ليالي وحدتي».

ويعبر جيران كذلك عن وداعه نيويورك وامتنانه لاعترافها به أخيراً، عندما قال المصطفى: «رؤيتم عطشي الشديد للحياة. ولا هدية للإنسان أثنى من تلك التي تُحوّل ميوله شفتين عطشواين، وتجعل حياته يُنوعاً».

في توفقه إلى الذهاب متردداً في المغادرة، كما يبدو تأثراً المصطفى في المقدمة والخاتمة، نجد في حياة جيران حقيقة أعمق: كان قبل نشر كتابه «النبى» اتخذ إجراءات لعودته النهائية إلى لبنان. فقبل نحو عامٍ من صدور الكتاب<sup>٦</sup> بدأ جيران يحدثني عن صومعة حقيقية، لا عن محترف صغير يسكنه في الشارع العاشر غرباً، هي دير مار سركيس، الصغير المهجور في ضاحية قريته الحبيبة بُشري. وكان

٥ استقرَّ جيران في نيويورك سنة ١٩١١ وصدرَ «النبى» سنة ١٩٢٣ (= ١٢ عامًا).

٦ جلسة بين نعيمه وجبران في محترفه، ذات صباحٍ من تشرين الثاني ١٩٢٢.

بدأً مفاوضاتٍ شراءِ الدير لرغبته أَنْ يَنْشُدَ السِّلَامَ والوحدَةَ عند ذاك الركنِ الساحرِ في شمالِ لبنان، لا لروحِه المنهَكَةِ وحَسْبَ بل أَيضًا لجسدهِ المُجْهِدِ المُتَأَلِّمِ.

في السنواتِ الأخيرةِ من حياته عانى جبرانُ جِدًّا من اضطراباتٍ في صحتهِ لم يَكُنْ يستطيعُ تحديدها، هي التي أَنْهتْ حياته في ربيعِهِ الثامنِ والأربعينِ ليلةَ العاشرِ من نيسانِ ١٩٣١ في مستشفى نيويوركي على بعدِ أمتارٍ من محترفه. وإذا بديرِ مار سركييس، الذي كان يحلمُ أَنْ يُمضي فيه بقيةَ سنواته في عملٍ مثمرٍ وتأملاً هادئٍ ينعشُ روحَه، صار مثوى جسدهِ الهامدِ بدونِ روحٍ.

على ضوءِ هذا يبدو حقيقيًا وصائبًا جوابُ جبرانِ لَمَنْ سأله يومًا كيف صمَّ «النبى» وكتبه، قال: «وهل أنا كَتَبْتُهُ؟ كَلَّا، هو الذي كَتَبْتَنِي».

بلى، إنه فعلاً كَتَيْبٌ غريبٌ.<sup>٧</sup>

ميخائيل نعيمة



الصفحة الأولى (١٠) من مقال ميخائيل نعيمة في مجلة «آرامكو».

## عيسى الناعوري: شهادتان ومقارنة

في بحثي عن نصوصٍ قديمة منسّية ذات علاقة بجبران ويندرُ من يعرفها اليوم، وجدتُ في مجلة «الأديب»<sup>١</sup> نصّين قديمين أرسلهما من عمّان الناقدُ عيسى الناعوري<sup>٢</sup>: الأول قراءة سردية في كتاب باربره يونغ «هذا الرجل من لبنان»، والآخر قراءة نقدية في كتاب ميخائيل نعيمة عن جبران.

ولمعرفتي رصانة الناعوري في مقالاته ومؤلّفاته ونقده، وآراءه الموثّقة إثباتاتٍ ومراجعٍ ومصادرٍ غنيّةً، أُعيد في ما يلي نشرَ ذينك النصّين لما فيهما من إضافاتٍ على شخصية جبران في ثناياها التي غمّر بعضها الغموضُ وانحسر بعضها الآخر عن صفحاتٍ من حياته لم تعرفها صفحاتُ كتبه.

<sup>١</sup> أصدرها ألبير أديب (١٩٠٨-١٩٨٥) مجلةً أدبيةً سنة ١٩٤٢ وكانت فترتنيذ منبرَ كبار الأدباء والشعراء.

<sup>٢</sup> أديب أردني (١٩١٨-١٩٨٥) أصدر في عمّان مجلة «القلم الجديد» لكنها لم تَعش سوى سنة واحدة في ١٢ عددًا (أيلول ١٩٥٢ - آب ١٩٥٣)، وكان الأخير عددًا ممتازًا خصّصه للأدب المهجري. وهو اضطرَّ إلى إيقافها عند صدور قانونٍ للمطبوعات فرَضَ على رئيس تحرير الصحيفة أو المجلة أن يكون جامعياً. بعدها انصرف الناعوري إلى نشر مقالاته النقدية في عدد كبير من المجلات الأدبية في العالم العربي، وإلى نشر مؤلفاته لدى دور نشر عربية كبرى. وهو تميّز بأبحاثه عن الأدب المهجري وله فيه: «أدب المهجر»، «إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث»، «نظرة إجمالية في الأدب المهجري»، وسواها.

وبعد هذين النَّصَّين عاد الناعوري فعقدَ في كتابه «أدب المهجر» فصلًا في المقارنة بين نصِّ نعيمه ونصِّ يونغ وما بينهما من اختلافٍ واضحٍ في سرد أحداثٍ ووقائعٍ من حياة جبران.

هنا مقالُهُ كما صدرَ في «الأديب» بتوقيع «عمَّان - عيسى الناعوري»، وبعضُ الفصل من كتابه «أدب المهجر».



### مع بربرة يونغ في كتابها: «هذا الرجل اللبناني»<sup>٣</sup>

كانت لحظات ممتعة جدًا تلك التي قضيتها مع الكاتبة الأميركية بربرة يونغ في كتابها النفيس *This man from Lebanon* الذي تحدّث فيه عن صديقها الخالد جبران، حديثًا يفيض بالإخلاص والوفاء لشخص جبران، والإيمان والتقدير لمبادئ جبران، والإعجاب والتقدير لأدب جبران وفنه.

وبربرة يونغ هي سكرتيرة جبران، ورفيقته طوال السنوات السبع الأخيرة من حياته، أو هي «القابلة» التي تلقت يداها ميلاد روائع جبران الخالدة، منذ خريف ١٩٢٥ حتى الساعة الأخيرة التي ودع فيها دنيا الأدب والفن، وألقى آخر تحية من قلبه وعينيه على شعاع الشمس ومفاتيح الوجود ثم كانت وكيلته الأدبية بعد وفاته. فهي تتحدث عن جبران (وتدعوه صفحة ١٠٧ my well-beloved friend) وهي خير من يتحدّث ويصدّق في الحديث عنه، وخير من يفهم أفكاره ومبادئه التي شهدت مولد القسم الأكبر منها، وشاركت في تحبيرها وطبعها، ووقفت على الدقائق الخفية من حياة جبران الإنسان، تلك الحياة التي تعمّد بعض الناس أن يشوهها ويجعل منها بؤرة مخازٍ وشهوات حيوانية.

تسرد بربرة يونغ قصة اتصالها بجبران في مقدمة الكتاب، فتذكر أنها كانت في كنيسة سان مارك في نيويورك حينما قرئ كتاب «النبى» لأول مرة هناك في خريف

٣ عن مجلة «الأديب» - تشرين الأول ١٩٥٢ - العدد العاشر (ص ٢٨-٣٠).



١٩٢٣. وسرعان ما أحست بدافع لا يقاوم، يهيب بها أن تقتني نسخة من الكتاب، ثم أن تكتب إلى المؤلف مُعربة عن إعجابها بما وجدته في الكتاب من عمق وسمو واتساع. ولم تلبث أن تلقت دعوة من جبران لزيارته، فكانت فرصة سعيدة لها أن تجيب دعوته. أما قصة ابتداء عملها سكرتيرية له، فترويها في الفصل التاسع من الكتاب تحت عنوان «الألفاظ لا تتقيّد بحدود الزمان». وتتلخص القصة في أن جبران دعاها لزيارته مرة في خريف ١٩٢٥، بعد تعارفهما بسنتين. دخلت عليه في محترفه، فرأته جالساً يكتب قصيدة جديدة بالإنكليزية عنوانها «الشاعر الأعمى». وكان بين اللحظة واللحظة ينهض من مجلسه ويأخذ في قطع الغرفة ذهاباً ومجيئاً وهو يفكر، غير منتبه إلى وجودها معه. فاغتنمت الفرصة وجلست مكانه على الكرسي، وحملت قلمه بيدها وقالت له: «أنت تُنشئ القصيدة وأنا أكتبها». رفض جبران ذلك فعادت تقول: «إني شديدة الرغبة في أن أكتب كلماتك، فاستمِر أنت في المشي ودعني أكتب ما تمليه عليّ». لكن جبران عاد إلى الرفض قائلاً: «لا يمكنني أن أشتغل على هذا الشكل مع أي إنسان». أجابت: «أوهم نفسك أنني لست إنساناً بل مجرد آلة صغيرة». ولم يَسع جبران عندئذ إلا أن يوافق على رغبتها فضحك وضحكت، ومضى يملي عليها القصيدة وهي تكتب كلماته. وتقول بربارة: «ومند ذلك الحين كان العمل يتم دائماً على هذا الوجه» (ص ٨٢ و ٨٣).

وهنا تُطلعنا بربارة على شيءٍ لعل قليلين كانوا يعرفونه، وهو أن جبران كان يُنشئ كل شيءٍ بالعربية أولاً، ثم يترجمه إلى الإنكليزية، كما تقول صفحة ٧٣:

He completed the poem, composing in Arabic, as was his inevitable custom, and translating carefully into English

وحتى كتابه «النبى» - التحفة الخالدة التي أهداها جبران إلى البشرية فتلقّفها العالم على ظمياً شديداً وأحاطها بكل ضروب التقدير والتقدير فكان جبران بواسطته نبياً جديداً من أنبياء الشرق في نظر الغرب - تقول بربارة إنه كان قد كتبه بالعربية أولاً، وأعاد كتابته بالعربية أكثر من مرة، قبل أن يقدر للألفاظ الإنكليزية أن تكون ثياباً لمعانيه.

وتقول المؤلفة في مقدمة الكتاب إنها لم تكن تقصد أن تكتب حياة جبران، وإنما أرادت أن تقدم للقراء صورة بسيطة واضحة لجبران الرجل الذي عرفته، بين أصدقائه، وفي محترفه وهو يرسم بالقلم أو الفرشاة. ولقد استطاعت بإخلاصها ووفائها أن تُبدع في رسم الصورة التي أرادت، وأن تجعل هذه الصورة الجبرانية التي رسمتها حبيبةً إلى كل قلب، قريبةً إلى كل روح مخلصه تعشق الجمال والحب اللذين كانت تدور عليهما رسالة جبران الإنسانية.

وفي جولتها في صفحات الكتاب تقدم لنا بربارة فصلاً على كل كتاب من مؤلفات جبران الإنكليزية، من «المجنون» - وهو أول كتاب لجبران ظهر باللغة الإنكليزية عام ١٩١٨ - إلى «موت النبي» الذي ظل مجرد فكرة في خيال جبران، حلم بها ولم يسمح له الموت بتحقيقها، فجاءت بربارة يونغ، في الصفحة ١١٩ من كتابها، ترسم خطوطها التي كان يريدتها جبران. وهي تحدثنا عن الصدى الذي لقيته كل واحد من هذه الكتب بين الأميركيين، لكنها اختصت كتاب «النبي» بالحصّة الأكبر من عنايتها وإعجابها لأنه الكتاب الذي حمل إلى العالم رسالة جبران على أجمل صورة وأكمل وجه. وقد روت لنا عددًا غير قليل من الانطباعات والآثار التي تركها في نفوس الناس. من ذلك ما روته (ص ٣٣) أن فصول «النبي» كانت تمثّل كل سنة كرواية دينية في كنيسة سان مارك في نيويورك، وكان راعيها الدكتور وليم نورمن غثري يؤمن إيمانًا عميقًا بجبران كنبى جديد. وبذل نعيمه كل براعته في فصل «حصّة في السماء وحصص في الأرض» (ص ٢١٥-٢١٨ من كتابه عن جبران) للتقليل من أهمية الحادث، وتحقير راعي الكنيسة وأعماله، وللإيهام بأن التمثيل قد وقع مرة واحدة في هذه الكنيسة.

وفي الفصل الثاني من الكتاب «ثائر خطر ومسمّم للشبيبة» تروي المؤلفة حكايات أخرى عن إعجاب الأميركيين بـ«النبي»، منها أن امرأة متألّمة قد تلقت نصيحة من أحد أصدقائها بأن تقرأ هذا الكتاب، فلما اطّلت عليه قالت: «هذا هو الكتاب الذي أريده... إنه ليس كتابًا، إنه خبز وخبز للمتعبين أمثالي». ومنها أن أحد المشتغلين بالأبحاث العلمية قد قال بعد اطلاعه على هذا الكتاب: «لقد

علمني هذا الكتاب حقيقةً هي أن العلم بدون نعمة الحب والجمال شيء مميت». وقال أحد رجال القانون مرة: «لو انني قرأت فصل الجريمة والعقاب قبل عشرين سنة، لكنت أكثر صلاحًا وسعادة، وكنت في كل مرافعاتي أقوى وأبلغ حجةً. ثم تعقّب على ذلك بقولها: «هكذا كان «النبى» محققًا لرغبات كل إنسان. فالفيلسوف يعتبره فلسفة، والشاعر شعراء، ويرى فيه الشاب صورة لكل ما يحسه في قلبه، والشيخ يجد فيه الكنز المجهول الذي ظل يبحث عنه طوال عمره فلم يجده إلا في خريف العمر» (صفحة ١٧).

ولا تلبث المؤلفة أن تعود إلى «النبى» في الفصل السادس من الكتاب «الحقيقة ههنا»، فتسرد قصة تأليف هذا الكتاب «الذي أصبح في اعتقاد الألوّف من البشر كتابًا خالدًا لا يموت» (ص ٥٣)، فتذكر أن جبران قد وضع الفصل الأول منه وهو على مقاعد الدراسة في كلية «الحكمة» في بيروت، ثم تركه لأنه رآه لا يزال «ثمرة فجة»، ولكن نبيه «المصطفى» لم يفارق خياله منذ ذلك الحين. ثم رافقته فكرة الكتاب إلى فرنسا ثم إلى بوسطن ثم إلى نيويورك حيث قدّر أخيرًا لـ «نبى» جبران أن يولد بالإنكليزية بعد أن مهد لظهوره بكتابين آخرين هما «المجنون» و«السابق». وفي هذا الفصل تروي المؤلفة على ألسنة الكثيرين حكايات اهتدائهم إلى كتاب «النبى» والانطباعات التي تركها في نفس كل منهم، وهي انطباعات تدل على إعجابٍ مطلق بجبران وبالروح التي قدّم بها جبران كتابه إلى العالم.

ونحن لا نستغرب هذه الحكايات التي ترويها بربارة يونغ في كتابها، فالذين قرأوا كتاب «النبى» يعرفون ما في فصوله من نبل الرسالة الروحية وجمال الأحاسيس الإنسانية. وإذا عرفنا أن هذا الكتاب قد تُرجم إلى نحو خمسين من اللغات العالمية وأعيد طبعه باللغة الإنكليزية وحدها عشرات المرات، أدركنا مدى التقدير العالمي الذي يتمتع به.

إلا أن هناك ناحية أخرى تهّمنا كثيرًا، لا سيما وقد قرأنا من قبل ما كتبه ميخائيل نعيمة عن جبران، والصورة الشهوانية التي صوّره بها في كتابه، وهي صورةٌ حاولنا كثيرًا وعبثًا أن نجد لها ما يؤيدها سواء في ما كتبه أصدقاء جبران

الآخرون، ولا سيما عبد المسيح حداد ووليم كاتسفليس وأمين الريحاني وفيلكس فارس أو في ما كتبه بربارة يونغ، مما جعلنا نجد أنفسنا مضطرين إلى الشك، والشك الكثير في صدقها. فالصورة التي ترسمها لنا بربارة يونغ من جبران الإنسان - وهي من ألصق الناس به وأجدرهم بمعرفة خفايا نفسه - هي أكثر نبلاً وجمالاً مما رأيناه لدى نعيمه. في الفصل الرابع عشر «أنا نفسي مشكلة»، تتحدث المؤلفة عن حياة جبران الخاصة وشعوره الجنسي، ولكنها تؤكد أنه لم يكن من الممكن أن يعرف أحد شيئاً عن حياته العاطفية (ص ١٣٠). ومثل هذا قاله عبد المسيح حداد، زميل جبران ورفيقه، في حديث طويل نُشر في مجلة «العصبة» وجريدة «السائح». أما رأي جبران في الحب فقد أوردت المؤلفة ما ذكره في أحد مجالسه في المحترف لسيدة كانت تسأله عن الحب وعن سبب انصرافه عن الزواج، فقال: «إن أعظم المخلوقات إحساساً بالشعور الجنسي هي طبقة الخلاقين، وأعني بهم الشعراء والنحاتين والرسامين والموسيقيين. والشعور الجنسي لديهم هو منحة جميلة سامية. إنه شعورٌ خجول دائماً» (ص ١٢٩).

وذكرت المؤلفة «أن نساء كثيرات قد أحببته بحرارةٍ وتقديسٍ حباً ناجماً عن شعور عميق بالعرفان والإجلال، وخارجاً عن حدود الذات والأنانية، وإن نساء غيرهن قد أحببته حباً ذاتياً» (ص ١٢٧ و١٢٩). ولكنها لم تستطع أن تذكر أن جبران قد بادل يوماً واحدة منهن عاطفة الحب الجنسي. فقد كان عميقاً في أسراره، منصرفاً بكليته إلى عمله الخلاق وإلى رسالته الروحية التي ينشرها في كتبه.

وفي كتاب بربارة يونغ أشياء أخرى كثيرة نجدها بصورة تختلف اختلافاً كلياً عما في كتاب نعيمه الذي أوردتها في صورة «تحط» من إخلاص جبران، بينما أوردتها بربارة يونغ بصورة عكسها تماماً. نكتفي هنا بشيء من فصل «نبأ كاذب» في كتاب نعيمه تعمّد فيه أن يُظهر جبران، باعتراف منه، بمظهر الرجل الذي عاش يخدع الناس بظواهره عن حقيقة نفسه. فعبارة جبران I am a false alarm فسّر نعيمه معناها «أنا نبأ كاذب». بينما العبارة نفسها المذكورة كاملةً في كتاب بربارة يونغ، وبمعنى آخر بعيد كل البعد عن تفسير نعيمه الذي أخذ نصف العبارة

وأهمل نصفها الأهم الذي يؤدي المعنى الصحيح لما يريده جبران. وهذه هي العبارة كاملة: I am a false alarm. I do not ring as true as I would. ولفظة alarm هنا ليس معناها «نبأ» بل المقصود «المنبه أو الساعة الدقاقة». كما أنّ في ترجمة false بـ «كاذب» بُعدًا عن المعنى المقصود، وكان الأصوب والأقرب إلى معنى جبران ترجمة false alarm بـ «الساعة غير الدقيقة أو غير المضبوطة». ومعنى العبارة أنّ جبران يتألم لأنه لم يتوصّل إلى تحقيق الكمال الإنساني في نفسه كما يريد. وذلك أيضًا تعليق بربارة يونغ في التعليق على هذه العبارة (ص ١٢) بقولها عن جبران:

He felt that he was failing in some measures to do all that was divinely expected of him

وواضح أنّ التحريف في سرد العبارة فيه إساءة متعمّدة إلى جبران، ويشوّه جمال المعنى الذي أراداه وجمال الروح التي أوحّت به، كالاكتفاء من الآية القرآنية «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» بنصفها الأول «ولا تقربوا الصلاة» وإهمال النصف الآخر المقصود بالعبارة.

بعد هذه التعليقات السريعة، نقول بكل إخلاص إنّ هذا الكتاب ضروريٌّ جدًّا لكل من يريد أنّ يعرف جبران على حقيقته، ويعايشه في محترفه وحياته الخاصة، ويعرف أخلاقه ورسالته الروحية والإنسانية، وآراءه في الحياة والفن والأدب، وتعلّقه المخلص بوطنه وقومه وتاريخ أمته (الفصل الثامن والفصل الخامس عشر)، وهو ضروريٌّ لكل من يريد أنّ يطّلع على أثره في الغرب ويفهم الروح التي أمّلت سائر مؤلفاته الإنكليزية وكيفية ولادتها واستقبال الناس لها.

كل هذا مصوّر بكثير من الجمال والصدق والإخلاص في صفحات هذا الكتاب اللطيف الذي تقدّمه بربارة يونغ عن جبران الخالد «هذا الرجل اللبناني».



## بين جبران ونعيمه<sup>٤</sup>

مناقشة كتاب «فن السيرة» للدكتور إحسان عباس<sup>٥</sup>

أخي إحسان

في نقدك كتاب «جبران خليل جبران» لميخائيل نعيمه قلت إن نعيمه «استوفى فيه عناصر السيرة الفنية... وفيه اكتمل وجود السيرة في الأدب العربي الحديث من حيث الغاية والتطبيق... واعتمد فيه نعيمه الصراحة في تصوير صديقه وهو في صراع متطور مع الحياة، وعرض بجبران في ضعفه وقلقه، وكشف عن البؤس الواسع بين حياته العلمية ونظراته المثالية... وقد قُدر لنعيمه أن يُبرز الحقائق عارية دون أن يحاول الاعتذار أو يختفي وراء الروابط العاطفية، فجاء كتابه حيًّا خفًّا بالحيوية، كاملاً في تدرُّجه ونموّه» (ص ٦٨ و ٦٩).

أما أن كتاب نعيمه هذا قد جاء «حيًّا خفًّا بالحيوية» فأنا معك فيه بغير جدال. فنعيمه من أقدر كتّاب العربية وأبرعهم أسلوبًا وأروعهم عبارةً. وأما بقية رأيك في الكتاب فهو مجال الارتياح عندي، وهو ما أرجو أن أصل معك، من نقاشنا فيه، إلى الوقوف عند ما يمكن أن نعتقده الحقيقة والصواب.

وقبل أن ندخل في مواطن الارتياح أو غابة الشكوك المتشابكة، أود أن أؤكد لك أنني لست من السذاجة بحيث أتصور جبران منزهاً عن طبيعة الإنسان وضعفه وأحاسيسه وميوله الجنسية، أو أحسبه عاش حياته كلها، ٤٨ سنة، ولم يعرف المرأة، مع أنه هو نفسه القائل «إن أكثر الناس إحساسًا بالمشاعر الجنسية هم طبقة الخلائق: الفنانين والشعراء الخ...».

٤ عن مجلة «الأديب» - تشرين الأول ١٩٥٦ - العدد العاشر (ص ١٢ - ١٥).

٥ باحث ومؤرخ أدبي فلسطيني (١٩٢٠-٢٠٠٣). أمضى مدة طويلة في التدريس لدى الجامعة الأميركية في بيروت. كتابه «فنُّ السيرة» (دار الثقافة - بيروت ١٩٥٦) أثار جدلاً عند صدوره.

ولست كذلك من الغباء بحيث أتصور أنه لم يعرف في حياته في باريس ونيويورك وبوسطن، كغيره من أبناء هذه الأرض، شيئاً من الليالي الحمراء أو الخضراء أو السوداء، أو على الأقل البنفسجية، كليلتنا الأخيرة في بيروت!

إن جبران إنسان مثلك ومثلي ومثل ميخائيل نعيمة، وهو فنانٌ أصيلٌ مرهفٌ الحس، وقد كانت المرأةً مبعثاً لوحيه وإلهامه في القسم الأكبر من أعماله الأدبية والفنية، شاعراً ورساماً. وهو بعد ذلك إنسان انطلق من بيئة الشرق الجامدة المكبوتة إلى بيئة الغرب المتحررة والإباحية في كثير من مظاهر حياة أهلها. وأنت وأنا نعرف كيف يكون أثر هذه النقلة في نفوس الشباب، ولذلك لسنا نرى غرابة في أن يُشيع شبابٌ شرقيٌّ فنانٌ رغباته المكبوتة حينما تتاح له الفرصة، ولسنا نرى في ذلك ما يُنقص من قيمة جبران الأديب والفنان والإنسان.

ولكنني لا أكتمك كذلك أنني لست من السذاجة والبراءة بحيث أتصور أن ميخائيل نعيمة قد وضع كتابه عن جبران مجرداً عن الهوى، وخالي البال من كل غرض شخصي. وقد تستغرب أن أقول لك إن نعيمة نفسه هو الذي أوحى إليّ بهذا الارتياح في كتابه عن جبران. ورفاق جبران ونعيمة في «الرابطة»، ولا سيما عبد المسيح حداد ووليم كاتسفليس، زادوا عندي من الارتياح حتى بلغوا به إلى درجة الاعتقاد.

وقبل أن أستمّر في الإيضاح أود أن أذكرك بثلاث مقالات لي نشرتها مجلة «الأديب» في سنوات سابقة: «توافق الأفكار والتعابير في أدب الرابطين» (نيسان ١٩٥١)، «القصة والرواية في الأدب المهجري» (أيلول ١٩٥٢) و«مع برباره يونغ في كتابها «هذا الرجل اللبناني» (تشرين الأول ١٩٥٢)، وهي مقالات جرّت مناقشاتٍ طوَّأً على صفحات «الأديب» اشترك فيها الدكتور محمد يوسف ونجم والياس فرحات ومحمد منير آل ياسين ومحمد المسلم وغيرهم. في تلك المقالات أعلنتُ ما أرتاب فيه من أمر نعيمة في سيرة جبران.

في مقالة «القصة والرواية في الأدب المهجري»، كما في ردودي على ما جرّته من نقاش، قلت إن سيرة جبران بقلم نعيمة ليست تاريخاً حقيقياً لجبران ولا يصحُّ الاعتماد عليها لمعرفة حياة جبران الصحيحة، لأنها رواية خيالية فنية اتخذ

نعيمه من جبران بطلاً لها، وأورد فيها آثار جبران الأدبية والفنية، وأشياء من أعماله المعروفة، كما يتخذ مثل ذلك في كل رواية تدور على إنسان أو شيء تاريخي.

وفي حديثي عن كتاب «هذا الرجل اللبناني» قارنتُ بين الكتابين وبيّنتُ بعض ما بينهما من التناقض والتباعد، وملتُ إلى تصديق الكاتبة الأميركية، وهي سكرتيرة جبران خلال السنوات السبع الأخيرة من عمره، والقبلة التي على يديها وُلد عددٌ من مؤلفات جبران الهامة، ووكيلته الأدبية بعد وفاته. وقد أوضحتُ في مقالي الأسباب التي تدعوني إلى هذا الميل.

أما في مقالي «توافق الأفكار» فقد ألمحتُ إلى أن نعيمه لم يكن مبتدعاً في أفكاره العامة التي تدور عليها كتاباته ومؤلفاته بل كان يقتفي خطوات جبران وينقل أفكاره ويقلد مؤلفاته.

غير أنني، في تلك المقالات الثلاث كما في ردودي على مناقشيتها، لم أقلُ كلُّ ما كنتُ أريدُ أن أقوله، بل أخفيتُ الأمور البعيدة التي كنتُ أستند إليها لارتياحي في صدق نعيمه وإخلاصه في كتابة سيرة صديقه. أما الآن فأرى أن أخرج عن التلميح إلى وضع النقاط على الحروف، كما أفهمها، وكما بدت لي من دراستي الطويلة لأدب المهجر بشكل عام، ولأدب جبران ونعيمه و«الرابطة» بشكل خاص.

وأودُّ أن أوكدُ لك أنني من أشد الناس حرصاً على تقصي الحقيقة ورغبةً في الرجوع إليها إذا تأكدتُ من انحرافي عنه وخطأ جهادي في تلمسها. وعسى أن تردني إلى الصواب.

في يدي الآن حفنةٌ من المعلومات أنثرها أمامك على عجل قبل أن أدخل في التفاصيل:

- ١) نعيمه ناقد ذكي جداً، وقد كان كذلك منذ أن عرفه جبران.
- ٢) كان جبران يخاف النقد كل الخوف، وكان يكره الناقلين كرهاً شديداً، حتى ليودُّ أحياناً لو يتاح له أن يفتك بهم. يشهد بذلك نعيمه نفسه ووليم كاتسفليس.



٣) خوفُ جبران من النقد، ومعرفتهُ لمقدرة نعيمه النقدية وبراعته في تسخير القلم، كانا يجعلانه يعيش على حذر شديد من نعيمه حتى ليتملّقه أحياناً ليكسب مودته ويضمن صمته.

٤) بلغ خوفُ جبران من نعيمه، لا سيما بعد أن كتب نعيمه مقاله حول «عواصف» جبران، أن عندما قرأ عليه فصول كتابه «آلهة الأرض» قبل طبعه ولاحظ من إمارات وجهه عدم رضاه عنه، قطع الحديث ليقول له: «لقد ذكرتك في وصيتي».

٥) بالوعد المتقدم أعلاه ضمنَ جبران أن لا يتعرض له نعيمه بالنقد ما دام جبران حيّاً.

٦) كانت صدمةً لنعيمه حين فُتحت وصية جبران بعد موته فلم يجد له ذكراً فيها. ويخيل إلي أنه عندئذ صمم على الانتقام منه.

٧) اختار نعيمه للانتقامه من جبران طريقةً مضمونة التأثير إلى حد بعيد، تتلخص في ما يلي: كهنة الموارنة، والكاثوليك عموماً، أعداء لجبران، وقد أحرقوا أحد كتبه في قلب بيروت مرةً، والشرقيون عموماً سريعو التأثير للأمور الأخلاقية، فلماذا لا يضع لهم نعيمه كتاباً عن جبران يحشّوه بقصص الدعارة والانحطاط الخلقي ليتخذوا منه سبيلاً إلى محاربة أدب جبران ميتاً، بعد أن فشل الكهنة في حرب جبران وأدبه حيّاً؟

٨) ما يبعث على الريبة في صدق نعيمه وسلامة طويته في سيرة جبران أنه لم يجمع حديثه عن انحطاط جبران الأخلاقي (إن صح) في فصل معين ولو استغرق ذلك الفصل نصف الكتاب أو حتى ثلاثة أرباعه، بل راح ينشر أحاديثه بين الصفحات بغير تعيين وبطريقة مقصودة، حتى لا يكاد يخلو منها فصلٌ من فصول الكتاب، بل لا تكاد تخلو أكثر الصفحات من تلك الأحاديث الموثقة عمداً وبمهارة عظيمة. وأعظم مهارة نعيمه في ابتداع المشاهد والمواقف الدالة على نذالة جبران وانحطاطه، اختلاق الحوار

المعبر عن عدم تقيّد جبران بشيء من قيود الأخلاق والفضيلة والنبيل والسمو الروحي، مع السيدة الغنية التي طلبت أن يرسمها جبران وهو بعد ناشئ في سن الرابعة عشرة، ومع ميشلين ومع ماري هاسكل ومع الفتاة المعجبة بكتابه «النبى».

٩) المجد الذي ناله جبران في الغرب والشرق هو أكثر ما يملأ نفس نعيمة غيظاً، وهو يحاول منذ أن عاد إلى الشرق أن يهدم جبران ليأخذ مكانه كفيلسوف وناسك وأديب، ونبى أيضاً. وليست أكثر كتب نعيمة سوى تقليد صريح لكتب جبران، ف«النبى» يقابله «مرداد»، و«رمل وزبد» يقابله «كرم على درب»، و«همس الجفون» تقابله «المواكب» وقصائد جبران المنثورة، وفلسفة وحدة الوجود والأخوة الإنسانية التي نادى بها جبران في جميع مؤلفاته (وهي فلسفة أقدم عهداً من جبران لكنه أحيها من جديد في ديار الغرب) هي عينها الفلسفة التي تدور عليها جميع كتابات نعيمة. أما المحاولة الجريئة الكبرى لهدم جبران وإجلاس نعيمة على كرسيه فهي سيرة جبران التي كتبها نعيمة.

### أخي إحسان

أكاد أراك تحمق في هذه الحفنة من المعلومات السريعة مستغرباً، ثم تنفض رأسك متشككاً ساخطاً وتقول: «لا، هذا غير ممكن»!

إذن فأنت تريد تفاصيل أوفى لكي تمتلئ نفسك بمثل الريب التي تمتلئ بها نفسي، ولكي تعود إلى كتابك «فن السيرة»، وتنتثر فيه بعض علامات الاستفهام، أو التشكك على الأصح، في بعض المواطن المعينة.

تريد أن تتأكد مما إذا كان جبران يكره النقد والناقدين؟ اقرأ إذن حديث نعيمة عن موقف جبران من كاتب في إحدى جرائد نيويورك العربية تهجم على «الرابطة» وعلى جبران: «فإذا بعينيه تقدحان شرراً، وشفتيه ترتجفان غضباً وتقطران سماً. وإذا به يقول: «لو لقيته أنا يا ميشا... كنت أبصق في وجهه، وأفك رقبتة. إن كلباً مثله لا

يستاهل إلا العصا». أما تعليق نعيمه على هذه الغضبة الثائرة فهو: «لم أستغرب ما قاله جبران، لأنني كنت أعرف طباعه».

هذه واحدة. وهذا وليم كاتسفليس في مقاله «من حصاد الذكريات» («الأديب»، كانون الثاني ١٩٤٩) يقول: «من الغرابة أنّ جبران، على الرغم من رحابة صدره ورحابة عقله، كان يكره انتقاد الناس إياه كرهاً شديداً، ويتألم منه غاية الألم، حتى وإن كان مصدره الحاسدون والمتعنتون».

وتريد أن تعرف متى اعترف نعيمه بخوف جبران منه؟ اقرأ إذن في فصل «العواصف» كيف أن جبران، حين ذكر له نعيمه أنه يحمل مقالاً عن «العواصف»، قال له: «لكنّ بي خوفاً منك يا ميشا، فلنك عينٌ تنفذ إلى أعماق نفسي، وقلمٌ لو شاء لمزق الستائر التي أُنسرت بها عن أعين الجهلاء والعميان».

يقيناً أن نعيمه أورد هذا الكلام ليباهي ببراعته ومقدرته، لكننا نلاحظ فيه نوع الدس المتعمد على جبران، استمراراً للخطة التي درج عليها نعيمه في كتابه، وبها يرمي إلى تصوير جبران للقراء بصورة المُرّاثي الخداع الخسيس النفس المُتستّر بستائر زائفة عن أعين الجهلاء والعميان. وهذا التعبير هو من ماركة تفسير نعيمه لعبارة جبران الإنكليزية I am a false alarm وقد تحدثت عنها في مقالي عن كتاب بريارة يونغ «هذا الرجل اللبناني».

ومن هذه الماركة تعليق نعيمه على قول جبران في «المواكب»:

والحب إن قادت الأجسام موكبه إلى فراش من الأغراض ينتحر

وعلى قوله أيضاً في «المواكب» نفسها:

والحرف في الأرض يبني من منازعه سجنًا له وهو لا يدري فيؤتسر

إلى أقوال أخرى مما كان يأخذه من مقالات جبران أو كتبه، ويثته هنا وهناك مع تفاسير وشروح يتعمد فيها الإساءة إليه بطريقة مبطنّة بينما يبدو ظاهرها نقدًا خالصًا لوجه الله والأدب! وفن السيرة أيضًا!

غير أن نعيمه - وهو يورد عبارة جبران ويعترف بخوف جبران منه - لم يفتن إلى أنه بذلك قد أعطانا حقيقة أخرى غير التي رمى إليها، وأن سهمه قد عاد إليه إذ أكد لنا حقيقة سيئة هي خوف جبران من استغلال نعيمه لقلمه في أغراض أخرى شخصية غير النقد البريء المجرد.

أما وقد وصلنا إلى هذه النقطة فسنبقى في كتاب نعيمه إلى فصل «أشعة في الغمام».

كان جبران يقرأ على نعيمه فصول كتابه الجديد «آلهة الأرض». ويبدو أنه أثناء القراءة كان يختلس النظر إلى نعيمه فلا يلمح على وجهه ما يُطمئن إلى رضاه عما يسمع. وليس هذا التخيل منّا بغير أساس، فتعليق نعيمه هو الذي يوحى إلينا به حين يقول: «إن جبران الشاعر لم يبق عنده ما يقوله من بعد «النبى» إلا إعادة ما قاله». وفجأة، وبغير مقدمات وبغير مناسبة وبغير تمهيد، يتوقف جبران عن القراءة كي يقول لنعيمه «ميشا، لقد ذكرتك في وصيتي».

### أخي إحسان

كن ما شئت من براءة النية وسلامة القلب ولكن، بالله عليك، ماذا تفهم من هذا الموقف؟ ألا ترى معي أن جبران لم يفعل ذلك إلا ليضمن صمت نعيمه وعدم تعرّضه بالنقد لكتابه الجديد الذي لم يكن عندئذ مطبوعاً بعد، وكتبه اللاحقة ما دام حيّاً؟! أو على الأقل: ألا تخامرك ريبه في أن هذا كان «برطيلاً» لنعيمه؟ وأنه قد اشترى به صمته إلى ما بعد وفاة جبران؟

أقفز الآن إلى فصل «وصية جبران» لترى خيبة نعيمه وهو يمهد للوصية، معلناً عدم وجود ذكّرٍ له فيها (دعنا الآن من الآخرين الذين ذكّرهم معه أيضاً، فما ندرى مدى الصحة في سرد قائمتهم هناك). ستحس مع نعيمه بشدة الصدمة والخيبة المرأة حينما لم يجد نعيمه لنفسه حصّة في الإرث من تركة جبران التي «كانت تساوي ٥٣,١٩٦ دولاراً» كما يقول نعيمه.

أعتقد أن نعيمه لا يهتم بالمال؟ المال معبود الدنيا كلها. وقد كان نعيمه يعتقد أنه سيصل إلى الثروة عن أيسر سبيل بمجرد ذكر اسمه في وصية جبران. أذكر مرة أن وليم كاتسفليس، في ردّه على محمود شريف في جريدة كانت تصدر في البرازيل، ذكر له أن ميخائيل نعيمه كان لا يكاد يتجمّع لديه عدد من الدولارات حتى يبادر إلى المقامرة بها في البورصة على أمل أن يتمكن من زيادتها. ووليم كاتسفليس يعرف نعيمه مثلما نعيمه يعرف جبران، وقد كانا صديقين حتى فرّق بينهما موت وليم.

ومع ذلك فهذا الذي أقوله هنا ليس سوى مجرد شكوك، لكنها ذات أصول في حياة نعيمه وكتابه عن جبران.

والآن، بعد أن رأيت خيبة نعيمه مكتوبةً بقلم نعيمه نفسه في سيرة جبران، قل لي: ألا ترى أن جبران يستحق من قلم نعيمه «مرمطة وشرحة»، بعد أن ربط قلمه ولسانه عن نقده عدة سنين في انتظار الميراث الموعود؟

إنني لا أمدح جبران حين أذكر هذه الحقيقة لكنني أكشف عن نقص كبير لم يكن جبران في حاجة إلى التردّي فيه إلى هذا الحد، بحيث يتحول إلى مضاعفات أخرى من النقايس كان في غنى عنها كلها.

والآن، وقد عرفت خوف جبران من نعيمه وعدم ثقته به، وجبران كان شديد الحرص على أن يبدو للناس نبياً وقديساً، أتتصور يمكنه أن يفضي إلى نعيمه بشيء من أموره وعلاقاته الجنسية، لا سيما ما كان منها في مثل حقارة قصة ميشلين، فيستغلها قلمه الجارح يوماً ما كي «ينشر غسيله على السطوح»؟

وإذا كان جبران لم يبيح بشيء من أموره الخاصة إلى أحد من زملائه الآخرين في «الرابعة»، ولم يكن يخاف من أحد بينهم كما كان يخشى نعيمه، أفيمكنك أن تتصور أن يجعل من نعيمه وحده مستودع ثقته ومخزن أسرارهِ، بحيث يُفضي إليه بمثل قصة «توديعه لعفته» في سن الرابعة عشرة، ومثل قصة ميشلين، وغيرها من أحاديث وحوادث تسيء إليه بين الشرقيين، ولدى رجال الدين بشكل خاص، لو نشر خبرها يوماً ما؟

لقد كان جبران يحب جميع زملائه في «الرابطة» حبًا جمًّا. أما حُبُّه لنعيمه فكان حب خوفٍ منه لا حب إخلاصٍ وثقة، بينما أحبُّهم إليه: نسيب عريضة، فعبد المسيح حداد، كما يقول وليم كاتسفليس في مقاله «من حصاد الذكريات» (مجلة «الأديب» - كانون الثاني ١٩٤٩).

ولعلك، يا أخي إحسان، ستستغرب أن تعلم أن عبد المسيح، وكان جبران لشدة محبته له يعتبر نفسه فردًا من أسرته، قد أنكر قصة ميشلين وقصة غرام جبران بماري هاسكل أو رغبته في الاقتران بها، بل أكد أن جبران أعف وأنبُل من أن يفعل مثل هذا الذي رواه عنه نعيمه. وقد ورد ذلك في أحاديث عقدها معه الأديب المهجري يوسف البعيني نشرها في مجلة «العصبة» في البرازيل عام ١٩٤٩، ثم نُشرت في «السائح».

إسمع، من حديث وليم كاتسفليس، الأسئلة والأجوبة، واحكم بعد ذلك على ضوئها وعلى ضوء الحقائق المتقدمة.

سؤال: أكانت لجبران علاقات غرامية بماري هاسكل؟

جواب: ... أما ما كتبه ميخائيل نعيمه عن علاقات جبران الغرامية بماري هاسكل فبعيد عن الواقع... لقد أحبَّت جبران حبَّ أمِّ، وقد قدَّر لها جبران عاطفتها السامية فظل محافظًا على صلته بها، وهي صلته روحية تفوق كل حب وتبُّ كل غرام.

سؤال: أورد الأستاذ ميخائيل نعيمه في كتابه الرائع عن جبران أن جبران أغوى المعلمة ميشلين، فكيف كان ذلك؟

جواب: لم تكن علاقتي بجبران من تلك العلاقات السطحية التي تحيا على الهامش. فقد قدَّر لي أن أتوغل في كهوف نفسه، سابرًا كلَّ ما فيها من مطامح وميول، وأشواق وأحلام، وظلمات وأشعة. مع هذا لم يطلعي يومًا على اسم تلك المرأة التي شغل ذكرها قسمًا من كتاب الأستاذ نعيمه (ثم يتابع عبد المسيح قائلًا) وجبران، وهو أقرب أبناء الإنسان إلى المبدع الأعلى، حاشا له أن يكون قد دسَّ روح ميشلين، فقد كان يفهم الحياة ويفهم الله».

أما عن أخلاق جبران وشخصيته فيقول عبد المسيح ردًّا على سؤال آخر للبعيني: «كانت لجبران شخصية كشخصية يسوع، لا تصنع فيها ولا تكلف، وقد أقر بجمالها الذين عرفوه».

وفي مقالة «من حصاد الذكريات» يقول وليم كاتسفليس: «كان جبران طيب القلب، رقيق العاطفة، صادق المودة، لم يخن في حياته صديقًا ولم ينكث لأحد عهدًا».

ولست أدري كيف هذه الأخلاق العالية تتلاءم مع مثل قصة ميشلين كما اختلقها ميخائيل نعيمة واختلق مشاهدها وحوارها، اللهم إلا إذا شئنا، لغرض في النفس، أن نصدق رواية نعيمة عنها، وأن نكذب عبد المسيح ووليم كاتسفليس، وقد كانا رفيقين لجبران في الحياة وفي «الرابطة القلمية» وعاشراه عشرة محبة وثقة وإخلاص أطول من عشرة نعيمة له وأوثق وأصرح.

أتريدني أن أمضي في الحديث بعد؟ أم يكفي هذا ليجعلك تشك مثل شكوكي بحيث ترى معي أن سيرة جبران بقلم نعيمة ليست سيرة ولا تاريخًا حقيقيًا للرجل، بل هي رواية أدبية رائعة محبوبكة الأطراف بشكل فني أخاذ يخدع كثيرًا وبمهارة مدهشة عن حقائقه المبطنة؟

أخي إحسان

إن لدي الكثير غير هذا لأقوله إن كان هذا غير كافي. لكنني أقف الآن عند هذا الحد لأنني أطلت كثيرًا. وإن شئت المزيد فسأعود إليك بعد أن يستريح القراء من هذا الشوط المتعب الذي قطعوه معنا لاهئين، ويزدردوا هذه اللقمة العسرة الهضم التي قدمتها إليهم على غير استعداد لازدرداها. كان الله في عونك وعونهم!



## سيرة جبران

### بين بربرة يونغ وميخائيل نعيمة وماري هاسكل

أعقد هنا مقارنة بين كتابين وضعهما صاحباهما في سيرة جبران وأعماله الأدبية والفنية: «جبران خليل جبران» لميخائيل نعيمة و«هذا الرجل اللبناني» *This man from Lebanon* لبربرة يونغ.

كان نعيمة رفيقًا لجبران خلال فترة طويلة منتجة من حياته وحتى يوم وفاته، وكانت بربرة يونغ سكرتيرته خلال السنوات السبع الأخيرة من حياته، كما كانت «القبلة» التي تلقت يداها ميلاد روائحه الأدبية منذ ١٩٢٥ حتى لحظة فارق الحياة في مستشفى سانت فنسنت في نيويورك، الحادية عشرة ليلة العاشر من نيسان ١٩٣١، ثم باتت بعد وفاته وكيلة أعماله الأدبية.

وما دام الأمر كذلك، لا بد أن ما يكتبه عن الرجل هذان الرفيقان ذا أهمية خاصة، ويستحق من القراء الاهتمام والمقارنة لكي نرى كيف ينظران إلى حياة الرجل الذي لازماه، وأبديا في كتابيهما حبًا له كان حبًا حارًا عميقًا في أحد الكتابين، وفي الآخر حذرًا غامضًا مثيرًا للريب أحيانًا.

أول ما يلاحظه القارئ المتمعن في الكتابين فقدان المودة بين المؤلفين فقدانًا تامًا: فنعيمة لا يذكر بربرة يونغ في كتابه كله إلا مرة واحدة في الفصل الأول، فيشير إلى أنه التقى بها أمام غرفة جبران في المستشفى أثناء ساعات نزاعه ويصفها، دون أن يذكر اسمها، بأنها «طويلة القامة، عظيمة الهيكل، زعفرانية اللون، حادة الأنف، غارقة العينين»، وأنها «شاعرة أميركية في النصف الأول من عقدها السادس، عرفت جبران منذ سبع سنوات فتقربت منه، وكانت تساعد في نسخ مؤلفاته، وقد التقيتها مرة عنده...».

ومتى استطاع القارئ أن يحزر أن برباره يونغ هي المقصودة بهذا الكلام، يفهم أن علاقتها بجبران علاقة عابرة جدًا ما دام نعيمة «يقرر» أنه التقى بها عنده «مرة

٦ فصل من كتابه «أدب المهجر»، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦ (ص ٣٤٨ - ٣٥٦).



واحدة» خلال سبع سنوات، في حين تتحدّث هي عن صلتها بجبران بما يؤكد أنها لازمتها، وكانت رفيقة عمله الدائمة خلال السنوات السبع الأخيرة من حياته. فهي تقول في مقدمة كتابها: «لقد كان من حسن حظي، ومن دواعي غبطني، أن أعرف جبران شاعرًا ورسامًا ورفيقًا حبيبًا لمدة سبع سنوات، حتى اللحظة الأخيرة من حياته. سبع سنوات من الصداقة والعمل، حتى لقد قال هو نفسه مرة متلطفًا إننا كنا «شاعرين نعمل معًا باسم الجمال»...».

ثم تروي في الفصل التاسع أن عملها مع جبران بدأ في خريف عام ١٩٢٥ واستمر إلى النهاية، فهي التي كانت تتلقى مولد قصائده ومؤلفاته الجديدة كلها، وبعد ذلك أعدت للطبع كتابه الإنكليزي «حديقة النبي» *The Garden of the Prophet* لأن جبران مات قبل أن يُعدّه الإعداد اللازم، بل تركه أجزاءً مبعثرة تحتاج إلى من له معرفة وثيقة بروح جبران وطريقته وأهدافه لكي يؤلف بينها.

أما نعيمه فلم تذكر برباره يونغ اسمه الصريح، ولا وصفتها قط في أي صفحة من صفحات كتابها وصفًا صريحًا بل أشارت إليه إشارة صغيرة غامضة بقولها *One who shall be nameless, has departed from the faith* («واحد من أعضاء الرابطة، لن أسميه، حادّ عن الإخلاص لها») في خلال حديثها على انفراط عقد «الرابطة القلمية» بعد وفاة جبران. وليس لدينا أيُّ شك في أن هذا الشخص الذي تعنيه وتأبى أن تذكر اسمه، هو نعيمه نفسه. أما بقية أعضاء «الرابطة» الذين كانوا أحياء عندئذٍ فقد ذكرت أنهم ظلوا يعملون في «رابطتهم» بملء الإخلاص لها ولذكرى عميدها الذي سبقهم إلى الأبدية.

هذه الإشارات العابرة، أو «الحرب الباردة» بين نعيمه وبربارة، تصرّح بأقصى وضوح عن روح العداء المستحكمة بين الاثنين، ولا ندري لماذا، أو لعلنا ندري إذا علمنا أن جبران قد ائتمن بربارة على مؤلفاته وأعماله الأدبية بعد وفاته ولم يكِل أمرها إلى نعيمه. وتلك الإشارات تُرينا كذلك كيف كتَب كلُّ منهما كتابه عن جبران بروح تختلف عن روح الآخر. وإذا اتفقًا، إلى حدٍّ ما، في الحديث على بعض آثار جبران الأدبية والفنية وأهميتها وأثرها البعيد، فإنهما يختلفان كلَّ الاختلاف في

ما يتعلق بشخصه وسلوكه كإنسان: بينما يهبط به نعيمه إلى الدرك الأسفل من الشهوانية، تمضي بربارة يونغ (في الفصل الرابع عشر من كتابها) في الحديث على حياته الخاصة وشعوره الجنسي ومسلكه الأخلاقي، فترينا إياه إنساناً كباقي الناس المرهفي الشعور يتأثر بعوامل الجنس ويشعر بالظمإ إلى امتلاء العاطفة لكنه لا ينحط إلى درك اللاأخلاقية الشهوانية.

ويتساءل القارئ: هل اتفق الكاتبان في شيءٍ بقدرما اختلفا في كتابيهما؟

الحقيقة أنهما، في ما يتعلق بجبران الإنسان، كانا شديدي الاختلاف، بل على طرقي نقيض، فلم يكادا يتفقان إلا على أن جبران ولد ومات، وبين الولادة والموت تنقل بين لبنان وأميركا وفرنسا، وكان أديباً وفناناً، ألف كتباً بالعربية والإنكليزية وصنع رسوماً عديدة، وما إلى هذا من الأمور الأولية التي لا يجوز الاختلاف فيها لأن جميع الناس يعرفونها ولو لم ترد في هذين الكتابين.

وطبعي جداً أن يختلف كاتبان في طريقة عرضهما وفي تذكُّر بعض الحوادث، لكننا لا نفهم كيف كاتبان مثل نعيمه وبربارة يونغ، عاشا مع الرجل نفسه مدة قصيرة من عمره، يختلفان في الرواية الواحدة، للشيء الواحد من أعماله أو أقواله، وفي النظر إليه - والمفروض أن ينظرا من جانب واحد - إلا أن تكون هناك عوامل نفسية خاصة هي التي تقرر هذه النظرة وتلك الرواية.

من ذلك، مثلاً، رواية نعيمه لحادثة تلاوة فصول من كتاب «النبى» وتمثيله في إحدى كنائس نيويورك. وهو يروي أن ذلك قد وقع مرة واحدة، في حين تذكُّر بربارة يونغ أنه كان يجري كل سنة.

ويتفق المؤلفان على عظمة هذا الكتاب، ولم يقصراً في الثناء عليه، وهو كتاب أثبتت الواقع عظمته كذلك بدليل عشرات الطبعات التي طبعها بالإنكليزية وعشرات اللغات العالمية التي تُرجم إليها. ولكن لماذا كان الاختلاف في حادثة تمثيله وتلاوة فصوله في الكنيسة؟!

وكذلك لماذا كان اختلاف المؤلفين في رواية عبارة جبران *I am a false alarm* وشرح معناها، بحيث اكتفى منها نعيمه بهذا الجزء وحده، وفسرها بأنها اعترافٌ

من جبران بحقارته النفسية، وتصوير منه لنفسه بصورة الخداع الحقيق، في حين أوردتها بربارة بشكل يختلف عن هذا كل الاختلاف، وذكرت العبارة كاملة كما يلي: *I am a false alarm, I do not ring as true as I would* ثم أكملت شرحها بأن جبران لم يكن ليرضى عن نفسه إلا إذا رآها في أعلى مستوى من الكمال الإنساني، وهو شرح يتفق كل الاتفاق مع النصف الآخر من العبارة، ويتفق كل الاتفاق أيضًا مع ما أصدقاء جبران الآخرون، عدا نعيمه، يروونه عن سيرة جبران، وما تبيّنه أقوال جبران في جميع مؤلفاته.

وفي رواية بربارة يشعر القارئ بأبلغ الإعجاب والمحبة لهذه الروح، روح جبران التي تعيش في صراع دائم لأجل الكمال، في حين أن رواية نعيمه تُشعره بالنفور والحذر من هذا الإنسان الذي يعيش على خداع نفسه وخداع الآخرين. وشتان ما بين الصورتين!

وهناك حوادث وأمور وأقوال أخرى وردت في الكتابين بكثير من التناقض والاختلاف، كالذي ورد عن قصة العمارة التي اشتراها جبران وأجرها لرئيسة إحدى الجمعيات النسائية، وأحاديث علاقات جبران الجنسية، ومعارضه الفنية، وقيمه في نظر الناس، ووطنيته، وغيرته على أبناء بلاده، وسواها.

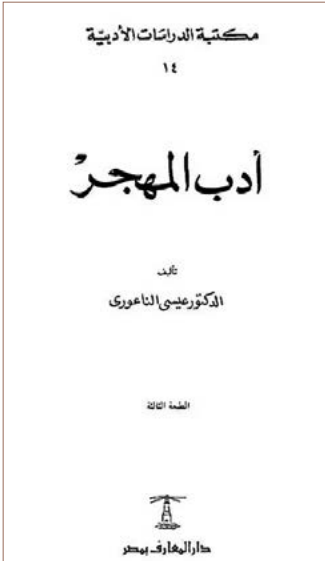
ولكن هناك مصدرًا آخر لسيرة جبران، لعله أصدق المصادر لأنه أقربها إليه وألصقها به. ذلك المصدر هو ماري هاسكل ومذكراتها عن جبران، وهي تجعل من الضروري أن يعيد ميخائيل نعيمه النظر في كتابه لتصحيح الكثير مما جاء فيه عن سيرة جبران، وعن ميشلين وماري هاسكل، وعن علاقات جبران الإنسانية والجنسية وغيرها.

إن نعيمه قد جعل جبران يدمر حياة ميشلين تدميرًا كاملًا، وخصوصًا في اجتماعاته معها في باريس، ونعيمه زوّقها بكل ما شاء له الخيال من صور الحقارة والندالة، ما دفع بها إلى الاختفاء نهائيًا من الحياة، بينما مذكرات ماري هاسكل تُرينا أن ميشلين - وهي معلّمة في مدرسة ماري هاسكل، وصديقة جبران وماري هاسكل معًا - قد تزوّجت وأنجبت، وعاشت حتى العام نفسه الذي توفي فيه

جبران (١٩٣١) وتوفيت بعده بستة أشهر. وفي ما تروييه ماري هاسكل عن صلة جبران بميشلين ليس ما يمكن أن يشير إلى أن جبران قد دمر حياتها أو حاول ذلك. ويحاول نعيمه أن يصور جبرانَ صورةَ قِذرةٍ أخرى: حين عرّض على ماري هاسكل أن يتزوَّجها، سألته: «هل أنت نظيف يا جبران؟» ومضى يعلّق على ذلك ما شاء من تعليق يُسيءُ إلى سمعة زميله ورفيقه القديم. ولكن المذكرات تؤكد أن ماري كانت تحب جبران، وتودّ لو تتزوجه لولا أنها كانت أكبر منه بعشر سنوات وكانت ترى نفسها آخذة في الانحدار نحو الشيخوخة في حين يمضي هو صُعداً نحو القوة والمجد. وكانت، بحسّ الأنثى وغريزتها، تشعر أن هذا الفارق الكبير لن يكتب السعادة لزواجها.

لقد أراد نعيمه في كتابه لسيرة جبران أن يصوره أسوأ صورة ممكنة. وبين زملائه الآخرين في «الرابطة» وبين أصدقاء جبران العديدين، وأهمهم يوسف الحويك وبربارة يونغ وماري هاسكل، لم نجد من يدعم روايات نعيمه أو يرضى عنها. وأكثر: نجد أن عبد المسيح حداد ووليم كاتسفليس، من زملاء نعيمه في «الرابطة القلمية»، نقياً بشدّة كل ما اختلقه نعيمه عن جبران وما صوّره به من

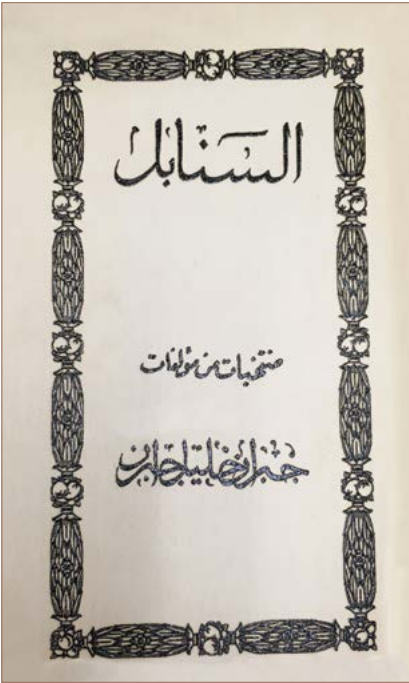
صور الحقارة الخلقية. وحتى الريحاني، أكبر خصوم جبران في حياته، لم يستطع إلا أن يهاجم نعيمه بعد صدور كتابه حول جبران، لما وجد فيه من اختلافات مسيئة إلى الحقيقة.



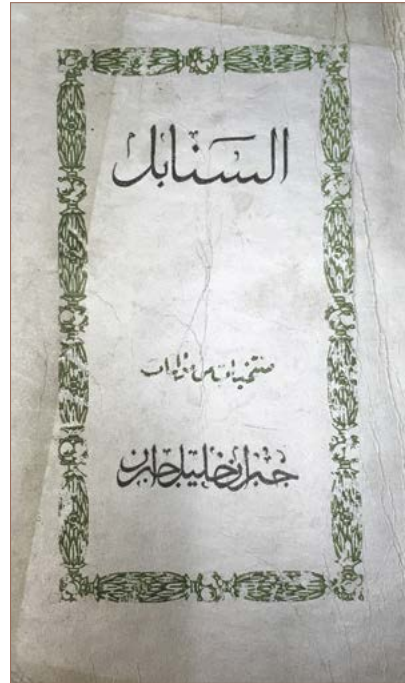
غلاف كتاب عيسى الناعوري  
(الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٩٦٦).

## كتاب «السنابل»

هدية تكريمية من رفاقه في «الرابطة القلمية»



الغلاف الداخلي



الغلاف الخارجي

صبيحة الأحد ١٧ حزيران ١٩٩٠ قصدتُ من نيويورك بيتَ إندرو غريب في مدينة سبرنغفيلد (ولاية ماساشوستس)، وهو يومئذٍ آخرُ الأحياءِ ممن عرفوا جبران

١ تُوفِّي بعدها بعشر سنوات (الأحد ١٢ آذار ٢٠٠٠) عن ١٠١ سنة. وهو من مواليد عيتا الفخار (جنوب لبنان) سنة ١٨٩٨.

شخصياً. كان يلتقيه مراراً في محترفه إبَّان ترجمته إلى الإنكليزية نصوصاً لجبران صدرت بالعربية. طال حوارِي مع إندرو<sup>٢</sup> أسئلةً فضوليةً واكتشافاتٍ جبرانيةً حياتية، حتى إذا سألتُه إن كان التقاه خارج المحترف، أجبني رَواياً لي احتفالاً صدر في مناسبتِه كتابُ «السنابل»، مقتطفات من نصوصٍ عربية لجبران سبقَ أن نشرتها له الصحافة في نيويورك.

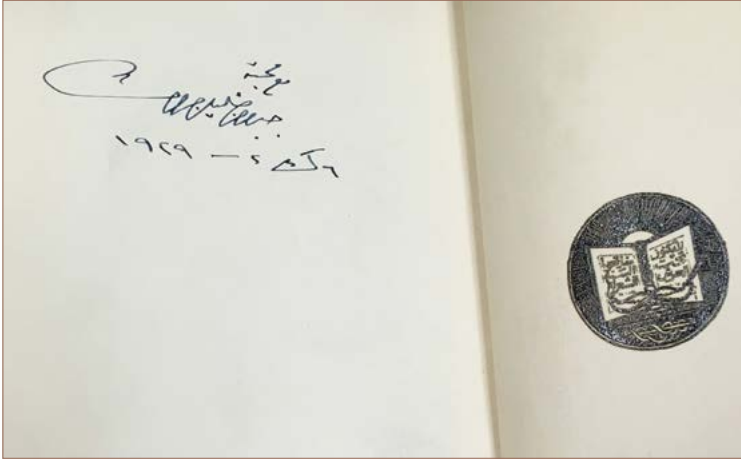
كان سؤالي:

- هل صدَفَ والتقيتَه خارج جلساتكما الهادئة في الستوديو؟  
فأجابني إندرو بما أنقله هنا حرفياً:

- مرةً واحدة. خلال حفلةٍ تكريمية كبيرة أقامها له رفاقه أعضاء «الرابطة القلمية» ليلة السبت ٥ كانون الثاني ١٩٢٩ عشية عيد ميلاده (السبت ٦ كانون الثاني ١٨٨٣) في اليوبيل الفضي لحياته الأدبية (٢٥ سنة: ١٩٠٤-١٩٢٩). تلقَّيتُ من صديقي ميخائيل نعيمه بطاقة دعوةٍ إلى ذاك العشاء في فندق «ماك آلپن» الفخم (نيويورك). وافيتُ نعيمه إلى محطةٍ في مناهاتِن وذهبتُ في سيارةٍ واحدة وكان معنا نسيب عريضة. وصلنا قبل الموعد بنحو ساعتين فإذا جبران وصلَ قبَلنا، ويذرع القاعة الكبرى بخطواته وعصاه. رحَّب بي ودعاني إلى مساعدته في التوقيع على كتاب «السنابل» الذي أصدرته، خصيصاً لهذه المناسبة، «الرابطة القلمية» جامعةً فيه مقتطفاتٍ من كتابات جبران بالعربية. انتحيتُ معه جانباً إلى طاولةٍ في الزاوية، وأخذتُ أفتح له الكتاب على الصفحة ٣ وهو يكتب عليها: «مع محبة»، ويوقِّع: «جبران خليل جبران - ٦ كانون الثاني ١٩٢٩»، حتى انتهى من التوقيع على الخمسمئة نسخة من الكتاب، وهو هادئٌ، عميقٌ، أنيقُ الخطِّ والهندام والقيافة. ضمَّت الصالَّة ليلتها نحو ٤٠٠ مدعوً بين شعراء ورسامين ومُحاميين ورجال أعمال

٢ - نشرته كاملاً في كتابي جبران خليل جبران - شواهدُ الناس والأمكنة - منشورات درغام، بيروت ٢٠١٢ (ص ١٥ إلى ٢٩).

من وجهاء الجالية والأميركيين، وتوالى فيها على الكلام ١٨ خطيبًا، بينهم: ميخائيل نعيمه، وليم كاتسفليس، عبدالمسيح حداد، رشيد أيوب، ندره حداد، إيليا أبو ماضي، فيليب حتي. وختامًا ارتقى جبران المنصة ليُلقي كلمة الشكر، فما كاد يبدأ في العربية ثم شاكرًا في الإنكليزية حتى حَشْرَجَ صوته بالكلمات، وارتجفت شفتاه، وانهمرت دموعه، فغادر المنبر باكيًا من شدة التأثر.».



الصفحة ٣ التي وقَّع عليها جبران سلفًا كما روى إندرو غريب



يومئذٍ لم يكن لدى إندرو غريب نسخة من ذلك الكتاب النادر ذي الخمسمئة نسخة، فلم أره.

وإبان تنقيباتي وأبحاثي على مصادر ومراجع ووثائق لوضعي هذا الكتاب، وجدتُ نسخةً مصورةً كاملةً من ذلك الكتاب، أُفصلُ مضمونها بالآتي:

الكتاب من الحجم الصغير (١٤x٢٠ سنتم) في ٦٨ صفحة.

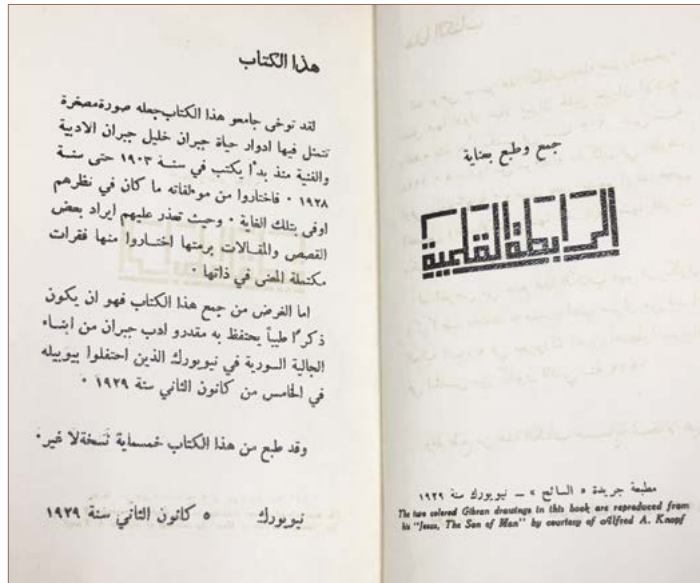
على غلافه الخارجي والداخلي ضمن دائرة مزخرفة بالخط العريض: السنابل - منتخبات من مؤلفات جبران خليل جبران.

الصفحة ١: عنوان هذا الكتاب، وتحتَه هذا النص: «لقد تَوَخَّى جامعو هذا الكتاب جعلَه صورةً مصغَّرةً تتمثَّل فيها أدوارُ حياة جبران خليل جبران الأدبية والفنية منذ بدأ يكتب في سنة ١٩٠٣ حتى سنة ١٩٢٨. فاختاروا من مؤلفاته ما كان في نظرهم أوفى بتلك الغاية. وحيث تعذَّر عليهم إيرادُ بعض القصص والمقالات برمتها، اختاروا منها فقراتٍ مكتملة المعنى في ذاتها. أما الغرض من جمع هذا الكتاب فهو أن يكون ذكراً طيباً يحتفظ به مقدِّرو أدب جبران من أبناء الجالية السورية في نيويورك، الذين احتفلوا بيوبيله في الخامس من كانون الثاني سنة ١٩٢٩. وقد طُبِع من هذا الكتاب خمسمائة نسخة لا غير. نيويورك ٥ كانون الثاني سنة ١٩٢٩.»

الصفحة ٢: في وسط الصفحة عبارة جُمعَ وطبِعَ بعناية الرابطة القلمية - مطبعة جريدة السائح - نيويورك سنة ١٩٢٩. وفي أسفل الصفحة سطران بالإنكليزية هنا ترجمتهما: «الرسمان الملونان بريشة جبران في هذا الكتاب منشوران من كتابه «يسوع ابن الإنسان» بإذن خاص من الناشر ألفرد أ. كنوف.»

الصفحة ٣: في وسط الصفحة شعار الرابطة القلمية كما صمَّمه جبران (بشكل دائرة في قلبها كتابٌ مفتوح على صفحتين)، واستعادَ عبارةً منسوبةً إلى حديث شريف فخطَّطها بقلمه على الصفحة اليمنى: «لله كنوز تحت العرش»، وعلى الصفحة اليسرى: «مفاتيحها ألسنة الشعراء.»

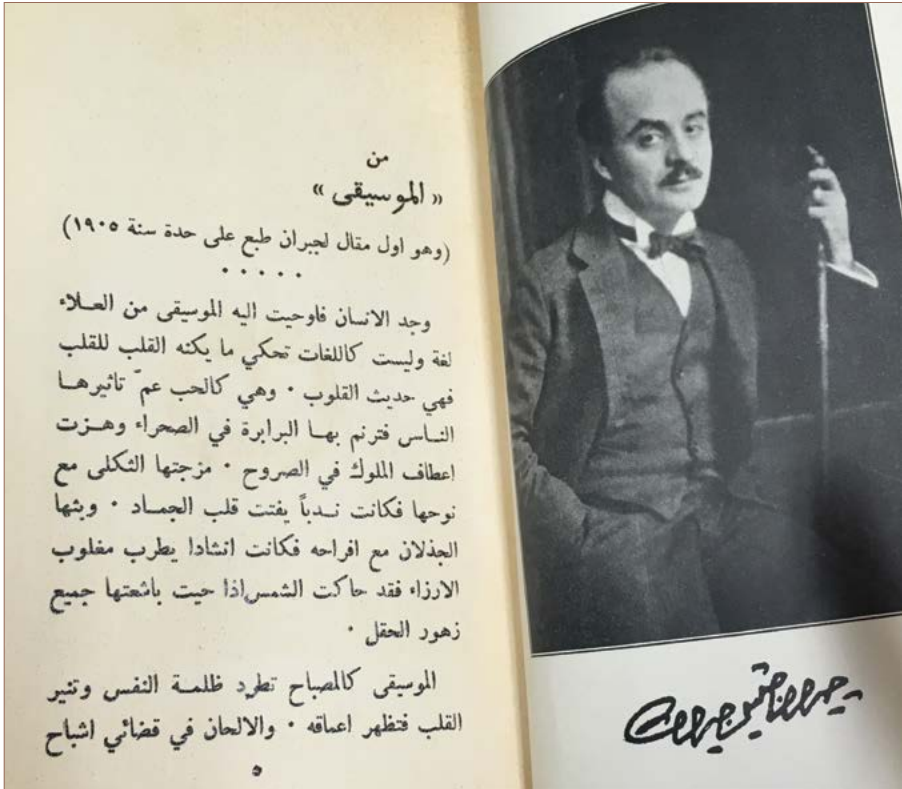
الصفحتان الأولىان:  
شعار «الرابطة»  
(تصميم جبران)  
واستهلالات الكتاب





الصفحة ٤: صورة فوتوغرافية معروفة لجبران متَّكِّئًا على عصا، وتحتها توقيعُ جبران المعروف في جميع مراسلاته.

الصفحة ٥: عنوان من «الموسيقى»، وبين هلالين عبارة: (وهو أول مقال لجبران طُبِعَ على حدة سنة ١٩٠٥). ثم مقطع من النص حتى الصفحة ١٠.



الصفحتان ٤ و ٥ ومطلع نص كتاب «الموسيقى»

الصفحة ١١: عنوان من «عرائس المروج» ١٩٠٥-١٩٠٦، وتحتته عنوان مرتا البائيّة، ثم مقطع من النص حتى الصفحة ٢٠.

الصفحة ٢١: عنوان من دمعة وابتسامة وتحتته هذا المقطع: «وهي مجموعة من الشعر المنشور تحتوي على ما فاضت به قريحة جبران من سنة ١٩٠٣ حتى ١٩٠٨». وبعده في وسط الصفحة عنوان يوم مولدي وتحتته عبارة «كُتِبَتْ في

باريس في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٠٨<sup>٣</sup>، ثم مقطع من النص حتى الصفحة ٣٠.  
الصفحة ٣١: عنوان من «الأرواح المتمردة» سنة ١٩٠٨، وتحت عبارة «خليل الكافر ينجي الحرية»، ثم مقطع من النص حتى الصفحة ٣٦.  
الصفحة ٣٧: عنوان من «الأجنحة المتكسرة» وتحت عنوان الشعلة البيضاء، ثم مقطع من النص حتى الصفحة ٤١.

الصفحة ٤٢: عنوان «من العواصف» وتحت عنوان العاصفة يليه وسط السطر «مقتطفات من حديث يوسف الفخري»، ثم مقطع من النص حتى الصفحة ٥٠، ومن كتاب العواصف أيضًا، عنوان مات أهلي على الصفحة ٥١ ومقطع من النص حتى الصفحة ٥٦، وكذلك من العواصف، عنوان بين ليل وصباح على الصفحة ٥٧ ومقطع من النص حتى الصفحة ٦٥.

الصفحة ٦٦: عنوان من «المواكب» - صدر سنة ١٩١٩ وتحت ١٣ بيتًا من القصيدة توزعت على الصفحتين ٦٦ و٦٧.

الصفحة ٦٨: عنوان شذرات وتحت ثمانى عبارات وجدانية لجبران كتلك التي صدرت لاحقًا بالإنكليزية في «رمل وزبد».

٣ هذا النص لجبران صدر في أعلى الصفحة الأولى من «المهاجر» (جريدة أمين الغرب في نيويورك) عدد السبت ١٣ شباط ١٩٠٩، وبالعنوان ذاته («يوم مولدي») وتحت بالإنكليزية To M.E.H ثم بالعربية بقلم جبران خليل جبران. وحدت أن نسيب عريضة، حين أعاد لاحقًا نشر هذا النص بالعنوان ذاته، مع مجموعة مقالات منشورة أخرى، في كتاب دمعة وابتسامة (نيويورك ١٩١٤) وقّع في خط تاريخي إذ كتّب في مطلع النص: «كُتبت في باريس في ٦ كانون الأول ١٩٠٨»، وإذا بهذا الخط يضلّل باحثين اعتبروا ولادة جبران في ٦ كانون الأول (بينما الصحيح، باعتراف جبران، هو ٦ كانون الثاني). والغريب كذلك أن ميخائيل نعيمة أيضًا، في كتابه عن جبران، كتّب في فصل «يوم مولد ويوم حساب» ما يلي: «أطلت شمس السادس من كانون الأول سنة ١٩٠٨ على الكارثيه لاتان (الحي اللاتيني) في باريس، وأنفدت شردمة من أشعتها إلى غرفة جبران فوجدته في أحضان مورفيوس». ويكمل في هذا الفصل فيتخيّل جبران يستذكر يوم مولده فينهض ويشعل الغاز ويأخذ قلمًا ودفترًا ويكتب مقالًا مطلعته: «في مثل هذا اليوم ولدتني أمي». وهذا أيضًا، حيال علاقة نعيمة الوثقى بجبران، جعل كثيرين يقعون في فخ هذا الخط ويؤرّخون مولد جبران في ٦ كانون الأول بدلًا من الصحيح وهو ٦ كانون الثاني.

## تكريم جبران في ديترويت

ليلة الجمعة ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٤ أقام «النادي التقدمي السوري الأميركي» في ديترويت (متشغَن) عشاءً تكريمياً في «الصالة العربية» الكبرى لفندق تَلر، حضرها عدد كبير من أعضاء الجاليتين اللبنانية والسورية، على شرف جبران تقديراً لحضوره في الجالية وأثاره الأدبية. وكان ذلك الفندق، فترتدٍ من أفخم فنادق الدرجة الأولى في المدينة بل في الولاية.



فندق تَلر سنة ١٩٢٣،  
ويبدو اسمه بأحرف كبيرة  
في الشبكة الحديدية على سطحه

١ هو أقدم وأفخم فندق في المدينة، على اسم صاحبه رجل الأعمال لُو تَلر (١٨٦٩-١٩٥٨). شيدته في وسط ديترويت التجاري من ٦ طبقات سنة ١٩٠٦، ثم أضاف إليه ٤ طبقات سنة ١٩١٠ حتى بلغ ١٤ طبقة سنة ١٩١٤. وسنة ١٩٢٣ افتتح فيه «الصالة العربية» التي تستوعب ٦٠٠ شخص، كانت أكبر صالة في ديترويت للاحتفالات والمؤتمرات.



المأدبة في صالة الفندق الكبرى  
يبدو جبران (ضمن الدائرة) في الصدارة

قبل تلك الحفلة كان جبران كتب إلى ماري هاسكل: «هي مأدبةٌ ينوي إقامتها ناسٌ طيبون تكريمًا كتابَ «النبى». لا أعرف تمامًا ماذا يُهيئون لي هناك، لكنني سأعود فورًا بعدها إلى نيويورك».

في الصورة: جبران جالس في عمق الصالة إلى يمين الموسيقيين الذين على المنصة.

٢ من مجموعة فارس وألكسا ناف (أصل الاسم: نَعَاف، من راشيا الوادي)، وهي اليوم لدى مؤسسة سَمْتُسُونيان، مركز المحفوظات في المتحف الوطني للتاريخ الأميركي. وهذه الصورة تحمل الرقم ٦٩ في مجموعة صُور تلك الحفلة التي تَوَلَّى تصويرها «ستوديو كُرافت»، أشهر مركز تصوير يومها في ديترويت.

## انكشاف الرسائل وصدمة المرأتين

بعد وفاة جبران آلت إلى شقيقته مريانا في بوسطن أوراقٌ كثيرة ومخطوطاتٌ عدّة وأغراضٌ خاصة كانت في محترفه. وإذ كانت تجهل القراءة، عربيّتها والإنكليزية، وتالياً لا تستطيع أن تعرف ما فيها، أودعتها جميعها لدى نسيبها خليل جبران الذي شغف بها وفرزها وبوّبها وكّرس لها مع زوجته جين وقتاً طويلاً ليصّح الكتاب الشهير «خليل جبران، حياته وعالمه» (نيويورك - ١٩٧٤)، فجاء أكمل سيرة عن جبران، موثّقة كلياً بالمواد التي آلت إليه من مريانا.<sup>٢</sup>

بين تلك المواد مسرحيتان غير منشورتين: «العازر وحببته» و«الأعمى»: الأولى قرأها جبران سنة ١٩٢٩ في حلقة خاصة، والأخرى بقيت بين مخطوطاته

١ نحاتٌ معروفٌ عاش حياته كلّها في بوسطن (١٩٢٢ - ٢٠٠٨). والدّه نقولا جبران (ابن عمّ الشاعر) رزق من زوجته روز خمسة أولاد. حين وُلد أوسطهم سنة ١٩٢٢ كان جبران عرّابه في المعمودية (وعرّاب الأولاد الخمسة جميعهم) وهو الذي سمّاه «خليل»، الاسم الذي عُرف به صاحب «النبى» في الأوساط الأميركيّة، وبه وقّع جميع مؤلّفاته الإنكليزية. أما كتبه العربية فكان يصرُّ على توقيعها بالاسم الثلاثي: جبران خليل جبران.

٢ بعد وفاته أصدرت زوجته جين سنة ٢٠١٧ طبعةً جديدةً من الكتاب مزيّدة ومزوّدة بوثائق وصورٍ جديدة وعنوانٍ جديد «خليل جبران أبعد من كل حدود»، تأليف جين جبران و خليل جورج جبران (التقليد في أميركا أن يحمل الولد دائماً اسماً مزدوجاً: أوّل وأوسط، قبل اسم العائلة). صدر الكتاب لدى منشورات إنترلنكس - نورثاين - ماساشوسيتس، في ٥٢٤ صفحة حجماً كبيراً.

لدى نسيبه خليل حتى أصدرهما معاً في كتابٍ واحد سنة ١٩٨٢ لدى منشورات «وَسْتِمُسْتِر» في فيلادلفيا.

في مقدمة الكتاب موجزٌ لحياة جبران التي باتت معروفة في جميع المراجع، أُترجمُ منه هنا ما يتعلق فقط بباربره يونغ.



في الصفحة ٢٢ وَرَدَ: «بين الجمهور المُصغي إلى قراءاتٍ من «النبى» في كنيسة سانت مارك إن دُ بوري، كانت تجلس باربره يونغ، صاحبةً مكتبةٍ وقبلاًك مُدرّسةُ اللغة الإنكليزية. وما هي حتى دخلت حياتهِ ومحترفهِ، ورافقتهُ طيلة السنوات الباقية من حياتهِ. وبعد وفاته كانت القيمة الرسمية على مخطوطاته، وسافرت إلى بلدته بُشري في لبنان، وسجلت انطباعاتها في كتاب «هذا الرجل من لبنان»...».

وفي الصفحة ٣٠ وَرَدَ: «عند وفاة جبران الساعة ١٠:٥٥ ليلة الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١ كان حوله في المستشفى كلٌّ من: باربره يونغ، شقيقته مريانا، ميشا نعيمه، ونسيبيه من بوسطن روز دياب وعساف جورج».

وكان في الصفحة ١٧ وَرَدَ: «مع أن جبران لم يحاول أن يخفي إهداء بعض كتبه العربية هكذا «إلى MEH» (أي ماري إليزابيت هاسكل) بقي حضورُ ماري خافتاً في حياته العامة. ومع ازدياد رسومه ولوحاته الزيتية كانت تزداد في أسفل زاويتها اليمنى أحرفُ MEH، لكنَّ ماري المرأة ظلت حضوراً خاصاً حميماً لا يشي به لأحد ولا يتحدث أبداً عنها في حلقاته الاجتماعية الآخذة بالتوسع. وكانت ماري تعرف منه أسماء جميع أصدقائه من الكتاب بالعربية والمعجبين به من الأميركيين وذكّرتهم نقلاً عنه في دفاتر يومياتها، لكنَّ أحداً منهم لم يعرفها شخصياً. كانت ماري عينه السرية وأذنه الحميمة، لذا أخفى عن الجميع ذكراً وتفاصيل حياته الحميمة معها».

ولعل إصرار جبران على إخفاء ماري عن الجميع، هو ما يفسر، لدى وفاته، ما ورد في الصفحة ٣٢ من الكتاب:

«انكشفُ رسائل ماري إلى جبران شكَّكَ أزمَةً شخصية بين ماري وباربره يونغ. تحت وقع الصدمة، اقترحت باربره على ماري إحراق تلك الوثائق عن حياتهما الحميمة. لحظتها وافقت ماري عفويًا. لكنها بعد تفكيرها في ما سيكون من أهمية لتلك الرسائل تاريخيًا وأدبيًا في سيرة جبران لاحقًا، عادت مساءً إلى المُحترف، حَزَمَت رسائلها إلى جبران، حَمَلَتْهَا جميعها في حقيبتها، اتَّجَهت رَأْسًا إلى محطة السكك الحديدية، استقلَّت أَوَّل قطارٍ موعِدُهُ بعد وصولها بسويغاتٍ، وعادت جنوبًا إلى بيتها في ساقانا - جورجيا.

## ثلاثٌ بِخَطِّهِ غَيْرُ منشورة

بين أعلى ما يَسُرُّ الباحث في اشتغاله على آثار مؤلِّفٍ غاب، أن يَجِدَ كتاباتٍ له بخطِّه، خصوصًا إن لم تكن منشورةً بعدُ تلك المخطوطات.

وهو هذا ما شعر به الدكتور وليم شحادة<sup>١</sup>، إبَّان مراحل عدة من حياته كان خلالها، إلى جانب عمله في الطب تدريسيًا ومزاولةً، يهتم بجمع تراث لجبران من مصادرٍ مختلفة، أدَّى به جمعُها، مخطوطاتٍ نفيسةً بين أوراق جبران بخطِّه، إلى إصداره كتابه القيم «خليل جبران - نبيُّ في الإعداد»<sup>٢</sup> وفيه خمسةُ أقسام: أربعةٌ هي مخطوطاتٌ صفحاتٍ متفرقةٌ أصليةٌ بخط جبران لشذراتٍ من كتبه «المجنون»، «السابق»، «النبي»، «آلهة الأرض»، والقسم الأول منها يضم صفحاتٍ مخطوطةً غيرَ منشورةٍ لثلاث قصائد وبقاثة حِكْم: القصائدُ الثلاث هي «هدَّدة» (مخطوطة على صفحة واحدة)، «الزائر الأخير» (مخطوطة على ٨ صفحات)، مخطوطة بدون

١ طبيب لبناني أميركي (١٩٠٥-١٩٩٥)، وُلِدَ في مدينة بروفيدينس (عاصمة ولاية رود آيلند)، وتخرَّجَ من الجامعة الأميركية - بيروت سنة ١٩٣١، درَّس الطب فيها سنواتٍ قبل أن يعود إلى الولايات المتحدة الأميركية مزاولًا الطب وتدرّيسه في جامعاتٍ عدةٍ أخيرتها جامعة نيويورك. نال جوائزَ على إسهاماته في عدد كبير من الأبحاث الطبية. كانت له اهتماماتٌ مثمرةٌ بجبران، نظَّم له معارض، وله فيه محاضراتٌ ومقالات.

٢ *Kahlil Gibran - a prophet in the making* - ٤١٨ صفحة قطعًا كبيرًا - منشورات الجامعة الأميركية في بيروت، ١٩٩١.



عنوان (على صفحتين)، ومتفرقاتٌ لأفكارٍ وحِكَمٍ (مخطوطة على ٦ صفحات).  
في مقدمة الكتاب شرحٌ شحادة<sup>٣</sup> أنَّ «تلك المخطوطات القيّمة في هذا الكتاب  
استغرق جمعُها سنواتٍ طويلةً كنتُ خلالها أَلْمَلِمُهَا صفحةً صفحةً وقطعةً قطعةً.  
ولو كان لمخطوطات القسم الأول أن ترى النور على حياة صاحبها، لكانت روائعَ  
جديدةً تضاف إلى آثاره وتضفره بأكاليلٍ إضافيةٍ من الغار الجبراني». ولم يشرح  
شحادة، ولا أحدٌ سواه شرح، «لماذا لم ينشر جبران هذه المخطوطات، على ما فيها  
من جمال واكتمال».

مجموعُ الكتاب إذاً صفحاتٌ مخطوطة، مصوَّرةٌ تصويرًا تقنيًا دقيقًا، بيَّنةٌ فيها  
تصحیحاتٌ أجراها جبران على سطورهِ، أو تشطِیباتٌ مُلغِیةٌ أو مُعدِّلة، وبعضُها  
بالعربية مع رسومٍ ومنمنماتٍ على هوامش الصفحات أو بين السطور.

وقبل نشرهِ مخطوطاتِ الخمسة الأقسام، مهَّد الدكتور شحادة لكتابه بمقدمة  
بيوغرافية (ص ١٥-٢٨) لمراحلٍ رئيسيةٍ من سيرة جبران وأعماله.

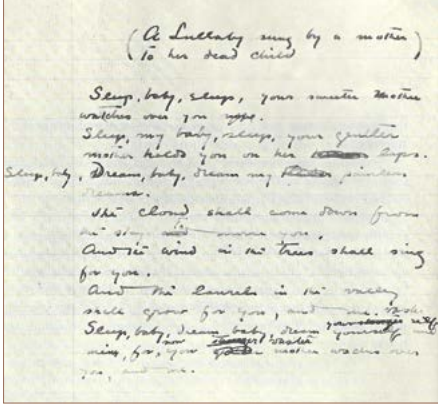
من القسم الأول، أكتفي بترجمة القصائد الثلاث غير المنشورة بعدما حصلتُ  
على الإذن بترجمتها وتصوير مخطوطاتها الأصلية من ألبرت شحادة (ابن المؤلف)،  
وهي اليوم لدى القسم الخاص بالمخطوطات النادرة في جامعة پرِنسْتُون، حيثُ  
أودعها ألبرت بعد خمس سنواتٍ على وفاة والده.

وهنا ترجمتي هذه القصائد الثلاث، متتابعةً كما وردت في الكتاب، مع صورةٍ  
مقابلةٍ لكلٍّ منها بمخطوطتها الأصلية.

ولأنَّ القصيدة الثالثة تركها جبران بلا عنوان، وضعتُ لها، من وحي النص، عنوانًا  
أُحسُّ أنه محبَّبٌ لجبران.

٣ كَتَبَهَا فِي مَدِينَةِ غَرِبِنُوتْش (وَلَايَةِ كُونْتِيكْت) فِي صَيْفِ ١٩٨٨.

## عَنَّتْهَا أُمُّ لَطْفِهَا الْمَيِّتِ



مطلع القصيدة بخط جبران

نَمْ، يَا طِفْلِي، نَمْ  
 أُمُّكَ الْعُدْبَةُ تَرَى إِلَيْكَ  
 نَمْ، يَا صَغِيرِي، نَمْ  
 أُمُّكَ الْهَادئةُ تُهْدِيكَ عَلَى حِصْنِهَا  
 نَمْ، يَا حَبِيبِي، نَمْ  
 وَأَنْسُجُ أَحْلَامًا لَا آلامَ فِيهَا!  
 سَتَنْزِلُ غَيْمَةٌ مِنْ سَمَاهَا كِي تُرَضِّعَكَ  
 وَمِنْ الشَّجَرِ تَنْهَمِلُ نَسْمَةً كِي تَغْتِي لَكَ  
 وَأوراقُ الغارِ فِي الوادي سَتَنْمُو لِأَجْلِكَ وَأَجْلِي  
 نَمْ يَا صَغِيرِي  
 واحْلُمْ بِذاتِكَ الْكَبْرَى وَذاتِي  
 لِأَنَّ الْأُمَّ الْكَبْرَى تَرَى الْآنَ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ.



## الزَّائِرُ الْأَخِيرُ

أَعْلَنْتِ السَّمَاءُ الْحَرْبَ عَلَى الْمَدِينَةِ لِأَنَّ الشَّرَّ فِيهَا تَغَلَّبَ عَلَى الْخَيْرِ  
 وَمِنْ الشَّرِّ وَالْغَرْبِ انْدَلَعَتْ أَعاصِيرُ رَهيبَةٍ تَلَطَّمَتْ بِشِراسَةٍ فِي فِضاءِ الْمَدِينَةِ

٤ «الْهَدَهْدَةُ» (أَوْ التَّهْوِيدَةُ): أُغْنِيَةٌ هَادئةٌ تُدَنِّدُهَا الْأُمُّ لِطِفْلِهَا كِي يَنَامَ.  
 ٥ وَاضِحٌ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ حِناٌ وَشَغْفٌ لَدَى الْأُمِّ الْواعِيَةِ الْقُوَّةَ الْعَظْمَى الَّتِي تَرَى إِلَيْهَا  
 وَإِلَى طِفْلِهَا، تَرَى إِلَى الْحَيَّةِ وَالْمَيِّتِ مَعًا. وَهِيَ تَتَنَاقَضُ بِوُضُوحٍ مَعَ مَقْطُوعَةٍ لِاحِقَةٍ  
 لَهُ عَنْ أُمِّ وَطِفْلِهَا الْمَيِّتِ فِي مَقْطُوعَةِ «الْمَعْبَرِ»، هِيَ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي مَجْمُوعَةِ  
 «التَّائِهَةِ» الَّتِي صَدَرَتْ (١٩٣٢) بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَشُعُورُ جَبْرانٍ عَميقًا بِهَذَا الْمَوْضُوعِ نَابِعٌ مِنْ  
 حُبِّهِ الْعَميقِ وَالِدَتِهِ الَّتِي فَقدَتْ بِالْمَوْتِ وَلَدِيهَا (سُلْطَانَةُ شَقِيقةَ جَبْرانِ الصُّغْرَى، وَبَطْرَسُ  
 أَخَاهُ) قَبْلَ فِتْرَةٍ ضَئِيلَةٍ مِنْ غِيابِهَا هِيَ بِالْمَوْتِ.

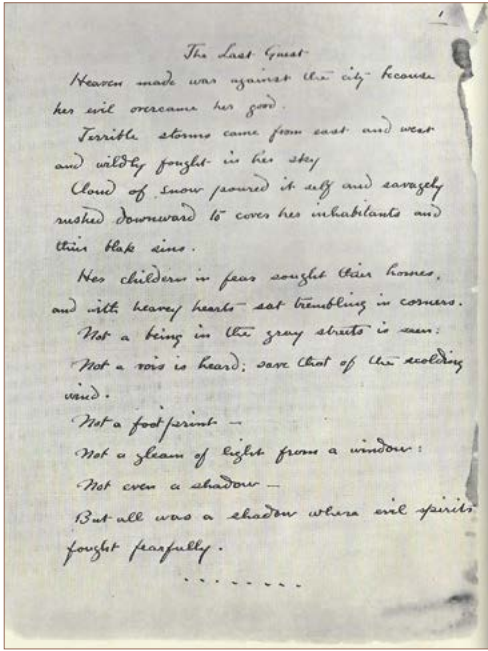
تجمّعت غيومٌ تلجّية وانهمرت بسرعةٍ همجيةٍ غطّت سكّان المدينة وخطاياها السوداء  
هرع الأطفالُ إلى بيوتهم مدعوري القلوب لا يُذنين في الزوايا  
لم يعد يُرى أحدٌ في الشوارع الرمادية  
ولم يعد فيها صوتٌ سوى قصف الرياح  
لا أثرٌ لقدمٍ  
لا ومضةٌ ضوءٍ في نافذة  
ولا ظلٌّ إلا أخيلة الأرواح الشريرة تتعارك مذعورة.



وما هي حتى بدا في الشوارع الموحشة  
رجل نحيلٌ، طويلٌ، مرّتدٍ لباساً أبيض  
يمشي بهدوءٍ، حافياً، حاسر الرأس  
يُبعثُ نوراً لطيفاً شاحباً  
عيناه مُشعّتان كنجمتين  
على شفّتيه ابتسامةٌ رضّيةٌ حزينةٌ  
شعره كثيفٌ طويلٌ منسدلٌ فوق كتفيه  
على يديه وقدميه جراحٌ عميقةٌ يهلُّ منها نورٌ لطيفٌ شاحب  
بأبهةٍ كان يمشي  
لا يهزّه المشهد حوله  
لا يمسّه الثلج المنهمر  
لا يراه أحدٌ  
لا يسمعه أحدٌ.



توقّف عند باب رجلٍ غنيٍّ  
وبيده المدمّاة طرّق الباب مرّتين



مطلع القصيدة بخط جبران

بعد انتظارٍ طال  
ظهرت يدٌ من كُوة نافذةٍ صغيرة  
تلاها صوتٌ أجشُّ باردٌ:  
- لا زوَّارَ الليلةَ يا هذا، لا مكانَ لزوَّارِ.  
انصَفَّتْ النافذةُ بغَضَبٍ  
وأقفلتْها بإحكامٍ موجاتُ الريحِ والثلجِ  
فلا يمكنُ بعدُ أن تفتَحَها يدٌ بشرية  
لأنها أُقفلتْ إلى الأبدِ.



واصل الرجل سيره  
توقَّف عند بيتٍ صاحبه يدَّعي معرفة كلِّ شيءٍ.  
طرق الباب مرَّتين  
فتحَه عجوزٌ أشيبُ ذو نظرةٍ شنيعة قاسية  
صاح غضبًا في الواقفِ بالباب:  
- بيتي ليس للمتسولينِ.  
صفقَ البابَ بقوَّةٍ واهنة  
وأقفلتْهُ بإحكامٍ موجاتُ الريحِ والثلجِ  
فلا يمكنُ بعدُ أن تفتَحَهُ يدٌ بشرية  
لأنه أُقفلَ إلى الأبدِ.



استأنفَ الرجل سيره  
توقَّف مجددًا عند بيتٍ يسكنه مُتجبرٌ  
طرقَ البابَ ثلاثًا  
فتحَ الحارسُ البابَ

وإذ رأى من ظننه متسوّلاً، صرخ غاضباً:  
- أغرب من هنا. لا بيت هنا لعابري السبيل.  
صَفَقَ الباب بِقُوَّةٍ  
وَأَقْفَلْتَهُ بِإِحْكَامٍ موجاتُ الريح والتلج  
فلا يمكنُ بعدُ أن تفتَحَهُ يَدٌ بشرية  
لأنه أُقفل إلى الأبد.



وعاد الرجل يسير  
طويلاً سار طويلاً  
حتى وصل عند كوخٍ صغيرٍ مُغتمٍ خارج المدينة  
دنا من الباب  
وجده مفتوحاً  
رَبَّةُ البيت أَحْسَّتْ بِمَجِيئِهِ فَفَتَحَتْ الباب  
دخَلَ  
أَجْلَسَتْهُ عند الموقدة  
جاءت له بِخُبْزٍ وَخَمْرٍ  
وبعينين بأستين نظرت إليه بتأثر:  
- فقيرةٌ أنا يا سيّد، كما ترى،  
لكنني سأمدُّ لك فراشاً أمام الموقدة  
كأنك غريبٌ عن هذه المدينة.  
- جميعنا غرباء هنا في هذا العالم.  
- إذاً، في هذا البيت الوضيع، نتشارك الأمان من هذه الليلة العاصفة  
قالت هذا والتفتت إلى الجراح في يديه وقدميه يُضيءُ نورُها الغرفة  
وقرأت على شفّته ابتسامةً رضا حزينةً  
فجثت أمامه فاتحةً ذراعها باكيةً:

- أيها السيّد الرحيم:  
أنا خاطئةٌ بائسةٌ غيرُ جديرةٍ لأنني أخالف الناموس  
أيها الصالح المستقيم:  
نفسي مطوّقةٌ بنير الآثام ونواياي مُثقلَةٌ بالشرِّ  
أيها المُخلصُ الطيّب:  
منبوذةٌ أنا لنجاستي  
يا مُحبَّ البشر:  
نفسي مظلمةٌ وأنت النورُ ومخلصُ البشر  
وغافرُ الخطايا ومانحُ الأمل والراحة.

عندئذٍ

تقدّم منها

وبِحنانٍ جَمَّ وضعَ يده على رأسها  
وإذ تفرّس في عينيها  
شعّت حوله هالةٌ نورٌ أضاء الكوخ الصغير  
صدحت لحظّتيذ أنغامٍ سماوية  
فاح في جو العرقة عبيرٌ مرّ شاعل  
وانفلت فجأةً منه فرحٌ كثيرٌ حرّ روحه  
أغمض عيني جسديها كي تنفتح عينا روحها  
فتقوى على تلك الصاعقة  
الصاعقة التي تشتدُّ  
وبقسوةٍ تضرب تلك المدينة العاجزة عن المقاومة.  
رهيباً كان ذلك الإعصار:  
أخذت دوامةُ الريح الثلجية تلفُ مسعورةً جميع البيوت وتهدمها  
حتى غطّت كلّ أترٍ في المدينة.  
لم يُنْج منها أحدٌ  
ولا أحدٌ هرب من عقاب السماء

جميعهم ماتوا واندفنوا في الظلمة والصقيع  
الغني والمُدعي والمتجبر لجدوا تحت مُمتلكاتهم الأرضية.  
وحده الكوخ بقي صامدًا في الأرض الخراب.



مندئذ

في الذكرى السنوية لذاك النهار  
يتوافد إلى الكوخ حجاج كثيرون  
يُحرقون فيه البخور حيث جسد المرأة بات... ذخيرة مقدسة.

6 هذه المقطوعة «الزائر الأخير»، كما في مقطوعة «الزهيع الأخير» (من كتاب «السابق» - ١٩٢٠) عالَج جبران فيها مسألة الخير والشر على الأرض، بدءًا من غضب عارم في عناصر الطبيعة، وعلاقتها بسلوكيات البشر الفاجرة بين الإنسان وأخيه الإنسان في حياته اليومية، من خلال ثلاثة نماذج: رجلٌ غنيٌّ، رجلٌ مُدعٍ، ورجلٌ متجبرٌ، وكلٌّ منهم يُضمرُ الشرَّ للآخر بفظاظة فاحشة، غيرَ شاعرٍ بحاجات الآخر اللائذ به، بل غارقٌ في بخله وأنايته وتَجَبُّره. وهذا يتناقض مع سلوك الذين لا قدرة لهم على العطاء ومع ذلك يُعطون من شحيح ما عندهم، على صورة فلس الأرملة. المرأة الفقيرة في هذه المقطوعة، عانت تائبَةً إنما عن خطايا لم تفتقرُها، واستقبلت الزائر الأخير قبل طوفان الخراب، مُقدِّمةً له ماؤى يقيه العاصفة، أمانًا في كوخها، دفنًا قرب الموقدة، وشاركنه كلَّ ما عندها - على قلة ما عندها - عكس ما فعلَ الثلاثة الرجال: الغنيُّ البخيلُ والمُعتدُّ المَغرورُ والفظُّ المتجبرُ. في النهاية تنتصر عدالة السماء فينجو المُعتدلُ والفقيرُ والخاطئُ التائبُ ويسقط الآخرون في العتمة الأخيرة. وعن هذا الموضوع ذاته كتَب جبران في فصل «العطاء» (من كتاب «النبى» - ١٩٢٣): «في الناس من يُعطي قليلًا من كثير ما عنده، وفيهم من لا يملك إلا القليل ويعطيه كله». وتلك، في هذه المقطوعة، كانت حالة المرأة: آوتِ الزائر الأخير قبل هبوب العاصفة الثلجية التي هاجمت المدينة وقصت على كلِّ ما فيها ومن فيها، ولم ينج منها أحد. وفي كلمات هذه المرأة جائية أمام الرجل، تمَاهٍ واضحٌ مع كلمات مريم في فصل «المجدلية» (من كتاب «يسوع ابن الإنسان» - ١٩٢٨) وخصوصًا في قول المجدلية ليسوع: «أنت غريبٌ مع أنك غيرُ غريب. أتوسل إليك أن تدخل بيتي. لديّ بخورٌ أحرقتُه لك، وحوضٌ فضيٌّ لغسل قدميك. أدخل بيتي وشاركني الخبز والخمر»، حينئذٍ أشرقت عيناه على روعي وقال: «أنا وحدي بين الرجال أحبُّ فيك ما ليس يراه الآخرون»...».

## كما أُرزّة على تلّة لبنان<sup>٧</sup>

طويلاً وشاقاً بدا لي الطريق<sup>٨</sup>

وكان المَعْبُرُ ضائعاً بين التلال.

تأثّمها كنتُ وحدي في هذا الطريق الطويل

وكان الصمْتُ كثيفاً

لا العصافيرُ تغرِدُ

لا الأزهارُ تتمايلُ

لا يبهلُ نَسَمُ

وحافيةً كانت الجداولُ وأوراقُ الشجر<sup>٩</sup>.

ثمّ

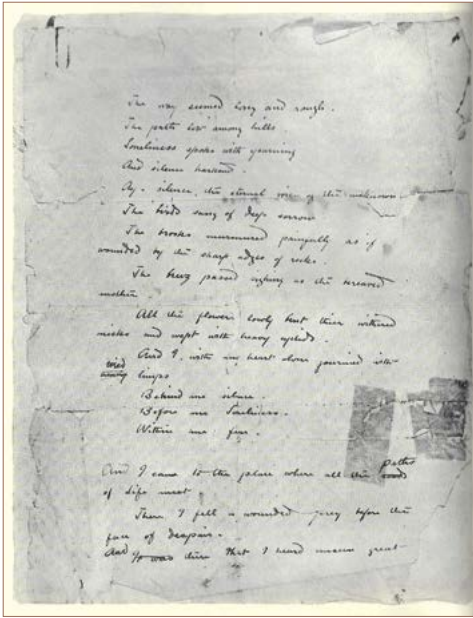
تكلّمتِ الوحدهُ تَوَاقَةً فأصغى إليها الصمتُ

الصمْتُ - صوتُ المجهولِ الأبديّ.

غنّتِ العصافيرُ بِحُزْنٍ عميقٍ

الجداولُ سَقَسَقَتْ أَلَمًا كأنَّ جَرَحَها شخاريبُ الصخورِ

النسيمُ مرَّ حزيناً كما أمُّ تُكَلِّي



الصفحة الأولى من القصيدة بخط جبران

٧ هذه المخطوطة أصلاً بدون عنوان. اخترتُ لها من النص عنواناً عزيزاً على قلب جبران الذي لم يغب لبنان عن قلبه في معظم نصوصه العربية والإنكليزية معاً.

٨ وُجِدَت نسخة من هذه المقطوعة بين أوراق الشاعرة الأميركية جوزفين پُرسْتِن پيبدي (١٨٧٤ - ١٩٢٢) وهي أودعَتها مكتبة جامعة هارفرد، ويرجّح أن يعود تاريخها إلى ١٩٠٤، إبان علاقة جبران بها، ولعلّها من بدايات جبران محاولاً الكتابة بالإنكليزية. وهو كان أهداها نسخة من أول كتبه العربية («نبذة في الموسيقى») سنة ١٩٠٥ وعلى غلافه كتب بالعربية أحرف اسمه ج خ ج وأحرف اسمها ج ب ب.

٩ هذا المقطع (وَضَعْتُهُ بِالْخَطِ الْمَائِلِ لتمييزه عن سائر النص) وَجَدَهُ وليم شحادة، واضع الكتاب، على مقلب الصفحة ٧ من مخطوطة «الزائر الأخير». ولكن، لأنّه لا يمتُّ في سياقه بأيّ صلةٍ شكليةٍ أو مضمونيةٍ، إلى نص «الزائر الأخير» الذي ليس فيه أيّ كلامٍ وُضِفِي بِصيغة المتكلّم، ولأنّ هذا النص أعلاه هو، بسياقه شكلاً ومضموناً، في صيغة المتكلّم، رجّح شحادة أنّ هذا المقطع أقربُ أن يكون مكتوباً لمطلع هذا النص. وقد يكون على حقّ. لذا أدرجته هنا في مطلع هذه المقطوعة.



ولوت أعناقها الأزهارُ بكياً بجفونٍ دامعة.  
وأنا، بقلبي المستوجد، عابرٌ متعباً بخطواتٍ عرجاء  
خلفي الصمت  
أمامي الوحدة  
وبي خوفٌ كثير.  
جئتُ إلى حيث تتقاطع سبلُ الحياة جميعها  
هناك وقعتُ فريسةً جريحةً أمام وجه اليأس  
وهناك سمعتُ أجنحةً خفيفةً كبرى ترفُّ صوبي  
وإذ التفتُ  
رأيتُك منتصباً أمامي كما أرزُ الربِّ على تلةٍ من لبنان.  
فعرفتُك

من النور في عينيك عرفتُك  
ومن بسمَةِ أموميَّة على شفتيك.  
باركتني بلمستك  
وهمست لروحي هذه الكلمات:  
«دليلك أنا يا ولدي. إتبعني فأكشف ما خبأه الحزنُ لك».  
وتبعتك

فإذا أماننا المعبَّرُ يتضح واسعاً  
مزينةً بزهرٍ وفير  
والصمتُ يُفشي أسراراً خفيةً  
كاشفاً عن أحلام حُبِّ مستورة  
والطيورُ تزرقُ فرحاً كأنها تحتفي بربيعٍ دائم  
كانت الجداول ترقصُ  
والنسيمُ يَبوسُ بحنانٍ شفاة الأغصان  
والزهورُ جميعها ملتفتةً إلى فوقُ  
مبتسمةً تلاقِي وجهَ الشمس

وَأَنَا حَدَّكَ الْوَلْدُ الشَّاطِرِ  
خَلْفِي الطَّمَانِينَةَ  
أَمَامِي الْفَرْحِ  
وَبِي حُبٌّ كَثِيرٌ<sup>١٠</sup>.

---

١٠ واضحٌ في هذه المقطوعة موضوعٌ مألوفٌ لدى جبران: مُرورُ الإنسانِ الصَّعبُ والشاقُّ في معبرِ الحياة، ووقوفُه يائسًا حيثُ تتقاطعُ سبُلُ الحياةِ جميعُها، وحيثُ عناصرُ إيمانه وأمله وقوّته تغتذي من رؤيا بحثه الدائم عن الوجه الحبيب. وهي رؤيا لجبران في الحياة والموت تتكرّر في معظم نُصوصه ولوحاته.

## مار سركيس: الدير/الضريح/المتحف

بعد يومين على انتهاء مراسم الاحتفال في بُشْرِي بوصول جثمان جبران (الأحد ٢٣ آب ١٩٣١)، كانت شقيقته مريانا ومعها نسيباها مرُون وعساف جورج رحمة يفاوضان (الثلاثاء ٢٥ آب) رئيسَ الرهبنة الكرملية في دير مار سركيس لشراؤه مدفنًا لجبران<sup>١</sup>

١ بعد الجنّاز في بُشْرِي، وبانتظار إنجاز المفاوضات لشراء دير مار سركيس واستصلاحه، بقي الجثمانُ موقَّتًا مسجّي في كنيسة مار يوحنا من الأحد ٢٣ آب ١٩٣١ حتى الأحد ١٠ كانون الثاني ١٩٣٢ صباحَ نقله إلى مغارةٍ في الصخر عند أسفل الكهف في دير مار سركيس بعدما تمّت معاملات شراؤه، ليتحوّل الديرُ كُلُّه إلى المتحف كما نعرفه اليوم. وكانت السفينة «سينايا» (ذاتها التي أفلت جثمان جبران) وصلت إلى مرفأ بيروت صباح الإثنين ٢٧ حزيران ١٩٣٢ حاملةً من نيويورك ٣٠ صندوقًا تحوي معظم موجودات محترف جبران هناك، و٧٣ لوحة زيتية، و٣٦٦ رسمًا، ومئات الكتب من مكتبة جبران (بعضها بإهداء من مؤلّفيها إلى جبران). كلُّ ذلك تمَّ بعنايةٍ شخصية وإرسالٍ مباشرٍ من ماري هاسكل التي أودعت مع الصناديق رسالةً إلى رئيس بلدية بُشْرِي جاء فيها: «هذه الهدية الثمينة تُبلِّغ بُشْرِي باسم جبران وشقيقته مريانا، وما أنا في كل ذلك سوى الوسيلة الآمنة». وكانت ماري هاسكل قامت بذلك تنفيذًا وصيةً لجبران الأخيرة التي كتبها بيده نهار الخميس ١٣ آذار ١٩٣٠ وأودعها مكتب إدغار سپاير، وجاء فيها: «كل ما في محترفي من رسوم وكتب وسلح فنية، أوصي به بعد مماتي للسيدة ماري هاسكل ماينس، الساكنة حاليًا في المبنى رقم ٢٤ من شارع غاستون في مدينة سافانا - ولاية جورجيا. لكنني أرغب إلى السيدة ماينس، إذا هي استنسبت، أن تُرسل جميع هذه الموجودات، أو بعضها، إلى بلدي بُشْرِي». وهي بالفعل «استنسبت»، لأنها كانت تقدّس كل ما يطلبه أو يقوله جبران.

بناءً على رغبةٍ تجلّت منه مرّاتٍ كثيرةً في حياته، هو الذي لم تغادر عينيه أطيافُ طفولته في تلك البقعة الرائعة المُشرفة على وادي قاديشا.

من تلك «المرات الكثيرة» رسالته السبت ١٧ حزيران ١٩١١ إلى ماري هاسكل وصّف لها مغارةً في بُشْرِي داخل كنيسة مار ماما وحدّد: «هناك كنتُ مراراً أختلي وحدي، وهناك تعلّمتُ الكثير من تلك الخلّوات التي كنتُ أحبُّها أكثرَ من أيِّ مكانٍ آخر. هل أنا نيتياً أكون يا ماري، أو متطرّفًا، إذا كنتُ أريد أن أدفنَ هناك؟ وهل يكون هذا تذييراً مالياً؟» وقد تكون هذه الرسالة بالذات عادت إلى ذهنها حين كتبت إليها شقيقته مريانا تستشيرها في عملية نقل الجثمان إلى بُشْرِي، مستعينةً على نفقاتها ببعض المال مما أورثها شقيقها، فأجابتها ماري في رسالة السبت ٢ أيار ١٩٣١: «طبعاً يا مريانا. طبعاً. نقله إلى مدينة بُشْرِي، وأنا واثقة أنكِ ترين ذلك أيضاً، أمرٌ رائعٌ جدّاً أن يستريح جثمانه في لبنان. فلنستقبلوه هناك، وليجعلوا ضريحه مزاراً، حوله لوحاته ورسومه وأغراضٌ غاليةٌ ثمينةٌ من محترفه تكون تذكاراتٍ من الشاعر على أن تُعرّضَ بشكلٍ أنيقٍ محفوظةً من خطر النار عليها».

ومن تلك «المرات الكثيرة» كذلك: في ربيع ١٩٢٢ كتب جبران إلى صديقه ميخائيل نعيمة رسالةً جاء فيها: «منذ زمنٍ بعيدٍ وأنا أحلم بصومعةٍ وحديقةٍ صغيرةٍ وعين ماء (...). أقول يا ميخائيل إن المستقبل سيجدنا في صومعةٍ قائمةٍ على كتف وادٍ من أودية لبنان»<sup>٢</sup>.

في خريف ذاك العام، ذات صباحٍ من تشرين الثاني ١٩٢٢، في محترف جبران (الصومعة): ميخائيل نعيمة (ميشا) جالسٌ وجبران يرسم وجهه بالقلم الرصاص، قال له: «ميشا، نجاني الله وإيّاك من المدنية والتمتدّنين. سننحو بإذن الله وسنعود إلى قمم لبنان الطاهرة وأوديته الهادئة. لا بُدّ لي ولك من الرحيل عن هذه البلاد. نفسي تُطالبني بعزّتها، فكّري يطالبني بحرّيته، جسّمي يطالبني

<sup>٢</sup> ميخائيل نعيمة: «جبران خليل جبران، مؤسّسة نوفل، بيروت، الطبعة الثامنة ١٩٧٨، «الملحق»، ص ٢٩٤.

براحته، ولن أستعيد عزة نفسي وحرية فكري وراحة جسمي إلا في لبنان. ولو كنت تعرف الصومعة التي اخترتها لي ولك هناك، لكنت تجذبني من يدي في هذه الدقيقة وتقول لي: «هيا بنا إليها». وهي صومعة أصلية لا تقليدية كصومعتي هذه. هي دير قديم مهجور في ضاحية من ضواحي بُشْرِي اسمه دير مار سركيس في جبهة وادي قاديشا عند سفح جبل الأرز. عُرفه قليلة، منها كنيسة صغيرة محفورة حفرًا في قلب الجبل الكلسي. هي خلوة يا ميشا لا أظن في السماء أجمل منها. وأنا فوّضت محاميًا في طرابلس لبيتاعه لي. هناك سنعتزل العالم يا ميشا، وسنحلم ما طاب لنا أن نحلم. وسنعمل في الأرض فنحوّل اليابس منها أخضر والقاحل خصبًا وستباركنا الرياح، وتفرح بنا الشمس، ويحمل إلينا الوادي أنفاسه الملهمة. لا أجد ملجأً أجمل وأهنأً وأقدس من مار سركيس. وأنت ستحبّ تلك الصومعة مثلما أنا أحبها»<sup>٣</sup>.

وأكثر بعد: في رسالة إلى ابن بشري نجيب خليفة رحمة (الثلاثاء ٢٢ شباط ١٩٢٧) كتب جبران: «سُررتُ جدًّا برسائلك وما جاء فيها من مظاهر العطف والولاء والتذكّار. وأنت بالطبع تعلم أن الكلمة التي تعود بي إلى تلك الأودية وتلك الجبال لهي عندي من الكلمات المباركة. ولولا حلم في النفس أريد تحقيقه في هذه البلاد لرجعتُ غدًّا إلى بُشْرِي لأعيش في النور الذي يغمّر أصحابي وأنسبائي الأقدمين... غير أنني سوف أرجع إلى مسقط رأسي عاجلاً أم آجلاً، لأنني أريد أن أغمض عينيّ لآخر مرة وأغنيه نهر قاديشا تتموّج في أدنبي»<sup>٤</sup>.

غريبٌ تعلّق هذا الرجل بأرض بُشْرِي وأهلها ومحيطها، كأنّ خيالات طفولته لم تغادر أعماق عينيه حتى بقيت في الكثير من كتاباته ولوحاته. وبقي لدير مار سركيس أثرٌ بالغ في نفسه حتى حلمه أن يمضي فيه السنوات الأخيرة من حياته.

٣ الكتاب ذاته، القسم الثالث «الفجر»، الفصل الأول «الضباب يتبلور»، ص ٢٠٧-٢١٢.

٤ من إحدى رسالتين نشرهما نايف وردان سكر في جريدته «السياسة» (السنة الأولى، العدد ١٨، السبت ١٣ أيار ١٩٣٩) واستعادهما محسن يمين في كتابه «من خلف البحار»، منشورات البيت الزغرتاوي، الطبعة الأولى ٢٠١٩، ص ٧٦.

## من الحلم إلى الواقع

ذاك كان حلمه. فما قصة هذا الدير، وكيف تحقّق حلم جبران بسكناه ولو... بدون النور في عينيه؟

سنة ٢٠٠٧ قرّر نسيبُ جبران النحات خليل جبران وزوجته جين أن يُودعا «متحفَ سُميَّة» (مؤسسة كارلوس سليم في مكسيكو) معظم ما كان عندهما من أغراض جبران (مخطوطات، أوراق خاصة، رسوم،... ) آلت إليهما من مريانا شقيقة جبران. بين تلك الأوراق وثائق عن عملية شراء الدير.

في قانون رهبنة «الكرمليين الحفاة»، مالكة الدير، لم يرد ذكرٌ للسماح ببيع وقف الدير إلى شخص فرد. لكنَّ أهلَ بُشْرِي التمسوا ذلك برسالة إلى رئيس الدير، حتى «وافق الرئيس على البيع، تقديرًا منه روحانية جبران، شهرته العالمية، وأمنية أهالي بُشْرِي بالإجماع على رؤية جبران يعود إلى بلده الغالية على قلبه».



دير مار سركيس في قلب الجبل كما كان جبران يحلم أن يعودَ ويسكنه

٥ ذكّر هذه الرسالة وهيب كيروز (حافظ متحف جبران منذ الثلاثاء ١٧ آب ١٩٧١ حتى وفاته الإثنين ١٢ تشرين الثاني ٢٠١٢) في كتابه «جبران في متحفه» (منشورات «بشاريا»، جونية ١٩٩٥) ص ١٥.

حين جاءت مريانا إلى بُشْرِي، مرافقةً جثمان شقيقها من مرفأٍ بروفيدينس، كان الدير مهجورًا خربًا شبه مُتَدَاعٍ. وهو أصلًا محبسةً يعود بناؤها إلى ما يزيد عن ألف سنة. في أواسط القرن السادس عشر كان البناء المقرّ الصيفي للقنصل الفرنسي. وفي مطلع القرن السابع عشر اشترى الدير والمحبسة «الآباء الكرمليون الحُفَاة» لمُزاولة رسالتهم الروحية في البقعة الممتدة بين وادي قاديشا والأرز. سنة ١٧٠١ هدم الرهبان البناء القديم وشيّدوا مكانه، شرقيّ المحبسة، ديرًا يخدمون فيه رسالتهم.

فاوضت مريانا لشراء الدير جهتها المالكة: «الرهبنة الكرملية في سوريا ولبنان» بشخص رئيسها العامّ الإيطالي الأب جيوزيبي ماريّا فراسكيّتي. وكانت الرهبنة، منذ ١٩١١، باتت تحت وصاية مملكة إيطاليا وفقّ الاتفاق الفرنسي الإيطالي المَوْفَع سنة ١٩٠٥.

مع بدء المفاوضات لم يكن لدى الأب فراسكيّتي أيّ معلومةٍ عن جبران، لكنه استشرّف في المفاوضات «مقايضةً راهنةً» أرسل لأجلها برقيةً عاجلةً إلى مقر الرئاسة العامة لرهبنة الكرمليين الحُفَاة في روما طالبًا الإذن بإتمام عملية البيع. وهنا نصّ البرقية:

«الوكالة العامة للرهبنة الكرملية، الجادة ٣٨، روما

تُطالعي فرصة مؤاتية في بُشْرِي لبيع ديرٍ صغيرٍ مهجورٍ حوله أراضٍ بُور، يسبب لنا مشاكل متواصلة ولا فائدة لنا منه. الغاية من البيع أن يكون ضريحًا لشخص مشهور. أهالي بُشْرِي موافقون بالإجماع على العملية. أقترح على الرهبنة أن تشتري بتمنه قطعة أرضٍ في طرابلس. أبرقوا لنا بالموافقة لأن ذوي المتوفى مضطرون للعودة سريعًا إلى أميركا. فراسكيّتي».

٦ كما جاء في «الجريدة الرسمية لمملكة إيطاليا»، العدد ١٧٦، تاريخ ٢٨ تموز ١٩١١، ص ٤٨٣٥.

بأقلّ من شهرٍ جاءت الموافقة من روما وتمّت عملية البيع كما دون عقدها  
بخطه الأب فراسكيّتي كما يلي:

«البعثة الرسولية للكرمليين الحفاة في سوريا ولبنان

أنا الموقع أدناه، الرئيس العام للبعثة الكرملية في سوريا ولبنان، أُقْبُ باستلامي من  
السيد عساف جورج رحمة مبلغ (١٠٠) مئة ليرة ذهبية تركية دفعةً أولى من أصل (١٢٠٠)  
ألف ومئتي ليرة ذهبية تركية هي قيمة المبلغ الإجمالي المُتَّفَق عليه لبيع عقار الرهبنة  
الذي عليه دير مار سركيس في بُشْرِي، المسجّل لدى محكمة بُشْرِي بتاريخ الخميس  
٦ نيسان ١٩١٦ تحت الرقم ٩٩، ما عدا قطعتين من الأرض تحت الطريق المبلّط. وتمّ  
الاتفاق على أن يتقاضى صاحبُ التوقيع أدناه بقية المبلغ مع فوائده القانونية في مدةٍ  
أقصاها أربعة أشهر من تاريخ توقيع هذه الاتفاقية. عند انقضاء هذه المدة، في حال  
عدم تسديد مبلغ (١١٠٠) ألف ومئة ليرة ذهبية تركية مع فوائدها القانونية، تبقى أرض دير  
مار سركيس نهائيًا مُلْك الرهبنة الكرملية دون أن تترتّب عليها إعادة مبلغ المئة ليرة  
ذهبية تركية الذي قبضته اليوم.

بُشْرِي، الثلاثاء في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣١  
ج.م. فراسكيّتي - الرئيس العام»



دير مار سركيس كما كان  
لما اشترته مريانا سنة ١٩٣١



وبعد أقلّ من شهر، كتَبَ فُرَاسْكِيتِي الإِقرار التالي:

«البعثة الكرملية في سوريا ولبنان

أنا الموقع أدناه، الرئيس العام للبعثة الكرملية في سوريا ولبنان، أُقِرُّ باستلامِي من السيد عساف جورج رحمة مبلغ (٦٠٩٠) ستة آلاف وتسعين ليرة سورية هو تسديدُ المبلغ المتَّفَق عليه سابقاً (ستة آلاف ليرة مع فوائدها) لبيع عقار البعثة المعروف بدير مار سركيس في بُشْرِي (لبنان). وبذلك أُقِرُّ بقبض البعثة جميع مستحقَّاتها.

طرابلس، الجمعة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣١  
ج.م. فُرَاسْكِيتِي - الرئيس العام»<sup>٧</sup>



## من الضريح ذات يوم إلى المتحف كل يوم

تلك قصة الدير وكيف تحقَّق حلم جبران.

كأنه، وهو يدخل غيبوبته الأخيرة على سرير المستشفى ليلة الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١، أغمض عينيه وهو يحلم بأن يعود إلى وادي قاديشا.

<sup>٧</sup> هذه الوثائق الثلاث، المُدَوَّنة أصلاً بالإيطالية، أثبتتها بالإنكليزية الباحث الإيطالي فرنسيسكو مديتشي والمحامي الأميركي اللبناني الأصل تشارلز معلوف سماحة في موقع «مجموعة جبران» للأسترالي اللبناني الأصل غِلِن كِلْم، ونقلتها إلى الفرنسية والعربية الباحثة مايا الحاج من جامعة سيدة اللويزة - زوق مصبح. وعند نشر هذه الوثائق علَّق مديتشي وسماحة بما يلي: «في سيرة ميخائيل نعيمة عن جبران ختم نعيمة سرد حديث جبران عن دير مار سركيس بشكل قاسٍ مُرٍّ ولادع إذ كتب: «تحدَّثنا طويلاً في مار سركيس. ولا شك في أن الأقدار التي كانت تُصغي إلى حديثنا كانت تضحك منّا، لأنها كانت تعلم أن جبران لن يدخل تلك الصومعة إلا محمولاً على الأيدي في نعش». وهذا موقفٌ مؤسِّفٌ من نعيمة صديقاً لجبران. وعلى عكس الموقف يَجْمَل التفكير بأن تلك «الأقدار» ذاتها، وقد لا تكون حتماً سيئة النوايا، شاءت أن بادرة استثنائية لرهبان أجانب من بلد آخر حققت لجبران أعجوبة مزدوجة: أن يؤمّنوا له الراحة الأبدية داخل المكان الوحيد في العالم تمنى أن يستريح فيه، وأن يُتيحوا لشجرات الأرز المهيبية فوق وادي قاديشا أن تَصمَّ مجدداً ولدها الأحب».

كان أوصى شقيقته مريانا بشراء دير مار سركيس على كتف الوادي ليكون مستراحه. وكان عام ١٩٢٦ كتب إلى صديقه البشرّاوي يوسف طريه رحمة طالبًا منه أن يفاوض الآباء الكرمليين على شراء المحبسة والدير، فيجعل من الأولى مدفئه، ومن الأخير صومعة لفته.

وكان ذات يوم من ١٩٢٧ قال لصديقه ميخائيل نعيمه: «أمنيّتي، يا ميشا، أن أزور وادي قاديشا قبل أن أموت»، وكان قال له في جلسة تشرين الثاني ١٩٢٢: «هي خلوة يا ميشا لا أظن في السماء أجمل منها. وأنا فوّضت محامياً في طرابلس لبيتاعها لي».

هذا هو الإطار الذي وعى جبران عليه في طفولته: مغارة في الجبل، محبسة، كنيسة، دير، تراث روحي، طبيعة ساحرة حول وادي قاديشا الساحر، في صمتٍ كأنما يكمل اليوم، كلّ يوم، حكايةً من عهد جبران.

ثراه، سنة ١٨٩٥، قبل أن يغادر بشرّي مع أمه وأخيه بطرس وشقيقته مريانا وسلطانة إلى «الأرض الجديدة»، التفت مرةً أخيرةً إلى الدير، وقال في صمته: «سأعود؟»

وهو فعلاً عاد.

أربع سنوات ساهمة عاد إلى لبنان (١٨٩٨-١٩٠٢) وتمتعت عيناه برؤى قاديشافية قنّوينيّة بقيت على أهداب ريشته وقلمه طوال «منأه» في أميركا.

وكم مرةً نوى أن يعود ليختم حياته في لبنان!

وهو ختمها... إنما قدره كان أن يرى بعينين مطفأتين مثنواه الأحبّ الذي تمنّاه يوماً، وبات متحفه كلّ يوم، غامراً إرثه الكبير، هانئاً عند لحف الجبل، يلقه السكون، ويمتد أمامه الوادي المهيب.

هنا جولة في مبنى الدير الذي بات اليوم متحفًا يتشكّل من ١٥ غرفة.

غرفة أولى تضمّ كتب جبران وكتباً عنه. ثمّ غرفة «ينبوع النبي» تسقسق فيها مياه عذبة من نبع في قلب الصخر. في غرفة ثالثة موجودات من «صومعة»

جبران في نيويورك حيث أمضى آخر عشرين عامًا من حياته (١٩١١ - ١٩٣١). بين الموجودات: صندوق خشبية، كرسي مكسورة الرُّجُل الرابعة، كراسٍ عتيقة، مرآة عتيقة، ركوة قهوة (كان يُحِبُّ أَنْ يُهَيِّئَ بيده قهوته اللبنانية لزواره)، أوانٍ عتيقة، المصلوب.

خارج هذه الغرفة تتوزع الأعمال معروضةً على الجدران في عناية وصيانة. في غرفةٍ أُخرى دفاترُ بخط جبران: خربشاتٌ وأفكارٌ ومقاطعٌ وكلماتٌ منثورةٌ وَجَدَ بعضُها طريقه إلى الكتب التي صدرت. على إحدى الصفحات مطلع قصة «الرفيقة الأثرية» بدأ يكتبها بالقلم الرصاص.

في زاويتين كبيرتين من غرفةٍ أُخرى مكتبته التي كانت لديه رفوفًا مكدَّسةً في «الصومعة»: عشرات الكتب بالإنكليزية لشعراء كبار وفلاسفة وأدباء. بعضها مُهدى إليه بخط المؤلف.

اللوحات المعروضة في المتحف تبلغ ١٥٠ عملاً بين زيتي ومائي ورصاصي وطبشوري. المجموعة الكاملة ٤٤٠ عملاً<sup>٨</sup>.

ثم... نُزولاً في أدراج صخرية لولبية مؤدية إلى تحت، إلى نهاية عمق الدهليز، إلى المغارة التي شاءها مستراحه الأخير.

ها نحن «عنده» في غرفة المحبسة التي تحتضن رفاته: هنا تابوته الفضي داخل الكوة المحفورة في قلب الصخر: مُزَّزٌ بسلسلتين تحميانه من أَنْ يَفْتَحَهُ غُلاة الزوار. وعلى التابوت شهادة: «هذا تابوت جبران خليل جبران. والجثمان تم تحنيطه».

<sup>٨</sup> هي التي لدى المتحف في بُشْرِي. وأفادني حافظ المتحف حالياً جوزف جعجع أن في العالم مجموعاتٍ أُخرى يُقدِّرها بما يلي: نحو ٨٠ عملاً لدى متحف أكاديميا تليفير (سافانا - جورجيا، وهي مجموعة ماري هاسكل)، ونحو ٨٠ عملاً لدى متحف سُمِيَّة (مكسيكو سيتي، هي مجموعة خليل وجين جبران التي اشتراها كارلوس سليم)، و٦٠ أعمالاً لدى متحف متروبوليتان - نيويورك، و٤٠ أعمالاً لدى متحف فوغ (جامعة هارفرد)، وعمالان لدى متحف الجامعة الأميركية في بيروت، وعمل واحد لدى متحف اللوفر - باريس، عدا لوحاتٍ أُخرى في أماكنٍ عدةٍ بينها ما كانت تُشكِّل مجموعةً باربره يونغ.

التوقيع: «قنصل فرنسا في الولايات المتحدة» (كان لا بدّ من شهادته وموافقة فرنسا لينتقل الجثمان من نيويورك إلى لبنان ألكان فترتذ تحت الانتداب الفرنسي).

هنا سريره الواطئ الذي طالما كان يستلقي عليه حين يعودُه زواره في نيويورك وهو مريض. المصلوب فوق السرير الذي عليه تكايات ملونة. حول السرير: طاولة مستديرة كتب عليها معظم مؤلفاته الإنكليزية والعربية، والجدارية القماشية الكبيرة التي كانت في محترفه (وله صورٌ عدَّةٌ أمامها) ثم خزانة كبيرة فيها جوارير صغيرة كان يضع فيها بعض الريشات والألوان وقطعًا صغيرة كان يحتفظ بها.

ماذا عن الجثمان؟

آخر مرة تم فتح تابوت والكشف على الجثمان، كانت سنة ١٩٧٤. كان الجثمان تعرّض لبعض اهتراء، على ما يتذكّر حافظ المتحف فترتذ وهيب كيروز. أغراض جبران التي وصلت من محترفه في نيويورك نهار الإثنين ٢٧ حزيران ١٩٣٢، تم إيداعها مؤقتًا في «مدرسة رشيد عريضة الرسمية»، ثم تنقلت في أكثر من مكان قبل أن تستقر في مكانها: المتحف اليوم.

حين عيّنت «لجنة جبران الوطنية» فريد سلمان مستشارًا لها سنة ١٩٧١، كشف على تلك الموجودات الواصلة من نيويورك، ووجد بينها رسالتين فيهما رغبة جبران أن يدفن في دير مار سركيس. وأسندت اللجنة إدارة المتحف إلى وهيب كيروز. الخميس ١٧ تموز ١٩٧٥ أقفل المتحف بسبب الأحداث، وأعيد فتحه سنة ١٩٩٢ وعاد الزوار يتوافدون إليه بعد طول إقفال.

وما زال جبران يستقطب روادًا لبنانيين وأجانب إلى لوحاته وإلى كتبه التي باتت مترجمة إلى أكثر لغات العالم<sup>٩</sup>، وإلى متحفه الذي ينزوي مغارة في لحف

٩ في آخر إحصاء أن «النبى» بات مترجمًا إلى ١١١ لغة، كما أعلن بالوثائق البصرية الباحث الإيطالي فرنسيسكو مديتشي في «المؤتمر الدولي الخامس للدراسات الجبرانية» الذي عقده في «معهد العالم العربي» (باريس) «مركز التراث اللبناني» في الجامعة اللبنانية الأميركية - بيروت، و«كرسي جبران» لدى جامعة ميريلاند الأميركية (٣ تشرين الأول ٢٠١٩).



دير مار سركيس -  
الصومعة - متحف جبران

هنري زغيب إلى تابوت جبران  
السبت ٦ كانون الثاني ٢٠١٨  
في الذكرى ١٣٥ لولادة جبران  
(السبت ٦ كانون الثاني ١٨٨٣)

الجبَل تستقطب إليها رَوادًا حين يخرجون من المتحف يدخلون في هالة وادي  
قاديشا المهيب.

هو هذا الإطار الذي يستكين جبران فيه اليوم وإلى الأبد: حضورٌ سُكونيٌّ أَحَبُّ  
حتمًا على قلبه الساكن من ذاك العيش يوميًّا داخل «صومعة» هو اصطَنعها عند  
أعلى المبنى في عمقِ زقاقِ نيويوركي رهيب الضجيج، وظلٌّ يتوق إلى سكون بُشريٍّ  
وهداةً مار سركيس، وحكاياتٍ من طفولته كم باحَ ببعضها لأقرب أحبابه، وخبأً في  
ضجيج صمته البعض الآخر.

ولا تزال كلُّ يوم، في ظلِّ سكينه مار سركيس، تُستعادُ حكاياتٌ بعضها أُسطوريٌّ  
وبعضها الآخر واقعيٌّ، عن فتىٍ حالمٍ غادر تلك البقعة «في السنّة الثانية عشرة، في  
السابع من شهر الحصاد»<sup>١٠</sup>، وعاد إليها حاملًا وِزَنَاتٍ ما زالت تَتَسَنَّبُ حتى اليوم.

١٠ من مطلع كتاب «النبى».

## ٢٠٢: ثلاث مئويات جبرانية

وأنا أنجزُ المرحلة الأخيرة من كتابي الوثائقي هذا عن جبران في نهاية العام الماضي، طالعتني ثلاثة تواريخ مئوية لجبران في ٢٠٢٠.

الأول: مئوية «الرابطة القلمية» بنسختها الثانية. فالأولى في نيسان ١٩١٦ لم تُعمّر ولم تُثمر، أجهّزها انشغال جبران والريحاني في العمل على مساعدة اللبنانيين في الوطن بنشاطهما في «لجنة إغاثة المنكوبين في سوريا وجبل لبنان». كان الريحاني نائبَ رئيسها نجيب كُسباني، وجبران كاتمَ أسرارها. بعد انحسار الحرب تشكّلت «الرابطة» بصيغتها المعروفة، إبّان اجتماعٍ في جريدة «السائح» مساءً الثلاثاء ٢٠ نيسان ١٩٢٠، في ختامه دعا جبران رفاقه إلى محترفه مساءً الأربعاء ٢٨ نيسان. وفي تلك السهرة ولدَت الصيغة الجديدة لـ«الرابطة القلمية»، دونَ ميخائيل نعيمة محضر جلستها التأسيسية وجاء فيه الإجماعُ على انتخاب جبران عميدها ونعيمة مستشارها ووليم كاتسفليس أمينَ الصندوق.

الثاني: مئوية كتاب «العواصف». صدرَ في آب ١٩٢٠ عن منشورات «دار الهلال» (القاهرة)، وهو آخرُ كتُب جبران بالعربية، جمعه بطلبٍ من مدير المنشورات إميل زيدان (ابن جرجي زيدان مؤسس «الهلال») وكان ألحَّ على جبران أن يجمعَ ضُمَّة من مقالاته في «السائح» و«الفنون» و«مرآة الغرب» وسواها.

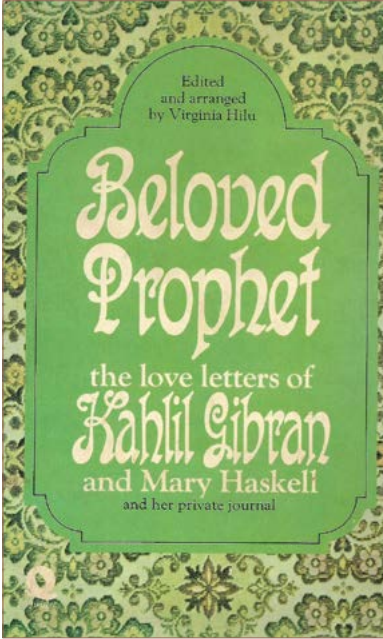
الثالث: مئوية كتاب «السابق». صدر في تشرين الأول ١٩٢٠ لدى دار «كنوف» ناشرة جميع كتبه الإنكليزية بدءاً من «المجنون» سنة (١٩١٨). عن «السابق» ذكرت باربره يونغ في كتابها «هذا الرجل من لبنان» (نيويورك ١٩٤٥) أنها «مقطوعاتٌ تَرجم جبران بعضَها عن أفكارٍ سابقةٍ كان دُونها بالعربية. وفي الكتاب مسحة ساخرة، ثاقبة الرؤيا من وراء نقاب الوهم، لا في مرارة (كما في «المجنون») بل في مناخ من الحب والتوق». وتشرح يونغ في مكان آخر أن «صدوره جمَع حول جبران أصدقاء ومعجبين كَثُرًا وتتالت ترجماته لِمَا في قصصه من شكل متميزٍ في الشرق، قديمٍ غيرِ غامض، اعتمده جبران أسلوبًا فريدًا وسريعًا لإيصال الحقيقة. من تلك القصص: «العالم والشاعر»، «من أعماق قلبي»، «البهلول». وآخر مقطوعة في الكتاب: «الهجعة الأخيرة» تشي في كيان الشاعر بفهم عميق يلغي ما قبله من شعورٍ أدنى أو فهمٍ أقل». وتختتم يونغ: «لا أعرف كاتبًا معاصرًا عالج هذا النمط بهذه البراعة. فهو تحدُّ كلِّ كاتبٍ معاصر. وبذا كان «السابق» سابقًا ظهورَ «النبي» بعد ثلاث سنوات».

هكذا انطوت ٢٠٢٠ على ثلاث مئويات جبرانية («الرابطة القلمية»، «العواصف»، «السابق») مؤكِّدةً تكررًا أن هذا الجبران الأعجوبي مات ذات يوم لكنه ما زال يولد كل يوم، كأبي خالدٍ في الزمان يجيء هذه الأرض ثم لا يعود يغادرها، ولو غادر منه الجسد.

## «المجهولة» فرجينيا حلو «كاشفة» رسائل الحب بين جبران وماري هاسكل

خَلْتُنِي سَأخْتُمُ الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب، وأطوي آخر وثائقه دون أن أتمكّن من كشف الغامض حول سيّدة أميركية باقية مجهولة لي ولجميع من كتبوا عن جبران حتى اليوم.

إنها فرجينيا حلو.



غلاف الطبعة الأصلية (١٩٧٢)

قبل أيّام من إنّهائي هذا الكتاب، انفتحت أمامي فرصة فتحت لي بعض ضوء، حين راسلني أميركيّ يعمل على كتاب عن جبران، عرّف لي عن اسمه: دالتون حلو أينهورن، ذاكرًا أنه ابنُ فرجينيا حلو.

من هنا بدأتُ تلتّم أمامي خيوط لنسج صورة هذه السيّدة التي جميع من درسوا جبران استعانوا بكتابتها «النبى الحبيب: رسائل الحب بين جبران خليل جبران وماري هاسكل، ودفاتر يومياتها الحميمة»، ولم يذكّر أحدٌ منهم كلمة واحدة عن منسّقة الكتاب.



## ماري هاسكل حافظة الإرث

بعد وفاة جبران في نيويورك (الساعة ١٠:٥٥ ليل الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١) وفتح وصيته ( السبت ١٢ نيسان)، تبين أنه أوصى بتركته المالية لشقيقته مريانا، برّيع مؤلفاته لمدينته بُشْرِي، وتركته الفنية للسيدة ماري إليزابيت هاسكل التي أهداها (بعبارة «إلى M.E.H») بعض مؤلفاته العربية.

في زيارة ماري هاسكل الأخيرة محترف جبران (الاثنين ٢٠ نيسان) وجدت جميع رسائلها إليه في صندوق صغيرة قرب سريره، وكان محتفظاً بها طيلة سنوات مراسلاتهما معاً (٢٣ سنة: ١٩٠٨-١٩٣١). حزمها واستقلت قطار الليل عائدةً بها جنوباً إلى بيتها في سافانا (جورجيا)، تواصل حياتها الهادئة مع زوجها فلورنس ماينس (تزوجته سنة ١٩٢٦). وهناك ضمت مجموعة رسائلها إليه (٢٩٠ رسالة) ورسائل إليها (٣٢٥ رسالة)، واحتفظت بها وبمجموعة ٤٧ دفتر يوميات هي مذكراتها الخاصة عن علاقتها به وموجز عن أفكاره وأحاديثه إليها في مواضيع أدبية وفكرية وعامة.

ظلت هذه «الثروة» الغالية لديها حتى ١٩٥٩ حين شعرت بوهن في جسدها وذاكرتها، فأرسلت بمجموع الرسائل والدفاتر إلى قسم «الوثائق النادرة» لدى مكتبة جامعة نورث كارولينا في مدينة تشابل هيل، حيث لا تزال حتى اليوم محفوظة ذخراً ثميناً تحت مراقبة مشددة. بعد خمس سنوات توفيت ماري في مأوى للعجزة (الجمعة ٩ تشرين الأول ١٩٦٤).

## التكليف بالتأليف

بعد ثلاث سنوات (١٩٦٧) كتب المحامي الياس شمعون بوكالته عن مريانا (شقيقة جبران) إلى السيدة فرجينيا حلو يفوضها قانونياً أن تذهب إلى جامعة نورث كارولينا حيث ستسمح لها الإدارة بالدخول إلى عشرات الصناديق المرقمة والمؤرّخة والمفهرسة في مجموعة هاسكل/ماينس، وفتحها واقتطاف ما يشكّل

منها «تأليف» مادة جديدة تصدر في كتاب. وكان شريكاً في التكليف كذلك السيد أبراهام ماينس ابن شقيق فلورنس ماينس (كان تُوفي في ٣ أيلول ١٩٣٦).

وهكذا كان: استأذنت فرجينيا حلو مديرها لدى منشورات هارپر (حيث كانت، بين أوليات النساء في أميركا، تعمل في تحقيق المخطوطات وتنسيقها وتحريها وتنقيحها وإعدادها للنشر)، وانصرفت إلى قَصِّ رسائل جبران وماري ودفاتر مخطوطاتها، لتُصدر أول كتاب عنها يكون مرجعاً أولَ وأساسياً للدراسات الجبرانية.

تلك كان شهرة فرجينيا حلو المهنيّة في عالم النشر. وكانت تتقن العربية ما ساعدها على بناء علاقة متواصلة مع مريانا جبران التي، رغم حياتها الطويلة في بوسطن (نحو ٧٠ سنة) لم تكن تتقن الإنكليزية.

## من هي؟

عن دالتون أنّ والدته فرجينيا من أصول لبنانية. جدّها نسيم حلو، من شمال لبنان، وفي «مشتى الحلو» السورية فرعٌ من تلك العائلة. مع اشتداد الحرب العالمية الأولى والخوف من «سفر برلك»، هرب نسيم وابنه إلى الولايات المتحدة وسكن في مدينة بيتسبرغ (بنسلفانيا). ومن زواج ابنه وُلدت فرجينيا سنة ١٩٢٩، وعاشت في أسرة بقيت تتكلم العربية إلى اكتسابها لغة الأميركيان. بدأت فرجينيا حياتها المهنية تدريجاً، وتحريراً في صحف محلية، حتى تمكّنت من مهنة التحرير (editing) فانتقلت إلى نيويورك منتسبة إلى مؤسسة هارپر (Harper)، إحدى أكبر دور النشر الأميركية في تلك الحقبة (تأسست سنة ١٨٣٣). وبقيت تعمل لديها طيلة حياتها، حتى وفاتها بالسرطان عن ٤٧ عاماً سنة ١٩٧٦.

في مكتبة جامعة نورث كارولينا أمّضت فرجينيا أربع سنواتٍ كاملة غارقة بين ١٠٦٦٠ صفحة هي مجموعة جبران وماري، بين رسائل ومذكرات ويوميات وتدوين انطباعات. وإذ لم يكن ممكناً إصدار تلك الصفحات جميعها لا في مجلد ولا في أكثر، اختارت منها نحو ٤٥٠ صفحة، نسّقتها وبوّبتها وفق تسلسلها الزمني: الرسالة الأولى



غلاف الترجمة العربية (١٩٧٤)

من جبران في باريس إلى ماري (الجمعة ٢ تشرين الأول ١٩٠٨)، والرسالة الأخيرة من جبران في نيويورك إلى ماري (الاثنين ١٦ آذار ١٩٣١، قبل وفاته بثلاثة أسابيع). سنة ١٩٧١ أظهر التشخيص الطبي إصابة فرجينيا بالسرطان في الدماغ، ما قد يهدّد صفاء تفكيرها وقدرتها على التركيز، لذلك راحت تستعجل مراجعة الأوراق المتراكمة أمامها قبل أن يغدر بها السرطان.

### الرسائل... كتاباً

عندما ارتأت أن تُنهي تلك الاختيارات، كتبت فرجينيا مقدمة لها، جاء فيها: «اقتطفتُ بين آلاف الأوراق نصوصاً عالجتُها اقتطاعاً وتلخيصاً وصياغةً، وهدفي تقديم مختارات تفيد المهتمين بهذا الموضوع. وغالباً ما تركتُ قصة العلاقة بين جبران وماري كما هي بنقل كلامهما حرفياً (...). لم أُشر إلى المحذوفات حيث لجأت إليها، فبعض الرسائل مثلاً من ١٨ صفحة، اختصرتها إلى صفحة أو اثنتين، فيما نصوصٌ أخرى أوردتها حرفياً. وعرفتُ ببعض الأسماء حيثما وجدتُ ذلك ضرورياً لفهم النص (...). من يرغب زيادةً في التنقيب والدراسة، فليتنجّه إلى قسم المخطوطات النادرة في جامعة نورث كارولينا».

سنة ١٩٧٢ تسلّمت المخطوطة في نيويورك مؤسسه «كنوف» (ناشرة جميع مؤلفات جبران الإنكليزية منذ «المجنون» سنة ١٩١٨). صدرت الطبعة الأولى من الكتاب بعنوان «النبي الحبيب - رسائل الحب بين جبران خليل جبران وماري هاسكل، ودفاتر يومياتها الخاصة» في ٤٤٨ صفحة حجماً وسطاً، فكان رواجه مذهلاً فور صدوره، نظراً لأهميته في كشف مُحَبَّات نادرة عن حياة جبران لم يصدر أيٌّ منها في أيٍّ من مؤلفاته، وهي عن سيرة جبران التي لم يُعد ممكناً من دونها فهمُ جبران سيرهً ونتاجاً.

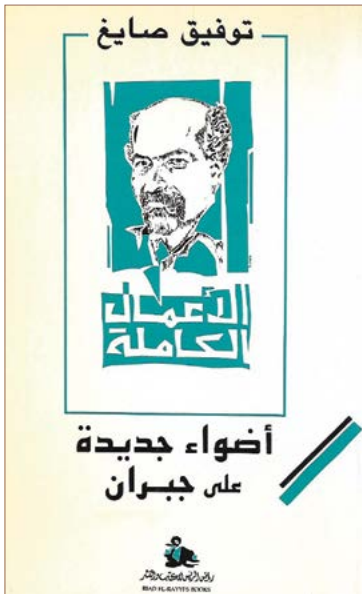
سنة ١٩٧٣ حصلت دار «كوارتت» للنشر (لندن) على الإذن من «كنوف» بطبع الكتاب في إنكلترا، ومن يومها لا يزال يصدر طبعةً بعد طبعة، وترجمةً بعد ترجمة في الكثير من لغات العالم.

## الطبقات العربية

العربية غنمت دورها من هذا الكتاب، فصدر في بيروت سنة ١٩٧٤ لدى دار «الأهلية للنشر والتوزيع» بترجمة الأب لوران فارس، ومراجعة يوسف الحوراني، في ثلاثة أجزاء: الأول لسنوات ١٩٠٨-١٩١٣، الثاني لسنوات ١٩١٣-١٩١٩، والثالث لسنوات ١٩١٩-١٩٣١. وصدر العنوان «نبي الحبيب» لا «النبي الحبيب» كما العنوان الأصلي.

وكانت تلك الرسائل نالت قبلذاك قسط صدور بعضها حين اطّلع عليها في تلك المكتبة الجامعية الشاعر توفيق صايغ، فاختر منها باقاتٍ نشرها في عددين متتاليين من مجلته «حوار»: العدد ٢٢ - السنة الرابعة - العدد

كتاب توفيق صايغ (١٩٦٦)



الرابع - أيار/حزيران ١٩٦٦ (ص ٥ - ٤٨)، والعدد ٢٣ - السنة الرابعة - العدد الخامس - تموز/آب ١٩٦٦ (ص ٥ - ٤٣)، ثم جمعها في كتابه «أضواء جديدة على جبران» (١٩٦٦).

### ... وما زال يولد كل يوم

عن دالتون حلو آينهوزن أن والدته لم تقتطف سوى ٤٥٠ صفحة (بين ١٠٦٦٠ صفحة) من «ثروة» مجموعة جبران/ماري هاسكل. هذا يعني أن يبقى للاكتشاف بعد أكثر من ١٠ آلاف صفحة.

إنه جبران، الخالد الذي مات ذات يوم وما زال يولد كل يوم: في طبعة جديدة، في بلاد جديدة، في لغة جديدة، في «ثروة» مكتشفة جديدة، كتلك الأوراق التي، في جامعة نورث كارولينا، تنتظر من يكمل الاطلاع عليها، لنشرها في مجلد، أو مجلدات، ليشرق منها نورٌ جديدٌ على الذي كأنه كان عارفاً تماماً مصيره أن لن يموت ولو مات، لذا اختتم كتابه «النبي» (١٩٢٣) بهذه الرؤيا: «قليلاً بعد، لحظة راحة فوق الريح، وسوف تلدني امرأة أخرى».

## جبران الأعمى بين لعازر وحببيته

كان ذلك قبل ربع قرن<sup>١</sup>.

وكنْتُ على منبر الصالة الكبرى الملحقة بكنيسة «سيّدة أرز لبنان» في بوسطن، ألقى ضُمَّةً من قصائدي في أمسيةٍ شعريةٍ دعّنتني إليها الجالية اللبنانية في أيّار ١٩٩٤.

كان يغبطني، في تلك الأمسية، أمران:

(١) أنني على مسافةٍ مَبْنَيْنٍ من ذاك الذي كان يسكنه جبران وشقيقته مريانا<sup>٢</sup> ويرتاح فيه إلى استقبال أصدقائه القلائل حين يأتي من نيويورك بضعة أيامٍ صيفاً لدى شقيقته،

(٢) أنني في حَرَمِ الكنيسة التي لم يكن يدخلها جبران، لكنه سُجِّيَ فيها نهارٍ ودّاعه الأخير.

<sup>١</sup> مقدّمتي لمسرحيّتي «الأعمى» و«لعازر وحببيته». كتّبهما جبران بالإنكليزية ولم ينشرهما. وجدّهما خليل جبران وزوجته حين مخطوطتين بين أوراقه التي آلت إليهما من شقيقته مريانا بعد وفاته. صُغَتْهُمَا بالعربية ونَشَرْتُهُمَا مشكورةً «لجنه جبران الوطنية» بالعربية والإنكليزية في جزءٍ واحد تقدّمه هديةً لزوّار متحف جبران في بُشْرِي.

<sup>٢</sup> الكنيسة على شارع تايْلُر في المبنى رقم ٧٨، وجبران كان يسكن ومريانا في المبنى رقم ٧٦.

خلال إلقاءي قصائدي، كان في مقدّمة الحضور رجل في نحو السبعين يُصغي إليّ في ما بدا لي أن يفصلني عنه طيفٌ غمامةٍ بعيدةٍ لا في السّماع بل في التلقّي. فكّرتُ بعد حينٍ أن قد يكون أميركيًّا من أصل لبناني لم يعد يفهم العربية بعد نأيه عنها لسانًا وحياءً يومية.

ما إن غادرتُ المنبر في نهاية قراءاتي حتى تقدّم مني الرجل، تسبقه بسمه من رضا وسرور، وخاطبني بإنكليزيّته الأمّ:

- لم أفهم شعرك لكنني كنتُ أطرب لسماحكُ تلقّيه باللغة التي كنتُ أصغي إلى ابن عمي جبران يقرأُ بها لزوّاره.

ابن عمّه جبران؟! استفسرتُ فجاء جوابه برقا سَطَعَ:

- نعم. جبران خليل جبران. هو ابنُ عمِّ أبي نقولا. وهو الذي كان عرّابي في المعمودية وفي هذه الكنيسة بالذات، وهو الذي سمّاني «خليل» على اسمه الأدبي الذي كان به يُعرّف في أميركا، وبه أصدر كتبه الإنكليزية.



أنا إذاً أمام النحات البوسطني خليل جبران الذي وضع، مع زوجته جين، أهمّ بيوغرافيا مفصّلة وموثّقة عن جبران.

جين و خليل جبران ناشرا الكتاب، في زيارتهما سنة ٢٠٠٦ سُتراتفورد Stratford-upon-Avon، بلدة شكسبير (وُلد وتُوّفّي فيها: ١٥٦٤-١٦١٦).

لم يطلُ حديثي إليه عن اهتمامي بجبران وكتاباتي الكثيرة عنه، حتى سارعتُ إلى قبول دعوته إيايَ لزيارته.

في منزله/المحترف، استقبلتني زوجته جين بترحابٍ زادَه تعريفُه إياي لها، وإذا بي معهما في جولةٍ على جواهرٍ مقتنياتٍ ومخطوطاتٍ وأوراقٍ من جبران، تركتها «عمتي مريانا»، كما اعتاد أن يسمّيها، هو الذي كانت تحنو عليه منذ طفولته. كان

فتى في العاشرة عند وفاة شقيقها الشاعر، حتى إذا شَبَّ وَهَرِمَتْ فَصَمَّمَتْ على الانزواء إلى مأوى للعجزة<sup>٣</sup> - وكانت تجهل القراءة بالعربية وطبعًا بالإنكليزية - أعطته كلَّ ما كان شقيقها جبران ترك لديها في البيت، وكلَّ ما آل إليها من محترفه في نيويورك بعد وفاته<sup>٤</sup>.

من تلك الأوراق الكثيرة التي تجمعت لديه، صاغَ وزوجته الطبعة الأولى من سيرة جبران في كتابه البيوغرافي «خليل جبران - حياته وعالمه»<sup>٥</sup>، وتالت بعدها طبعاتٌ ثلاثٌ لرواجه الواسع وصدَّق وثائقه.

اكتنَزَ لديه أوراقًا ومخطوطاتٍ من جبران راح يبوُّها تبعًا، ويصدر ما كان مكتملاً منها، بينها مسرحية «لعازر وحبیبته»<sup>٦</sup>، ومسرحية «الأعمى»<sup>٧</sup> وكلتاها حواريةٌ من فصل واحد.

بعد تلك الجولة الممتعة على ما لدى خليل من كنوز جبرانية، لم أخرج من محترفه إلا بكتابٍ وقَّعه لي وزوجته، يحمل المسرحيتين معًا<sup>٨</sup>.

ومنذ ربع قرن، والكتاب ماثل أمامي في مكتبتي، حتى إذا أنجزتُ إعدادي «هذا الرجل من لبنان» عن كتاب باربره يونغ بالعنوان ذاته وسائر ما كتَّبه عن جبران في مطبوعاتٍ أُخرى، وبعض ما وجدته عن جبران غير منتشرٍ لدى قراء اليوم، أحسستُ أن جاء وقتُ هذا الكتاب/الهدية من ناشريه، فانصرفتُ إليه.



٣ - انتقلت إليه سنة ١٩٦٨ في بداية فقدانها الذاكرة، وتُوِّفِيَتْ فيه مساءَ الثلاثاء ٢٨ آذار ١٩٧٢ عن ٨٨ عامًا.

٤ - الساعة ١٠:٥٥ ليلَ الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١.

٥ - *Kahlil Gibran, His life and world*, New York Graphic Society, 1974.

٦ - *Lazarus and His Beloved*, first printing, New York Graphic Society, 1973.

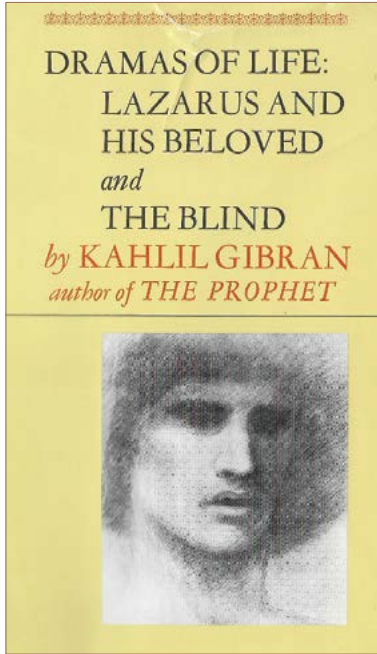
٧ - *The Blind*, 1982.

٨ - *Dramas of Life – Lazarus and his beloved, and The Blind*

The Westminster Press, Philadelphia, 1982.



هذا الشكل الحوارية في النصوص، اعتمده جبران في بعض كتاباته العربية، نصوصاً حوارية قصيرة ذات مشاهد وأشخاص، منها «الصلبان»<sup>٩</sup>، و«إرم ذات العماد»<sup>١٠</sup>، و«ملك البلاد وراعي الغنم»<sup>١١</sup>. ولم تخلُ كتاباتُ له أُخرى، بالعربية والإنكليزية، من حوارات عادية اقتضاها السرد وظهرت في «النبى» و«حديقة النبى» و«الأجنحة المتكسرة» وقصص «الأرواح المتمرده» وسواها. على أن النص الأطول مسرحياً هو الذي حرَّكه جبران في اثنين: «لعازر» و«الأعمى».



غلاف الكتاب الإنكليزي الأصلي

## لعازر وحببته

في نصوص ماري هاسكل وباربره يونغ أن جبران، قبل أن يتمكن جيداً من كتابته الإنكليزية، كان يكتب (ويفكر) بالعربية ثم ينقل بعضاً منها إلى الإنكليزية.

في يومية ماري هاسكل نهار الأحد ٢٦ نيسان ١٩١٤ جاء: «قال لي جبران إنه يُهيئُ كتاباً بأربعة نصوص من النثر الشعري: «الشیطان»، «الست بلقيس»، «الشاعر»، و«لعازر وحبه الوحيد». العنوان الأخير جديد عليّ. لا أعرف متى كتبه خليل. وهو عن لعازر

٩ في مجموعة «العواصف» (القاهرة ١٩٢٠).

١٠ في مجموعة «البدايع والطرائف» (القاهرة ١٩٢٣)، وكانت قبل ذلك صدرت في «مجموعة الرابطة القلمية» (نيويورك ١٩٢١).

١١ نشرها ميخائيل نعيمة في كتابه عن جبران، وذكر أنها «آخر ما كتب جبران بالعربية»، وأنه كان أعدها للنشر في عدد ممتاز من «السائح» مع مطلع ١٩٣١، لكن المجلة احتجبت قبل ذلك.

الذي جاء في الإنجيل أنه مات ثلاثة أيام وذهب إلى عالم روحه، وفيه التقى بحبيبته ليعيش معها. لكنَّ إله العالم الأرضي استدعاه إلى الحياة على هذه الأرض من جديد».

سوى أنَّ جبران، سنة ١٩٢٦، عدلَ عن أسلوب النثر الشعري العربي الذي اشتهر به، وعاد فكتب صيغة «لعازر» الإنكليزية بالشكل المسرحي.

تروي ماري في يومية الخميس ١٣ أيار ١٩٢٦ أنها، بعد زواجها من فلورنس ماينس نهار الجمعة ٧ أيار، زارت معه نيويورك نهار الإثنين ١٠ أيار استعداداً لرحلة طويلة إلى أوروبا. وفيما انصرف زوجها في المدينة إلى إنجاز معاملات جواز السفر وإلى عَدائه مع زملاء له في حيِّ «وول ستريت»، زارت هي جبران في محترفه فأخبرها عن مجموعة «رمل وزبد» التي «ترجم معظم نصوصها عن العربية». ثم عادت فزارته ثانية نهار الخميس ١٣ أيار فقرأ لها «لعازر»، مسرحية من فصل واحد. قرأها بتأثر شديد لأن ثلاثة أيام لعازر ميثاً كانت «تعكس أحلام جبران عن تلك الحياة الأخرى المتحررة من قيود هذه الحياة البشرية». وفي جلسة ١٣ أيار تلك، ذكّر لها نصاً في باله ينوي كتابته عن رجل أعمى.

غير أنَّ تفصيلاً آخرَ عن مسرحية «لعازر» يأتيها من الكاتبة ألما ريد<sup>١٢</sup> في كتابها «أوروزكو». روت أنها دعت إلى محترف صديقها الرسام المكسيكي خوسيه أوروزكو شلَّة من الأصدقاء احتفاءً بذكرى ميلاد جبران السادسة والأربعين مساءً الأحد ٦ كانون الثاني ١٩٢٩. في تلك الأمسية قرأت السيِّدة بلُّ بيكر مقاطع مطبوعة من «النبى» ومن «يسوع ابن الإنسان»، ومشاهد من مسرحية كانت بعدُ مخطوطة: «لعازر وحبيبته». ثم جاء دور جبران في القراءة، فبدأ يقرأ مقطوعة «الشعلب» من كتابه «المجنون»، وإذا به فجأةً يتأثر بشكل فاضح ويتوقَّف عن القراءة وينهض داخلًا إلى قاعة أخرى. لحقت به السيِّدة ريد فوجدته يبكي في الغرفة الأخرى.

<sup>١٢</sup> صحافية أميركية (١٨٨٩-١٩٦٦) عملت في صحف كبرى، بينها «نيويورك تايمز»، وفتحت بيتها في نيويورك صالوناً أدبياً كانت تستقبل فيه دورياً أعلام تلك الفترة، وبينهم جبران.

ولدى سؤالها إياه أجابها: «أعرف الحقيقة وأواجهها: لم أعد أستطيع أن آتي بجودة ما جاء في كتاباتي السابقة». أخذت السيدة ريد تواسيه مؤكدةً له أن مخطوطة «لعازر» لا تقل إبداعاً عن مقطوعات «المجنون». ولحق به الرسام أورو زكو ينثي على كتاباته الجديدة وأن يعطيها وقتاً كي تثبت تألقها كما في كتبه المطبوعة السابقة. وفي ذلك الفصل من كتابها الذي صدر سنة ١٩٥٩، تكمل ريد ما حصل تلك الليلة، موضحةً علمها لاحقاً أن «بكاء جبران ليلتئذ لم يكن لحيته من نصوصه الجديدة التي يراها أقل أهمية من تلك القديمة، بل لأنه كان عليم من الأطباء أنه مصابٌ بداءٍ قاتلٍ وأن أيامه باتت معدودة».

من هنا، من المقارنة بين «مجنون» مجموعته الإنكليزية الأولى «المجنون» وبين «مجنون» مسرحية «لعازر» أن هذا الأخير ليس ضالغاً مباشرةً في حركة النص (كما كان «يوحنا المجنون» في مجموعة «عرائس المروج»، نيويورك ١٩٠٦) بل هو (بلسان جبران) مُعلّقٌ قاسٍ، بلا شفقة أحياناً في أحكامه، حتى على والدة لعازر وشقيقته. لعازر في المسرحية ليس مجرد رجلٍ عاد من الموت إلى الحياة، بل هو رمزُ البحث عن الأبعد من هذه الحياة الأرضية، البحث عن المُصالحة مع روح الحبيبة، وعن الاتحاد لا بالله بل بالمدى الأوسع.



غلاف الكتاب الجديد بالعربية والإنكليزية

من هذا الإيمان بَعُودَةَ الروح، أَو التناوُح أَو التَقْمُص، يتجَلَّى وعِي جبران كينونته على هذه الأرض، وتوقه الدائم إلى الـ«هناك» حيث الحياة متحررةً من قيود الحياة البشرية. ولذا ختم مسرحيته على لسان لعازر مغادراً بيته الأرضي للحاق بيسوع: «سأذهب الآن سعيًا إلى روحه فأتحرر... سوف أتبع ربح الشرق أني تحملي... ومن بين جميع الرجال سأكون وحدي الذي عانى الحياة مرتين والموت مرتين، ومرتين عرَف الأبدية».

وبهذا الإيمان ذاته كان قبلذاك ختم «النبى» على لسان المصطفى مخاطبًا شعب أورفليس: «تذكروا أنني عائدٌ إليكم. قليلًا بعدُ ويجمع توقي غبارًا وزبدًا لجسدٍ آخر، وقليلًا بعدُ، لحظة راحة فوق الريح، وتلدني امرأةٌ أخرى».

## الأعمى

في جلسة الخميس ١٣ أيّار، كما تقدّم، ذكر جبران لماري هاسكل فكرة كتابة «الأعمى» من دون تفصيل. ولم يردُ تفصيلٌ في أيّ مكانٍ آخر عن هذه المسرحية من فصل واحد. ولكن سلامة الأوراق التي كانت في «صناديق» مريانا، تدلُّ على أنها ليست تالفة عتيقة، كالكثير من أوراق ومخطوطاتٍ أخرى، ما يدلُّ على أن جبران كتبها في السنوات الأخيرة من حياته.

«الأعمى»، كما «لعازر»، هما النصّان المكتملان بالشكل المسرحي، بينما ثلاثة سواهما لم يكتملا توسيعًا وحواراتٍ، بل بقيت ناقصةً غير مكتملة، وهي: «الساحرة»، «المسحة الأخيرة»، و«الأحدب أو الرجل الخفي»<sup>١٣</sup>. ولأنّ هذه النصوص، على الأرجح، وضعها جبران في السنوات الأخيرة من حياته، تبدو فيها مسحة الموت التي كان يعيشها من دون أن يُشرك بها أحدًا في سرّه وكتابته.

<sup>١٣</sup> هذه النصوص غير المكتملة، وجميع الوثائق والمخطوطات والمقتنيات، هي اليوم لدى متحف سُميّة في المكسيك، آلت إليه من خليل وجين جبران، وهي مُجمَل ما كان لديهما من مريانا جبران.

وإذا كان في «لعازر» أثرٌ من روح الشرق، مكانِ حصولِ الحدّث، ففي «الأعمى»، مكانًا وحركةً وأسماءَ شخصيات، تصميمٌ واضحٌ على ابتعاده عن أيِّ أثرٍ شرقيٍّ أو مشرقِيٍّ. فليس فيها أيُّ ملامحٍ من شخصيات شرقيةٍ («الميترا» أو «يوحنا المجنون»)، ولا أيُّ ذكرٍ لِحنيه إلى جبال لبنان (في «لعازر» ذكرٌ لها) ولا إلى همومه عن شعبه في لبنان. ولعلَّ نصه هذا، شكلاً ومضموناً، هو الأكثرُ ابتعاداً عن أجواءِ نصوصه السابقة، والأعمقُ توغُّلاً في بيئته الغربية.

في شخصية الأعمى ملامحٌ من إيمان جبران بالرَّبِّ الكوني غيرِ المقيّدِ بحدودِ أرضية. والحكمة التي تتجلّى في شخصية الأعمى، كانت تجلّت سابقاً في كتاب «المجنون» مع شخصية «الفلكي الأعمى» الذي «يرى الشمس والأقمار والنجوم، وهو أكثرُ الناس حكمةً»، وكما رسمها جبران في قصيدته «الشاعر الأعمى»: «في الظلمة أتقدّم فيما أنتم واقفون خائفين من النور. أتقدّم وأغني ولا أضلُّ طريقي»<sup>١٤</sup>.

هذه الفكرة عن النور في العينين المطفأتين، وردت كذلك في «يسوع ابن الإنسان» على لسان «الفيلسوف»: «نحن من تخدّرت حواسنا، ننظر إلى النور الكامل لكننا لا نرى شيئاً». وهو إيمانُ جبران بأنَّ عمى البصر تغلبه الرؤيا في الفكر فتُنير البصيرة. وقد يكون العمى فكرةً سوداءً تمحوها فكرةٌ بيضاء. من هنا قوله في «يسوع ابن الإنسان»: «يا سيّد، يا سيّد النور الذي عينه ترى في أصابع الأعمى».

هذه الحاسة السادسة التي كان جبران دومًا يتحدث عنها، يكتب عنها، «يعيشها»، هي التي، في المسرحية، جعلت أنا تتعامى عن رؤية والدتها هِلنُ تغادر البيت مع عشيقها، كي لا تصدم الصبيّة أباهَا ديفيد، وكي تعيش معه في عالمه الأوسع الذي لا حدود لعماه في عينيه الرائيّتين.

<sup>١٤</sup> كان جبران أملى هذا القصيدة في محترفه على باربره يونغ، وأصدرها لاحقاً في مجلة «الشرق الجديد» (صيف ١٩٢٥). ونشرتها باربره يونغ في الفصل التاسع («لا عمُر للكلمات») من كتابها «هذا الرجل من لبنان» (نيويورك ١٩٤٥).

وهذا ما يتّضح تمامًا في المسرحية من عبارة المجنون متوجّهًا إلى هِلنَ عند لومِها ابنتها آنا على تَعَلُّمها لغة العيمان: «... لكي تتعلّم لغة العتمة، يا سيّدي الجميلة. ففي تلك اللغة: كلُّ كلمةٍ نَجْمَةٌ، وما سوى الربِّ يصوغ عباراتها».

في مسرحية «الأعمى» يتجلّى واضحًا نضجُ جبران في نظريته إلى العالم، إلى هذا العالم الأرضي، وتوقّه إلى «الليل الأبدي اللامتناهي»، وهو إيمانه بانتقال الروح الفردية إلى التجاوز الكوني الشامل الذي كان، في حواراته مع ماري هاسكل، يسمّيه «ضمير الكون الأوسع».



أعود إلى ذاك النهار من أيار قبل ربع قرن.

حين حملتُ الكتابَ وعليه إهداءٌ إليّ من خليل جبران، وصافحته مودّعًا إياه وزوجته جين، لم يدُر في بالي أن سيّجِيءُ يومٌ أنقله فيه إلى العربية.

حين راسلتُ جين طالبًا إذنها بترجمة المسرحيتين<sup>١٥</sup>، أجابتنني موافقةً<sup>١٦</sup> مع طلبٍ وحيدٍ أن أذكر الأرصدة الأصلية في الطبعة العربية.

وإنني طبعًا ذاكِرها، ولاءً لها على السّماح بالترجمة، ووفاءً لزوجها خليل الذي غاب<sup>١٧</sup>، لكنه ما زال ماثلاً في ذاكرتي: أنا ألقي قصائدي في بوسطن، وأمّامي في مقدمة الحضور ملمحٌ ذاك الرجل السبعيني، يُصغي إليّ في ما بدا لي أن يفصلي عنه طيفٌ غمامةٍ بعيدةٍ لا في السّماع بل في التلقّي. وما زلت أذكر صوته الباسم يقول لي: «لم أفهم شعرك لكنني كنتُ أطرب لسماحك تلقّيه باللغة التي كنتُ أصغي إلى ابن عمّي جبران يقرأ بها لزوّاره».

١٥ صدرت لهما ترجماتٌ إلى العربية، لا يبدو أن جين على علم بها.

١٦ رسالتها إليّ الجمعة ١٦ آب ٢٠١٩.

١٧ تُوفي ليل الجمعة ١٣ نيسان ٢٠٠٨ عن ٨٦ عامًا.



## فهرس الأسماء

أ

- ♦ أدال واتسون - Adele Watson : ٣١٥، ٣٣٤
- ♦ أنثروپولوجيا - Anthropology : ٢٩٩

إ

- ♦ إستل دوكلو - Estelle Duclos : ٣٢١
- ♦ إنترلنك - Interlink Publishing : ٣٠٩
- ♦ إيكهارت فون هوشهايم - Meister Eckhart : ٣٣٧
- ♦ Von Hochheim

آ

- ♦ آلبنيا - Albany (New York) : ٣٠٩
- ♦ آنا جوهانسِن - Anna Johansen : ٣١٤، ٤٠٨

أ

- ♦ أوتوبيوغرافيا - Autobiography : ٢٩٩

ا

- ♦ الشرق الجديد - The New Orient : ٣١٠
- ♦ الشنتويون - Shintoists : ٣٣٨
- ♦ العالم السوري - The Syrian World : ٣٠٢
- ♦ ٣٠٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣١
- ♦ ٣٣٢، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٨، ٤١٠
- ♦ ٤١٢، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٣٠

ب

- ♦ باتلر دافنبورت - Butler Davenport : ٣٠٩
- ♦ بن بريغام - Ben Brigham : ٣٠٩
- ♦ ببليوغرافيا - Bibliography : ٢٩٩
- ♦ بيوغرافيا - Biography : ٢٩٩

پ

- ♦ بروفيدنس - Providence : ٣٤١، ٤٢٢، ٤٢٤
- ♦ ٥١١، ٥٢٦



## ت

- ♦ سمیث - Smith: ٣٠٧
- ♦ سُیود حسین - Syud Hossain: ٣٢٢، ٣٢١، ٣٣٩
- ♦ سیکولوجیا - Psychology: ٢٩٩

- ♦ تشاپل هیل - Chapel Hill: ٣١٢
- ♦ تشارلز فلتشر - Charles Fletcher: ٣٢١

## ش

- ♦ شارع تایلر - Tyler Street: ٣٣٥
- ♦ شارع غاستون الغربي - West Gaston Street: ٣١٣
- ♦ شارع نیوتن - Newton Street: ٣٣٥
- ♦ شارلوت تیلر - Charlotte Teller: ٣٠٩

## ج

- ♦ جاکوب بُوهم - Jakob Böhme: ٣٣٧
- ♦ جامعة پرنستون - Princeton University: ٥١٢، ٣١٨
- ♦ جامعة میریلاند - Maryland University: ٥٣١
- ♦ جامعة نورث کارولینا - North Carolina University: ٥٤٠، ٥٣٨، ٣٨٤، ٣١٧، ٣١٢
- ♦ جامعة هارفرد - Harvard University: ٥٣٠، ٥١٩
- ♦ جوزفین پُرسٹن پییدی - Josephine Preston Peabody: ٥١٩، ٣٠٩
- ♦ جُوزیا رُویس - Josiah Royce: ٣٣٨
- ♦ جیوزیپی ماریا فراسکیتی - Giuseppe Maria Frascetti: ٥٢٦
- ♦ جیولوجیا - Geology: ٢٩٩

## غ

- ♦ غِلن کالم - Glen Kalem: ٥٢٨
- ♦ غوته - Goethe: ٣٣٣

## ف

- ♦ فرانز شوبرت - Franz Schubert: ٣٢١
- ♦ فَرْد هولنڈ داي - Fred Holland Day: ٣١٨
- ♦ فرنشپسکو میدیتشي - Francesco Medici: ٥٣١، ٥٢٨
- ♦ فرنکفورت - Frankfurt: ٣٣٧
- ♦ فندق پریفورٹ - Hotel Brevoort: ٣٠٦
- ♦ فیلادلفیا - Philadelphia: ٥٠٩
- ♦ فینومینولوجیا: ٢٩٩

## ف

- ♦ فرجینیا حلو - Virginia Hilu: ٣١٢، ٣١١
- ♦ ٣١٣، ٣١٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧

## ح

- ♦ حي غرينيتش - Greenwich Village: ٣٠٩

## ر

- ♦ رود آیلند - Rhode Island: ٥١١، ٤٢٢
- ♦ ریٹنر - Rittner: ٣٢١

## س

- ♦ سافانا - Savannah (Georgia): ٣١٣، ٣١٢
- ♦ ٣١٦، ٣١٧، ٣٧٤، ٤٢١، ٥١٠، ٥٢٢، ٥٣٠

## ك

- ♦ مدينة كولومبيا \_ Columbia City : ٣١٢
- ♦ مستشفى سانت فنسنت - Saint Vincent Hospital : ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٥، ٤٠٨، ٤١٦
- ♦ مفاتيح الجنة - The keys of heaven : ٣٠٦، ٣١٠

## ن

- ♦ نقولاي كونستانتينوفيتش - Grand Duke Nicholas Konstantinovich : ٣٢٠
- ♦ نيويورك تايمز - New York Times : ٣٠٢، ٣٠٦، ٤٠١

## هـ

- ♦ هاجيوغرافيا - Hagiography : ٢٩٩، ٣٠٠
- ♦ هنرييتا بركنريدج - Henrietta Breckenridge Boughton : ٣٠٢
- ♦ هنرييتا بركنريدج - Henrietta Breckenridge Boughton : ٣٠٩
- ♦ هيوبرت لينسكوت - Hubert Linscott : ٣٢١

## و

- ♦ وستمينستر - Westminster : ٥٠٩
- ♦ ولاية كونيتكت - State of Connecticut : ٥١٢
- ♦ وليام براون مالوني - William Brown Maloney : ٣٣٤، ٣١٥
- ♦ وليام ساكس - William Saxe : ٣١٦

## ي

- ♦ يونيون سكوير - Union Square : ٣١٦

- ♦ كارولينا الجنوبية - South Carolina : ٣١٢
- ♦ كلود براغدن - Claude Bragdon : ٣٢١، ٣٢٢
- ♦ كنوف - Knopf : ٣٠١، ٣٠٧، ٣٣٦، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٩، ٥٠٣، ٥٣٩
- ♦ كوارتت - Quartet Publishing : ٣١١، ٥٣٩
- ♦ كورين روزفلت روبنسن - Corinne Roosevelt Robinson : ٣٢١، ٤١٢

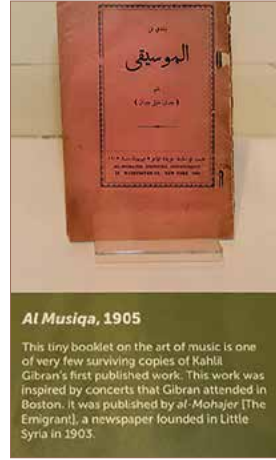
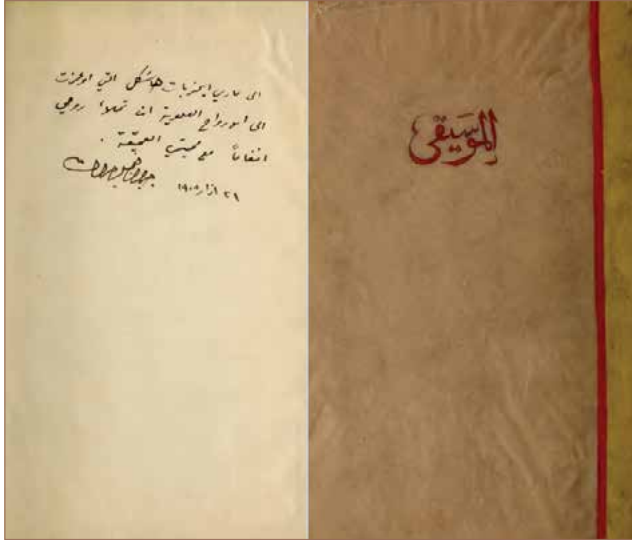
## م

- ♦ مارجرى بوثن (مارجرى هاناي) - Marjorie Boughton Hanay : ٣٠٢
- ♦ ماري إليزابيث هاسكل - Mary Elizabeth Haskell : ٤٧٣، ٥٠٩
- ♦ ماري هاسكل - Mary Haskell : ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٦، ٣٧٤، ٣٨٤، ٤١٠، ٤٢١، ٤٤٦، ٤٦٦، ٤٦٩، ٥٠٧، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٣٦، ٥٣٩، ٥٤٠
- ♦ ماري هاسكل - Mary Haskell Minis : ٣١٧
- ♦ ماساشوستس - Massachusetts : ٣٠٩، ٣٣٩، ٣٩٧، ٤١٨، ٤٦٢، ٥٠٠، ٥٠٨
- ♦ مانهاتن - Manhattan : ٣٠٩، ٣١٦، ٣١٨، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٧١، ٥٠١
- ♦ متحف أكاديميا تليفير - Telfair Academy Museum : ٥٣٠
- ♦ متحف اللوفر - Le Louvre Museum : ٥٣٠
- ♦ متحف رويرتش - Roerich Museum : ٣٢٠، ٣٣٨
- ♦ متحف سُميَّة - Soumaya Museum : ٥٢٥، ٥٣٠
- ♦ متحف فوغ - Fogg Museum : ٥٣٠
- ♦ متحف متروبوليتان - Metropolitan Museum : ٣٥٤، ٥٣٠



القسم الثالث

وثائق وصور

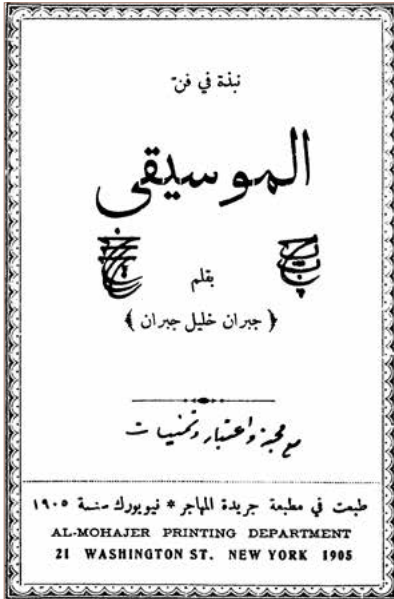


**Al Musiqi, 1905**

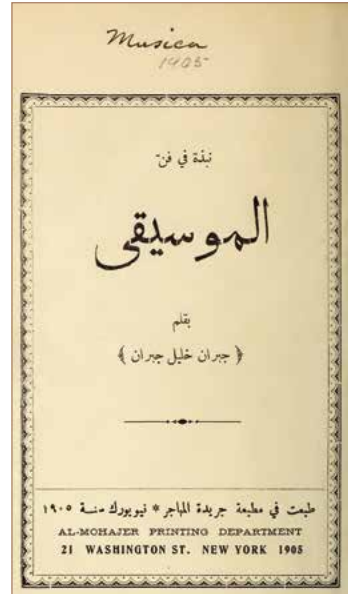
This tiny booklet on the art of music is one of very few surviving copies of Khalil Gibran's first published work. This work was inspired by concerts that Gibran attended in Boston. It was published by al-Mohajer [The Emigrant], a newspaper founded in Little Syria in 1905.

نسخة كتاب «الموسيقى» وهو كتَب بخطه: «إلى ماري إليزابيث هاسكل التي أوعزتُ إلى الأرواح العلوية أن تملأ رُوحِي أنغامًا مع محبتي العميقة - ٢١ آذار ١٩٠٩» مع توقيعه.

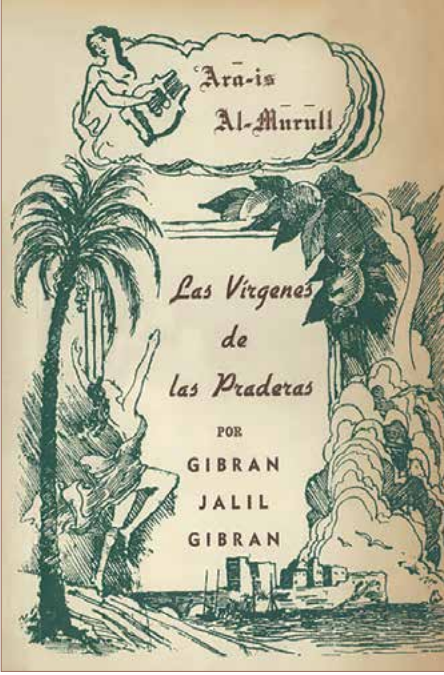
الطبعة الأولى من كتاب «الموسيقى» (١٩٠٥)



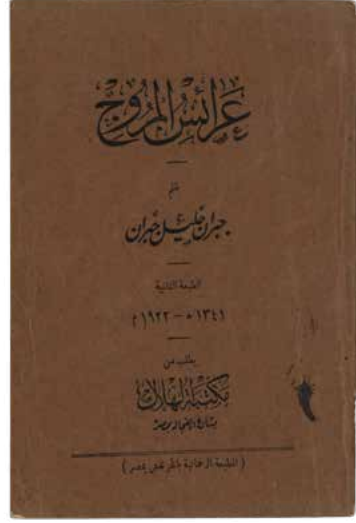
نسخة كتاب «الموسيقى» كما رفعها جبران إلى جوزفين بريستون بيدي: إلى اليمين أحرف اسمها الأولى (ج پ پ)، وإلى اليسار الأحرف الأولى من اسمه (ج خ ج)، وتحت الاسم كُتب بخطه: مع محبة واعتبار وتمنيات (ولعلّه وضع إمضاءه على تلك النسخة).



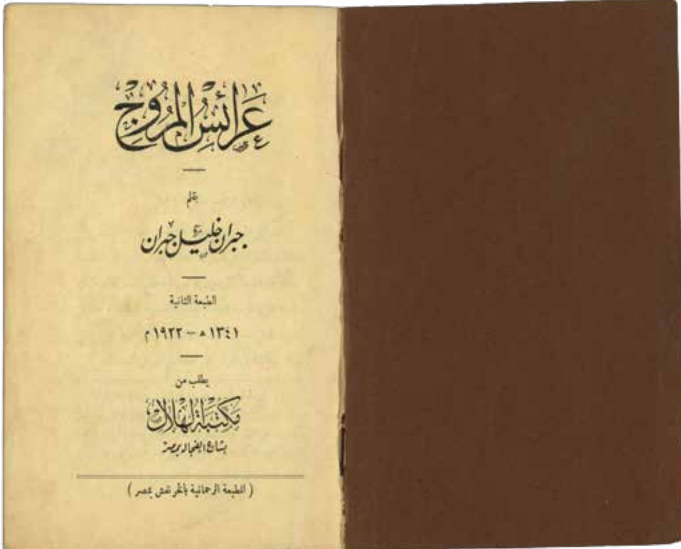
النسخة التي رفعها إلى ماري هاسكل كاتبا لها بالإنكليزية عنوان الكتاب وسنة صدوره كي تعرف ما فيه. هذه النسخة إلى ماري هاسكل خالية من الإهداء إلى جوزفين بيدي، لأنه في ١٩٠٩ كانت علاقته توطدت بماري عشية إرسالها إياه إلى فرنسا للتخصص بالرسم.

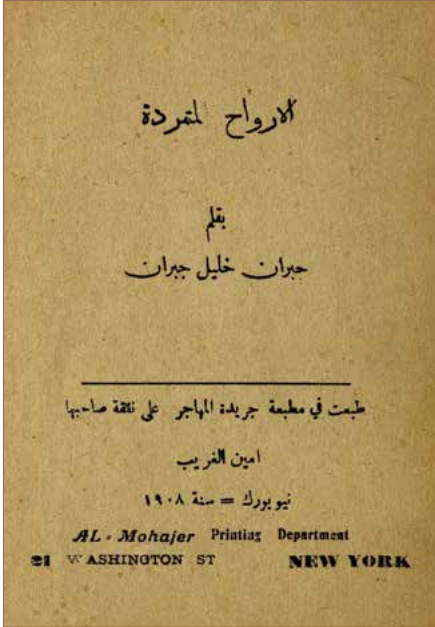


طبعة كتاب «عرانس المروج» الصادرة في سانتياغو (تشيلي) سنة ١٩٦١.

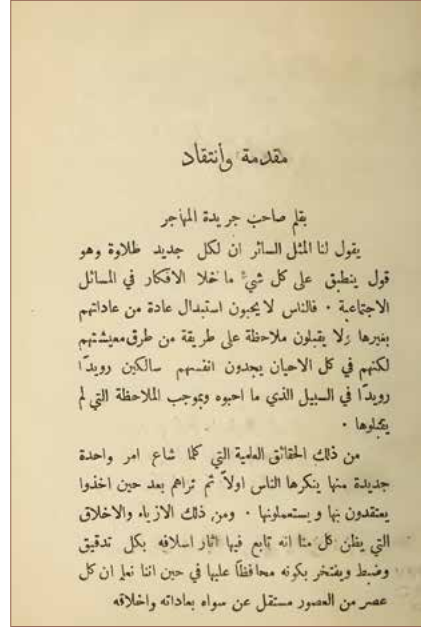


الطبعة الثانية من كتاب «عرانس المروج» صادرة في القاهرة سنة ١٩٢٢ عن منشورات «الهلال». وكانت الطبعة الأولى صدرت في نيويورك سنة ١٩٠٦ عن منشورات جريدة «المهاجر». وهذا هو ثاني كتاب لجبران بالعربية (الأول هو كتاب «الموسيقى» - ١٩٠٥).

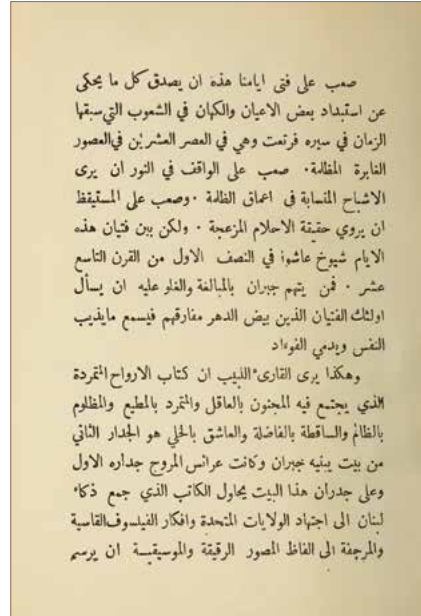
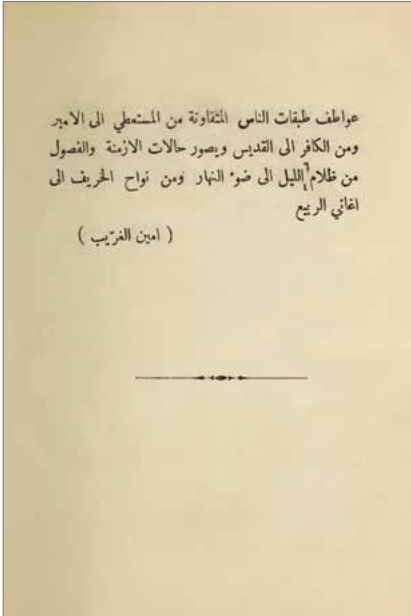




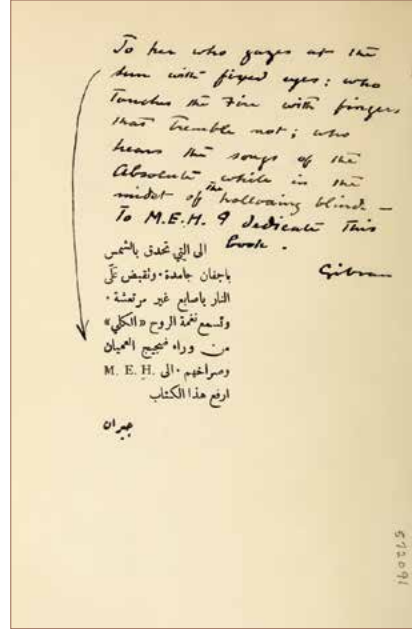
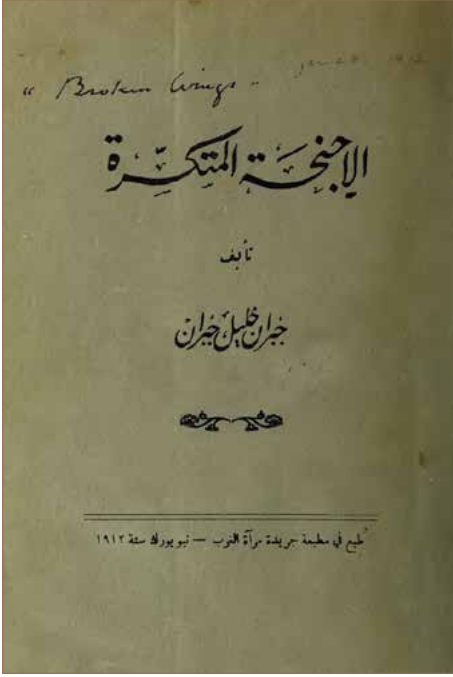
الطبعة الأولى من كتاب «الأرواح المتمرده»  
الصادرة سنة ١٩٠٨ عن جريدة «المهاجر».  
وهو الكتاب الثالث من كتب جبران بالعربية.



مقدمة ناشر الكتاب: «أمين الغريب» الذي كان  
يهذب لغة جبران في مطالعه.



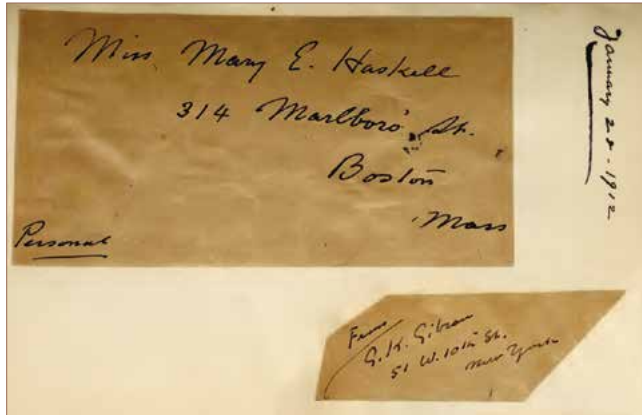
## الأجنحة المتكسرة



الطبعة الأولى من «الأجنحة المتكسرة»، النسخة التي أرسلها إلى ماري هاسكل وترجم لها بخطه عنوان الكتاب بالإنكليزية كي تعرف ما هو.

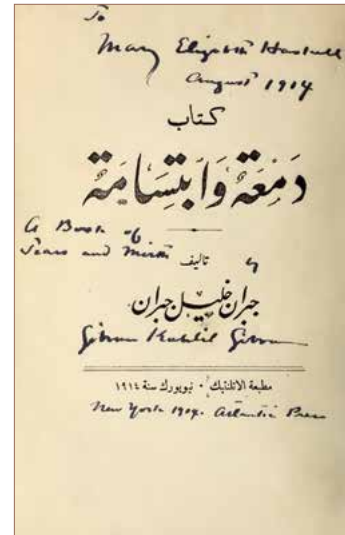
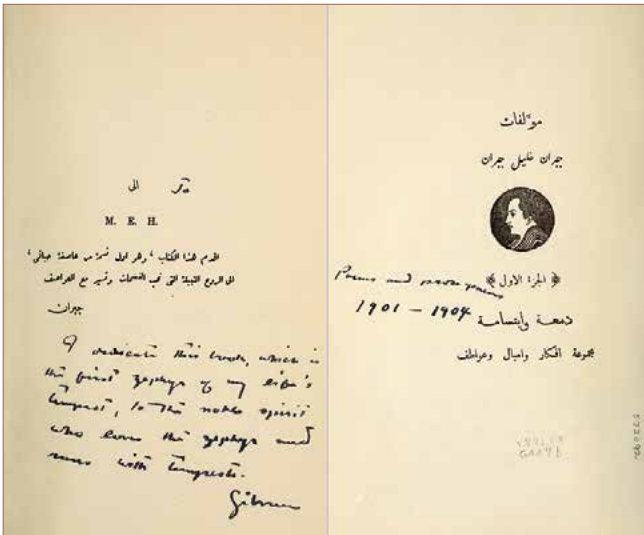
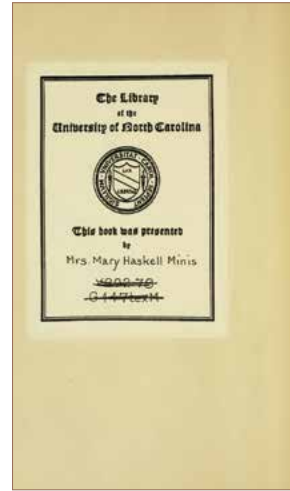
الطبعة الأولى من «الأجنحة المتكسرة» (١٩١٢) وهي مهداة إلى ماري إليزابيث هاسكل. وإذ ليس في الإهداء المطبوع بالعربية سوى أحرف اسمها الثلاثة بالأحرف اللاتينية (MEH)، ترجم لها إلى الإنكليزية كلمات إهدائه حرفياً كي تعرف ماذا كتب فيه.

المغلف الذي أرسل فيه جبران الطبعة الأولى (١٩١٢) من نسخة كتابه «الأجنحة المتكسرة»، وكتب بخطه على المغلف عنوانها: «٣١٤ - شارع مارلبورو - بوسطن». تاريخ الإرسال: ٢٢ كانون الثاني ١٩١٢. وعلى مقلب المغلف كتب عنوانه: «٥١ الشارع العاشر غرباً - نيويورك».





نسخة الطبعة البرتغالية من «دمعة وابتسامة».  
أهدتها ماري هاسكل إلى مكتبة جامعة نورث كارولينا، وهي التي أودعتها جميع الرسائل بينها وبين جبران، وما كان لديها من وثائق أخرى، بينها هذه النسخة المسجلة في الجامعة باسم ماري هاسكل مائيس (وهي عائلة زوجها فلورنس مائيس).



لأن جبران أهدى كتابه «دمعة وابتسامة» إلى ماري هاسكل، ترجم لها إلى الإنكليزية مضمون إهدائه كي تفهم ماذا كتب لها فيه. وزاد على ترجمته أنها نصوص نثرية وشعرية مكتوبة بين ١٩٠١ و١٩٠٤.

الطبعة الأولى من كتاب «دمعة وابتسامة» (نيويورك - ١٩١٤)، النسخة التي أرسلها إلى ماري هاسكل، ترجم لها إلى الإنكليزية ما ورد في الصفحة الأولى كي تعرف ماذا فيها. وأضاف إلى التاريخ «آب ١٩١٤» مع أن تاريخ الطبعة بالعربية ليس فيه ذكر الشهر.

## مقدمة

قد انتقل جبران خليل جبران في الاغوام العشرة الأخيرة من ربيع الحياة الى صيفها ، نمت امياله ونضجت افكاره ، وتدرجت روحه من عالم الخيال الشعري الى عالم اسى ووسع يتماثل فيه الخيال المطلق والحقيقة المجردة ، وتلتقي في جنباته اشباح العواطف الدقيقة بجسارة المبادئ الاساسية الصحيحة .

جبران اليوم ليس بجبران الاسم ، فالشاب الحساس الذي كتب « دمة وابتسامة » بقلم صبر بالدمع قد تحول الى رجل قوي يكتب برووس الحراب الغموسة بالدماء . والفرق بين مقالة « جمال الموت » وحكاية « حفار القبور » هو الفرق بين جبران الاسم وجبران اليوم ، فالنفس الطليعة التي كانت ترتعش لمحبوب نسيات الصخر قد

## مقدمة

تشددت بالعزم فلم تمد تهنئ الا للعواصف فاهواصف هي من حاضر جبران بمقام النسيم من ماضيه ولكن لو تمعنا ملياً بمجموع كتابات جبران وتأليفه ، وعلاقتها بالنهضة الادبية الحديثة ، لوجدنا ان « دمة وابتسامة » مقاماً خاصاً بها لانها كانت اول نعمة من نوعها في العالم العربي ، لانها خالفت بما فيها من التراكيب ودقة البيان كل ما جاء قبلها من الكتابات ، لانها آتت ككتولطة لحركة عربية جديدة يشع بها ويتأثر لها الطالب في مدرسته والتأديب في مكتبه والصحافي في ادارته . عندما ظهرت « دمة وابتسامة » كان الصكنايب والشعراء في مصر وسوريا والهجر يملأون الصحف والمجلات بمقالات ورسائل وقصائد عتمة بليدة خالية من الشعور بعيدة عن القلب ، وكان اكثر الناس يحسبون كل من وزن الكلام شاعراً وكل من رتب الفقرات كتابياً .

## مقدمة

ولكن لما ابتدأ جبران بنشر « دمة وابتسامة » غيّر الناس افكارهم وعلوا للرة الاولى ان الشاعر الحقيقي هو الذي يضرب باصابعه الصخرية على اوتار قلوبهم ويعيد على مسامعهم في اليقظة ما تشمه ارواحهم في المنام . ومن ذلك الحين ابتدأ قتيان الكتاب والشعراء بتقليد « دمة وابتسامة » والنسج على منوالها فلم يمر طمان او ثلاثة على ظهورها حتى كان لجبران تلاميذ واتباع منتشرون في كل مكان من العالم العربي

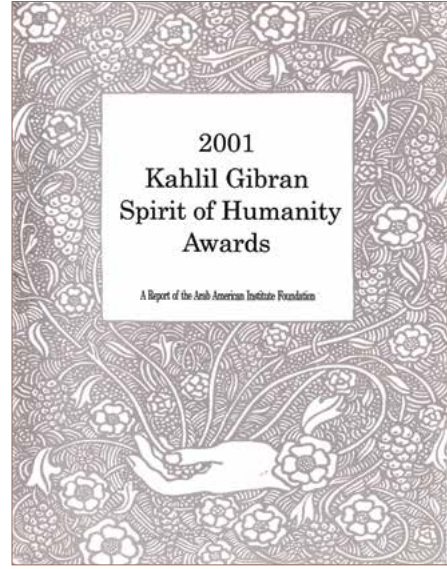
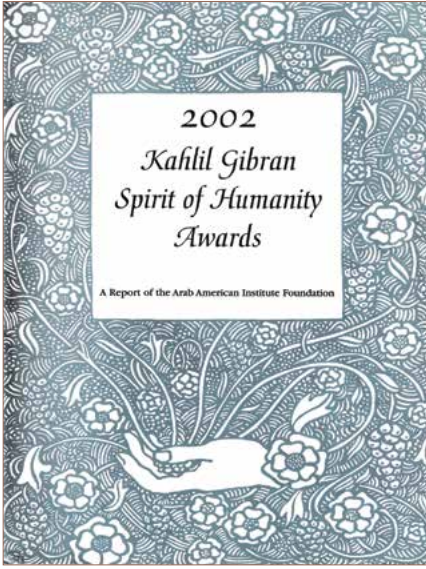
## \*\*\*

عندما طلبنا الى جبران جمع « دمة وابتسامة » ونشرها في كتاب اجابنا بيت من احد مؤلفاته قائلاً :  
« ذلك عهد من حياتي قد مضى  
بين تشبيب وشكوسه ونواح »  
قلنا له « ذلك عهد من حياتك قد مضى ، ولكنه لم

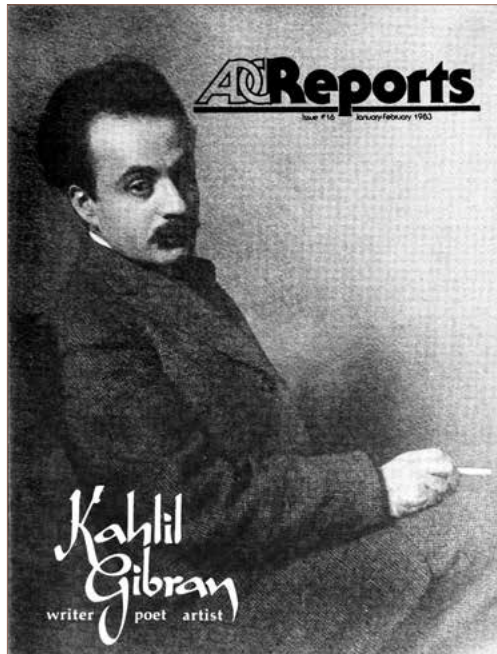
## مقدمة

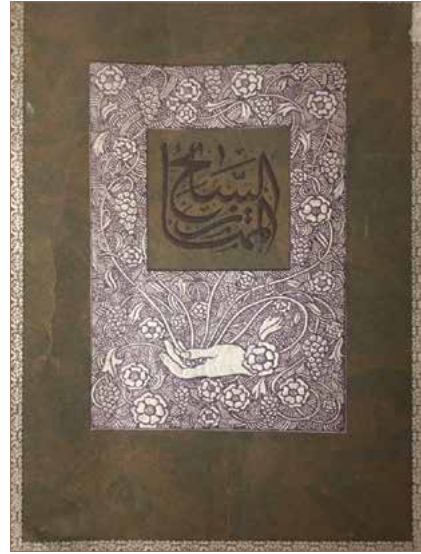
يزل حاضراً في حياة محبيك ومريديك »  
فاجابنا « ان الشاب الذي كتب « دمة وابتسامة » قد مات ودفن في وادي الاحلام فلماذا تريدون نيش قبره؟ »  
قلنا له « ان ذلك الشاب قد ترم باغنية طوية قبل ان يموت وطينا ان نحفظ تلك الاغنية كيلا نلحاح بها ايدي الضياع »  
فاجابنا « افضلوا ماشتم ، ولكن لا تنسوا ان روح ذلك الشاب قد تهمصت سيفه جسد رجل يجب العزم والقوة يحته للظرف والجمال ويميل الى المدم ميله الى البناء فهو صديق الناس وعدموم في وقت واحد »  
قلنا له « سوف لا ننسى وانت حاولنا التماسي في « حفار القبور » ما ينهنا ويذكرنا »  
نسب عريضه  
نيويورك في ٢٤ نيسان سنة ١٩١٤

مقدمة كتاب « دمة وابتسامة » كما كتبها نسيب عريضة جامع هذه المقالات من الصحف، ووضع تاريخها: ٢٤ نيسان ١٩١٤ وهو تاريخ الطبعة الأولى. يرجح دارسون أن يكون جبران هو من كتبها بتوقيع نسيب عريضة، لما فيها من تقييد بشخصيته وكتاباتة.



منشورات دورية عن جبران كانت تُصدرها  
في واشنطن «لجنة مناهضة التمييز العنصري».

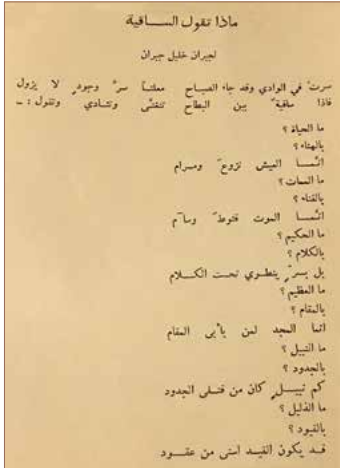
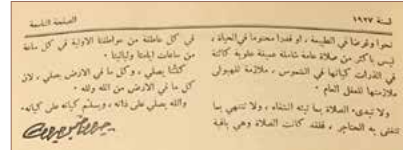




الصفحة الداخلية من عدد «السائح الممتاز» فيه أن هذا العدد مُهدى «إلى روح النهضة الأدبية العربية التي انبثقت في المهاجر، وإلى رجالها الأدياء الذين أحيوا أندلساً أدبية جديدة في ديار الغربية، وإلى أنصارها الذين رافقوا «السائح» في جهاده خمسة عشر عاماً وسددوا حُطاه نحو الأدب الصحيح ولا يزالون سائرين معه في موكب الأدب مشددين عزمه للوصول إلى المحجة».

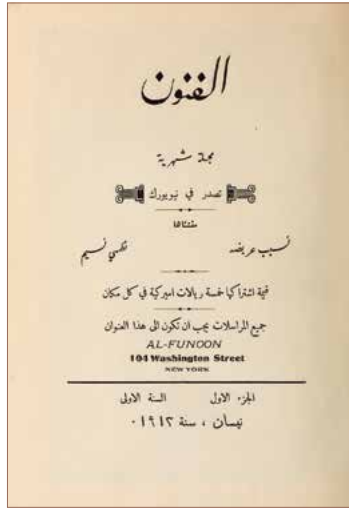
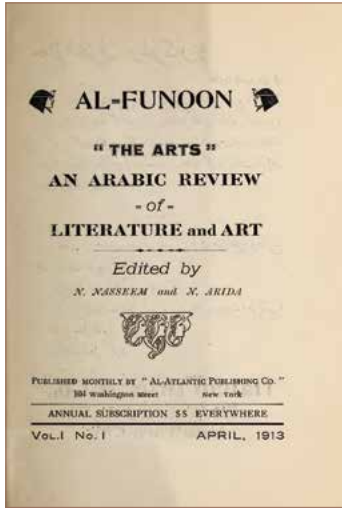
وعلى الصفحة الكاملة رسم لجبران مع توقيعهِ بالعربية.

عدد «السائح الممتاز» لسنة ١٩٢٧ وعلى غلافه رسم من جبران.



قصيدة «ماذا تقول الساقية» في عدد «السائح الممتاز» (١٩٢٧)، مع أنها كانت صدرت سنة ١٩٢٣ في كتابه «البدائع والطرائف» (القاهرة ١٩٢٣) وكان الخورأسقف منصور أسطفان جمع فيه عدداً من قصائد جبران ونثره.

نص «كتا يصلي» لجبران على الصفحتين ٨ و ٩ من عدد «السائح الممتاز». وهو لم يظهر لاحقاً في كتاب، لأن آخر كتاب بالعربية لجبران («البدائع والطرائف») كان صدر في القاهرة سنة ١٩٢٣، وهذا العدد من «السائح» صدر سنة ١٩٢٧.



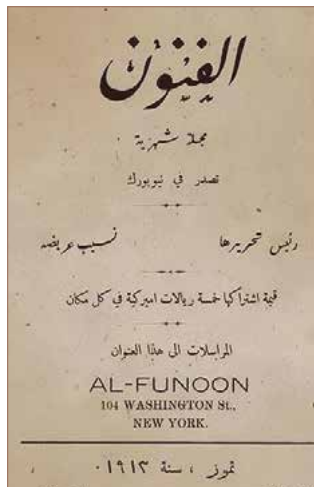
العدد الأول (نيسان ١٩١٣)  
من مجلة «الفنون» ويظهر  
على صفحته الداخلية  
أن منشئها هما نسيب  
عريضة ونظمي نسيم.



السنة الثانية: دخل اسم راغب  
متراج على إدارة المجلة.



العدد الأول (نيسان ١٩١٣)  
من مجلة «الفنون» لنسيب عريضة،  
وعلى الغلاف ترجمة العنوان  
بالإنكليزية على هذه النسخة  
التي أرسلها جبران إلى ماري هاسكل.



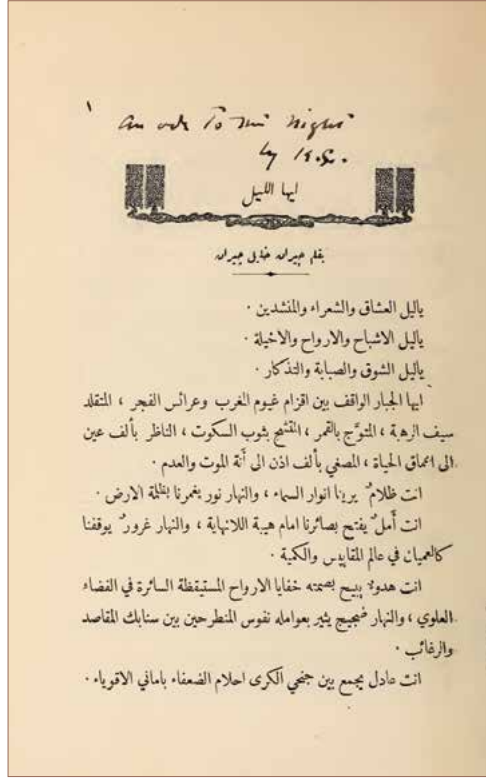
العدد الرابع (تموز ١٩١٣).  
غاب عنه اسم نظمي  
نسيم، وبقي فقط  
اسم نسيب عريضة  
لرئاسة التحرير.

مقطوعة جبران «أيها الليل» على الصفحة ١  
من عدد «الفنون» الأول.  
وفي أعلى العنوان ترجم جبران إلى الإنكليزية  
عنوان مقطوعته لأنه أرسل العدد إلى ماري  
هاسكل كي تفهمه.

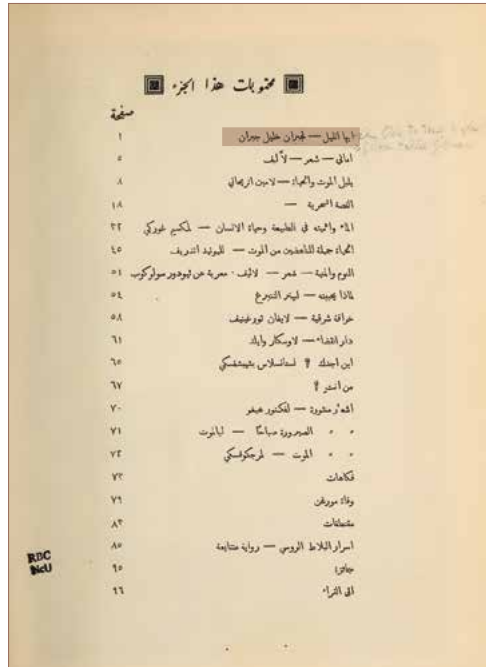


مغلف البريد الذي أرسله جبران  
من نيويورك إلى ماري هاسكل  
على عنوانها: شارع مارلبورو - بوسطن.

فهرس العدد الأول من «الفنون»، وأول نص  
فيه هو «أيها الليل» لجبران. ويرى باحثون  
أن جبران كان يموّل المجلة، أو على الأقل  
كان يسهم في معظم تمويلها.  
وكان نسيب عريضة من أكثر المقرّبين إليه.



باليل العشاق والشعراء والمثندين  
باليل الأشباح والأرواح والأنيمة  
باليل الشوق والصبابة والتذكّر  
أيها الجبار الواقف بين اقزام غيوم الغرب وعرائس الفجر ، المنتقد  
سيف الزهبة ، التوج بالقر ، المتعجب بروب السكوت ، الناظر بألف عين  
إلى انمحاء الحياة ، المصني بألف اذن إلى أمة الموت والعدم .  
انت ظلامٌ يربوا أنوار السماء ، والنهار نور يغمرنا بثلمة الأرض .  
انت أملٌ يفتح بصائرنا أمام هيئة اللانهاية ، والنهار غرورٌ يوقننا  
كالعبيان في عالم القاييس والكعبة .  
انت هدوءٌ يبعث بجمته خفايا الأرواح المستيقظة السائرة في الفضاء  
العلوي ، والنهار ضجيجٌ يثير بعوامله نفوس المنطرحين بين سنابل المقاصد  
والرغائب .  
انت عادلٌ يجمع بين جنبي الكرى أحلام الضعفاء باماني الاقوياء .



مؤملات هذا الجزء

١	أيها الليل — جبران خليل جبران
٥	أناي — شعر — لألف
٨	بابل الموت والحياة — لابن الرضائي
١٤	الفتنة العصرية —
٢٢	أنا والجمي في الطبيعة وسواء الانسان — كليم غوركي
٤٥	الحياة حياة للعلميين من الموت — لليونيد أنتريف
٥١	الروح والجمي — شعر — لألف . معربة عن فودور سولوكون
٥٤	ثالدا يمينه — لخير التبرع
٥٨	عراق شرقية — لجان فودغيف
٦١	دار القضاء — لاوتكار واك
٦٥	ابن اجلك * لساندانس شيفسكي
٦٧	من انتر *
٧٠	اشدو مقودة — للكومر هير
٧١	* الصمودية مياك — لالموت
٧٤	* الموت — لمركوفاكي
٧٤	ككعات
٧٩	وفا موزيف
٨٢	مسطحات
٨٥	اسرار الغلاظ الروس — رواية ستاهة
٩٥	جانوا
٩٦	إلى القراء

## ماري هاسكل أولاً وأخيراً



ماري هاسكل (ضمن الدائرة) سنة ١٩٠٣ أمام مدخل مدرستها.



ماري هاسكل (في الدائرة) مع الهيئة التعليمية ومجموعة التلامذة في مدرستها (١٩٠٧).



الباخرة روتردام التي عاد فيها جبران إلى نيويورك سنة ١٩١٠ من باريس بعد سنتين فيها لدراسة الرسم.

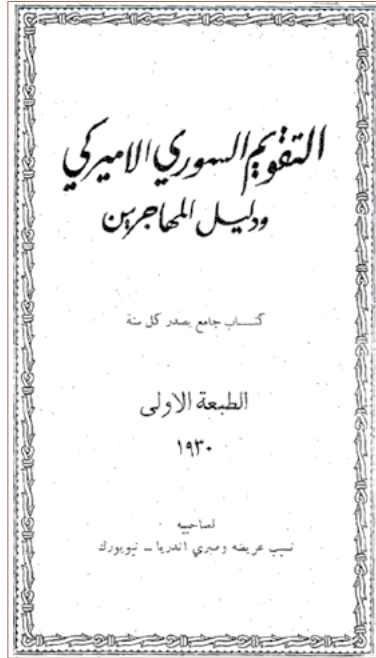
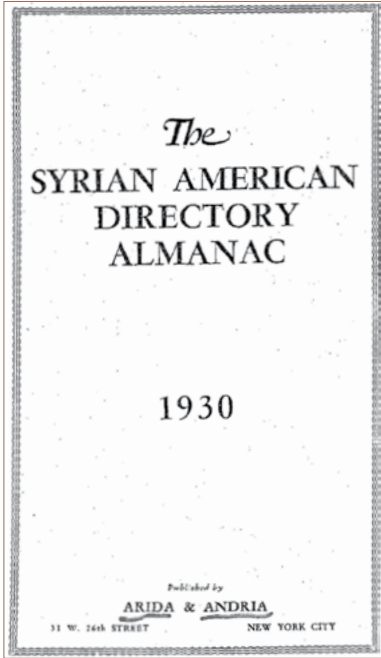


مدرسة كوينسي - شارع تايلر، وفيها درس جبران بعد وصوله إلى بوسطن سنة ١٨٩٥.



صورتان لأحد الصفوف في مدرسة كوينسي، وفي إحدى هذه القاعات درس جبران





« دليل المهاجرين » سنة ١٩٣٠ .  
 كان يُصدره سنويًا في نيويورك نسيب عريضة وصبري أندريا

NEW YORK CITY CLASSIFIED BUSINESS DIRECTORY 43	
Section 2 <b>NEW YORK CITY CLASSIFIED BUSINESS DIRECTORY</b> الدليل السوري التجاري لمدينة نيويورك مرتب بحسب المتاجر والمهن	
<b>ADDRESSING</b>	تأريخ وعنوان رسائل
Syrian American Directory-Almanac 31 W. 24th St.	BOGardus 7243
<b>ADVERTISING AGENTS</b>	وكلاء اعلانات
Syrian American Directory-Almanac 31 W. 24th St.	BOGardus 7243
<b>ALMANACS</b>	تقويم
Syrian American Directory-Almanac 31 W. 24th St.	BOGardus 7243
<b>ANTIQUES</b>	أنتيكات (عاديات)
Beilouny, Gabriel 605-5th Ave.	FLAza 1534
Khayati, Abeer 306-3th Ave.	WSeasain 7082
Kouchakji, Fahim 5 E. 57th St.	REGent 6146
Sayegh, Leon 605-5th Ave.	PIAra 4189
<b>ART GOODS</b>	بضائع فنية
Khouri, A. N. & Bro. 115 E. 24th St.	CRAmery 8570
<b>ARTISTS</b>	فنانون
Gibran, Khalil 31 W. 24th St.	ALGonquin 9709
Mackoud, Nicholas S. 226-5th Ave.	LONgava 1078

جبران كما ورد اسمه في قسم «المهن»  
 من «الدليل».

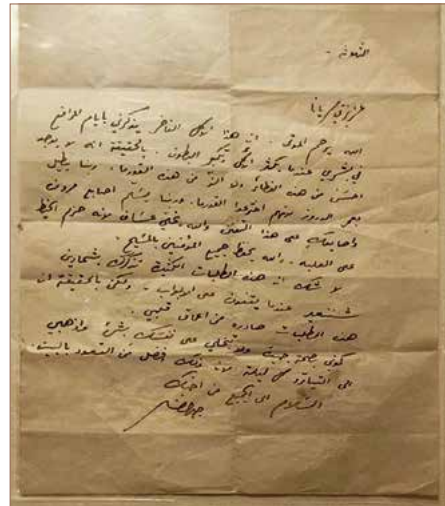
NEW YORK CITY BUSINESS DIRECTORY 17		
Gemayel, Mike 14 Morris St.	Soft Drinks	محاليل الجليل
George, J. & Co. 218 5th Ave.	Linens & Laces	بروف جريس وشركاه
George, Peter S. 232 Broadway	Lawyer	ASHland 1399 بليس شامو بوج
George & Totah 233 Broadway	Lawyers	STAray 9754 جورج وتولوح
Georges Bros. 223 1th Ave.	Importers	STAray 9754 جرس الحوان
Georges, Davis 200-5th Ave.		ASHland 6825 فيميس جورج
Georges, N. 220-5th Ave.		ASHland 6825 نس جورج
Georges, Norman 220-5th Ave.		ASHland 6825 نعمان جورج
Gernigry, N. M. & Sons 15 Rector St.		Lucas تولوا جريسيرو ديالو
Ghia, Salim, 39 Vesey St.	Hardware	BARelay 4183 ماير الفن
Ghosh, Bernard, Mgr. 103 Washington St.		Study الارشيفرت براندوس
Gibran, Khalil, C. 21 W. 10th St.	Artist & Author	جبران خليل جبران ALGonquin 9707
Gorab, S. 11 W. 28th St.		LEXington 8826 مادق غراب
Gorayeb, Geo. M. 59 Washington St.	Exporters	WHITehall 0393 جورج غريب
Gorayeb, Philip E. 44 Washington St.	Groceries	BOWling Green 10210 فوليب غريب
Gorayeb, S. S. & Bros 59 Washington	Exporters	BOWling Green 10210 سعود غريب واولاده
Gorra, A. F. & Son. 20 Rector St.	Linens	BOWling Green 4078 عبد الله غره واولاده
Gorra, A. & D. 10 Rector St.		BOWling Green 4821 فريز وديب غره
Gorra, A. & D. 32 Greenwich St.	Underwear & Lingerie	BOWling Green 5756 مزيز وديب غره
Gorra Bros. 220 5th Ave.	Importers Linens	WHITehall 9931 غره الحوان
Gorra, F. & Bros. 16 Rector St.	Specialty Shop	ASHland 6431 لوزي محاليل غره
Gorra, W. 220-5th Ave.		BOWling Green 1535 وديب غره
Grayeb Hosiery Co. 59 Washington St.	Hosiery	ASHland 6461 شركة غره (الغواب)
		BOWling Green 0830

اسم جبران وعنوانه في «الدليل»



٣ بطاقات بريدية ورسالتان من جبران إلى شقيقته مريانا (٧٦ شارع تايلر - بوسطن).

كانت تجهل القراءة فكانت تستعين بمن يقرأها لها. وهي حالياً بين مجموعة الوثائق التي أودعها النحات خليل جبران وزوجته جين متحف سمية في مكسيكو.



The  
SYRIAN WORLD

VOL. I.

JULY, 1926.

NO. 1.

FOREWORD

THE IDEA of this publication was conceived in the spirit of service to the Syrian-American generation. The somewhat anomalous position of the young Syrian in America constitutes a genuine social problem pressing for a solution, and it is both to his own interest and to that of the country under whose flag he was born that the correction of this condition should not be further delayed.

The underlying cause of this problem is the fact that Syrian emigration in its inception was not intended to be permanent. Only men endowed with an extraordinary boldness of spirit could at first muster sufficient courage to sever the strong ties binding them to home and country and to seek better fortunes in a foreign land. But the men went forth alone and with the fixed resolve of an early return. Economic interests, however, soon demonstrated to them the impracticability of such a course with the result that the family reunion took place abroad instead of at home.

By degrees, the first immigrants and those who followed in their wake came to reconcile themselves to the idea of permanency of sojourn, so that now naught remains of the one-time fixed resolution but the memory.

But this memory lingers, and it is doubtful if ever it will be effaced from the minds of the first-comers or cease to be a part of their lives. We can plainly discern its manifestations in the "Old Folks'" tender reminiscences of their mother-country;

افتتاحية العدد الأول (تموز  
١٩٢٦) من مجلة «العالم  
السوري» لسولوم مكرزل.

OUR CONTRIBUTORS.

GIBRAN K. GIBRAN is in the van of our thinkers and authors in America. For inspirational writings it is difficult to find his peer. The subtlety of thought and charm and lucidity of expression pervading all his works are his racial heritage from the East accentuated by his thorough accomplishment in the finer arts of the West. Not only is he an author, but also an artist. We lack the proper qualifications as art critics to make the bold statement that his art bears the stamp of genius as showing originality of the first order, but such a statement was made by no less an authority than Rodin. And he is a no mean linguist. His Arabic works show that same perfect mastery of language as do his works in English, and one can find some of his original compositions in beautiful French. But what may be cause for greater gratification, and may we say pride, is the fact that his latest book, "The Prophet", has already been translated into fifteen languages, while of his former works, "The Madman" was translated into nearly every language and "The Forerunner" into no less than eight. His original contribution to "The Syrian World" gives a portrayal of his interest and faith in our rising generation in America.

في الصفحة الأخيرة  
من العدد الأول  
نبذة عن كتاب العدد.  
وهنا النبذة عن جبران.



العدد ٤٠١ من جريدة «السائح» (السنة الخامسة) - نيويورك، الخميس ٢١ أيلول ١٩١٦. وهي «جريدة سياسية أدبية تجارية» صاحب الجريدة ومحررها عبدالمسيح عبده حداد. عنوانها: المبنى ٥٥، شارع برودواي، مدينة نيويورك. قيمة الاشتراك بها: ٤ ريالات

إلى اليمين صورة عبدالمسيح حداد  
إلى اليسار صورة شقيقه نذرة حداد



«السائح الأكبر»: غلاف العدد الممتاز من «السائح» بريشة جبران (١٩٢١).

ماري الخوري... هل هي عروس جبران في مقطوعته «الجنّية الساحرة»  
(في كتاب «العواصف»؟)



ماري عزيز الخوري، صاحبة محل المجوهرات  
الشهير في نيويورك.

كانت ثرية، وفتحت منزلها لصالون أدبي كان يلتقي  
فيه أدباء وشعراء، في طليعتهم أمين الريحاني  
الذي كان هو مَنْ عرّف جبران إليها فأخذ يتردد  
إلى صالونها الأدبي.

يرى دارسون أنه كتب عنها مقطوعته «الجنّية  
الساحرة»، لكن هذا ليس مثبّتًا.

وماري الخوري كانت في المستشفى ليلة وفاة  
جبران، وطلبت أن يُطبع وجهه على قناع الموت،  
ودفعت تكاليفه.

في بيتها مجموعة لوحات كانت تشتريها من  
جبران، وكانت بينهما رسائل.



## وجهه الباقي ولو... في قناع الموت

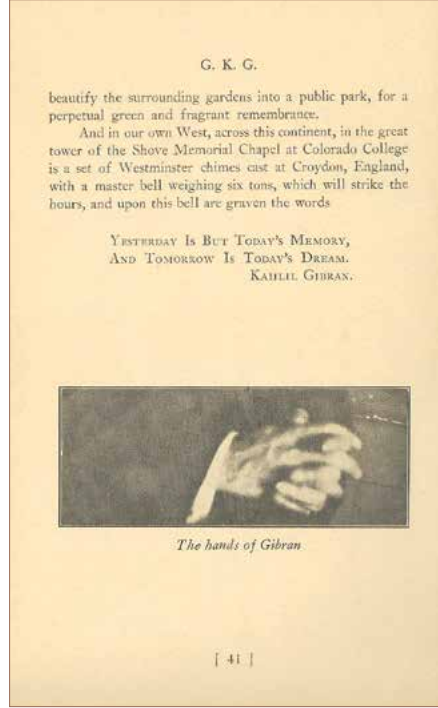
حرصت باربره يونغ في الصفحة الأخيرة من كتيبها الأول (١٩٣١) أن تنشر هذه الصورة المكبّرة ليدي جبران (مقتطعةً من صورة كاملة له) للدلالة على اهتمامها بيديه: كاتبًا ورأسًا.



صورة قناع يده فور وفاته



قناع الموت المأخوذ فور وفاته



قناعا وجهه ويده المعروفان في متحف سُميَّة - مكسيكو.



الحديقة العامة في الشارع العاشر غربًا (نيويورك) قبالة المبنى الذي كان يسكن فيه جبران. وغالبًا ما كان ليلاً يمشي بين أشجارها أو يجلس على مقاعدها في لحظات تأمل وشفاء.



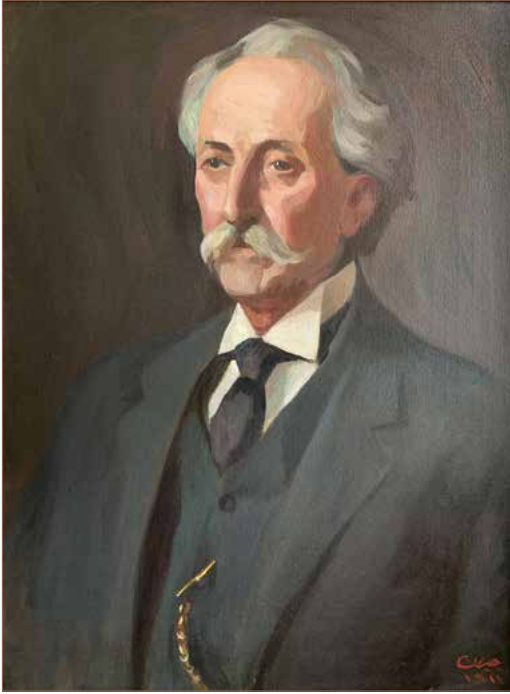


هنري زغيب (سنة ١٩٩٢) في حديقة جبران التذكارية التي دشَّنها الرئيس جورج بوش صباح الجمعة ٢٤ أيار ١٩٩١ على جادة ماساشوستس - واشنطن.





## جبران : لوحة غير معروفة



يُسعد هذا الكتابُ أن يَنْشُرَ على هذه الصفحةِ لوحةً لجبران غيرَ معروفةٍ ولا منشورةٍ سابقًا.

كان كتابي في مرحلته الأخيرة من الإخراج النهائي، حين تلقيتُ ذات مساءً رسالةً إلكترونيةً من الصديق المحامي الأميركي اللبناني الجذور شارل معلوف سماحة Charles Malouf Samaha (سانت پيترسبرغ، فلوريدا) يخبرني فيها أنَّ لدى نسيبةٍ له: السيدة منى معلوف إندرسون Mouna Malouf Anderson لوحةً زيتيةً بريشة جبران رسم فيها جدّها، واللوحة محفوظةٌ حاليًا في بيتها.



طبعًا: الأمر يستاهل تعديلًا في إخراج صفحات من الكتاب مُنجزّة، لحجز صفحةٍ ونشر هذه الزيتية.

وبناءً على طلبي السريع، وموافقة السيدة منى، أرسل لي الصديق تشارلز صورة الزيتية مع معلوماتٍ طلبتها منه، هي التالية كما أفادته بها نسيبته منى:

الرجل في الصورة هو نجم حنا معلوف (أبو راجي)، صديق جبران في بوسطن. كان تاجرًا معروفًا، وُلد في لبنان (زُبوغا) وهاجر إلى الولايات المتحدة مع موجة هجرة لبنانية واسعة مع نهاية القرن التاسع عشر، وسكّن في بوسطن (كما كانت كاملة والدة جبران اصطحبت أولادها الأربعة وهاجرت من بُشري إلى بوسطن).

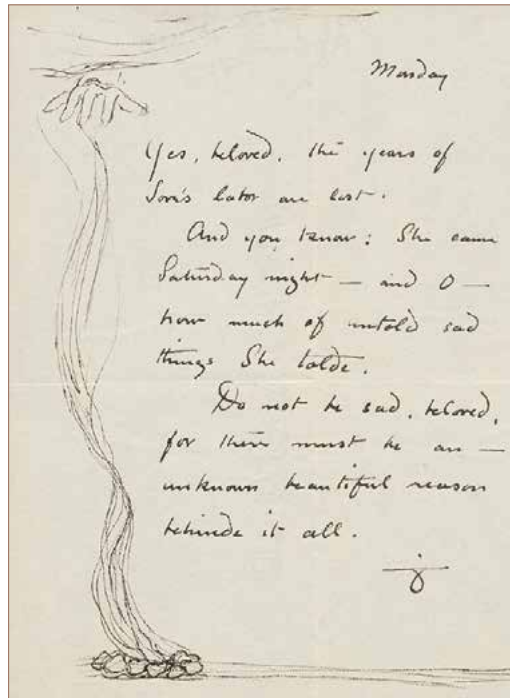
ولنجم ابنة اسمها روز، كانت تدرّس الرسم على جبران (معلومة جديدة: لم يُعرف عن جبران إعطائه في بوسطن دروسًا في الرسم لأفرادٍ أو مجموعات). ويبدو أن روز أحبّت جبران بولعٍ شديد وكانت ترغب في الزواج منه. فاتحت والدها بالأمر فوافق، لصداقته المتينة مع جبران. لكنّ جبران كان يُشيع عن رغبتها (طبعًا) دون الإفصاح عن علاقته العاصفة فترتدّ بماري هاسكل في بوسطن). وعن منى أن روز بقيت عزباء طوال حياتها، ولها لوحاتٌ عدةٌ رسمتها متأثرةً واضحًا بأسلوب جبران، كما نحتت تمثالًا نصفياً لوالدها نجم.

ولأنّ جبران رسم وجوه كثيرين من أصدقائه والأعلام (وَرَدَ ذكرُ معظمهم في هذا الكتاب) واضحٌ أنّ صديقه نجم كان جالسًا أمامه حين راح يكتب بريشته الانطباعية البارة تفاصيل دقيقةً ومعالم مذهلة النبض في هيئة الرجل وثوبه ونظرتِه (نتذكّر هنا حوار جبران وصديقه ميخائيل نعيمة - نيويورك، تشرين الثاني ١٩٢٢ - حين كان «ميشا» جالسًا في المحترف وجبران يرسمه بالقلم الرصاص).

أنشُر هنا صورة اللوحة الزيتية، وعليها توقيع جبران بالعربية وتاريخها بالأرقام الهندية ١٩١١ (أي بعد سنةٍ على عودته سنة ١٩١٠ من باريس متمكنًا في فن الرسم).

مع شكري للصديق تشارلز ولنسيبته منى التي سمحت لي، بإذنٍ خاص، أن أنشر صورةً جدّها (للمرة الأولى) في هذا الكتاب.

الشاعرة جوزفين بيبيدي (١٨٧٤ - ١٩٢٢)  
 عهد كان جبران على علاقة بها فتت في مطلع شبابه.  
 وهي التي يقصدها في كتابه الأول («الموسيقى» -  
 ١٩٠٥)، ومطلعه: «جلستُ بقُرب مَنْ أَحَبَّتْهَا نفسي  
 أسمع حديثها».



رسالة من جبران وقَّعها بأحرف اسمه الثلاثة في شكل  
 فني، وطَّزَّرها إلى يسار الرسالة برسم له، على عادته  
 في بعض رسائله.

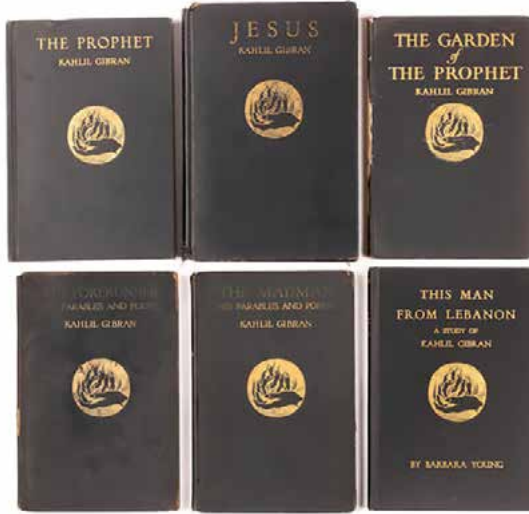


بنك مانهاتن الذي كان جبران يتعامل معه مالياً

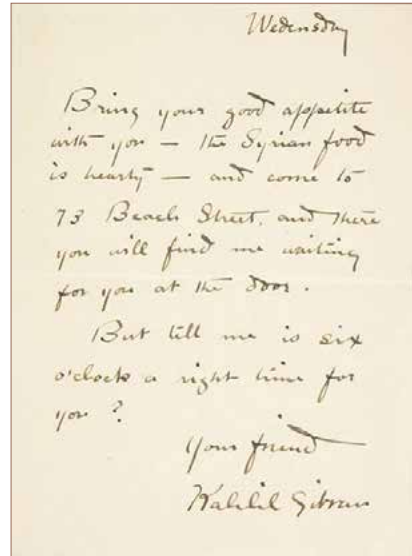
تحويل مصرفي إلى مريانا شقيقة جبران بقيمة ١٤,٥٩٥ دولاراً تُقتطع من المبلغ الذي أوصى لها به في وصيته، وقيمتُه الإجمالية ٤٩,٤٥٩ دولاراً.

**POET WILLS \$14,595  
TO SISTER IN HUB**

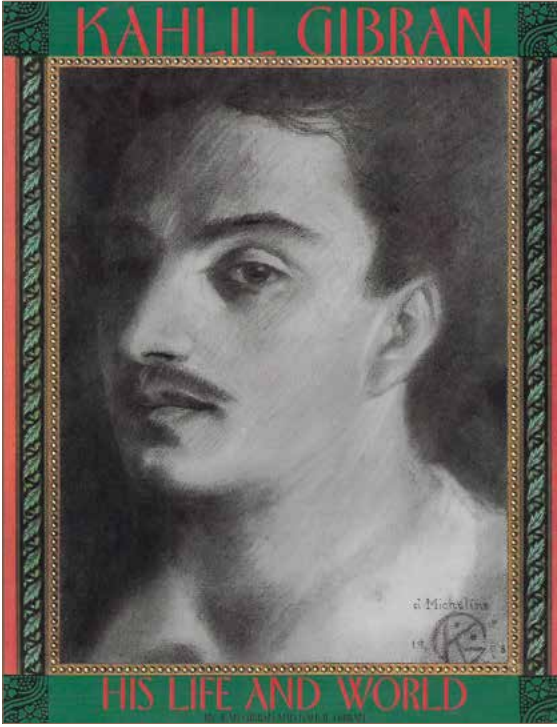
NEW YORK, Nov. 3.—Miss Mary K. Gibran of 231 Forest Hills street, Jamaica Plain, Mass., receives \$14,595, according to an appraisal of the estate of her late brother, Kahlil Gibran, Syrian poet and author, filed for State transfer tax purposes here today. Mr. Gibran died April 10, 1931. His estate was valued at \$49,459 net.



الأغلفة السوداء للطبعات الأولى من كُتُب جبران  
بالإنكليزية لدى منشورات كنوف.



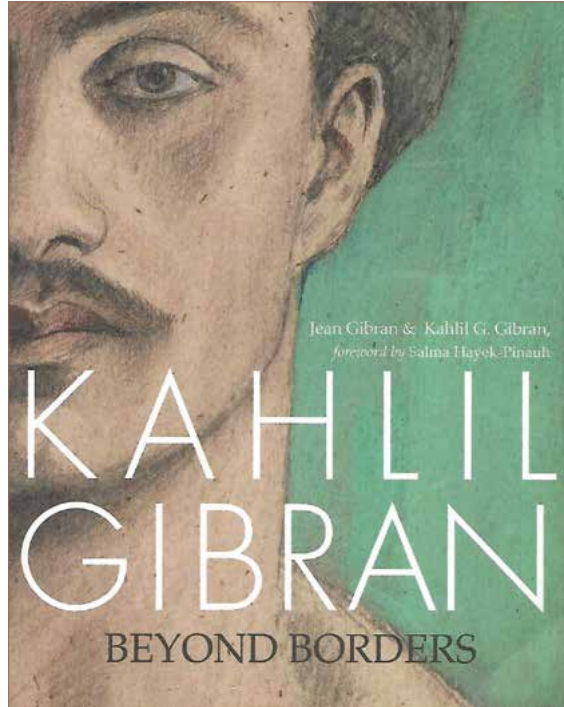
دعوة من جبران إلى موافاته لتناول  
«الطعام السوري الصحي» في مطعم  
عيّن عنوانه في الرسالة.



أكملَّ ببليوغرافيا صدرت عن جبران،  
وضعها نسيبُه النحات خليل جبران  
وزوجته جين، وكان لدى خليل جميع  
الوثائق التي آلت إليه من مريانا  
شقيقة جبران، ثم قدَّماها لاحقًا  
إلى متحف سميَّة في مكسيكو.

النسخة الأولى من الكتاب:  
«خليل جبران - حياته وعالمه»

صدرت طبعُتها الأولى سنة ١٩٧٤،  
فالثانية سنة ١٩٨١، فالثالثة سنة ١٩٩١.



النسخة الثانية من الكتاب، منقَّحة ومزيدة:  
«خليل جبران أبعد من الحدود»

صدرت طبعُتها الأولى سنة ٢٠١٧ حاملَةً  
مقدمة من خليل جبران (كان توفيَّ سنة  
٢٠٠٨)، أضافت إليها بعده زوجته  
جين ملاحظات عن إضافات جديدة  
في هذه النسخة تم اكتشافها بعد صدور  
النسخة الأولى سنة ١٩٧٤.

With kindest thoughts  
to  
Nathalie S. Colby  
from Khalil Gibran  
October  
1921

إهداء من جبران إلى السيدة ناتالي كولن  
على كتابين له («المجنون» و«السابق») في يوم  
واحد (تشرين الأول ١٩٢١).

With highest regards  
to  
Nathalie S. Colby  
from Khalil Gibran  
October  
1921

To Mrs. Bainbridge Colby  
with kindest thoughts  
of  
Khalil Gibran  
1926

إهداء جبران إلى السيدة ذاتها (ناتالي  
بينبريدج كولن) على كتابه «النبى» (١٩٢٦).



الكاتبة جوليا إلسوورث فورد (١٨٥٩ - ١٩٥٠) في أواخر حياتها.



جوليا كما رسمها جبران بالقلم الرصاص سنة ١٩٢٧

من رسائل جبران إلى جوليا فور.

Boston Aug. 1. 1912

My dear Mrs. Ford:

It is so good to hear from you - and to know that you are still on this side of the great ocean!

My sister was quite ill, but she is now very comfortably and in a few days she will go with some friends to the country and then I shall return to New York.

How could you dream of going abroad this summer? Is it not physically impossible? And suppose you could find a steamer to take you to England, do you think for a minute that your friends,

and I - on one of them, would let you go? Absolutely impossible. It is too dangerous, and the risk is altogether too great. Please stay with us this summer.

Germany will go ahead the summer. She has been spending the year and the economic life of Europe by her almost unprecedented war. And now she is - the midst of it. That is good what a war! It is sacred to nothing but the things!

And you? you are still thinking of going to Europe!

Always greetings to Papa and how are dear old M.?

Your own  
Habit Gilman

Thursday

My dear Mrs. Ford:

I have sacrificed much for this exhibition of mine - but the greatest sacrifice I have made are that of not seeing my friends, and their friends whom I love and know so much. But now it is almost over, and I shall soon be able to go out of this country and be my old self again instead of being nothing but a laborer doing night and day. I am almost a wreck. To get about 75 paintings and drawings ready is not a small matter and I have worked and worked and worked. The results of these long months of confinement is to "see things" mostly! Thank God, for I shall always "see" and I shall feel that I am, after all,

a part of life and not a hermit.

And will you not see the exhibition? It would give me such a joy to know that you are for what I have tried to do. That thought most earnest that comes from friends also understood as my only reward.

Most faithfully yours  
Habit Gilman

If you can be here we need you some of the catalogue to send to your friends just let me know and I shall get it so. Mr. Mathews and myself think that it is most better to send the catalogue instead of a card.

Friday

My dear Mrs. Ford,

I received last night from Boston and found your card in which you have kindly asked me to come to your home and meet these wonderful Danish children and I found also the lovely copy of "Magasin" which I shall read with a great deal of pleasure. Thank you, thank you again and again.

I have tried to visit in Boston but did not succeed very well. I had to plan for an exhibition in that city. The Boston Art Club is very much interested and will give an exhibition of all my work in the Spring. They have the largest and the best gallery in Boston and their shows are visited by thousands

and thousands of the best people. I really did not think that in Boston Art Club will offer me their gallery and all the service that you wish it. I feel most grateful.

I wonder if it is possible for me to make a drawing of Miss Duncan? It would mean much to me if she is willing to give me an hour of her time.

I hope to see you soon. I remain as ever

Most faithfully yours  
Habit Gilman



From the pain of bitter parting  
 To the laughing, faithless sea:  
 From the merciless waves to fear,  
 And then to prison and despair!  
 'Tis this what I sought, my Salwa,  
 When I left you and my home?  
 And behold me now, in a night  
 Whose ears are deaf to my cries,  
 Whose eyes are blind unto my grief.  
 But what if my morn should come?  
 And the star of my morn should rise?  
 What would they bring save memory  
 To a heart over-burdened with memories?  
 O my thoughts, my stricken thoughts,  
 Fly not towards my homeland,  
 And enter not into my house,  
 Lest you touch with your dark wings  
 The sleep-voiced eyelids of my mate.  
 Oh for a breath from that fragrant vale,  
 Oh for a draught from that ringing stream,  
 And for a handful from my father's ashes  
 To be strown, as they lay me low,  
 Into my lonely grave.

كانت بين جبران وفيلكس فارس (١٨٨٢ -  
 ١٩٣٩) علاقة أدبية وثيقة. ونادراً ما ظهر  
 لجبران نص بالإنكليزية ترجمه عن العربية  
 (حتى ولا من نصوصه هو).

هنا قصيدة فيلكس فارس «تربة الجدود»  
 بخطه (نقلًا عن مجلة «الأوديسييه» - السنة  
 الثانية - تشرين الأول ١٩٨٣ - العدد ١٨ -  
 ص ١٦)، وترجمة جبران بخطه (نقلًا  
 عن مجلة «الأوديسييه» - السنة الثانية -  
 كانون الأول ١٩٨٣ - العدد ٢٠ - ص ١٦)،  
 مع رسالة جبران بخطه حولها إلى فيلكس  
 فارس (نقلًا عن مجلة «الأوديسييه» - السنة  
 الأولى - نيسان ١٩٨٣ - العدد ١٢ - ص ٥).

### تربة الجدود

#### تَعْلَةُ الذَّكْرِ

لا تُدْخِلِ البُلُوِي إلى سِنِّني  
 لا يُقْلِقُنْ طَيْفٌ من الكَفْنِ

يا فِكْرُ، لا تَذْهَبِ إلى وِطْنِي  
 لا تُزْعِجِ الأَجْفانَ في الوِسنِ

#### شريكَةُ العَفْرِ

وتَهْلَةُ تُطْفِي لَظَى الصَّادِي  
 حَتَّى إِذا ما حان الحادِي

هل نَسْمَةُ من ذلك الوادِي  
 أو قَبِضَةُ من ثَرَبِ أَجدادِي

تَدْرُ في قَبْرِي

للِباسِ المملوءِ بِالغَدْرِ  
 لِمَعْقِلِ التَّعْذِيبِ والأَسْرِ

مِنْ لَوْعَةِ النُّودِيعِ لِلبحْرِ  
 لِرَحْمَةِ الأَنْوَاءِ وَالذَّغْرِ

لَعْلَةُ الصَّنْدَرِ  
 لما تَرَكْتَ النُّورَ والمأوى  
 تُقِيدُنِي، ودمعتِي نُجوى

إلى هُنَا قد صَرتِ يا سَلوِي  
 وَها أَنَا، في اللَّيْلِ، لا شَكوى

تَسْرُ لِلغَجْرِ  
 ونَجْمَتِي في موطنِي تَلْمَعُ  
 ما يَنْفَعُ المَحْكومَ ما تُنْفَعُ

أَتِي لِهَذَا الغَجْرِ أن يَطْلُعَ  
 وَبيننا الأَبعادُ لا تُنْقَطُ

### تربة الجدود

من لوعة التوديع للبحر  
 لرحمة الأنواء والذغر  
 لعللة الصندر  
 التي هنا صارت يا سلوى  
 وما أنا في الليل لا شكوى  
 تسر للفرج

أتى لهذا الغجر أن يطلع  
 ونجمتي في موطني تلمع  
 ما ينفع المحكوم ما تنفع  
 تربة الجدود

يا قدر لو تذهب إلى وطني  
 لا تحمد عن البلوى إلى سكني  
 لا ترزعج الأوجفان في الوسن  
 لا تطفئ لظي الصادي ذا الكفن  
 شريكة العفر

هل نسمة من ذلك الوادي  
 أو قبضة من ثرب أجدادي  
 تدري في قبري

نيدم زيب نيدم زيب  
 ١٩٤٤



## أخي فيليكس

سلام على روحك الطيبة وقلبك الكبير .  
 لقد سررت جداً بزوال الألم عنك ورجوع العافية إليك .  
 نحن يا أخي بحاجة ماسة إلى مواهبك فعد تَدع العلة  
 أن تقف حاجزاً بين مواهبك وحاجتنا .  
 طيِّه تجد ترجمة قصيدتك الجميلة إلى الإنكليزية . لقد  
 تصرَّف بعض الشعراء كما يريدونها الشاعر لا كما يريدونها اللغويُّ  
 المدقق . أبعدها الله عن جميع المدققين .  
 أنت بالطبع تعرف حجم وشكل فرحي بنجاح مشروعكم  
 في هذه البلاد . ولكنني أرجو يا فيليكس أن لا تُجهد نفسك  
 ولا تُحمِّل قواك فوق طاقتها .  
 بلِّغ سلامي إلى جان والياس مشفوعاً بمودتي وأحسن تمنياتي .  
 والله يحفظك أحاً عزيزاً لجران

مساء الإثنين  
(١٩٤٣)

## أخي فيليكس

سلام على روحك الطيبة وقلبك الكبير .  
 لقد سررتُ جداً بزوال الألم عنك ورجوع العافية إليك .  
 نحن يا أخي بحاجة ماسة إلى مواهبك، فلا تدع العلة  
 أن تقف حاجزاً بين مواهبك وحاجتنا .  
 طيِّه تجد ترجمة قصيدتك الجميلة إلى الإنكليزية . لقد تصرَّف بها  
 بعض التصرف فجاءت كم يريدونها الشاعر لا كما يريدونها اللغويُّ  
 المدقق . أبعدها الله عن جميع المدققين .  
 أنت بالطبع تعرف حجم وشكل فرحي بنجاح مشروعكم  
 في هذه البلاد . ولكنني أرجو يا فيليكس أن لا تُجهد نفسك  
 ولا تُحمِّل قواك فوق طاقتها .  
 بلِّغ سلامي إلى جان والياس مشفوعاً بمودتي وأحسن تمنياتي .

والله يحفظك أحاً عزيزاً لجران

مساء الإثنين

كانت الشاعرة التشيلية غبرييلاً ميسترال  
(١٨٨٩ - ١٩٥٧) على إعجاب كثير بجبران.  
هنا مقال لها عنه يبدو واضحاً فيه إعجابها.



صورة لجبران في محفوظات غبرييلاً ميسترال  
كتبت تحتها: «صورة خليل جبران اعطتني  
إياها شقيقته مريانا»

## GIBRAN JALIL GIBRAN

Por GABRIELA MISTRAL

«Había nacido en la región del Monte Líbano, y era el árabe común de rostro vulgar; pero en su alma cargaba con todo el Oriente. Finezas extremas de chino había en él; metafísicas indostánicas le relampagueaban en la conversación; unos toques de la espiritualidad pura de la Persia y, a veces el pinchazo de la intensidad judía. Todo ello, pasado por unos escepticismos venidos de Salomón, que daban a uno que otro poema y a su charria misma, cierto sabor de cáscara de nuez, amarga y confortante.

Su fama se enfrentaba con la de Tagore y, para algunos decepcionados de las muelas abustivas del indú, el libanés era superior.

El Oriente se había dado tanto o más cuenta de él, que la Nueva York donde vivía desde hacía veinte años. El ponía bonito orgullo en el aprecio del Oriente y me mostró, con gesto de niño regalón, ediciones de sus poemas mimados, algunos manuscritos, maravillas verdaderas en árabe.

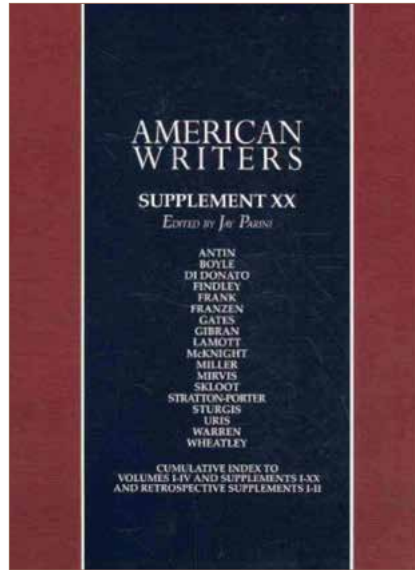
El caos barroco de misticismo neoyorkino lo había maldado un poco y en sus dibujos, especialmente, aparecía esta confusión de su mente en alegorías trascendentalistas de mal gusto, que se balanceaban entre un paganismo rodineano y unos espiritualismos ingenuos, a lo Miss Eddy de la «Ciencia Cristiana».

Hablaba de los dioses que lo visitaban en sus amigos, con una familiaridad swenderborgiana o blakeana.

Pero, el dios que ya estaba tendido en sus entrañas, era el de la postrimería, el dios solapado y amarillo como un chino que los médicos llaman secamente cáncer.

Dos meses después de mi conversación jovial con él, se nos moría el hombre sabio y profundo en un vulgar hospital, entre instrumentos de níquel y cates laqueados de blanco».

«كُتَاب أميركيون - الملحق رقم ٢٠»  
مجموعة نُصوص أدبية وبيوغرافية لعدد كبير  
من المؤلفين منذ القرن السابع عشر حتى  
اليوم (الطبعة الأولى ٢٠١٠ في ٥٩٢ صفحة  
حجمًا كبيرًا). وعلى الغلاف اسم جبران.  
أهمية هذا الكتاب: الاعتراف بجبران بين  
كوكبة المؤلفين الأميركيين مع أن الكثيرين  
لا يصنّفونه بينهم.



## KAHLIL GIBRAN

(1883—1931)

Christopher Buck

The Arab-American author and artist Kahlil Gibran was a best-selling writer whose work has yet to receive critical acclaim equal to his popular appeal. There is an opinion that Gibran's work in Arabic was central to the development of twentieth-century Arabic literature—in that Arab Romanticism began with Gibran, the pivotal figure in the Majma' movement of emigré Arab writers centered in New York. There is also no opinion that Kahlil Gibran's masterpiece, *The Prophet* (1923)—a small volume of aphorisms (wise sayings) offering pithy wisdom of an almost prophetic quality—belongs to world literature, for it is known and loved the world over. As an American man of letters, however, Gibran has received scant attention from American literary critics. Since *The Prophet* has yet to be widely recognized as an American classic, and the author yet to be fully accepted as an American writer, Gibran's inclusion in the *American Writers* series requires some justification.

Eminent scholars including Ifrah Shahid (professor emerita at Georgetown University in Washington, D.C.) and Sabah Ibrahim (professor emerita and current director of the Kahlil Gibran Chair for Values and Peace at the University of Maryland at College Park) have made the case for Gibran's recognition as an American writer worthy of note. According to Ibrahim, America is entitled to claim Gibran as one of its own (even if not a native son) as fully and as authentically as his native Lebanon can lay such claim. In his work, he became not only Gibran of Lebanon, but Gibran of America, indeed Gibran the voice of global consciousness" (1996, p. 10). After all, the young Gibran spent only the first twelve years of his life in Bsham (a village near the famous "Valley of Cedars"), where he was born in 1883, before emigrating with his family to the United

States. Apart from a two-year study in Paris and two brief return visits to Lebanon, Gibran spent his entire adult life—the last two-thirds of his life, in fact—entirely on American soil, dying in New York at the age of forty-eight. In *The Prophet*, the city of Orphalese is often said to represent America for New York.

Shahid underscores the fact *The Prophet* was America's best-selling book of the twentieth century, not counting the Bible, and that Gibran outdid all other American poets, from Walt Whitman to Robert Frost. According to Gibran's New York publisher, Alfred A. Knopf, *The Prophet* has sold more than ten million copies. The book's success was due entirely to its one appeal, as Knopf never promoted it. Strangely, Gibran is arguably America's best-loved prose poet, whose market appeal continues despite critical indifference. It is true that Gibran had what might be called a double psyche, and inhabited two thought worlds at once: As an Arab American, Gibran wrote in two languages: English and Arabic. Arabic was his mother tongue, and English his second language. As an acculturated man of letters of considerable influence in the Middle East, Gibran inspired a literary renaissance in the Arab world, such that all modern Arabic poetry bears the mark of Gibran's. Yet Gibran's work has had little influence in American letters, despite its enormous popular appeal.

Notwithstanding, Shahid thinks that Gibran has not been fairly treated as an American writer. The problem is exacerbated by the fact that, categorically, *The Prophet* exists in splendid isolation, severed from its Arabic cultural roots. And so *The Prophet* will have to be evaluated, or reevaluated, on its own literary merits and for its singular contribution to the American literary heritage.

## KAHLIL GIBRAN

—. "Introduction." In *The First International Conference on Kahlil Gibran: The First of the Culture of Peace*, December 19-21, 1999. Bethesda, Md.: University of Maryland Press, 1999. P. 7. (Online at <http://www.monism.org/first-international-conference-on-kahlil-gibran-1999.pdf>.)

Baron, Sabah, and Joe Ibrahim. *Kahlil Gibran, Man and Poet: A New Biographic Critical*. Inverard, 1998.

Gibran, Kahlil. "The Symbolic Quest of Kahlil Gibran: The Arab as Artist in America." In *Creating the Modern Arab: Speaking Identities in the United States*. Ed. by Ezz J. Hammad. Washington, D.C.: Smithsonian Institution Press, 1987. Pp. 161-171.

Gibran, Kahlil, and Kahlil Gibran. *Kahlil Gibran: His Life and Works*. 1974. Rev. ed. Northampton, Mass.: Insititute, n.d.

Hamm, Abdul-Jalil. "Gibran and Whitman: Their Literary Dialogue." *Literature East and West* 12: 174-198 (1996).

Hani, Kahlil S. *Kahlil Gibran: His Background, Character and Works*. Beirut: Arab Institute for Research and Publishing, 1972. (First published in the Oriental Series of the Faculty of Arts and Sciences at the American University of Beirut in 1963.)

Ibrahim, Robert. "I Am a Fake Alien." *London Review of Books*, September 3, 1998. p. 11. (Online at <http://www.lrb.co.uk>.)

—. *The Life and Times of Kahlil Gibran*. By John Wainwright.

Karim, Samira O. "Gibran's 'Civility of Modernity': In Tradition and Modernity in Arabic Literature." Edited by Ina J. Bouillon and Yvett DeYoung. Fayetteville: University of Arkansas Press, 1997. Pp. 29-42.

Knopf, Alfred A. "Random Recollections of a Publisher." *Manuscript International Society Bulletin* (Proceeding) 73: 92-103 (1964).

Koussoury, M. Ibrahim. "The Mode of Expression and Themes of Kahlil Gibran's Aphorisms in 'The Prophet'." *Manuscript: A Journal of Language and Literature* 6, no. 2 (3-4) (October 2004).

Maghlabi, Ahmad Y. "Gibran's 'The Procession in the Transcendentalist's America.'" *Ambix* 49, no. 4: 477-493 (2002).

Shahid, Ifrah. *Kahlil Gibran: A Biography*. New York: Philosophical Library, 1959.

—. *Kahlil Gibran: His Life and His Works*. Beirut: Dar al-Ma'arif, 1964.

—. "The Mind and Thought of Kahlil Gibran." *Journal of Arabic Literature* 3, no. 1 (5-7), 1974.

—. "A Strange Little Book." *South American World*, March-April 1963, pp. 8-9. (Online at <http://www.monism.org/first-international-conference-on-kahlil-gibran-1999.pdf>.)

Sawar, Eugene Paul. "Cultural Documentation in the Works of Kahlil Gibran." *MEJISU* 5, no. 2: 23-36 (summer 1980). Reprinted in *Essays Critical and Aesthetical*. Shaftesbury, Vt.: Fairleigh Dickinson University Press, 1980.

Shahid, Patricia M. "Gibran, Kahlil." In *American Studies*. Ed. by John A. Garrity and Mark C. Carnes. Oxford: Oxford University Press, 1999.

—. "The Prophet's Poem." *Time* 96, no. 7 (August 11, 1968).

Silva, Khalid. *Asyraf*. "Gibran Kahlil Gibran (1883-1931)." In *Trends and Movements in Modern Arabic Poetry*, Vol. 1. Edited by Khalid Asyraf. Beirut and Christopher Emery. London: IBSL, 1977. Pp. 10-107.

Shahid, Ifrah. "Gibran and the American Literary Canon: The Influence of the Prophet." In *Tradition, Modernity and Postmodernity in Arabic Literature: Essays in Honor of Professor Ina J. Bouillon*. Edited by Ina J. Bouillon, Samir Abdel-Malik, and Wael B. Hallaq. London: IBSL, 2000. Pp. 221-244.

Shahid, Ifrah. "Gibran, Kahlil Gibran: Between Two Millenias." *Arabia: A Jewish International Journal in Arab and Islamic Studies*. Department of Near Eastern Languages and Civilization, University of Washington. Seattle, April 03, 2002. (Online at [http://slip.slu.se/washington\\_sls/ah/ah020300.html](http://slip.slu.se/washington_sls/ah/ah020300.html).)

Shahid, William. *Kahlil Gibran: A Prophet in the Making: Book Based on Manuscript Paper of 'The Prophet', 'The Earthman', 'The Prophet', and 'The Earth Child'*. Beirut: American University of Beirut, 1991.

Summers, D. S. "The Sonnet of 'Ash-Na'" *American Scholar* 74, no. 2: 142-143 (spring 2005).

Wainwright, John. "Gibran: His Aesthetic and His Moral Universe." *at-Majma' (Library)* 21: 47-66 (2001). (Online at <http://www.gemini.smith.edu/~jwain/ghm/papers/gibran1.htm>.)

—. "Kahlil Gibran." In *Twentieth Century Arab Writers*. Edited by Nabil Vares at Majma' and Center for Prospective. University of Literary Biography, 38, 38E. Detroit: Gale Group, 1964.

Wainwright, Robert. *Prophet: The Life and Times of Kahlil Gibran*. New York: Da Capo, 1998.

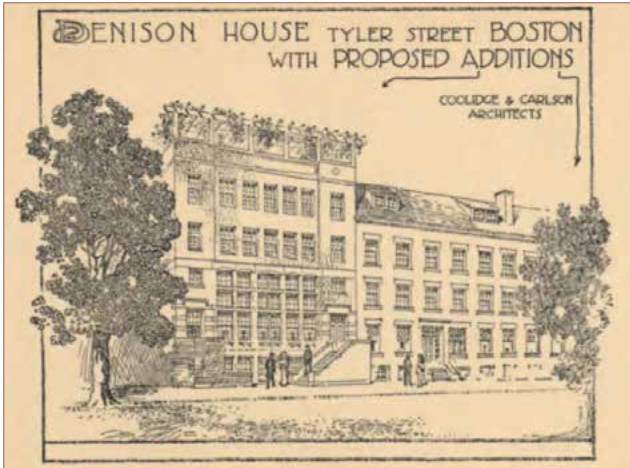
Walt, Nathan. "Translating Nabokov and Gibran." *Khalil Gibran* 22: 47-58 (1990).

Young, Barbara. *The Man from Lebanon*. New York: Knopf, 1943.

الدراسة عن جبران في الكتاب للأكاديمي كريستوفر بَكْ،  
امتدت على ١٦ صفحة (١١٣ - ١٢٦).



«دنيسون هاوس» البيت/المدرسة حيث التحق جبران  
أول سنتين من وصوله إلى بوسطن سنة ١٨٩٥.



مبنى دنيسون هاوس الذي أمضى فيه الفتى جبران سنتين أول وصوله  
إلى بوسطن سنة ١٨٩٥ وفيه اكتشفت السيدة فلورنس بيرس موهبته  
في الرسم وتحدثت عنها إلى جيسي بيل التي كتبت إلى فرد هولند داي  
كي يهتم به فكانت تلك أول نسمة ضوء رسمت لاحقاً كامل حياة جبران.



جبران في نزهة إلى البرية في مدينة تاريتاون (نيويورك) سنة ١٩١٥.  
عن يمينه عبدالمسيح حداد، وعن يساره نسيب عريضة. وإلى يسار الصورة: تمنية عريضة.

## جبران خليل جبران له «الكون»: الشرق جثة والرقص حولها حرام

بوسطن - ٢٥ آب (أغسطس) ١٩٢٨  
كاتب المحرر الثقافي

الاستسلام، ومن يستحق الأبدية والسيوف في يده كان خالداً بخلود الحق.

■ هذا بيان ثوري، يمكن أن يشغل بداية الانتفاضة؟

— هذه دعوة ليس إلا. واسأل كيف يدور الشرق ويصوبه بملفة بالصفاء وكروته مغسولة بالتراب، دعي القول: القلوب الملقطة بالشراب لا تتكسب والأسوات لا يكون، سئامال الشرق لا تحلها إلا الثورة. ولكن...

■ ولكن ماذا؟

— أبناء الشرق مستعدون الوجوه والافتحة، دينهم ربا، ودينهم إمام، وأخرتهم هباء، أمرك هذا الشرق لأنه يكره الجسد واحترقه لأنه يحترق ذاته.

■ ألعن الجسد وسلك نفسك على وطنك واستلقه، وهي التي كانت نور العالم؟

— كانت وهي اليوم إلى زوال، أعواد لأقول اليأس موت والرقص إمام تمدن الميت جنون يعطين.

■ ألا تظن أن الحراك وصلت إلى منتهى التطرف؟

— أنا متطرف إلى حد الجنون، أميل إلى العدم الكلي لأبني الكل من جديد، في قلبي كره لا يقبضه الناس وجب لا يرفسحونه، تمتعت لو استنطع استنقتال عوائد اليأس وعقائدهم وتقاليدهم، لكن العين بصيرة واليد قصيرة.



جبران خليل جبران

وجديدة على بقطة تقاسم النوم، والمقظة قاهرة لأن الشمس قائمها والفجر جيشها.

■ وهل وصلت إلى حافة يأس من قبيلة الشرق؟

— يأس يعني الموت، موت الأفكار والعلموحات والتجديد، رسات على فتاعة إن الشرق بات جثة هامدة في ظل خنوع انكسامة للدول الكبرى وعجز شعوبه عن اتخاذ الميافة ظلما أنها لا تمتلك نقطة الثورة والانتفاضة.

■ متى تتوقع انطلاق هذه الثورة التي تعال بها؟

— لو لار قوسي على حكاهم الطفلة وماتوا جميعا بتمردين لقلت إن الموت في سبيل الحرية أشرف من

النقاء مع الأديب والفيلسوف الليثاني جبران خليل جبران، كما الحوار معه صعب، خصوصا إذا تناول الحوار موضوع القضايا الشرقية وما تعال به الدول العربية من هوم وتحديات تجعلها عاجزة عن المواجهة، خصوصا وأن هذه الدول تقع تحت الاستعمار الغربي وتتوجه بشروطه الأمر الذي ترفضه الشعوب العربية وتتخفق له انكسامة.

جبران خليل جبران استنقى «الكون» والتفاتها في حوار يمكن اختصاره بالتالي:

بدأ جبران كلامه بالقول «أنا غريب في هذا العالم. أفتك دائما بوطنك بسحري لا أعرفه. أنا غريب عن جسدي وكلاما وقت امام المرآة أرى في وجهي ما لا تشع به نفسي. أنا غريب وقد زرت سائر الأرض وسأرت بها فلم أجد مسقط رأسي ولا التقيت من يعرفني أو يسمع بي.

■ لكنك ابن هذا الشرق ولا فتاك لك منه؟

— أنا من هذا الكون، ولو صادف سولدي في الشرق حيث الصراع دائم بين فكرتين قديمة مغلوب على أمرها،

حوار مع جبران في جريدة «الكون» (آب ١٩٢٥).



Tues. 10<sup>th</sup>. Dreary morning of  
thawing snow. Lunched with  
Kahlil Gibran, a little Syrian  
artist & poet; he did a drawing  
of me. He has done Masfield &  
Yeats with success, & showed  
me Rodin & Delussy which  
looked all right. He seems  
a very nice creature. Nothing  
commercial about his point  
of view. Met Alfred  
Kroeymberg, 'the wild man' /18

الشاعر الإنكليزي سيغفريد ساسون (١٨٨٦ - ١٩٦٧) في نص بخطه يذكر فيه أنه تناول الغداء مع جبران الذي وضع رسمًا له. هنا صورته ورسمه كما وضعه جبران بالقلم الرصاص، ونص ساسون بخطه.

فُلُوَيْد ستار (١٨٨٣-١٩٨٠) مُنشئ  
«مؤسسة ستار للأحداث» (١٩١٣)  
في أَلْبِيُون (ميتشغان) يروي كيف تعرّف  
إلى جبران سنة ١٩٢٨، في مصادفة غريبة.



#### Kahlil Gibran was a man I called my friend.

On a birthday anniversary, Upton Close and his wife gave me a copy of Kahlil Gibran's little black book called *The Prophet*. Sometime later I was in New York and Mr. Close said "Is there anyone in the city whom you would like to meet?" I replied that I had no desire to meet their Mayor Walker or others of his kind, but I should like very much to meet the man who wrote *The Prophet*. Mr. Close threw up his hands and said "Of all the people in New York, you would pick the one that is inaccessible.

He tried valiantly, I think, to get me an appointment, but without success. One day as we were walking down the street, he said "Kahlil Gibran lives in this building." Well, I heard nothing more about it until one day I was going . . . to keep an appointment. . . I hadn't Kahlil Gibran in mind at all. . . but as though someone spoke to me, I seemed to hear the words "if you would see Kahlil Gibran, go to him at once." So instead of going and keeping my appointment, I stayed on the bus. I got off. . . walked down to the building in which I had been told he lived. . . Away at the back of (a) dim-lighted hall, I could just make out the words "Kahlil Gibran". I lifted the knocker, but the door opened and a man just my height and size stood before me. I said "I have come to see Kahlil Gibran." "I am he, but could you come another time? I have a guest." "No, I can't come again, and I think it will not be necessary. I have merely come to thank you for writing *The Prophet*." "Come in," he said, "perhaps this friend of mine and you will be kindred spirits." After a bit of conversation, this great poet turned to me and asked "What do you do?" "I work with so-called bad boys." "How I envy you," he said.

Transcribed from a talk by Floyd Starr



EMILY JEWELL CLARK SCHOOL BUILDING,  
STARR COMMONWEALTH FOR BOYS, ALBION, MICHIGAN -85

مبنى «مؤسسة فُلُوَيْد» التي أنشأها لإيواء الأحداث الجانحين والمشردّين. وهو دعا جبران  
إلى زيارتها فوافق، لكنه توفي بعدها بثلاث سنوات.



**YOUR** company with friends is requested at an exhibition of drawings studies & designs by M<sup>r</sup> GIBRAN KAHLIL GIBRAN together with a small collection of miniatures and sketches by the late M<sup>r</sup> LANGREL HARRIS to be held at the studio of M<sup>r</sup> F. HOLLAND DAY 29 Harcourt Building 23 Irvington Street Boston on the afternoons of April 30th to May 10th inclusive from one until five o'clock

بطاقة الدعوة من فُرد هولند داي إلى أول معرض لجبران، وهو الذي لم تستطع ماري هاسكل أن تزوره إلا في يومه الأخير (١٠ أيار)، حين التقت جبران لأول مرة وكانت تلك فرصة عُمره الكبرى.

وهنا نص الدعوة:

أهلاً بك وبأصدقائك إلى معرض رسوم ومخططات للسيد جبران خليل جبران مع مجموعة صغيرة من المنمنمات والمخططات للراحل لانغرل هاريس في ستوديو السيد فُرد هولند داي - الشقة ٢٩ من مبنى هاركورت - رقم ٢٣ شارع أرفنغتون - بوسطن يومياً بعد الظهر بين الواحدة والخامسة من ٣٠ نيسان إلى ١٠ أيار ضمناً (المبنى احترق لاحقاً واحترق فيه جميع أعمال جبران)



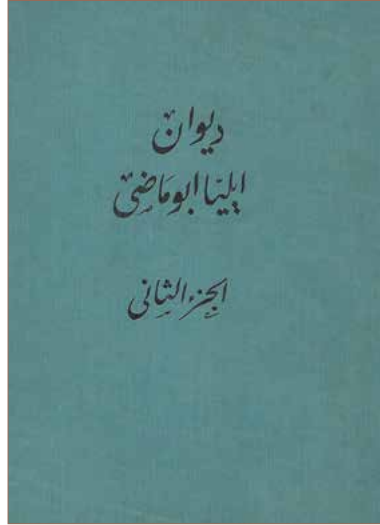
منشور أرسله فُرد هولند داي للإعلان عن المعرض (٣٠ نيسان - ١٠ أيار ١٩٠٤)، وفي اليسار إلى الأعلى صورة جبران. وهو أول معرض في حياته.



جبران الفتى في الخامسة عشرة، كما ظهر في صورة فوتوغرافية  
لْفَرْد هولند داي الذي طلب منه أن يطيل شعره.

In his search for models, Day occasionally found one among the poor immigrant children in the settlement houses of Boston. One of these was Kahlil Gibran, who, thanks to Day's support and goodwill, became his protégé; among other kind deeds, Day arranged an exhibition of Gibran's drawings at Wellesley College. There seems to have been no homosexual attachment between Day and Gibran, but Day was homosexual, as was his publishing partner, Copeland. Day was discreet, but he managed to shock Boston once again with the first frontal male nude photograph ever displayed in that city.

فقرة في كتاب عن فَرْد هولند داي، حول اهتمامه بفتيان بين أبناء المهاجرين من الأحياء الفقيرة في بوسطن، يتخذهم كنموذج (موديل) في صوره الفوتوغرافية. وفي النص ذكُرُ أن الفتى جبران كان بين أولئك المُهاجرين الفقراء.



كان جبران سخيًّا في تكريمه رفاقه أعضاء «الرابطة القلمية»  
هوذا إيلياً أبو ماضي يُصدر مجموعته الشعرية سنة ١٩١٨  
ويطلب مقدمة لها من جبران فيلبي  
هنا غلاف المجموعة، ومقدمة جبران  
ونهاية المقدمة مع توقيع جبران على الصفحة ٥ من الكتاب

### مقدمة جبران

الشعرُ عاطفةٌ تتشوّق إلى القصيِّ غيرِ المعروف فتجعله قريباً معروفاً. وهو  
فكرةٌ تُناجي الخفيَّ غيرَ المدرك فتحوّله إلى شيءٍ ظاهرٍ مفهوم.

أما الشاعر فهو مخلوقٌ غريبٌ ذو عَيْنٍ ثالثةٍ معنوية، ترى في الطبيعة ما لا  
تراه العيون، وأذنٍ باطنيةٍ تسمع من همس الأيام والليالي ما لا تعيه الآذان.  
ينظر الشاعر إلى وردةٍ ذابلةٍ فيرى فيها مأساةَ الدهور، ويشاهدُ طفلاً راکضاً وراء  
الفراشة فيرى فيه أسرارَ الكون، ويسيرُ في الحقل فيسمعُ أغاني البلابل والشحارير  
وليس هناك شحارير وبلابل، ويمشي في العاصفة فيخوض غمار معركةٍ هوجاءٍ بين  
جيوش الأرض وفيالق السماء.

يقف الشاعر أمام شلال، فيقول:

فيه من السيف الصقيل بريقه  
أبداً يرشُ صخوره بدموعه  
وله ضجيجُ الجحفل الجرار  
أتراه يغسلها من الأوزار؟

ويرفع عينيه ليلاً نحو الفضاء فيصرخ:

أبكي وتصغي إلى بكائي  
يا رب، هل تعشقُ النجوم؟

ويلتقي بحبيبه فيهمس:

وودتُ الإفاضة قبل اللقاء  
وبتُّ وإياك في معزلِ

فلَمَّا لقيُتُك، لم أنبَسِ  
كأنِّي وإياك في مجلسِ

يرى الشاعر ويسمع كلَّ هذه الأمور من خلال بُرُقع الحياة، وأنتَ واقف بجانبه لا ترى غير مظاهرها الخارجية، ولا تسمع سوى أصواتها المشوَّشة، فتقول في ذاتك: «يا له من خياليِّ مجنونٍ يتمسِّك بخيوط العنكبوت، ويصعد نحو النجوم على سلَّم مصنوع من أشعة القمر، ويحاول أن يملأ جرَّته من ندى الصباح بل من السراب».

إي. فالشاعرُ يصعد إلى الملامِّ الأعلى ولكنَّ على سلَّمٍ أقوى وأبقى من الجبال. يصعد بعزم الروح، ويتمسِّك بحبالٍ غيرٍ منظورة ولكنها أمتنُّ من سلاسل الحديد. يتمسِّك بحبال الفكر، ويملاً كأسه من عصيرِ أرقِّ من ندى الفجر. يملأها من خمرة الخيال، والخيالُ هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحقِّ والروح.

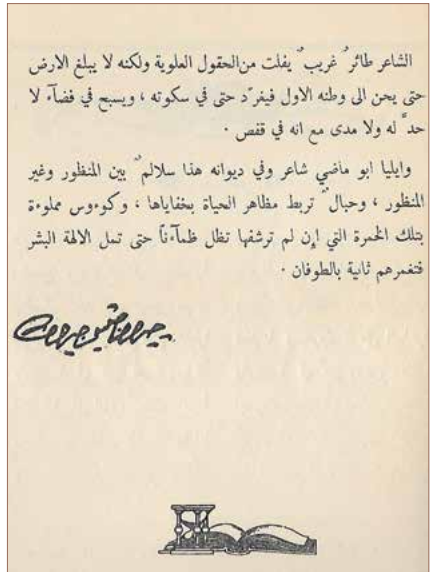
الشاعر يفعل كل ذلك، وأنتَ على الأرض لا تستطيعُ المسيرَ إلَّا على قدميك، ولا الصعودَ إلَّا على سلَّم من الخشب، ولا السكرَ إلَّا من عصير العنب، ولا المسرةَ إلَّا بالربح، ولا الألمَ إلَّا بالخسارة.

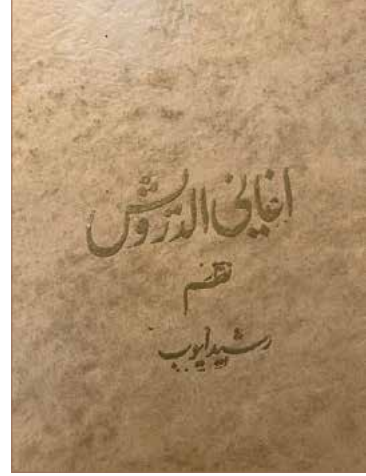
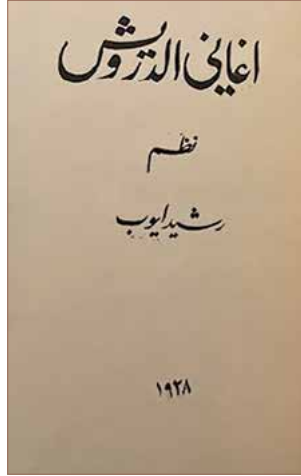
الشاعرُ طائرٌ غريبٌ يُفَلت من الحقول العلوية ولكنه لا يبلغ الأرض حتى يحنَّ إلى وطنه الأول فيغرِّد حتى في سكوته، ويسبح في فضاء لا حدَّ له ولا مدى مع انه في قفص.

وابليا أبو ماضي شاعر وفي ديوانه هذا سلامٌ بين المنظور وغير المنظور، وحبالٌ تربط مظاهر الحياة بخفاياها، وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم ترشفتها تظل ظمآنًا حتى تملَّ الآلهة البشر فتغمرهم ثانية بالطوفان.

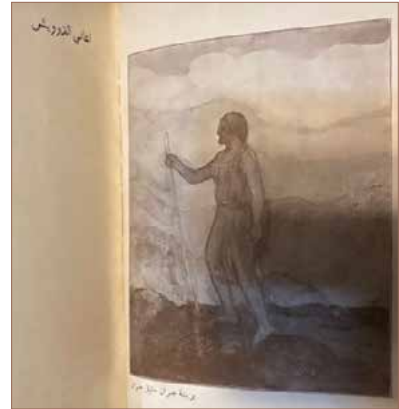
وفي ديوانه هذا، سلَّمٌ بين المنظور وغير المنظور، وحبالٌ تربط مظاهر الحياة بخفاياها، وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم ترشفتها تظل ظمآن حتى تملَّ الآلهة البشر فتغمرهم ثانية بالطوفان.

جبران خليل جبران





ومن خدمة جبران زملاءه في «الرابطة القلمية»  
أن أصدر رشيد أئوب مجموعته الشعرية سنة ١٩٢٨  
وطلب من جبران رسمًا خاصًا بها  
فوضع جبران هذا الرسم لأول الكتاب  
هنا غلاف الكتاب  
وغلافه الداخلي حيثُ الرسم  
والرسم في صورة مستقلة



وفاء  
و  
جبرائوؑرافيا

## وفاء

ما كنتُ لأُنجزَ هذا الكتابَ بالأمانة التي أُنشدُها منذ بدأتُ العملَ عليه قبلَ أربعِ سنواتٍ، لولا وثائقُ أصلية رصَّعت دقَّتَه، وصلَّتني ممن لهم وفائي:

- ♦ جوزف جعجع، حافظ متحف جبران على صور ومعلومات عن جبران.
  - ♦ أنطوان مطر، على مائتَيْه لمدرسة «الحكمة» زمنَ دراسة جبران فيها.
  - ♦ فارس مقصود، على الوثيقة الأصلية بخطِّ عمِّه الخوري لاوون مقصود عن مرافقته زيارةً باربره يونغ مدرسة «الحكمة».
  - ♦ حارث البستاني، على السماح بنشر نص والده فؤاد افرام البستاني عن مرافقته زيارةً باربره يونغ بُشري.
  - ♦ مكرم زُكور، على ثلاثة أغلفة من جريدة والده ميشال زُكور «المعرض» عن وُصول جثمان جبران إلى بيروت.
  - ♦ جوزف أبي ظاهر، على وثيقة البرنامج المفصَّل لاحتفالات بيروت وبُشري بوصول جثمان جبران إلى بيروت.
  - ♦ أنجليك بعينو حبيقة، على تنسيق الصور ووضع الملاحق الخاصة بالأسماء الأجنبية الواردة في الكتاب.
- مع امتنانٍ خاص لدوائر الجامعة اللبنانية الأميركية LAU، رئيسًا وجهازًا قانونيًا وإداريًا وفنيًا، تسهيلاتٍ مراحل العمل في إنشاء هذا الكتاب ليصدر بهذه الحلة الأنيقة، شكلاً ومضموناً، عن منشورات «مركز التراث اللبناني» في الجامعة.

## جبرانوغرافيا

- ♦ البستاني فؤاد افرام، مع جبران، منشورات الدائرة، بيروت، ١٩٨٣.
- ♦ جبر جميل، جبران في حياته العاصفة، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨١.
- ♦ جبر جميل، جبران في عصره وآثاره، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٣.
- ♦ حنين رياض، الوجه الآخر لجبران، دار النهار، بيروت، ١٩٨١.
- ♦ خالد غسان، جبران الفيلسوف، مؤسسة نوفل، ١٩٨٣.
- ♦ دايه جان، لكم جبرانكم ولي جبراني، منشورات مجلة «قبل الياس»، ٢٠٠٩.
- ♦ دايه جان، عقيدة جبران، دار سوراقي، لندن، ١٩٨٨.
- ♦ الدويهي بطرس وهبه، الدويهيون، نشر خاص، مؤسسة جوزف د. الرعيدي، ٢٠٠٢.
- ♦ زغيب هنري، جبران، شواهد الناس والأمكنة، درغام، بيروت، ٢٠١٢.
- ♦ شيبوب إدفيك، ذكرياتي مع جبران (مذكرات يوسف الحويك)، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٧٩.
- ♦ فارس فيلكس، رسالة المنبر إلى الشرق العربي، مطبعة «المستقبل»، الإسكندرية، ١٩٣٦.
- ♦ كيروز وهيب، جبران في متحفه، بشاريا، زوق مكاييل، ١٩٧٤.
- ♦ مجاعص سليم، جنيّة جبران، دار كُتب، بيروت، ٢٠٠٩.
- ♦ مجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤.
- ♦ مسعود جبران، جبران حيًا وميتًا، دار الريحاني، بيروت ١٩٦٦.
- ♦ نجار اسكندر، أوراق جبرانية، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٦.
- ♦ نجار اسكندر، قاموس جبران، الساق، بيروت، ٢٠٠٨.
- ♦ نعيمه ميخائيل، جبران خليل جبران، حياته، موته، أدبه، فنه، مؤسسة نوفل، بيروت، ط. ٨، ١٩٧٨.
- ♦ يمين محسن أ.، من خلف البحار، منشورات البيت الزغرتاوي، ٢٠١٩.

## Gratefulness

I couldn't have achieved such colossal work without an enormous debt of gratitude to those who helped me with information and documents:

- ♦ **Jean Gibran**, for her patient correspondence with valuable information and permission to use documents from her wonderful book: *Love made visible*.
- ♦ **Akram Khater**, for his friendship and for issues of *The Syrian World* from the *Moïse A. Khayrallah Center for Lebanese Diaspora Studies* (NCSU).
- ♦ **Charles Malouf Samaha**, for issues of *The Syrian World* as well as excerpts and photos related to Gibran.
- ♦ **Nadim Shehadi**, for issues of *The Syrian World* from his own collection, and for contacting Albert Shehadi and Princeton University to facilitate the reproduction of texts from the William Shehadi collection.
- ♦ **Edmond Ghareeb**, for his generosity in providing private documents and photos of his father Andrew, the translator of Gibran.
- ♦ **Elizabeth Davis**, for the rare photo of her great aunt Mary Haskell.
- ♦ **Francesco Medici**, for his permission to reproduce his newly discovered documents on Gibran.

## Gibranography

- ♦ *5ème rencontre internationale sur Gibran*, IMA- Paris, 2020, Center for Lebanese Heritage Press, LAU, Beirut, 2020.
- ♦ BUSHRUI Suheil and MALARKEY James Ed., *The enduring legacy of Kahlil Gibran*, University of Maryland, MD, 2013.
- ♦ BUSHRUI Suheil and JENKINS Joe, *Kahlil Gibran, man and poet*, One World, Oxford, UK, 1998.
- ♦ BUSHRUI Suheil, *The essential Gibran*, One World, Oxford, UK, 2007.
- ♦ DAHDAH Jean-Pierre, *Khalil Gibran, une biographie*, Albin Michel, Paris, 1994.
- ♦ GHAREEB Andrew, *Prose poems by Kahlil Gibran*, Alfred Knopf, NY, 1934.
- ♦ GIBRAN Jean and Kahlil, *Dramas of life, introduction*, Westminster Press, Philadelphia, PA, 1981.
- ♦ GIBRAN Jean and Kahlil, *Kahlil Gibran, beyond borders*, Interlink books, Northampton, MA, 2017.
- ♦ GIBRAN Jean and Kahlil, *Kahlil Gibran, His life and world*, Interlink books, NY, 1991.
- ♦ GIBRAN Jean, *Love made visible*, Interlink books, Northampton, MA, 2017.
- ♦ HAWI Khalil, *Kahlil Gibran, his background, character and works*, AUB, Beirut, 1963.
- ♦ HILU Virginia, *Beloved Prophet*, Quartet books, London, 1973.
- ♦ KALEM Glen, *Kahlil Gibran collective, the Artist, the Poet, the Man* (Website).
- ♦ NAJJAR Alexandre, *Khalil Gibran, l'auteur du Prophète*, Pygmalion, Paris, 2002.
- ♦ NAJJAR Alexandre, *Sur les traces de Gibran*, Dergham, Beyrouth, 2011.
- ♦ SAMAHA Charles Malouf, *Faris Saleem Malouf, A voice in the dark*, private and limited edition, St. Petersburg, FL, 2019.
- ♦ SHEHADI William, *Kahlil Gibran, A prophet in the making*, AUB Press, Beirut, 1991.
- ♦ WATERFIELD Robin, *Prophet, Life and times of Kahlil Gibran*, St. Martin's Press, NY, 1998.





## تحية ولاء

أَنْ تَعَمَدَ جامعة كبرى في الشرق، كالجامعة اللبنانية الأميركية LAU، إلى تبنيها سِفراً كالذي بين يديك، وَأَنْ تُتَابِعَ، دُوْبَةَ الدِّقَةِ زَمناً وإِنْتاجاً، مراحلَ وُضَعَتْ تَباعاً منذ مطالعها قبل أربع سنوات، بدءاً بعقد الاتفاق القانوني مع الناشر النيويوركي «كنوف» على ترجمة كتاب باربره يونغ «هذا الرجل من لبنان» كاملاً، وتسديد حقوق الترجمة، ثم تأمين الوثائق الجبرائية الجديدة من مصادرها الأولى في الولايات المتحدة مع ما يستتبع ذلك بين مراسلات ومتابعات، فالسهر على تأمين أي متوفرٍ ضروريٍّ لأعمال الترجمة والبحث والتنقيب عن كلِّ مصدر أو مرجع يَرَفِدُ أمانة النص وعلمية الاستقصاء، بلوغاً إلى توفير جميع التسهيلات لإنتاج الكتاب تأليفاً وتحريراً على المستوى الأكاديمي الأعلى، وإخراجاً وطباعةً على المستوى الفني الأرقى، فإنجازٌ يليق بسمو الرسالة التي تؤدّيها هذه الجامعة، جيلاً بعد جيل، عهداً بعد عهد، إدارةً بعد إدارة، إيماناً بأن الجامعة ليست مقعداً طالبياً ومنبراً تدريسيّاً ومحاضراتٍ وشهادةً وحسب، بل هي منارةٌ في مجتمعتها، حريصةٌ على نموه إنما أيضاً جديرةٌ بالحفاظ على ذاكرته: ميراثاً من الأمس مخزوناً من السلف الأمين، تراثاً من اليوم أعلاماً ومعالمَ وعلامات موكولاً إلى الخلف الضنين، ليكون إرثاً هو أعلى ما تهديه إلى الوطن في غده المكين.

الجامعة اللبنانية الأميركية تتفرد باحتضان مركزٍ مختصٍّ بالتراث اللبناني، وتسهر على دعمه وتبليته ومواكبته نشاطاً ومنشوراتٍ وإدخار كنوزٍ من تراث لبنان. وهي بذلك تسجل لأبناء أجيالنا المقبلة ذاكرةً للمستقبل تجعلهم يفخرون بانتمائهم إلى لبنان النهضة والتاريخ والحضارة، وهذا تاجٌ ما من أجله تأسس في الجامعة (سنة ٢٠٠٢) «مركزُ التراث اللبناني».

حزقيي

مدير المركز

ISBN 995346154-6



9 789953 461540